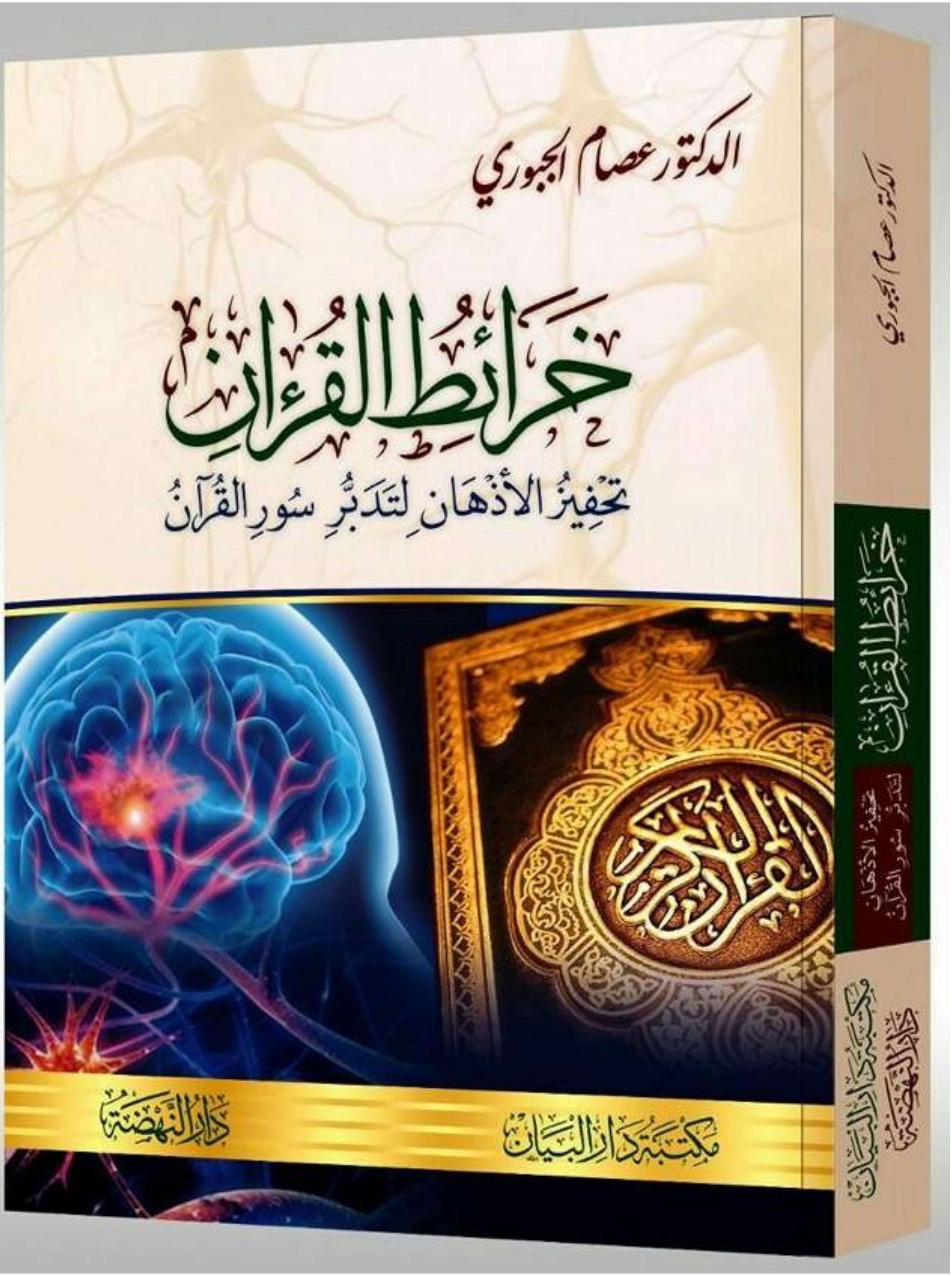

الدكتور عصام الجبوري
خرائط القرآن
تحفيز الأذهان لتدبر سور القرآن
القرآن الكريم
دار النهضة
مكتبة دار البيان

خرائط القرآن

تحفيز الأذهان .. لتدبر سور القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

دار النهضة
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية – دمشق
Email: nahdah.m@gmail.com

هاتف 00963 11 2229045
فاكس 00963 11 2236502
جوال 00963 933 265399
Email: albayan-hotmail.com

جميعُ الحقوقِ محفوظة
للمؤلف و لرابطة التدريسيين الجامعيين

الطَّبعةُ الأُولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

رابطة التدريسيين الجامعيين
ASSOCIATION OF UNIVERSITY LECTURERS
Website:www.aul.org.iq
E-mail: aul_iraq@yahoo.com /info@aul.org.iq

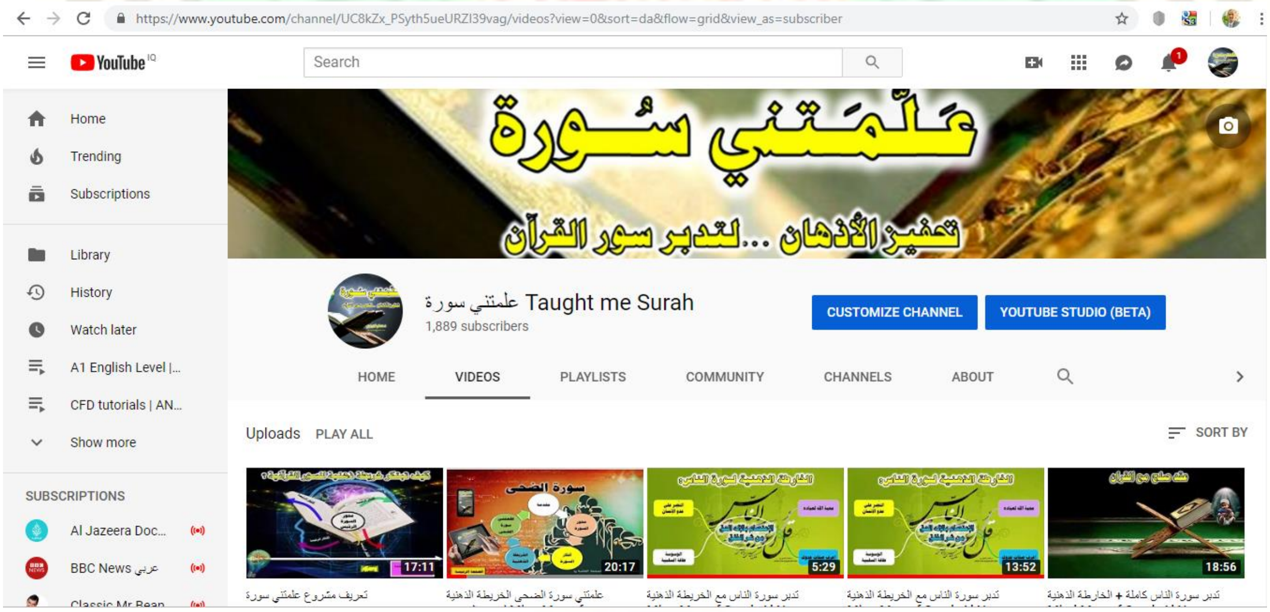
لايسمح بنشر أو تصوير هذا الكتاب أو أي جزء منه دون إذن خطي مسبق

السيرة الذاتية



الأستاذ المساعد الدكتورعصام محمد علي الجبوري من مواليد بغداد 11-04-1971 في جانب الكرخ
حاصل على شهادة :
الدكتوراه من روسيا الإتحادية عام 2010 بإختصاص ميكاترونكس.
الماجستير من جامعة بغداد عام 2001 بإختصاص موائع وحراريات.
البكلوريوس من جامعة النهرين عام 1993 في الهندسة الميكانيكية.
رئيس قسم هندسة الطاقة/جامعة بغداد/كلية الهندسة منذ عام 2017
عضو هيئة تدريسية في قسم الهندسة الميكانيكية ،عضو في نقابة المهندسين العراقيين وبجمعية أشري ASHRAE الأمريكية. حاصل على منحة فولبرايت لعام 2013 في الولايات المتحدة الامريكية. ساهم في كتابة المدونة العراقية للتثليج 2013. نشرت العديد من بحوثه في مجال إنتقال الحرارة والتكييف والتثليج والسيطرة باستخدام الـ Fuzzy logic في جامعات عراقية وعربية وعالمية .

البريد الإلكتروني
drissam@uobaghdad.edu.iq
juburyima@gmail.com
الهاتف: 604-865-7905-00964



خرائط القرآن

تحفيز الأذهان .. لتدبر سور القرآن

تأليف

الدكتور عصام الجبوري

دار النهضة

مكتبة دار البيان

خرائط القرآن

تحفيز الأذهان.. لتدبّر سور القرآن

الطبعة وحقوق الطبع والدار الناشرة وتاريخها

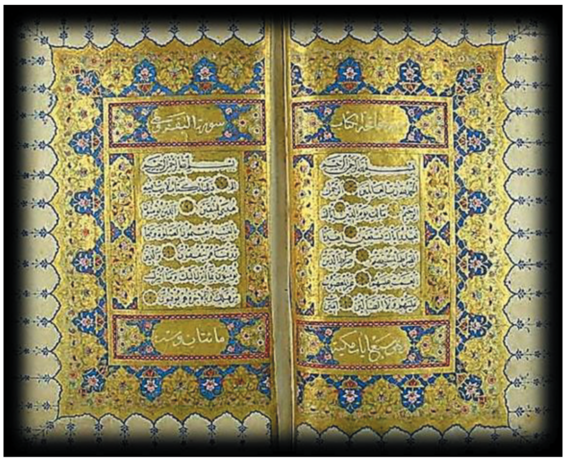
خرائط القرآن

تحفيزُ الأذهان.. لتدبّر سُوَر القرآن

د. عصام الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد:

لي مع القرآن قصة!

كانت وما زالت زخارف الغلاف الخارجي للقرآن الكريم وصفحاته الداخلية تشُدُّني، وعلى الأخص الزخارف الهندسية والتجريدية والنباتية، فهي تعطي مجالاً كبيراً للتأمل والتفكير والتساؤل، كيف استطاعوا إنتاج نماذج كهكذه في زمن يفتقر الإمكانيات الفنية المتاحة اليوم؟

ولم أستطع أن أقاوم الرغبة في قراءة القرآن الكريم وتقليب صفحاته، وعندها وقع نظري على سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة، فالصفحتان من أولهما إلى آخرهما قطعة فنية رائعة الجمال، وتغطي الزخارف معظم الصفحتين تقريباً، وقرأت آياتهما بسرعة وبدون تركيز لأني كنت أسترق النظر للزخارف وأقول في نفسي: كم هي متلائمة مع قيمة القرآن وجلالة مضمونه.

وبدهي أني حينها لم أفهم كثيراً من القليل الذي قرأت! ولم أصبر على القراءة أكثر من ذلك، ولكن ذلك لم يمنعني من متابعة تقليب الصفحات إلى نهاية المصحف، بقليل من الإدراك، وتطلع إلى مزيد من الأشكال والزخارف، غير أني لم أجد بقية الصفحات مشابهة للصفحات الأولى!! وبعدها أعدت المصحف إلى مكانه. ومنذ ذلك الحين أصبح لدي رغبة في تصفح أي نسخة مطبوعة جديدة من كتاب الله للاطلاع عليها.

تلك فترة قد خلت، بإدراكها المحدود، وخيالاتها الطفولية الخصبة!

ثم عدت إلى القرآن مرة أخرى في مرحلة الشباب، بحفظ نصوص قرآنية، من أجل المقررات الدراسية والحصول على درجات عالية!

في تلك الفترة كان القرآن يهزني عندما أسمع تلاوته من الحافظ خليل إسماعيل شيخ القراء العراقيين وعميد المدرسة البغدادية. كان صوته الندي يسري في الغرفة فتغشى المكان سكينة تجعلني أشعر أن ثمة توتراً يغادرني.... وكأن الحركة توقفت.. وأن هناك ثمة شيئاً ما أشعر به لم أكن أستطيع التعبير عنه.

لقد كان صوته الشجيّ يجعلني أشعر أنني أستمع إلى الملأ الأعلى، كنت أحس أنه يقرأ بقلبه لا بلسانه. يقرأ من أعماق روحه. وأن أطيافاً من النور تنبعث من نبرات صوته الحزين. كنت أعيش في إشراقة روحية دائمة مع كتاب الله، وأنا أستمع إليه يتلو آيات القرآن الكريم، كانت الآيات تهزني! ومع ذلك لم أكن أقف طويلاً عند موضوعات السورة التي تتلى آياتها!.

ومع بداية دراستي للهندسة في المرحلة الجامعية، كان من المتوقع أن أعيش في جو المعادلات الرياضية والتصاميم والنُّظُم الهندسية، إلا أنني لم أترك القرآن الكريم وحفظه، فقد هيأ الله لي صحبة طيبة صالحة كنا قد تعاهدنا على حفظ سور من القرآن وقراءة تفسيرها بالرجوع إلى التفاسير التي تهتم ببيان المعنى، دون دخول في دقائق اللغة والإعراب، أو المسائل الفقهية.

وبعد انتهاء المرحلة الجامعية عدت إلى القرآن الكريم من جديد اقرؤه بتأنٍ أكثر بمزيد من الاطِّلاع على بعض كتب التفسير، وعندها بدأت رحلة العيش مع كتاب الله تعالى.

وكان يستوقفني كلام عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «أقرأ القرآن وكأنه عليكَ قد نزل!»، وظل تلميذه الحسن البصري يترقى ويتعلم على يده ــ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ــ حتى بلغ مبلغاً عظيماً، عبر عنه فقال: قرأت القرآن على يد عبد الله بن مسعود فلما حفظته وتدبرت بعض ما فيه من معان ترقى بي الحال فصرت كأني أسمعه من رسول الله، فلما ترقى بي الحال كنت كأني أسمع الله عَزَّوَجَلَّ يبلغ جبريل ليبلغ محمداً ﷺ.

قال الحسن البصري رضوان الله عليه: «هنيئاً لك يا ابن؛ آدم إن أردت أن تكلِّم الله فأحرم بالصلاة، وإن أردت أن يُكلّمك اللهُ فاقرأ القرآن».

عدتُ هذه المرة إلى القرآن وتيقنت أنه رسالة رب العالمين إلى الإنسان، فجعلته صاحبي ورفيقي طوال حياتي، وبدأت مدارسته وتدبره وحفظ بعض سُوَره، ولست أزعم أنني أدركت يومئذٍ من القضايا ما أدركه اليوم، بصرف النظر عن صحته أو خطئه، عمقه أو ضحالته.. ومع طول الصحبة اكتشفت أنني كنت أمر على كثير من الآيات دون أن أدرك معانيها أو دلالاتها! ولكني كنت أستشعر عظمة الله ومعيته، وكأنه يكلمني بهذا القرآن، ثم أحاول ربط آيات القرآن بالواقع الذي نعيش فيه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها، والقصص التي يحكيها والواقع الذي نعيشه، وكيف أن الله أهلك أمماً كثيرة

لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله وكتابه، وكفر برسله، مهما ظنوا أنهم في قوةٍ وعز، هذا هو الذي كان يشغلني في تأملي للقرآن..

وعندما بدأت أقرأ سورة البقرة واجهت صعوبة أثناء قراءتي للسورة كاملة، ولكن حرصت على متابعة قراءتها، وعندما فرغت منها، لم أكن مستحضراً للموضوع الذي يجمع أجزاء السورة المختلفة، ولم أكن واعياً بمقصد كل جزء ودوره في السياق العام لنص السورة.

لقد قرأت مباحث متنوعة ومختلفة ومتناثرة في صفحات هذه السورة المباركة؛ مثل صفات المؤمنين والكفار والمنافقين، ومسائل في العقائد، والأحكام الشرعية، والقصص التاريخية والتعاليم الأخلاقية، والزجر والتخويف، والترغيب والدعوة والنصيحة، والعبرة والنقد، والحجج والشواهد، والإشارات إلى آيات الله في الكون. بل يكون الأمر أغرب من ذلك، حينما يبتدئ الحديث عن موضوع فإذا به يتخلله موضوع آخر بغتة. كما يتبدل المخاطب والمتكلم بين حين وآخر، وتتجه وجهة المحاورة إلى جهات مختلفة مرة بعد أخرى. كل ذلك يتكرر بيانه بين حين وحين، ويبدأ ويعاد بوجوه متباينة وأساليب منوعة.

وإذا بي أتيه بين آيات وصفحات سورة البقرة لعجزي عن معرفة نقطة الانطلاق والطريق المؤدي إلى المحطة النهائية. وكان مثلي في ذلك كمثل الشخص الغريب الذي يهيم على وجهه في دروب مدينة كبيرة. ويمكن أن يتفادى هذا الضياع لو امتلك خارطة المدينة والعنوان الذي ينوي الذهاب إليه.

وعلى ما حصلته من فوائد قليلة أو كثيرة من لآلِئ الحِكَم القرآنية المشرقة المتناثرة. إلا أني اضطررت إلى الاكتفاء بالقليل من حكم مبعثرة، وإلى تجميع قبضة من زهور متناثرة. ولم أستطع التركيز في متابعة فهم السورة، والإحاطة بالصورة الإجمالية لمعانيها، لأنني استغرقت في معرفة تفاصيلها دون الإحاطة بمجملها وموضوعها العام.

ونتيجة لذلك اعتبرت نفسي محروماً من التوصل إلى فهم أشمل وصلة أتم مع كلام الله، وقد عزوت هذا الأمر إلى عدم إلمامي بالقواعد اللازمة لفهم القرآن، فصادفتني المباحث المختلفة المتنوعة موزعة في صفحات سورة البقرة، ولم يظهر لي مغزى كثير من آياتها، ورأيت العديد من الآيات كالجواهر تتلألأ بنور من الحكمة الربانية، ولكنها فيما يبدو لي غير مترابطة.

وكنت أرغب في أثناء تدريسي للقرآن الكريم في المسجد، بتثبيت الحفظ للطلبة ومعرفة بعض معاني الكلمات في السورة، وأصبح لدي اهتمام بتثبيت الحفظ وبدراسة أحكام التلاوة أكثر من الاهتمام بفهم معاني الآيات وتدبرها! ولم يخطر بذهني تلك الأسئلة:

* ما الغرض من تحفيظهم جزء عمَّ أو تبارك؟ وماذا يريد الله عَزَّوَجَلَّ منا إذا حفظنا هذه الأجزاء؟

* وما هو الموضوع الرئيس لكل جزء أو لكل سورة؟ وهل هنالك واجبات عملية إذا حفظ الطالب سور هذه الأجزاء؟

لقد كنا نحتفل بتخريج المئات سنوياً من الطلبة والطالبات الحافظين لأجزاء من كتاب الله، دون أن يحفظ الكثير منهم معاني كلمات، أو يتعلم شيئاً يزيد فهمه للآيات، هذا مع قصار السور فضلاً عن طوالها!

ليس هذا مراد الله تعالى من إنزال القرآن، ولم يكن هذا هدي رسولنا الكريم ﷺ، ولا سلفنا الصالح. هذا ما كنت أؤمن به وأسعى له. كنت حينها أتابع الكثير من الطلبة وهم يحفظون سور القرآن، ويتعلمون أصول التجويد وقواعد الترتيل، وهذا أمرٌ فيه خيرٌ كثير، كنت ألاحظ أن فكرة فهم وتفهيم معاني القرآن عند المعلمين لم تكن من الأولويات، بل الاكتفاء بالتحفيظ عندهم هو الأهم، مما جعل هذا الأمر يوقد في قلبي مشاعر الحزن ويثير القلق في نفسي، وبدأت أشعر بحجم هذه المشكلة، وهذه الفجوة الكبيرة بين الهدف المنشود من دورات تحفيظ القرآن والغاية منها وبين واقعنا المؤلم الذي نعيشه، وهذا البون الشاسع بين العيش بالقرآن باعتباره منهج للحياة وحفظ القرآن.

هنا بدأت أفكر بإيجاد طريقة وأسلوب يعين قارئ القرآن على استيعاب موضوع السورة ومحورها، مستفيداً من دراستي لعلم الهندسة التي تعرض الموضوع العلمي النظري والعملي، وتشرحه وبعدها تعزز الشرح برسوم بيانية وصور توضيحية، ومخططات هندسية وخرائط طولية وعرضية ومن جوانب مختلفة للإحاطة بالموضوع، وترسيخه في ذهن القارئ أو الباحث.

شرعت بدراسة عدد من البحوث والكتب والدراسات بحثاً عن مزيد من هذه الأفكار، وشواهد جديدة على إيجاد «خريطة» تعينني على تحليل ودراسة سور القرآن الكريم، كلاً على حدة لكي أحدد **أهداف ومحاور** كل سورة، ثم ليسهل فهمها وتدبر معانيها وحفظها وهدفها وما هو مطلوب منا عمله. وكان كتاب «**دراسات قرآنية**» للأستاذ محمد قطب نقطة تحول في تفكيري.

لقد بدأت الخيوط المتفرقة تتجمع في ذهني حول إيجاد وسيلة لفهم القرآن وتدبره، بحيث تكون مختصرة ومحببة للنفس، وسهلة على العقل، تساعد المسلم لكي يتحرر من الحالة المألوفة لقراءة النص القرآني، إلى القراءة الواعية المتبصرة، لكي يصل إلى تدبر القران والعمل به في زمنٍ بات يعاني فيه الكثير من المسلمين من صعوبة الفهم، وقلة الضبط، وتفلت زمام الحفظ.

ومع أني وقتها لم أفكر أبداً في الكتابة ولا التأليف، إلا أنَّ الفكرة ظلت تشغلني مشغلة جادة.. لكنني لم ألجأ إلى تسجيلها.

فكرة تأليف كتاب خرائط القرآن



بدأت فكرة تأليف الكتاب عندما كُلِّفَت زوجتي باختيار بحث تخرج، فقمنا باختيار موضوع تربية الأولاد في ضوء القرآن الكريم، وبعد ذلك أخبرتُ زوجتي بضرورة اختيار موضوع أكثر تميّزاً، و أكبر فائدة يمكن أن تعود علينا وعلى أولادنا.

بدأت بتصفح شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) للحصول على موضوع مميز، وخلال تصفحي مواقع الإنترنت وجدت موضوعاً يتكلم عن المقاصد النورانية للقرآن الكريم وفيه رسومات لخريطة ذهنية لسورة البقرة. بعدها حصلت على كتاب (**كيف ترسم خريطة العقل**) للبريطاني «توني بوزان» والمعروف بأستاذ الذاكرة. ثم قرأت كتاب (**كيف نتعامل مع القرآن الكريم**) للشيخ محمد الغزالي وكتاب (**دراسات قرآنية**) لمحمد قطب، وتذكرت اللوحة الوصفية الشرعية التي خطها رسول الله ﷺ ليبين للناس أمر هذا الدين وهو صراط الله المستقيم، يقاطعه أو يوازيه طرق أخرى عديدة منحرفة معوجة يقف على رأس كل واحدة منها شيطان. وتذكرت أيضاً كيف بين ﷺ للصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بما رسمه لهم على الأرض، أن منهج الإسلام هو الصراط المستقيم الموصل إلى العزَّة والجنة، وأن ما عداه من المبادئ والنظم والأفكار هي سبل الشيطان، وطرقه الموصلة للنار.

ثم انقدحتْ في ذهني فكرة تسخير هذا العلم (الخرائط الذهنية) لتيسير فهم سور القرآن الكريم وتدبر آياته من أجل العمل به. وبحكم اختصاصي الهندسي فقد كانت فكرة الرسومات مألوفة لي، فأخذت ورقة وقلماً وعدداً من الألوان ورسمت خريطة ملونة تحاكي الزخارف التي

كانت تجذبني لقراءة القرآن. ثم بدأت أقرأ تفسير بعض السور في كتب التفسير المختلفة قبل الشروع في وضع الخريطة الذهنية لأي سورة من سور القرآن الكريم.

كانت أوائل الخرائط الذهنية عندما بدأت مع أولادي بتحفيظهم سورة لقمان، وأردت أن يفهموا هذه السورة ومحورها والأفكار الرئيسة التي تربط أجزاء السورة مع بعضها، وبعد قراءة عميقة وتدبر طويل لتسلسل الآيات، استطعت إتمامها فشرحتها لأولادي، وتبين لهم تناسق السورة وتماسكها العجيب، وكذلك وضوح محور السورة وسهولة تصورها العقلي مما سهل عليهم فهمها وعدم نسيانها.

لقد وجدتُ بعد ذلك إشارات كثيرة سبقتني في ملامسة فكرة الخرائط الذهنية لسور القران الكريم، ومنهم عدد من رواد الفكر الإسلامي المعاصر منهم:

سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه (في ظلال القرآن) و(معالم في الطريق) حيث بدا مهندساً من الطراز الأول. وكان يمارس تنفيذ المعمار الهندسي في التقابل والتناظر وطرح التصاميم الأساسية وتحديد المنظور الأولي أو النهائي، من زواياه المختلفة بتمكن تام. وإذا كان (المعالم) بمنزلة تركيز بالغ الدقة لمقولات (الظلال)، فإنه يعد ولا ريب عملاً هندسياً فذّاً في ميدان هندسة الأفكار، وهي مسألة من بين العديد من المسائل التي تمنح الكتاب قيمته الكبرى.

فالسيد وهو يتعامل مع الآيات والفقرات والمقاطع والسور القرآنية، يحسب لكل كلمة أو عبارة أو فقرة حسابها، ويضعها في مكانها المناسب، كما أنه يحسب في الوقت نفسه لكل فكرة جزئية حسابها، ويحدد لها مكانها بالضبط في مجموع البنيان التركيبي للأفكار، فإذا نحن إزاء عمل معماري يبهر العقل ويهز الوجدان بتناظره وتماسكه وتوزيع جزئياته عبر سلسلة من المقابلات، ومن خلال رؤية شمولية وقدرة فذَّة على التركيب. ويتكشف أمام وعيه هذا المفهوم الكبير بطريقة عجيبة، حيث إن الكثير من الآيات التي لم نكن نلاحظ هذا البعد ونحن نمر عليها المرة تلو المرة، وإذ بها على يديه تكشف عن نفسها بشكل يفوق حدود القناعة، وتندرج ضمن التصاميم الهندسية التركيبية من أجل بناء هذا المفهوم الكبير. وما يقال عن هذا يمكن أن يقال عن العديد من المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية التي نجدها موزعة ومهندسة في (الظلال) و(المعالم). لقد مَدَّها إلى أوسع مدى، وطرحها وفق تصاميم هندسية باهرة، وامتلك رؤية

شمولية كانت تمكنه من تجميع المفردات القرآنية من هنا وهناك لكي تصب في هذا البحر التصوري الكبير[١].

ثم جاء من بعده الأستاذ محمد قطب حيث أشار إلى هذا الموضوع في حديثه عن (الهندسة الدقيقة في بناء السورة)[٢]، دون أن يورد الشواهد على أصول هذا العلم، فالتقيت مع أفكارهما وإبداعهما في النظرة الشمولية للسور القرآنية، وافترقت في وضع المخطط أو الخريطة الذهنية للسور.

وقد أشار الشيخ محمد الغزالي إلى موضوع رسم صورة شمسية للسورة القرآنية وذلك عندما عَرَّف التفسير الموضوعي بأنه «يتناول السورة كلها يحاول رسم «صورة شمسية» لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيداً لآخرها، وآخرها تصديقاً لأولها»[٣].

ولقد عني الشيخ الغزالي عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وإن كثرت قضاياها، وتأسى في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة، وهي أطول سورة في القرآن الكريم، فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه (النبأ العظيم)، وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعمدْ إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد وما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته ـ وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطئت أولاها لآخرها؟..

وأنا لك زعم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى. ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سورة القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها قد نزلت نجوماً. أو لتقولن: إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل

(١) مقالة بعنوان: «بين سيد قطب وأبو الأعلى المودودي» ـ موقع هدي الإسلام..

(٢) محمد قطب ـ دراسات قرآنية ص٢٧٨..

(٣) محمد الغزالي ـ نحو تفسير موضوعى لسور القرأن.

بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضاً فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة.

أجل، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً؛ فإذا هي ـ لو تدبرت ـ بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامِّ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفاً.

ولماذا نقول: إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحُجُرات في البينان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحكم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصّاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية»(١).

وقد وصف وشرح الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني بالتفصيل الدقيق خريطة ذهنية رائعة تساعد على تدبر السورة القرآنية حين قال: «لدى البحث الدقيق المتعّمق نلاحظ أنّ السورة القرآنية تشمل على وحدات معانٍ متماسكة تشبه حلقات مترابطة، مشمولة بحلقة أكبر منها، وهي داخلة فيها ومتعلقة بها، ولا يشترط في كل حلقةٍ موجودة على مسار خط النص أن تكون مرتبطة بالتي قبلها مباشرة، كما نعرف في حلقات السلسلة التي هي كالحبل، بل

(١) النبأ العظيم، عبد الله دراز، فصل: القرآن في سورة منه ـ الكثرة والوحدة، ص: ٢٤١ – ٣٦١. وقد قدم رحمه الله في هذا الفصل منهجاً للكشف عن وحدة السورة.

قد يكون الارتباط مباشرة بالحلقة الكبرى (محور السورة) التي هي أساس الموضوع، أو بحلقة دونها قد سبقت، وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات. وخفاء الارتباط إنما يأتي من ملاحظة أن وحدة موضوع السورة يشبه السلاسل المستطيلة كالحبال، إذ يعملُ المتدبر على انتزاع ارتباط ضعيف قد يكون وهمياً أحياناً بين كل حلقة والتي سبقتها في الرصف الكلامي، مع أن الأمر ليس كذلك، وينبغي له حتى يصل إلى ما ينشد أن يصحح أصل تصوره لحقيقة الترابط، ويستطيع أن يقرّب ذلك إلى ذهنه بأن يرسم دائرة كبرى ثم يربط بها حلقة، ثم ينظر في الحلقات التالية، هل يربطها بالحلقة الفرع، أو يربطها بالدائرة الكبرى الأصل (محور السورة)، ثم يسير هكذا إلى كل الحلقات، ويبحث عن ارتباطها بالدائرة الأصل أو بالحلقات الفروع، وبعد البحث العميق والتأمل الدقيق، لا بد أن يكتشف نسيجاً عجيباً بديع الصورة، ويظهر له به رائعة من روائع إعجاز القرآن»[(١)].

وكذلك اقترب من هذا المعنى د. فريد الأنصاري حيث لاحظ: «أن ضبط المحور الرئيس للسور، مع ما يدور حوله من قضاياها الأساسية، يساعد على طول التدبر للآيات، حيث تنطبع المعاني الربانية بالقلب الصافي المتجرد لله» ثم يقول: «إذا اكتمل لديك تدارس القرآن العظيم صارت **خريطته** الكلية مرسومة على قلبك بإذن الله»[(٢)].

ويرى المفكر المغربي د. عباس أرحيلة: «أن السورة القرآنية عبارة عن طائفة من الآيات تشكّلت، حسب توالي نزول الوحي، داخل سورة قرآنية، لها بداية ولها نهاية تتآلف فيها الآيات في نظم خاص، وتُعطي في صورتها النهائية شكلاً هندسياً ربانياً ما تزال الجهود البشرية لم تقتحم حتى اليوم أسوارها، لتتعرف على معالمها في ضوء تعدد أغراضها ومعانيها».

ويقول أيضاً: «السورة القرآنية (كالبلد المُسوَّر)، أي إنها تكون شبيهة بمدينة لها معمارها الخاص، ولها مكوناتها التي تتعايش فيها نتيجة عوامل تتعلق بعلوم القرآن عامة. وكما يترقى سكان المدن في المباني والأشكال والمستويات؛ فإن للسورة معالمها الخاصة ولها أشكالها ومستوياتها.

وكما تكون في المدينة دور وقصور حسب مستويات أصحابها الاجتماعية؛ (فإن السور بمنزلة المنازل والمراتب، يترقى فيها القارئ: وهي أيضاً في أنفسها مترتبة: طوال وأوساط وقصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين.

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ـ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ ـ ص١٧-١٨.

(٢) د. فريد الأنصاري ـ مجالس القرآن ـ ج١ ـ ص٨٧.

وكما يقوم على هندسة المدينة مهندسون وخبراء في مجالات العلوم، تأتي السورة القرآنية لها هندستها التي أودعها الله فيها، وجاء ترتيبها على ما هو عليه في المصحف عن توقيف من النبي ﷺ، أو على وجه الاجتهاد من الصحابة.

وهندسة السور في أبنيتها تحتاج من المخاطبين بها أن يكتشفوا معمارها الفني»[(١)].

ويقول د. مجدي الهلالي:

«من وسائل القرآن في إعادة تشكيل العقل: **رسم خريطة الإسلام** بِنِسَبِها الصحيحة في ذهن قارئه، فالقرآن يُعطي لصاحبه تصوراً عاماً لكل ما هو مطلوب منه، وعلاقته بكل شيء حوله، ولا يكتفي بذلك بل يضع كل أمر في حجمه المناسب له في شجرة الإسلام، فهو يرتب الأولويات، ويُكون الشخصية المعتدلة، المتوازنة، والتي تُعطي كل ذي حق حقه.

والقرآن لا يركز على قضايا بعينها، بل **يرسم في الذهن خريطة** شاملة وواضحة للإسلام، ويُعطي كل جزء فيها اهتماماً يناسب حجمه، فينشأ عن هذا كله تصحيح للمفاهيم الخاطئة وتغيير للثوابت الموروثة، لتحل محلها معاني القرآن وثوابته، وهذا من شأنه أن يُحدث وحدة التصور لدي أفراد الأمة»[(٢)].

ومع أن هناك تقارباً في كثير من الرؤى، إلا أنهم مرّوا على الموضوع بتعميم، وأنا حاولت أن أوغل في هذا التخصص بشيء من التفصيل وإنشاء خرائط ذهنية للسور القرآنية بصورة رسومات هندسية؛ باستخدام تقنية الحاسوب والابتعاد عن مجرد النصوص.

وقد وجدت في الشبكة العنكبوتية مؤلفاً لصفية السحيباني بعنوان: (الخرائط الذهنية لسور القرآن الكريم) وهو يحتوي على خرائط مُرتَّبة على سور القرآن الكريم، تعتمد بصورةٍ أساسية على مواضيع الآيات المتتالية، لكنها لم تذكر في مؤلفها كيفية رسم الخريطة الذهنية فضلاً عن كيفية إيجاد محور السورة وأفكارها الرئيسة[(٣)].

(١) د.عباس أرحيلة ، مقالة بعنوان: السورة القرآنية مدينة مُسوّرة ـ رؤية الزمخشري في الكشاف.

(٢) د. مجدي الهلالي، العودة إلى القرآن لماذا وكيف: ص٨٢ ـ دار الرائد للطباعة والنشر العراق بغداد.

(٣) وهنالك كتاب آخر لم أستطع الحصول عليه بعنوان: (الخارطة الذهنية للقرآن الكريم، سورة البقرة نموذجاً)، تأليف الدكتور إبراهيم الدويش.

أهمية الخرائط الذهنية للقرآن الكريم

تكمن أهمية الخرائط الذهنية في تنبيه القارئ للنص القرآني على التمعن والتبصر في قراءته المتسلسلة، حتى تترك لديه انطباعاً ومعرفة أن هناك نصاً متكاملاً، أجزاؤه غير منفصلة. وإن كانت آياته متنوعة ومعانيه متناثرة، إلا أن التركيز الشامل الذي يتحسسه القارئ يجعله يعي أسرار النص الكامل للسورة.

وقد قمت بتطبيق تلك الوسيلة ورسم خرائط للسور التي أقوم بحفظها، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن الخرائط الذهنية عمَّقت فهمي للقرآن، وفتحت لي باباً واسعاً لتدبره، كما سهَّلت حفظي له.

فالترابط بين آيات كل سورة من سور القرآن الكريم ترابط وثيق، وإن كل سورة لها موضوع واحد وأهداف محددة، وإن آيات السورة قد تبدو لأول وهلة بسبب القراءة السطحية والمستعجلة متناثرة غير مترابطة؛ لكنك إن أمعنت النظر وتدبرت الآيات، ستعرف بعد أن تبذل جهداً بسيطاً أنَّ لكل سورة أفكاراً رئيسة وثانوية، وموضوعات متنوعة مرتبطة مع بعضها، وتكتشف بعدها أن آيات السورة وأفكارها وموضوعاتها متصلة اتصالاً عجيباً، يوصلك بقوة لإدراك محور السورة، وبذلك نرى أن كل سورة من سور القرآن هي عبارة عن وحدة متكاملة، تحقق هدفاً واضحاً، وكل آية تخدم هذا الهدف من طريق واحد أو من عدة طرق. وحتى اسم السورة له علاقة بهذا الهدف (**ومن هنا نفهم سبب تسمية سور القرآن، كالبقرة وآل عمران ويونس والنمل...الخ**) وليس هذا فحسب، بل إن كل سورة لها علاقة قوية بما قبلها وما بعدها من السور، لأن ترتيب سور القرآن هو أيضاً وحي من عند الله، وبذلك نستخلص أن سور القرآن كلها عبارة عن سلسلة واحدة مترابطة، بحيث إنك لو فهمت هدف أو أهداف السور القرآنية، ستجد أنك قد فهمت ما الذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ منك في هذا الكتاب.

يحاول هذا الكتاب أن يوضح أن لكل سورة من سور القرآن الكريم محورها الذي يدور حوله موضوعها، ويوضح أنَّ هذا أحد وجوه إعجاز القرآن في ترتيبه التوقيفي كما نقرؤه في المصحف. ويساعدنا على التعمق والتركيز في فهم سوره وإحكامها وترابطها، والإحاطة بالصورة الإجمالية لكل سورة من السور على حدة، بدلاً من الاكتفاء بالاستغراق في تفاصيلها دون الإحاطة بمجملها وموضوعها العام. فيتبين مصداق قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر:٣٩/ ٢٨].

إن أحد أهدافي من وراء ذلك أن يقوم القارئ بالإطلاع على الخارطة الذهنية لكل سورة قبل الشروع في قراءة السورة أو قراءة تفسيرها، بحيث يكون أثناء القراءة للسورة مستحضراً الخريطة الذهنية التي تجمع أجزاء السورة المختلفة، واعياً بمقصد كل جزء ودوره في السياق العام لنص السورة، مما يعينه على فهم النص فهماً عميقاً واعياً بمقاصده وأهدافه، وعلى الربط بين الأجزاء المتتابعة للنص، والذي ينتظمها الموضوع نفسه الذي يشد أجزاء السورة المختلفة بعضها إلى بعض في منظومة واحدة.

إنَّ مسألة استنباط موضوع السورة أو محورها هو اجتهاد ليس فيه نص عن النبي ﷺ بل هو اجتهاد في الفهم. لكن التعرف إلى محور رئيس في السورة يجمع ما يُظن أنه تفرّق في موضوعاتها وأجزائها، وسيشعر القارئ بارتباط هذه الموضوعات وأنها تلتقي تحت محور رئيس واحد يجمعها ولكن ليس بالضرورة، لأنه هو كما ذكرنا من باب الاجتهاد. وسنلاحظ أيضاً تعدد عناوين هذا المحاور الخاصة بالسورة وتباينها بين شخص وآخر، وليس بالضرورة الاتفاق على المحور نفسه أو على الوحدة الموضوعية ذاتها؛ لأن الأمر مبني على النظر والاجتهاد وليس هناك نص صريح يرجح أحد الآراء على آخر.

الخرائط الذهنية والتفسير الموضوعي

إنَّ الخرائط الذهنية للسورة القرآنية هي أداة أو وسيلة تستخدم الرسومات الشجيرية لتعرض التفسير الموضوعي لكل سورة من سور القرآن الكريم بشكل واضح وسهل، وبطريقة إبداعية مبتكرة. إنها تبين الوحدة الموضوعية لأي سورة بحيث يتم من خلالها استعراض الموضوعات (الأفكار الرئيسة) التي تناولتها تلك السورة، وعلاقة موضوعات هذه السورة ببعضها، ومن ثم ربطها بالمحور الرئيس للسورة، وهو ما يسميه المختصون في علوم القرآن والتفسير (الوحدة الموضوعية) للسورة، ثم يتم بعد ذلك رسم ذلك على شكل خارطة ذهنية تعين الناظر فيها على تصور السورة تصوراً كلياً إجمالياً، وهذا أمر يسهل على القارئ التدبر، وعلى الحافظ الحفظ والاستحضار. لذلك يمكن اعتبار الخرائط الذهنية منهجية تأملية.

تُعد الخرائط الذهنية محاولة لتوظيف التفسير الموضوعي للقرآن الكريم والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ومنهجية البحث فيه وجعلها مفتاحاً ومدخلاً يُسَهِّل على طلاب العلم والباحثين والمسلمين عامة فهم كتاب الله، وتدبر معانيه، وأوامره ونواهيه، والتأثر بتعاليمه وتطبيقها في واقعنا، لتمكين القرآن من الدور الريادي في قيادة المسلمين في مختلف المجالات، وإعداد البدائل المعرفية والعلمية لمواجهة حركة هيمنة المفاهيم والنظريات العلمانية، وتطوير وسائل ومناهج فهم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، والبحث عن الهداية في شتى مجالات الحياة لتحقيق الشهود الحضاري.

إن الدراسة الموضوعية لسور القرآن الكريم وآياته، وفهمها وتدبرها، ومن ثم رسم خرائط ذهنية لكل سورة في هذا الكتاب تمت بالاستفادة من الكتب والدراسات المختصة بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وليس من أهداف هذا الكتاب العرض الشامل لجميع المؤلفات في التفسير الموضوعي.

ويحدوني أملٌ كبيرٌ أن هنالك شباباً مبدعين متفائلين قابضين على الجمر في مشارق الأرض ومغاربها، قادرين على الإتيان بخرائط ذهنية أكثر إبداعاً إذا عملوا بجدٍ وإخلاص وفق ضوابط شرعية وعلمية وبصورة جماعية، ويد الله مع الجماعة. ومن العبث في البحث عن

كيفية التدبر أن نبدأ من الصفر، كيف ونحن نمتلك تراثاً فريداً تركه لنا العلماء والربانيون عبر خمسة عشر قرناً من الزمان، لذا كان علينا أن ننظر في هذا التراث لنكتشف الأسلوب والطريقة، ونعرف المنهج والوسيلة، بما يمكننا من الإضافة إليه، والبناء عليه في عملية مستمرة من الإنتاج والإبداع في تدبر القرآن الكريم ورسم خرائط ذهنية للسور القرآنية .

وسوف أستعرض هنا بعض النماذج لسور القرآن الكريم لنرى كيف يمكن أن تساعد الخرائط الذهنية في فهم السورة وتدبر معانيها، وليس المقصود من عرض هذه النماذج إعطاء أي لون من ألوان التفسير. فمن أراد التفسير فليرجع إليه في مصادره المعروفة. ولكني أعرضها فقط كنماذج لبيان طريقة الخرائط الذهنية في معالجة الموضوعات التي تتناولها السور القرآنية، وبيان اختلاف طرائق العرض وإن اتحد الهدف واتحد الموضوع.

وأيّاً ما كان الأمر، فإنَّ الغرض من هذا الكتاب هو الاستفادة من التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم وتوظيفه لرسم خرائط ذهنية تطبيقية تكون بعون الله وتوفيقه رائدة في هذا المجال. وإني لأرجو الله أن يكون هذا الكتاب إسهاماً متميزاً في سبيل تطوير فهمنا وتدبرنا لكتاب الله.

ولا أنسى بعد هذا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لإخوتي ممن تكرموا بقراءة فصول هذا الكتاب كلها أو بعضها، فأفادوا بملحوظاتهم وتوجيهاتهم، فجزاهم الله عني وعن الإسلام خير الجزاء.

الهدف من هذا الكتاب

هذا الكتاب (**خرائط القرآن**) له أهداف منها:

- التعرف على اللغة التي يفهمها العقل ويحبها، واعتماد الأسلوب الصحيح لتدبر وتثبيت حفظ سور القرآن الكريم كاملة، وكيفية استدعائها بسهولة وقت الحاجة إليها، باستخدام فصي الدماغ الأيمن والأيسر لنضاعف قوة الاستيعاب والتركيز.
- تعلم المهارات والمنهجيات، والوسائل اللازمة لرسم الخريطة الذهنية وطرق تفعيلها، وكيفية استخدامها وتطبيقها في فهم وتدبر وحفظ سور القرآن الكريم.
- تحليل ودراسة سور القرآن الكريم، كلاً على حدة لنحدد **أهداف ومحاور** كل سورة ليسهل علينا فهمها وتدبر معانيها وحفظها وهدفها، وما هو مطلوب منا عمله.
- التعرف على آلية استنباط المحور الخاص للسور ومعرفة الوحدة الموضوعية للسور وأثر الخريطة الذهنية في تعميق الحفظ وترسيخ معنى التدبر وأهميته في فهم الآيات.
- مساعدة قراء القرآن الكريم على التعمق والتركيز في فهم سوره وإحكامها وترابطها، بدلاً من الاكتفاء بالاستغراق في تفاصيلها دون الإحاطة بمجملها وموضوعها العام.فيتبين مصداق قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٣٩/ ٢٨].
- رسم خريطة ذهنية للسورة القرآنية تربط أفكار السورة الرئيسة السورة بمحورها.

أخيراً...

هذه مساهمة مني في محاولة فهم سور القرآن وتدبره تنضم إلى ما سبقها من الدراسات، وأرجو أن تحقق هدفها، وهذا العمل اجتهاد مني، وما هو إلا محاولة قابلة للنقاش والتطوير والتعديل على يد كل من يسخره الله لهذا الأمر في خدمة كتاب الله الكريم، سائلاً المولى عَزَّوَجَلَّ أن يجازي كل من سبق في هذا الطريق خير الجزاء.

ولا أدعي أنني بهذا الجهد المتواضع استطعت تقديم أو إنضاج منهج للتعامل مع القرآن، والخروج بالمسلمين من حالة الهجر التي نعاني منها، إلى الوصول إلى منهج لفهم وتدبّر القرآن بأبعاده ومحاوره المتعددة؛ ليكون مصدراً للمعرفة والعمل، فهو ليس بالأمر السهل الذي يمكن، أن يتحقق بكتاب.

وحسبي أنني قدمت آفاقاً، ومؤشرات، ومعالم على الطريق تثير وتستدعي كثيراً من النظر والبحث والتأصيل، يمكن أن تُعَدَّ لبنة لبناء فهم قرآني قادر على الانطلاق باتجاه الشهود والإنجاز الحضاري.

اللهم إن أصبت وأحسنت، فمنك وحدك يا الله، وإن أخطأت وزللت، فمن نفسي... فاغفر لي يا رب...

اللهم اقبل العمل مع قلته والجهد مع ضآلته والسعي مع شوائبه... عَزَّ جاهك وجَلَّ ثناؤك ولا إله إلا أنت.

المؤلف

د. عصام الجبوري

توطئة



الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً ونوراً وشفاءً لما في الصدور، وأمرنا بتدبره وفهمه والعمل به، والصلاة والسلام على نبي الهدى والداعي إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، وبعد:

القرآن كتابٌ، يهذب النفوسَ ويصنع الأمم، ويبني الحضارات.. إن أحسنا تلقيه والعمل به. فالقرآن الكريم بتشريعاته النيرة، وأحكامه الخالدة أقام مجتمعاً عمرانياً متحضراً بلغ قمة المدنية وذروة الحضارة الإنسانية، وأسس دولة قوية فتية متكاملة تنبض بكل أركان الحياة السوية، وتشمل جميع أركانها...

فالقرآن نور يُبدّد الظلمات التي تُخيّم على القلب فيُضيء عواطفه، والتي تتراكم على العقل فيفتح أفكاره، وتحيط بالروح فينعش أشواقها، وتحدق بالحياة، فيكشف لنا طريق حركتها.

لكن أن يُضاءَ المصباح فلا يرى امرؤٌ النور، لأنّ بصره مغلق، العيبُ عيبُ البصر، وليس عيبَ النور:

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة].

ولعل أهم ما يميز القرآن أنه يخاطب الأحياء ليحقق استجابتهم، ويكلم الرجال ليعيد صياغتهم، ويحاور العقلاء ليوجه وعيهم، فيجعل منهم أمة تحمل رسالتها ويفتح أبصارها على الكون، ويمنحها الرؤية المتميزة التي تمكنها من الشهود الحضاري على مختلف الأصعدة.

إن هذا القرآن هو الروح الذي نفخه الله في عرب الجاهلية؛ فأخرج منهم خير أمة أخرجت للناس! وانبعثوا بروح القرآن من رماد الموت الحضاري؛ طيوراً حية تحلق في الآفاق، وخرجوا من ظلمات الجهل ومتاهات العمى أدِلَّاءَ على الله، يُبْصِرون بنور الله، ويُبَصِّرون العالم الضال حقائق الحياة!

لقد استطاعت الحضارة الإسلامية التي انطلقت من القرآن الكريم أن تفتح في أقل من قرن ما لم تستطع روما أن تفتحه في خمسمائة عام، لأن المسلمين الفاتحين حلقوا بجناحي العدل والحرية معاً، فانجذبت لهم الشعوب المقهورة، وكان ذلك دليلاً قوياً على أن عقيدة التوحيد تحقق سعادة الدنيا والآخرة معاً.

ذلك هو سر القرآن، الروح الرباني العظيم، لا يزال هو هو! روحاً ينفخ الحياة في الموتى من النفوس والمجتمعات؛ فتحيا من جديد! وتلك حقيقة من أضخم حقائق القرآن المجيد[1]!

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى].

لقد جاء القرآن للبشرية بالنهضة الشاملة والحضارة الكاملة، فلما تخلَّق سلفنا الصالح بأوامر القرآن وساروا على هداياته، والتزموا أحكامه وتشريعاته التي بيّنها وفصلها لهم النبي ﷺ، حازوا الدنيا في سنوات معدودات، ونشروا فيها النور والضياء، وهكذا نعمت البشرية في ظل الإسلام وعدله ورحمته.

«ولا يزال القرآن (النبأ العظيم) الذي هز العالم كله؛ بل الكون كله يستطيع أن يقوم بدور كبير في البناء الحضاري في الوقت الراهن. وسيستمر في قيامه بهذا الدور لأنَّ القرآن هو الرائد

(١) د. فريد الأنصاري ـ مجالس القرآن.



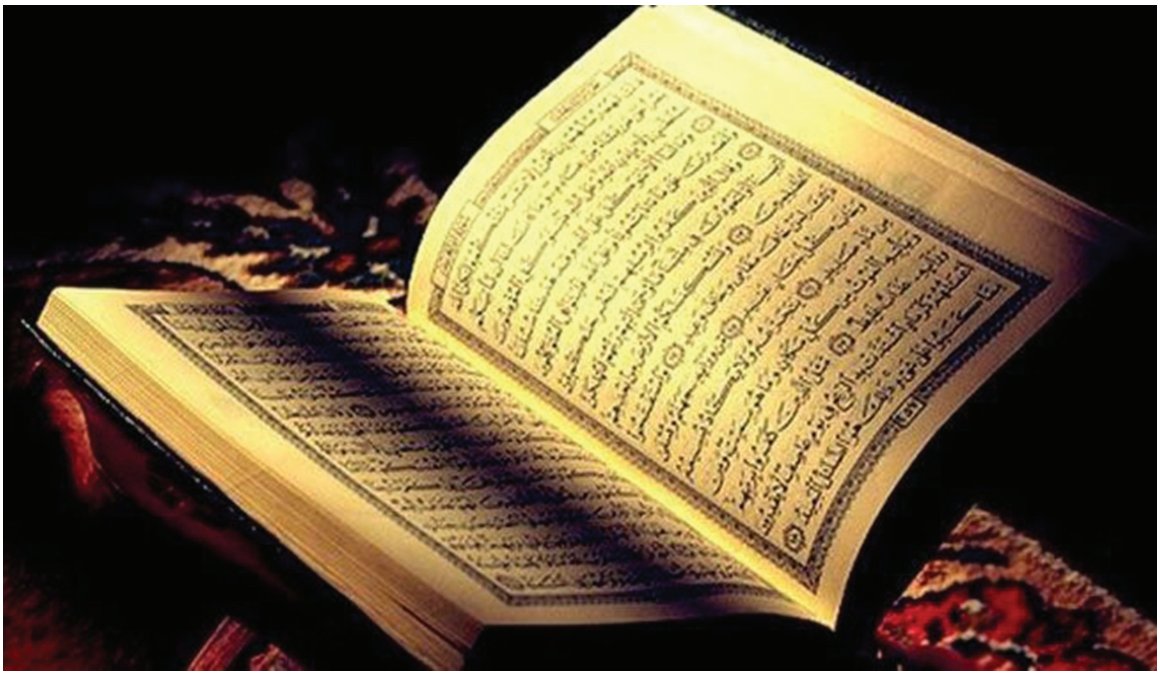
الحي لقيادة أجيال الأمة، وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة. ومن تدبر القرآن بقلب يقظ خاشع فإنه يجده توجيهات حية تتنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل. ولن يتغير هذا القرآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن الذي تغير هو طريقة تعامل المسلمين مع نصوص القرآن.

وما بقي لمن بلغه النبأ العظيم من محيص؛ إلا أن يتحمل مسؤوليته الوجودية، ويتخذ القرار، قراراً واحداً من بين احتمالين اثنين، لا ثالث لهما: النور أو العَمَى!

وما أنزل الله القرآن إذْ أنزله إلا لهذا! ولقد صَرَّفَه على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ آيةً آيةً، كل آية في ذاتها هي بصيرة للمستبصرين، الذين شَاقَهُم نورُ الحق فبحثوا عنه رَغَباً ورَهَباً؛ عسى أن يكونوا من المهتدين. وبقي القرآن بهذا التحدي يخاطب العُمْيَ من كل جيل بشري! قال الحقُّ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام][(١)]!.

(١) د. فريد الأنصاري ـ مجالس القرآن.

القرآن كتاب للحياة



ما زال القرآن الكريم كنزاً مدفوناً عند الكثير من المسلمين لم يتفاعلوا معه التفاعل اللازم، ولم يستخرجوه بعدُ الإخراج الحضاري المناسب لتحديات العصر، ولم يعملوا بما فيه من القيم العظيمة التي أودعها الله فيه بالشكل المطلوب، فمن الناس من يقرأ القرآن لينال أجر التلاوة فقط، ومنهم من يحفظ آياته لينال أجر الحفظ فحسب، ومنهم من يقرأ القرآن ليتذوَّق حلاوة هذا النظم العجيب، ويتعلم من بلاغته وأسلوبه أمور البلاغة والبيان لا غير، ومن الناس من يقرأ القرآن باحثاً عن أخلاقياتٍ تُحسن سلوكه أو تُقَوِّمه.

إن حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب مهمٌّ جداً، لكن الحفظ المطلوب إنما هو الحفظ الذي مارسه أصحاب رسول الله ﷺ، حيث كانوا يتلقون خمس آيات أو عشراً، فيدخلون في مكابدة حقائقها الإيمانية ما شاء الله، فلا ينتقلون إلى غيرها إلا بعد نجاحهم في ابتلاءاتها! ومن ثم يصير حفظ القرآن والعمل به مشروعَ حياة! وليس مجرد هدف لِسَنَةٍ أو سنتين، أو لبضع سنوات!



لقد فهم الجيل الأول من الصحابة والتابعين القرآن بأنه «كتاب للحياة» وكان الواحد منهم يقرأ القرآن وكأنه هو المخاطب بآياته، وكان يستنبط من آيات القرآن بصائر واضحة يستعين بها في مسيرة الحياة الطويلة، وعندما كانت تعترض الواحد منهم مشكلة، أو يجد نفسه على مفترق طريق لا يدري أين تؤدي به كان يلتجئ إلى القرآن، يقلب صفحاته، ويتأمل في آياته حتى يعثر على حل لمشكلته، ويجد الضوء الذي يكشف أمامه الظلمات. وعلى امتداد فترة طويلة من الزمن، كان القرآن المحرك الأساسي للأمة المسلمة على طريق النمو والتقدم.

وكذلك «عَرَف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فضل القرآن وتلاوته، فجعلوه مصدر تشريعهم، ودستور أحكامهم، وربيع قلوبهم، وورد عبادتهم، وفتحوا له قلوبهم وتدبروه بأفئدتهم، وتشربت معانيه السامية أرواحهم، فأثابهم الله في الدنيا سيادة العالم، ولهم في الآخرة عظيم الدرجات، ولما أهملنا القرآن وصلنا إلى ما وصلنا إليه من ضعف في الدنيا ورقة في الدين»[١].

لقد وعت الأمة وتحركت وتصاعدت، واندفعت تنشر النور في أقطار الأرض، وتحطم عروش الطغاة في كل مكان بفضل القرآن.

هذا ما كان في السابق، حين كانت الأمة تنظر إلى القرآن كتاباً للحياة، ومنهجاً للتحرك، وخريطة للمسير.

(١) حسن البنا ـ نظرات في كتاب الله، ص ٣٧.

أزمة التعامل مع القرآن



إن ثمة أزمة في منهجية التعامل مع تدبر القرآن الكريم في الصف الإسلامي المعاصر.

«لقد كان الجيل الأول يقرؤون القرآن فيرتفعون إلى مستواه، أما نحن فنقرأ القرآن فنشده إلى مستوانا،وهذا ظلم لكتاب الله»[1].

«كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفهمون أن قراءة القرآن هي للتحرك والعمل، وأدركوا أن فهم المقروء هو أساس تحويل الاستيعاب الذهني إلى تطبيق، أما القراءة السيئة ففرقت بين اللفظ القرآني، وفحواه، ووظائفه ومقاصده، وكان بعض السلف الصالح يقول: إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهم، بكيت على نفسي، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت] لذا فرق الأوائل بين العلم والروح العلمية، وذكر «أبو حامد الغزالي»: أن الصحابة كانوا يعتبرون من يحفظ ويفهم الأجزاء المحدودة من القرآن من العلماء.

ونظر السلف الصالح من الصحابة إلى القرآن على إنه ميثاق غليظ، يتقدمون إليه بوجل وإدراك، حيث تكررت عبارة «الميثاق الغليظ» في القرآن عدة مرات، فهو عقد بين الله تعالى والقارئ مثقل بالتبعات، وأمانة عجزت الجبال عن حملها، لذا كانت صورة الحمار الذي يحمل أسفاراً ماثلة في أذهان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم يتعاملون مع القرآن، وهي صورة تكشف عن العالم الذي لا يستفيد بعلمه، كما كانت صورة «بلعام»[2] الذي رسب في امتحان السلوك، فحفظ الآيات، ثم انسلخ عنها.

(١) كيف نتعامل مع القرآن ـ الشيخ محمد الغزالي.

(٢) قصة حزينة تبين كيف انحدر هذا العالم العابد من علو في الدين أكسبه إياه يقينه وصبره، إلى إخلاد إلى الأرض مثقلاً بالهوى واتباع الشيطان. تفسير ابن كثير.

وأدرك الصحابة أن تلاوة الكتاب حق تلاوته، هو القيام بالعمل الذي يدل على الهداية وينبثق من التدبر، وليس «حق التلاوة» هو إجادة الحروف ومعرفة الوقوف.

لذا قال أحد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها»، وهذا القول يطرح سؤالاً ضرورياً، من هو حافظ القرآن الحقيقي؟

إن نموذج سالم مولى أبي حذيفة ومشاركته في معركة اليمامة، هو نموذج حي لحافظ القرآن(١).

يقول الشيخ الغزالي: «يخيل إلي أن بعض الكتاتيب أساءت إلى القرآن، من حيث تريد الإحسان، من ناحية أنها أخرجت أشرطة مسجلة ولم تخرج نماذج حية»، فمقاصد الدين القطعية ترفض حفظ القرآن من دون فهم، لأن هذا الحفظ غير الواعي، يرسخ أخطاء ثقافية(٢).

وقفة حاسمة.. أين الخلل؟

لقد اهتم المسلمون عبر تاريخهم الطويل بالقرآن الكريم، وقد ركزت الكثير من الدراسات القرآنية اهتماماتها على طرق التلاوة وحسن الترتيل، وبحثت في أوجه التشابه والاختلاف بين القراءات القرآنية المختلفة. وإذا كان ذلك كله من حقوق القرآن علينا امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: من الآية٤]، إلا أن الاقتصار على ذلك وإغفال جانب التدبر والتفكر، أمر غير مبرر، فالله تعالى يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾ [ص] وكان من نتائج ذلك:

١ ـ غياب الفقه القرآني الحضاري، والنظر إلى نصوص القرآن الكريم على أنها آيات أحكام تشريعية فقط، لذلك اقتصر النظر والاجتهاد في ذلك على آيات الأحكام التشريعية، وغابت

(١) كان سالم إماماً للمهاجرين من مكة إلى المدينة وطوال صلاتهم في مسجد قباء وذلك لأنه أقرؤهم، وفي معركة اليمامة تعانق الصحابيان سالم وأبو حذيفة، وتعاهدا على الشهادة وقذفا نفسيهما في خضم المعركة الرهيب، كان أبو حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يصيح: «يا أهل القرآن، زينوا القرآن بأعمالكم» وسالم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يصيح: «بئس حامل القرآن أنا لو هوجم المسلمون من قِبَلِي» وسيفاهما كانا يضربان كالعاصفة، وحمل سالم الراية بعد أن سقط زيد بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ شهيداً، فهوى سيف من سيوف الردة على يمناه فبترها، فحمل الراية بيسراه وهو يصيح تالياً الآية: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [سورة آل عمران].

(٢) تعليم القرآن الكريم من التبرك الى التحرك ـ أبو بلال عبد الله الحامد.

أو غُيِّبت الأبعاد الأخرى، التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... وتحولت آياته إلى وسيلة للتزيين، أو القراءة على الأموات، أو لعلاج مرضٍ ما، وإلى مجرد التلاوة للتبرك فقط، وهي قراءات لا تتجاوز الشفاه!!، وكأنه لا حكم فيها.

٢ ـ هجر القرآن الكريم فهماً وممارسة، بحيث أصبح النص القرآني بعيداً عن حياة الناس، وبدأ الفصام النكد بين الشريعة والحياة. وأصبحت حياة المسلمين تمثل الوجه المقلوب والمخالف للرؤية القرآنية، وهذا ما زاد من تعقيد واقع العلاقة بين المسلم والنص القرآني.

٣ ـ اتساع الفجوة بين قيمة النصوص القرآنية وخلودها وصحتها وحفظها ووثوقيتها وبين إعمالها، فتحولت النصوص عملياً إلى التاريخ والماضي، وحدث الفراغ الذي تمدد به الآخر، أو تُسقط بشكل مشوه يستخدم للتنفير من تنزيلها.

«وهذا أدى بطبيعة الحال إلى تحول التعليم والتعلم الشرعي ومؤسساته إلى التمحور حول التدليل على صحة النص والاقتصار على دراسة التفسير وعلومه، والحديث وتخريجه، والفقه وأصوله، واللغة وسيلة ذلك كله، والتوثيق والرجال، ومناهج النقل، وما يدور على المحور ذاته ويستدعيه من تحقيق المخطوطات والشرح والاختصار والتكرار، والاقتصار على التحرك العلمي ضمن دوائر إنتاج واجتهادات الآخرين من السابقين، حتى في مجال الدراسات العليا والرسائل الجامعية، لذلك اقتصر الجهد العلمي والتعليمي في كثير من الأحيان على الشحن من كتب الأقدمين، لأنها المصدر الأوثق، ومن ثم الصب على رؤوس الطلبة، دون القدرة على تطوير المثال أو الإتيان بمثال آخر، فأصبح التعليم الشرعي أو ما يسمى بالإسلامي وكأنه قوالب جامدة تصب فيها المسائل والأقوال السابقة بطرائق تكاد تكون نفسها، ظناً من القائمين على الأمر أن تلك الطرق والوسائل أنتجت علماء، وأن العدول عنها عدول عن إنتاج علماء ومفكرين ومصلحين، وعلى ما في مثل هذا القياس من مفارقات عجيبة. ذلك أن واقع الكثير من هذه المؤسسات دلل على عجزها عن إنتاج علماء ومفكرين ومجتهدين، لأنها تقوم على مجرد التكرار والاجترار ومحاولة إيقاف للزمن.. ولو حاولنا استعمال قياس آخر للزمن التربوي والثقافي غير اعتماد الأيام والشهور والسنوات لانتهينا إلى أن الزمن توقف عند تلك الحدود الثقافية والفكرية ولم يتجاوزها، وأصبح بدون شك يعاني من غربة الزمان.

كما أن خطط معاهد ومؤسسات التعليم الشرعي الدراسية جاءت ـ فيما نرى ـ منقوصة، لأنها غيبت الكثير من الأبعاد والآفاق التي جاءت بها النصوص، واقتصرت على البعد التشريعي والتوثيقي ومناهج النقل والتحقيق، والاكتفاء بالحركة ضمن عقل السابقين تحقيقاً ودراسة، أي العيش على هوامش عقل خارج الواقع المعاصر، ذلك أنها لم تتنبه إلى شمولية الإسلام وخلوده عملياً ـ مع أنها ترفعه ولا تنكره شعاراً ـ وتؤهل تلامذتها وخريجيها للاضطلاع بوظائف المجتمع في مجالاته وتخصصاته المتعددة، التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بعد بناء المرجعية الشرعية.

هذا الفراغ الكبير الذي صنعناه بأيدينا، أدى إلى دخول (الآخر) بتخصصاته ومؤهلاته لاحتلال جميع تلك المواقع، ومن هنا بدأ الانشطار الثقافي في المجتمع الإسلامي، فقامت مؤسسات ومعاهد التعليم المدني إلى جانب مؤسسات التعليم الديني أو الشرعي، وكان من الطبيعي أن تُستدعى المناهج والكتب والمدرسون والمخابر والوسائل والتقنيات التربوية من عند (الآخر)، حتى مناهج التربية الإسلامية ومؤلفاتها التي قُررت في مدارس التعليم المدني، حملت معها الكثير من خصائص وصفات التعليم الشرعي، شكلاً ومضموناً، ولم تنل حظها من التطوير والتقنية التربوية كسائر المواد الأخرى»(١).

ومن هنا برزت ضرورة تجديد منهج التعامل مع القرآن الكريم، ومراعاة التطورات التي عرفتها مسيرة المجتمعات البشرية.

«إنَّ القرآن هو المُوَلِّد الحقيقي الذي أنتج الأمة الإسلامية التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأن محمداً ﷺ لم يبعث إلا رحمة للعالمين، ومن ثم فإن الخلل يبقى في طريقة فهم القرآن، أو في طريقة تعليم القرآن، وهذه الطريقة السائدة لا تخلو من ثلاثة احتمالات: إما أن تكون ساهمت في السقوط الحضاري، وإما أنها هادنته، وإما أنها لم تقدم الحلول الكافية.

إنَّ منهاج تعليم القرآن الكريم، لن يكون قرآنياً حتى يستوعب شطري العقيدة وهما:

أ ـ إقامة التوحيد وشؤون المناسك.

ب ـ إقامة الدولة الشورية العادلة.

---

(١) عمر عبيد حسنة ـ مقدمة كتاب استخدام الرسول ﷺ للوسائل التعليمية ـ كتاب الأمة.

ومن هنا، فإن تهميش شؤون المعاش والمدنية والحضارة، هو في حقيقته إخلال بشطر الدين، إذ لا يمكن الوصول إلى «دار المقر» بدون تعبيد «الممر» وهي الدنيا، فهناك وحدة بين النجاح في الدنيا والنجاح في الآخرة، والحديث الشريف يقول: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألّا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[1] وهذا مع التيقن من نهاية الدنيا.

وما دامت تلك هي روح القرآن فلماذا تأخر المسلمون؟ وما سبب الأزمة التي يعيشها المسلمون في واقعهم الحالي؟

وإجابة هذا السؤال تقتضي الاعتراف بأننا نعيش أزمة في تعاملنا مع القرآن لغياب مقاصده عن الإدراك، وبالتالي فهناك معضلة في طريقة تعلم وتعليم القرآن.

وما دام الحال كذلك، فإن ثقافة الأسئلة لابد أن تهدي إلى الأجوبة، فنبحث في سلامة مناهج التعليم ومدى دقتها في فهم نصوص الكتاب، لأن نظام التعليم مسؤول عن بعض هذا المأزق الذي وصلت إليه الأمة المسلمة.



إنَّ هناك قراءة منتجة وقراءة معطلة للقرآن الكريم، ويرجع السبب إلى خلل في الإدراك في الربط بين الجهد والجدوى، وذلك سوء في فهم الدين، لأن ما يتعلق بأمور الدنيا يجب الربط فيه بين المقدمات والنتائج معاً، والنية بالنتيجة، والجهد بالجدوى، وصلاح النيات وصلاح الأعمال»[2].

هذه القراءة المعطلة ترجع بلا شك إلى الخلل في نظامنا التعليمي بصور وأشكال متعددة منها: طريقة التدريس والتحفيظ، ومناهج التربية والتعليم، ومؤسسات تحفيظ القرآن نفسها.

---

(١) صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأدب المفرد» (٤٧٩)، وفي «الصحيحة» (٩)، كذا الشيخ شعيب في «مسند الإمام أحمد» (٢٠/ ٢٥١) قال: «إسناده صحيحٌ».

(٢) تعليم القرآن الكريم من التبرك الى التحرك.

إنَّ تغيير التعامل مع القرآن يجب أن يبدأ في إصلاح الخلل في مناهجنا التعليمية وأساليب التلقي، ووسائط التوصيل وأدواته، والعمل على إعادة تأهيل العقل المسلم وبنائه على منهج فكري واضح نستطيع به إحداث التغيير المنشود للتعامل مع كتاب الله.

لقد كان المسلمون في القرون الثلاثة الأولى يفهمون القرآن كتاباً للحياة، ومنهجاً للتطبيق والتنفيذ، أما المسلمون اليوم فهم يتعاملون مع القرآن بشكل مختلف تماماً. ولسيد التابعين الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ دراسة ميدانية، أشار فيها إلى مشكلة المتعاملين مع القرآن في زمانه فقال: «قُراء القرآن ثلاثة أصناف:

١ ـ صنف اتخذوه بضاعة فيتأكلون به.

٢ ـ وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم، واستندوا به لطلب الولاية، أكثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله!.

٣ ـ وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاريبهم وحنوا به برانسهم واستشعروا الخوف، وارتدوا الحزن، فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء، والله لهؤلاء الصنف في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن»[1].

«قد تكون مشكلة المسلمين اليوم كلها في منهج الفهم الموصل الى التدبر وكسر الأقفال من على القلوب والعقول، وتجديد الاستجابة، وتجديد وسيلتها، ليكونوا في مستوى القرآن، ومستوى العصر، ويحققوا الشهود الحضاري، ويتخلصوا من الحال التي استنكرها القرآن: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة محمد].

إنَّ الأزمة التي لا نزال نعاني منها، ليست بافتقاد المنهج، فالمنهج (**أصل المعرفة**) موجود، ومعصوم، ومختبرٌ تاريخياً. لكن المشكلة بافتقاد وسائل الفهم الصحيحة، وأدوات التوصيل، وكيفية التعامل مع القرآن. أي منهج فهم القرآن والسنة.

فهنا علينا أن نقرر: بأن الأزمة هي أزمة فهم، وأزمة تعامل، وأزمة أمية عقلية، صرنا إليها بذهاب العلم (**مناهج الفهم**) و(**وسائل المعرفة**). لذا يجب أن تنصب الجهود على منهج

(١) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ـ ابن رجب الحنبلي.

الفهم، وإعادة فحص واختبار المناهج القائمة التي أورثتنا ما نحن عليه، والتحرر من تقديس الأبنية الفكرية الاجتهادية السابقة التي انحدرت إلينا من موروثات الآباء والأجداد والمناخ الثقافي الذي يحيط بنا منذ الطفولة، ويتسرب إلى عقولنا فيشكلها بطريقة التفاعل الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى انكماش الفكر والرؤية القرآنية في واقع حياتنا، وتحول القرآن من مراكز الحضارة وصناعة الحياة، إلى الركود والتحنط في بطون التاريخ التي تشكلت في عصور التخلف والتقليد، والتي حالت دون إدراك أبعاد النص القرآني، والقدرة على تعديته للزمان والمكان، وذلك أن الصورة التي طبعت في أذهاننا، في مراحل الطفولة للقرآن، أنه لا يستدعى للحضور إلا في حالات الاحتضار والنزع، والوفاة، أو عند زيارة المقابر... وهي قراءات لا تتجاوز الشفاه.



الإنسان، في الدنيا كلها يقرأ ليتعلم، أما نحن فنتعلم لنقرأ !

ولذلك، اقترنت الصورة الموروثة للقراءة بحالات من الخوف والاكتئاب، ينفر منها الإنسان، ويستعيذ بالله من سماعها.. فإذا تجاوزنا مؤسسات الأمية والعامية التي تشكلت من خلالها تلك الصورة المفزعة للقرآن، إلى مراكز ودروس تعليم القرآن الكريم، رأينا أن الطريقة التي يعلم بها يصعب معها استحضار واصطحاب التدبر والتذكر والنظر، إن لم يكن مستحيلاً.. فالجهد كله ينصرف إلى ضوابط الشكل من أحكام التجويد ومخارج الحروف، وكأننا نعيش المنهج التربوي والتعليمي المعكوس..

فالإنسان، في الدنيا كلها يقرأ ليتعلم، أما نحن فنتعلم لنقرأ ! لأن الهمَّ كله ينصرف إلى حسن الأداء.. وقد لا يجد الإنسان أثناء القراءة فرصة للانصراف إلى التدبر والتأمل، وغاية جهده إتقان الشكل.. وقد لا يعيب الناس عليه عدم إدراك المعنى قدر عيبهم عدم إتقان اللفظ!

وهنا المقصود ليس التقليل من أهمية ضبط الشكل وحسن الإخراج وسلامة المشافهة، ولكن الدعوة هنا إلى إعادة النظر في الطريقة، حتى نصل إلى مرحلة التأمل والتفكر والتدبر التي

ترافق مع القراءة، وقد يكون ذلك بأن نبدأ التلقين بالأداء الحسن ابتداءً، مع التوجيه اللافت للنظر صوب المعنى، ولا نلتفت إلى ضبط الشكل إلا في حالات التصويب، ولتكن حالات الاستثناء»(١).

والأمة الإسلامية إنما قصرت عن بلوغ الحضارة، وتوقفت عن التقدم الذي بدأته في نهضتها الأولى بل وتراجعت أمام الأمم الأخرى بالرغم من امتلاكها لهذا الكتاب العظيم بسبب تعاملها الخاطئ معه. ولا تحرير للأمة اليوم في معركة هذا العصر إلا بالقرآن.

يقول حسن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم ينزل القرآن من علياء السماء على قلب محمد ﷺ ليكون تميمة يُحتجب بها، أو أوراداً تُقرأ على المقابر وفي المآتم أو ليُكتب في السطور، ويُحفظ في الصدور، أو ليحمل أوراقاً ويُهمل أخلاقاً، أو ليحفظ كلاماً ويُهجر أحكاماً... وإنما نزل ليهدي البشرية إلى السعادة والخير ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة]»(٢).

لا بد من جعل القرآن يتحول في حياتنا إلى طاقة متحركة... أما أن يوضع في المتاحف أو المكاتب للبركة، أو أن نفتح المصحف ونقرأ آية أو آيات وينتهي الأمر، هذا لا يجوز.

المشكلة إذن فينا نحن، عندما اتخذناه ترانيماً، وباباً للأجر والثواب فقط، وتعاملنا معه بحناجرنا دون عقولنا وقلوبنا... أحسنا التعامل مع لفظه وهجرنا معجزته، فاجتمع فينا الضدان «اتخذنا القرآن وهجرناه»، وهذا ما ينطبق مع شكوى الرسول ﷺ لربه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان].

هذا الوضع الشاذ الذي أحدثته الأمة مع كتابها ومصدر عزها، وتوارثته أجيالها المتتابعة وكأنهم تواصوا به... هذا الوضع يحتاج إلى وقفة حاسمة ومراجعة شديدة مع أنفسنا لنغير الطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم.

(١) كيف نتعامل مع القرآن ـ محمد الغزالي ـ بتصرف.

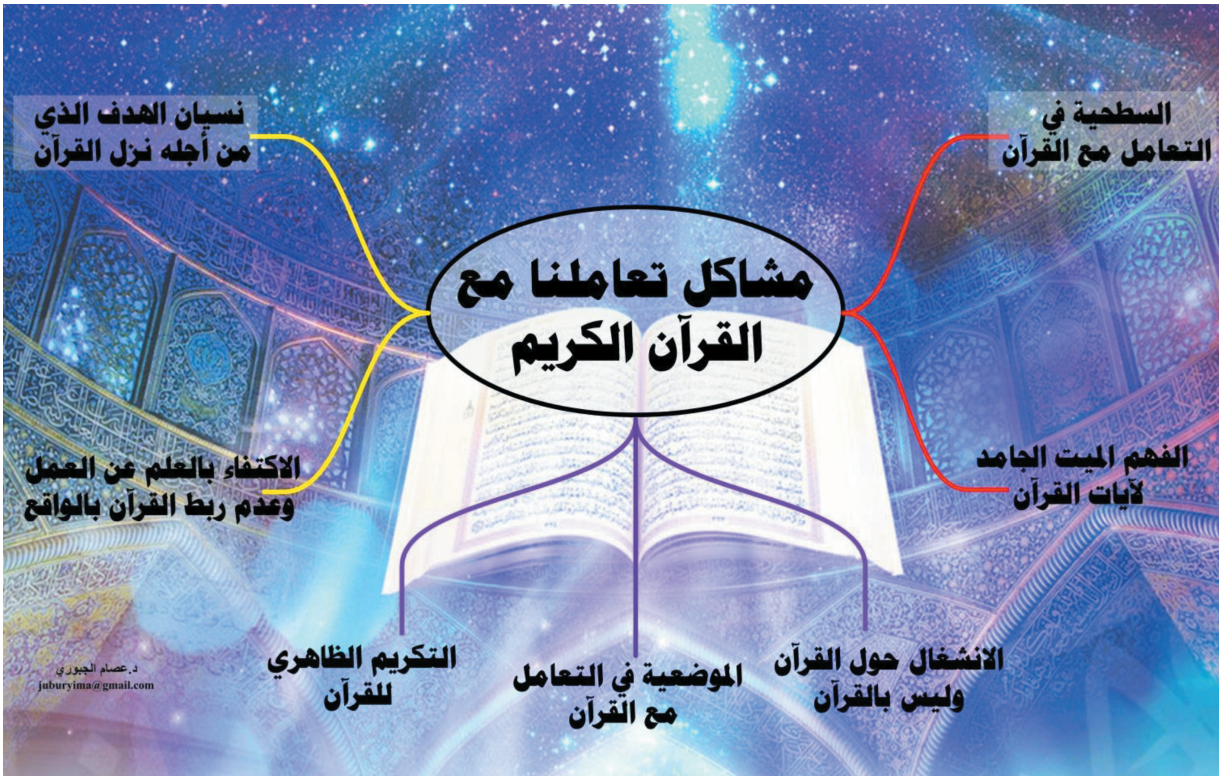
(٢) حسن البنا ـ نظرات في كتاب الله، ص ٣٤.

والسؤال المطروح الآن وبإلحاح هو: كيف يمكن التعامل مع القرآن، وتدبر آياته، والإفادة من معطيات العلوم وآلات فهمها، ليكون القرآن مصدر المعرفة، وفلسفتها في شعاب العلوم الاجتماعية جميعاً؟ حيث لا بد لنا من العودة للقرآن كمصدر لمعارف الحياة، وفقه المعرفة والحضارة للقيام بدورنا بمسؤولية الشهادة على الناس، والقيادة لهم وإلحاق الرحمة بهم، واستئناف السير الذي توقف منذ عهد بعيد في كثير من شعب المعرفة التي يمنحها القرآن.

كيف أصبحت الأمة هكذا؟ وما هي العوامل والأسباب الكامنة وراء ذلك؟

لاشك أنَّ هنالك مشاكل كثيرة في تعاملنا مع القرآن الكريم، ولا زلنا نعاني رواسب هذه المشاكل الموجودة حتى الآن وهي:

- **المشكلة الأولى: السطحية في التعامل مع القرآن الكريم.**
- **المشكلة الثانية: الفهم الميت الجامد لآيات القرآن الكريم.**
- **المشكلة الثالثة: الانشغال حول القرآن وليس بالقرآن الكريم.**
- **المشكلة الرابعة: الموضعية في التعامل مع القرآن.**
- **المشكلة الخامسة: التكريم الظاهري للقرآن الكريم.**
- **المشكلة السادسة: الاكتفاء بالعلم عن العمل وعدم ربط القرآن بالواقع.**
- **المشكلة السابعة: نسيان الهدف الذي من أجله نزل القرآن.**



المشكلة الأولى:

السطحية في التعامل مع القرآن الكريم

والمقصد من ذلك هو قصر التعامل مع القرآن على ألفاظه وحروفه فقط. أي إننا نقرأ القرآن، ونستمع إلى تلاوته، ولكن كحروف بلا معان، وكلمات بلا مفهوم، ومن هنا فإننا لا نعمل بالقرآن، كما هو مطلوب منا، لأننا لم نفهم القرآن، والفهم هو المقدمة الطبيعية للعمل بالشيء.

إننا نتعامل مع القرآن حروفاً وكلمات، وليس مفاهيمَ تنبض بالحركة والحياة !. فالمفهوم السائد أنه إن كان لكل حرف يقرؤه المرء من القرآن له به عشر حسنات فليقرأ إذن أكبر قدر ممكن من الحروف ليزداد رصيده من الحسنات، وفي الوقت نفسه فإن تدبر القرآن والوقوف عند معانيه سيعطل مسيرته عن قراءة أكبر قدر ممكن من الآيات، ومن ثَمَّ يفوته الكثير من الحسنات... إذن فلنترك التدبر جانباً لتحقيق هدف الثواب والأجر!!


إننا نتعامل مع القرآن كحروف وكلمات، وليس كمفاهيم تنبض بالحركة والحياة

بمثل هذا الفهم ابتعد الكثير عن تدبر القرآن وتسابقوا فيما بينهم على ختمه في أقل وقت ممكن خاصة في شهر رمضان، ومع أن آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ تحث على التدبر والتأثر وتذم من يقرأ القرآن ولا يجاوز حنجرته إلا أن حب النفس للراحة والشعور بالرضا بعد كل إنجاز (كَمِّي) ينجزه المرء مع القرآن جعلها تستريح لمفهوم أن الهدف من قراءة القرآن هو تحصيل الأجر والثواب وأن هذا الهدف يتحقق بمجرد قراءة الألفاظ دون تفهم ولا تأثر.

فمما لا شك فيه أن الأسهل على الإنسان القراءة السريعة للقرآن والتي قد يشرد معها العقل في أودية الدنيا فيشعر المرء بعد القراءة براحة نفسية لمجرد إنجازه كماً كبيراً من الأرباع والأجزاء دون مجهود يُذكر فيصبح هذا الشعور دافعاً له للإكثار من القراءة. بينما كان المسلمون الأولون لا يقرؤون آية، حتى يتفكروا في أبعادها المختلفة، وحتى يَعُوها بشكل متكامل. وسيظل هنالك حاجزٌ سميكٌ بين قلوبنا وبين القرآن، طالما نحن نتلوه أو نسمعه بصورة سطحية، ونتعامل معه كأنه مجرد تراتيل تعبدية، لا علاقة لها بواقع الحياة البشرية اليومية.

المشكلة الثانية:

الفهم الميت الجامد لآيات القرآن الكريم

تختلف مشاعر الناس وهم يعيشون في أجواء كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً، فكل قارئ لكتاب الله لو تأمل وتدبر فسيجد فيه المتعة والراحة، وقد يفتح الله عليه من أسرار هذا الكتاب بمقدار ما وهبه الله من قدرة على الفهم والتفكير، وبحسب الحال الذي يخيم على نفسه وأحاسيسه ويقض مضاجع اهتمامه!!

وهي قضية يحس بها كل من قرأ كتاب الله تعالى بتدبر وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق].



أما المعرضون الغافلون الذين يقرؤون القرآن لمجرد البركة فهؤلاء بعيدون عن هذه المشاعر والأفكار.

هناك نوع خاصٌ من الحياة مع القرآن الكريم لعله أنبل أنواع الحياة وأرفعها وهو مثل ما كان يحس به صحابة رسول الله ﷺ الذين عايشوا التنزيل وسمعوا القرآن يسري في قلوبهم وعروقهم سريان الدم، ويصنع لهم مشاعر قرآنية وآمالاً قرآنية.

إنَّ «الحياة في جو القرآن لا تعني مدارسة القرآن، وقراءته و الاطلاع على علومه .. إن هذا ليس» جو القرآن الذي نعنيه .. «إن الحياة في جو القرآن: هو أن يعيش الإنسان في جو، وفي ظروف، وفي حركة، وفي معاناة، وفي صراع، وفي اهتمامات.. كالتي كان يتنزل فيها هذا القرآن. أن يعيش الإنسان وفي قلبه، وفي همه، وفي حركته، أن «ينشئ» الإسلام في نفسه وفي نفوس الناس، وفي حياته وفي حياة الناس... هذا هو الجو القرآني الذي يمكن أن يعيش فيه الإنسان، فيتذوق هذا القرآن .. فهو في مثل هذا الجو نزل، وفي مثل هذا الخضم عمل.. والذين لا يعيشون في مثل هذا الجو معزولون عن القرآن مهما استغرقوا في مدارسته وقراءته والاطِّلاع على علومه.

إن النص القرآني معد للعمل ـ لا في وسط أولئك الذين عاصروا الحادث وشاهدوه فحسب. ولكن كذلك للعمل في كل وسط بعد ذلك وفي كل تاريخ. معد للعمل في النفس البشرية إطلاقاً كلما واجهت مثل ذلك الحادث، وفي مختلف البيئات المنوعة. بنفس القوة التي عمل بها في حياة الجيل الأول من الصحابة الكرام.

إن القرآن ليس كتاباً للتلاوة ولا للثقافة.. وكفى.. إنما هو رصيد من الحيوية الدافعة؛ وإيحاء متجدد في المواقف والحوادث! ونصوصه مهيأة للعمل في كل لحظة، متى وجد القلب الذي يتعاطف معه ويتجاوب، ووجد الظرف الذي يطلق الطاقة المكنونة في تلك النصوص ذات السر العجيب! »(١).

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

هنالك تبعة ثقيلة لمن يحمل القرآن الكريم ويحرص على تدبره وفهمه من أجل العمل به «وإنَّ حُمَّالَ هذه الحقائق الإيمانية في الأمة اليومَ هم القليل.. وهم أنفع لأنفسهم وللناس ـ بإذن الله ـ من مئات الحفاظ للقرآن كاملاً، الذين استظهروه من غير شعور منهم بحرارته، ولا معاناة للهيبته، ولا مشاهدة لجماله وجلاله!

ويمكن القول: بأنَّ الذي لا يكابد منزلةَ الإخلاص، ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلق بمقام توحيد الله في كل شيء رَغَباً ورَهَباً؛ لا يمكن أن يُعْتَبَرَ حافظا لسورة الإخلاص!

وإن الذي لا يذوق طعم الأمان عند الدخول في حِمَى «المعوذتين»، لا يكون قد اكتسب سورتي الفلق والناس!

ثم إن الذي لا تلتهب مواجيدُه[١] بأشواق التهجد لا يكون من أهل سورة المزمل!

كما أن الذي لا تحترق نفسه بجمر الدعوة والنذارة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس من المتحققين بسورة المدثر!

ثم إن المستظهر لسورة البقرة، إذا لَمْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ لله في كل شيء، ولم يسلك بها إلى ربه، متحققا بأركان الإسلام وأصول الإيمان، متخلقاً بمقام الجهاد في سبيل الله، صابراً في البأساء والضراء وحين البأس، متنزها عن المحرمات في المطعومات والمشروبات ..إلخ، واضعاً عنقَه تحت رِبْقِ أحكام الشريعة، في دينه ونفسه ومالِه، متحققاً بِخُلُقِ السمع والطاعة لله على كل حال، من غير تردد ولا استدراك؛ لا يكون حافظاً لسورة البقرة! وإنما الحافظ للشيء هو الحافظ لأمانته، المتحقق بحكمته، العامل بمقتضاه، المكابِدُ لما تلقَّى عنه من حقوق الله!...

إن الحركة هي قوام هذا الدين، ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به، والتجارب تجزم بأن الذين لا يُدمَجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه مهما تفرغوا لدراسته في الكتب دراسة باردة، وأن اللمحات الكاشفة في هذا الدين إنما تتجلى للمتحركين به حركة جهادية لتقريره في حياة الناس، ولا تتجلى للمستغرقين في الكتب العاكفين على الأوراق»[٢] .

---

(١) ما يجده المرء في صدره من مشاعر وأحاسيس، وفي عقله من أفكار، وفي نسمة روحه مما ليس للكلمات قدرة على وصفه، تجتمع كلها في ذاته فيفرح ويحزن ويبتهج ويتكدر خاطره حسب ما يجد.

(٢) مجالس القرآن ـ د.فريد الأنصاري.

«إنَّ طبيعة هذا الدين ترفض اختزان المعارف الباردة في ثلاجات الأذهان الجامدة ... !!!

إنَّ المعرفة في هذا الدين تتحول لتوها (حركة) وإلا فهي ليست من جنس هذا الدين ! وحين كان القرآن يتنزل، لم يتنزل بتوجيه، أو حكم إلا لتنفيذه لساعته ...أي ليكون عنصراً حركياً في المجتمع الحي .. إنَّ كل نص قرآني يمثل استجابة حية لحالة واقعة، أو دفعة حية لإنشاء حالة مطلوبة .. ومن ذلك تنزَّلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك، ولم يتنزل حكم واحد منها في مكة ليختزن ـ كمعرفة مجردة ـ حتى يجئ وقت التنفيذ في المدينة..! إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً .. في الإسلام المعرفة للحركة والعلم للعمل والعقيدة للحياة»[1].

وهنالك شريحة من أجيالنا المسلمة قد تصورت بأن القرآن (كتاب موت)، بدل أن يكون (كتاب حياة)، فالقرآن لا يعني بالنسبة إلى حياة هؤلاء شيئاً، إنه مجموعة من القصص التاريخية، والطقوس العبادية، ولا يوجد أي ربط لهذه الأمور بالحياة؟!

إذن، فمن الطبيعي ـ بعدئذ ـ أن يبحثوا عن (قيم الحياة) و (مناهج الحياة) و (تعاليم الحياة) في أي مكان، غير القرآن بالطبع!

لقد انفصل القرآن بذلك عن أجيال المسلمين اليوم. لأن هذه الأجيال تبحث عن:

(أ) **القضايا المتحركة**، أما القضايا الجامدة، والقصص الميتة، فهي لا تستثيرها، ولا تستقطب اهتمامها.

(ب) **القضايا الواقعية**، التي ترتبط بواقعها القائم، وتعالج مشاكلها الحاضرة.

ولو كان هؤلاء قد فهموا القرآن فهماً حيوياً واقعياً، لما كانوا قد انفصلوا عنه، ونحن واثقون بأن هؤلاء سوف يعودون يوماً ما إلى نبع القرآن، وإلى الأفكار الإسلامية، بعد أن يفهموهما بشكلهما الواقعي الحي.

وبهذا الفهم الخاطئ للدين، هل يكون القرآن كتاباً مرتبطاً بالحياة؟ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. أم يكون كتاباً مرتبطاً بالموت؟!

(١) مقومات التصور الإسلامي ٢٤ ـ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«ومن تدبر القرآن بقلب يقظ خاشع فإنه يجده توجيهات حية تتنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل...

وفي ظل هذه الواقعية يعمل ويتحرك القرآن وسط المسلمين، ويواجه حالات واقعة فيدفع هذه ويقر هذه، فهو في عمل دائب، وفي حركة دائبة ... إنه في ميدان المعركة، وفي ميدان الحياة ...»(١).

المشكلة الثالثة:

حول القرآن وليس بالقرآن

هذا كتاب الله بين أيدينا، فكيف نقتبس من نوره؟ وكيف نتلقَّى رسالاته؟

كيف نشعر بوقع كلماته في قلوبنا؟

«أن المشكلة اليوم هي أننا نقرأ القرآن وندور حوله على أنه مجرد كتاب لا روح فيه!

صحيح أننا نؤمن أنه نزل من السماء، وأن الرسول ﷺ تلقاه عن ربه رسالةً إلى العالمين كافة..

تلك عقيدة لا يصح إيمان المسلم إلا بها. نعم؛ ولكن المشكلة هي أن الشعور بهذه الحقيقة العظيمة اليومَ شعورٌ ميت لا حياة فيه! لأننا في الغالب نربطه بالتاريخ، وكأن الطبيعة التنزيلية للقرآن شيء كان وانتهى، ولا معنى له اليوم في حياتنا المعاصرة!

لذلك فإن المسلمين في كثير من الأقطار يعانون اليومَ أزمةَ غياب التداول الاجتماعي للقرآن الكريم! ومعنى «التداول» ههنا: الانخراط العملي في تصريف آيات الكتاب في السلوك البشري العام، تلاوةً وتزكيةً وتعلماً، وتعريض تربة النفس لأمطار القرآن، وفتح حدائقها الْمُشْعِثَةِ لِمَقَارِضِهِ وَمَقَاصِّهِ! حتى يستقيم المجتمع كله على موازين القرآن!

---

(١) (الظلال ١/ ٢٦١، وانظر: ١/ ٣٠٤ ـ ١٨٠).

إن ثمة أزمة منهاجية في التعامل مع القرآن وبياناته النبوية في الصف الإسلامي المعاصر..



عدد كبير من المسلمين بعربهم وعجمهم أحمرهم وأصفرهم وبمختلف جنسياتهم لايزال يُراد ويخطط لهم ليدوروا حول القرآن وليس العيش بالقرآن

إن مشكلتنا أننا نشتغل حول القرآن وليس بالقرآن وفي القرآن! وبينهما فرق كبير .

إن الذي يشتغل بالعمل حول النص الشرعي، معناه إنما هو يتخذه شعاراً فقط، ربما من حيث لا يدري ! لأن ما هو في الواقع يشتغل بمجموعة من الأفكار المجردة، والآراء الشخصانية، أو الجماعية. ولذلك فإنك تجد عملية تداول القرآن ومكابدته في مثل هذا الصف ضعيفةٌ جِدّاً إن لم تكن منعدمة! لأن التحقق برسالات القرآن، وبحقائق الوحي، ليس مقصوداً لذاته في حركة ذلك العمل. وفي ذلك ما فيه من مَثَالِمَ ومَخَارِمَ!

أما الاشتغال بالقرآن وفي القرآن، فهو: عمل يتخذ كتابَ الله أساسَ مشروعه، وصُلْبَ عَمَلِهِ ومنهاجِه، تلاوةً وتزكيةً وتَعَلُّماً وتعليماً!

إنه دخول في مسلك القرآن، تَلَقِّياً لآياته، وخضوعاً لحركته التربوية في النفس، ومكابدةً لحقائقه الإيمانية، واستيعاباً لأحكامه وحِكَمِهِ، في طريق حمل النفس على التحقق بمنازلها والتخلق بأخلاقها!

إن المشكلة هي أننا عندما نقرأ القرآن نربط الوحي فيه بذلك الماضي الذي كان! بينما الوحي نور حاضرٌ، وروح حي، يتدفق الآن في كل آيات القرآن، وينبع من تحت كل كلماته، شلالاتٍ من كوثر ثَجَّاجٍ [١].

(١) مجالس القرآن ـ د.فريد الأنصاري.

المشكلة الرابعة:

الموضعية في التعامل مع القرآن

النظرة الجزئية إلى الشيء ـ أي شيء كان ـ لا تعكس حقيقة ذلك الشيء ككل، وذلك لأن الجزء سيظل جزءاً، ومن هنا فهو ليس مخولاً أن يحكم على الكل. بل إن النظرة الجزئية قد تجني أحياناً على الكل، وتحول الأمر إلى ضده، فاللوحة الزيتية الجميلة التي رسمتها يد فنان ماهر قد تتحول إلى منظر بشع عندما نغطي جزءاً منها بالمنديل، والطبيب الذي لم يستوعب إلا نصف الطب قد يقع في أخطاء قاتلة تلقي بالذين يراجعونه بين أنياب الموت.



لا تدع فهمك للآية القرآنية وتدبرك لها ينتهي عند نهاية نظرك أو عند موضع أصبعك

كذلك لا يستطيع المسلم أن يفهم القرآن بشكل سليم إلا بعد أن يجمع بعضه مع بعض، ويلاحظ التفاعل، والارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، وبين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة فيما بين أجزائه المتفرقة. لأنَّ القرآن يرتبط بعضه مع بعض، ويتفاعل بعضه مع بعض. وعندما نجزئ كلمة «لا إله إلا الله» ونقتصر على المقطع الأول فإن شعار الإيمان هذا يتحول إلى كلمة كفر، وهكذا يكون جزء الشيء ضد ذاته في كثير من الأحيان.

لذلك يعاني الكثير من أبناء الأمة الذين يتعاملون مع القرآن الكريم من أزمة (التجزئة الموضعية) في فهم القرآن الكريم، بحيث ينتهي فهمه وتدبره للآية القرآنية عند نهاية نظره أو عند موضع أصبعه الذي يشير به لصفحات المصحف الذي يقرأ فيه.

لذا فإن هذه القطاعات تحاول أن تفهم كل آية من القرآن بشكل مستقل، بعيداً عن فهم الآيات الأخرى، وقد ترتب على ذلك أمران:

١ ـ الفهم الخاطئ لبعض الآيات القرآنية.

٢ ـ الفهم الناقص لـلموضوعات القرآنية.

فالقرآن الكريم لم يُجمع ويدون بشكل موضوعي، أي لم يوضع كل موضوع منه في فصل مستقل، بل إن الآيات المتعلقة بموضوع واحد تتقاسمها عشرات السور، ولذلك أصبح ضرورياً على كل من يريد أن يخرج بـ (رؤية قرآنية متكاملة) حول موضوع ما، أن يمارس (النظرة الشمولية) للآيات المرتبطة بذلك الموضوع.

يرى د. طه العلواني: «إنَّ مشكلة العجز عن النظرة الشمولية للرؤية القرآنية، أدت إلى لون من تقطيع الصورة وتمزيقها، أو إلى التبعيض المورث للخزي الواقع في حياتنا اليوم.

وقد حذّر القرآن المجيد من كثير من أنواع القراءات التي تكون حجة على القارئ، لا حجة له. ومن أبرز أنواع القراءات التي شدَّد النكير على أصحابها «**القراءة الحماريّة**» وهي التي جاء التنبيه إليها والتحذير منها في الآية الخامسة من سورة الجمعة:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة].

وليس هناك شيء أبلغ في نفي حقيقة القراءة وعدم الاستفادة بها من هذا المثل. فالحمار لا يقرأ ولا يكتب ولا يفكر ولا يتعظ ولا يتذكر. جوهر العلاقة بين الحمار والكتاب أن يوضع الكتاب على ظهره، ويسيّره صاحبه ـ بعد ذلك ـ يمنة أو يسرة كما يشاء، بل الحمار لا يدرك ما الذي يحمل، فضلاً عن أن يدرك أهميَّته، إنّما يدرك منه ثقله أو خفته على ظهره. ولذلك فإنَّ هذا النوع من حمل الأمانة ـ أمانة الكتاب، لم يؤد بهم إلى فقه في الدين، اللّهم إلا ذلك «الفقه البقريّ» إن صح تسمية ما بدا منهم في تعاملهم مع الأمر بذبح «بقرة» فقهاً.

> لو أخذت الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم مأخذ جد، لما كانت علوم التفسير واتجاهاته أخذت الأشكال التي ورثناها على مافيها. ولما أصاب العقل المسلم الكسل عن التدبر والتعقل والتفكر والترتيل والتلاوة حق التلاوة.
>
> د.طه جابر العلواني

بل قد حدث منا ما هو أخطر من ذلك حين شابهنا ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ [الحجر] فـ«المقتسمون» وإن تعددت أقوال المفسَّرين فيهم، فإنَّنا نرجح أن يكون المراد أولئك الذين جعلوا القرآن مقسّماً، فما وافق ما لديهم قالوا بصحته مع دعوى اقتباسهم منه، وما خالف ما عندهم من تراث قالوا فيه ما يشاؤون: (أساطير الأولين أو سحر أو كهانة أو شعر). فقسّموه وقالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض ليخدعوا البسطاء ـ بموضوعيّتهم ـ أو علميّة مواقفهم المضطربة التي لا دليل عليها. وليسهل عليهم ذلك الاقتسام جعلوه أعضاء[١]: ومثل ما نهينا عن حمل القرآن بطريقة «حماريَّة» نهينا عن مشابهة سائر أولئك الذين عضّوه تعضية، وفرَّقوه، واتخذوا آياته شواهد لما يذهبون إليه بدلاً من أن ينطلقوا منه كلّه في كل ما يأخذون ويدعون، ويقرؤونه باعتباره قرآناً واحداً لا يقبل التعضية ولا التفريق ولا التجزئة.

ولو أخذت الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم مأخذ جد، لما كانت علوم التفسير واتجاهاته أخذت الأشكال التي ورثناها على ما فيها. ولما أصاب العقل المسلم الكسل عن التدبر والتعقل والتفكر والترتيل والتلاوة حق التلاوة.

إن المسلمين حين قرؤوا القرآن بطريقة التجزئة متشبهين بأولئك المقتسمين بوجه من الوجوه، قد فقدوا الكثير من أنوار القرآن وآثار آياته الموحدة التي أحكمت فصارت كالكلمة الواحدة».[٢]

يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخشى أن تكون علل الأمم السابقة انتقلت إلينا، على الأقل من الناحية النظرية، فنحن لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، إلا أن النظرة الجزئية، وأخذ بعض مقاصد الآية أو السورة وترك ما وراءها للتبرك والتلاوة، نخشى أن نكون وكأننا وقعنا في هذا فعلاً ـ على الرغم من ادعائنا الإيمان بالقرآن كله .. لكن من حيث المردود العملي لهذا القرآن وليس من قبيل الجانب النظري، نحن نعيش الآن مرحلة التبعيض والتفاريق. كيف يمكن أن نرسم الطريق لتحقيق الرؤية الشاملة والنظرة الموضوعية لا الموضعية؟»[٣].

---

(١) «التعضية» بمعنى التفريق والتجزئة، يقال: عضّيتُ الجزور والشاة تعضية إذا جعلتها أعضاء وقسمتها.

(٢) الدكتور طه جابر العلواني ـ مقاله الوحدة البنائية في القرآن المجيد.

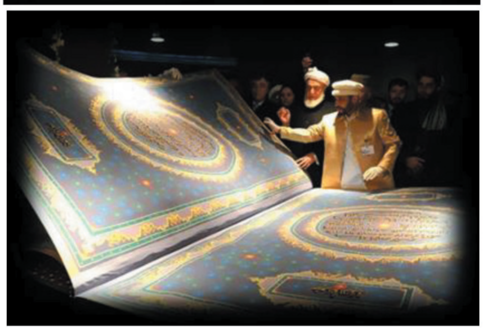
(٣) محمد الغزالي ـ كيف نتعامل مع القرآن ـ دار نهضة ـ مصر ٢٠١١.

المشكلة الخامسة:

التكريم الظاهري للقرآن الكريم

إنّ أكثر ما هو موجود اليوم في البلدان والمجتمعات الإسلامية من تكريم وتعظيم للقرآن لا يتعدى حدود الاهتمام بالظواهر السطحية للقرآن، فيما جرى التغافل عن ضرورة محورية القرآن في حياة المسلمين السياسية والاجتماعية..، ففي الكثير من الدول الإسلامية وحتى غير الإسلامية هنالك اهتمام ظاهري بالقرآن الكريم منها:





ما أهمية أن نكتب أصغر قرآن أو أكبر قرآن في العالم؟؟؟
ونحن لانلتزم بتشريعاته في شؤون حياتنا

١ ـ مؤسسات تعليمية حكومية وأهلية تجتهد في مجال تعلّم التلاوة وحفظ القرآن وقراءته بطرق وروايات مختلفة

٢ ـ انتشار طباعة القرآن الكريم والتفنن بطباعته وتزين الغلاف الخارجي، وصفحتي الفاتحة وبداية سورة البقرة فقط.

٣ ـ إقامة مسابقات حفظ القرآن الكريم وللحفظ فقط في البلدان الإسلامية، وعلى مستوى دولي وتكريم أصحاب الأصوات الجميلة.

٤ ـ انتشار القنوات الفضائية التي تبث القرآن الكريم في محاولة منها لجذب المشاهدين للدخول لإعلاناتها التجارية والتي تُحاول إعطاء المصداقية عبر بثها لتلاوات القرآن الكريم، وهو نوع من التكسب المُبتذل بكتاب الله تعالى.

إنّ هذا الاهتمام بظاهر القرآن والابتعاد عن حقيقته، من أعظم المشاكل التي ما فتئت الشعوب الإسلامية تتلقى الضربات التي لا يمكن تلافيها بسببها، فمن الواضح أنّ المسلمين ما لم يتجاوزوا ظاهر القرآن إلى فهمه وتدبره، وإن لم ينتقل المسلمون من القول إلى العمل فلن تتحقق هداية القرآن بحقهم.

«يمكن تسمية هذا الاحترام للقرآن الذي يمارسه كثير من المسلمين اليوم احتراما ظاهرياً، بينما لم ينزل القرآن الكريم كي نقابله بآداب وطقوس وتعظيم من طابع معيّن فقط، فالقرآن ليس للحفظ والتلاوة بلحن وصوت جميلين وحسب، القرآن كتاب الحياة، التي كلّف الجميع بتطبيقها على صعيد حياتهم الدنيوية؛ كي ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

إنّ مراعاة الأمور الآنفة الذكر بوصفها احتراماً لكتاب الله قيمة واجبة، مهما التزمنا بها فإنّنا لم نؤدِ حق احترام هذا القرآن الكريم كما يستحق، ولم نؤدِ الشكر لله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على النعمة الكبرى وهي نعمة الهداية، لكن أسمى أنواع الاحترام والشكر لأية نعمة، هو معرفة حقيقتها وتوظيفها في الاتجاه الذي خلقها الله من أجله، وإذا ما أردنا أن ننظر إلى القرآن بهذه النظرة، ونقوم باحترامه وتعظيمه، فإنَّ الأمر لا يتحقق بأداء هذه الأمور الظاهرية فقط، فمعرفة ظواهر القرآن وتلاوة آياته والتعظيم الظاهري هي مقدمة للعمل بمضامينها وتعاليمها، ولا يُؤدَّى الحق الواقعي للقرآن دون اتخاذه محوراً في الحياة السياسية والاجتماعية... للمسلمين.

لقد أنزل الله تعالى القرآن وأمرنا بوجوب العمل بمقتضى كل حكم ورد فيه، وأن نشتغل بما فيه من أحكام وتشريعات، فإذا بنا نشتغل به عما فيه. طباعة وتجليداً ورسماً وتبركاً وحفظاً وتجويداً وقراءةً. كل هذا جميل ورائع ومثاب صاحبه. ولكنه لا يهذب سلوكاً ولا يبني أمة ولا يصنع حضارة.

إننا في تدبرنا لآيات القرآن ينبغي أن نبحث عن الدروس التربوية التي يشتمل عليها القرآن في كل المجالات، ليكون تدبرنا واعياً مثمراً، وليكون القرآن فاعلاً في حياتنا كما كان في حياة القرون الأولى التي حققت في عالم الواقع قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

بل قد يكون هذا الاشتغال بظاهره عن فحوى رسالته أمر خطير. لأنه مظنة الدخول في الممقوتين الذين يقولون مالا يفعلون

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

أو كمن لا يؤدي أمانة ما حُمِّلَ من علم ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

المشكلة السادسة:

الاكتفاء بالعلم عن العمل وعدم ربط الآيات بالواقع



إنَّ القرآن الكريم (صراط) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

و (سبيل) ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦].

وهذا يعني أن على المسلم أن يعبر من خلال تدبر القرآن إلى العمل بالقرآن، لذا فهم الجيل الأول آيات القرآن وتدبروها فكانت طريقاً للعمل، ومنهاجاً للمسير. ولكن أجيالنا الحاضرة تفهم قراءة القرآن هدفاً بذاته، وليس وسيلة للعمل به.

وهذه من أعظم المشكلات، والتي كان لها أكبر الأثر على واقع الأمة، فأهل العلم كثر، والمتخصصون في القرآن وعلومه وتعليمه كثر، ولكن طريقة التعامل معه في تعلّمه وتعليمه كان لها أكبر الأثر السلبي، فالبعض ممن تعلَّم وعلَّم لم يتخلق بهذا القرآن ؛ لذا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فالهدف من العلم هو العمل، والعلم ليس مجرد أفهام ذهنية ومناهج نظرية لا رصيد لها في واقع الحياة على الفرد والأمة، فهذه الفهوم وهذه العلوم ستظل حبراً على ورق ما لم تتحول إلى نور حقيقي يضيء النفوس؛ لذا فإن الواجب على الذين يقومون بتدريس القرآن وعلومه، ولا سيما التفسير، أن يجعلوا جل اهتمامهم تربية طلابهم بمعاني القرآن، بحيث يغرسون تلك المعاني في نفوسهم ويفقِّهونهم فيها، ولكن قبل ذلك يجب أن يتفقهوا فيها هم

أولاً ويعلموا المقصود منها، ويربّوا أنفسهم بمعانيها، وهذا هو المنهج الرباني الذي سار عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون من علماء السلف الصالح، فالمربي هو الذي يسعى إلى أن يصطبغ بصبغة هذا العلم، فيعيش هذه الآيات، وتمتزج بها نفسه، ومن هنا كان السلف يفهمون القرآن طريقاً للعمل، ومنهاجاً للمسير.

وهذا يعني أن البعض ممن يقرأ القرآن أو يحفظه لا يربط الآيات بواقعه، بل لا يشعر بأنه المقصود بالأمر أو التوجيه، ودائماً يشعر أن الخطاب لغيره وليس له هو!!

فالفهم الواقعي للقرآن الكريم يجعله ينبض بالحياة وكأن آياته قد هبطت للتو واللحظة.

«إن المسألة ـ في إدراكِ مدلولات القرآن وإيحاءاته ـ ليست هي فهم ألفاظِه وعباراته. ليست هي تفسيرَ القرآن كما اعتدنا أن نقول: المسألةُ ليست هذه.. إنما هي استعداد النفس برصيدٍ من المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله، وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك ... معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس... جهاد الشهوات وجهاد الأعداء... والبذل والتضحية والخوف والرجاء، والضعف والقوة، والعثرة والنهوض..

جوِّ مكة، والدعوة الناشئة، والقلة والضعف، والغربة بين الناس.. جوِّ الشِّعب والحصار، والجوع والخوف، والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله..

ثم جوِّ المدينة: جوِّ النشأة الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق، والتنظيم والكفاح.. جوِّ بدرٍ وأُحُد والخندق والحديبية، وجوِّ الفتح وحُنين وتبوك، وجوِّ نشأة الأمة المسلمة نشأة نظامها الاجتماعي، والاحتكاك الحيِّ بين المشاعر والمصالح والمبادئ في ثنايا النشأة ومن خلال التنظيم.

في هذا الجوِّ الذي نزلت آياتُ القرآن حيةً نابضةً واقعية .. كان للكلمات وللعبارات دلالاتُها وإيحاءاتُها .. وفي مثل هذا الجو الذي يصاحب محاولة استئناف الحياة الإسلامية من جديد، يفتح القرآنُ كنوزَه للقلوب، ويمنح أسرارَه، ويشيع عطرَه، ويكون فيه هدى ونور.. »[1].

---

(١) سيد قطب ـ خصائص التصور الإسلامي (٧ ـ ٨).

المشكلة السابعة:

نسيان الهدف الذي من أجله نزل القرآن والانشغال بالأمور الثانوية

إن الإنسان هو موضوع القرآن ...بمعنى أن الهدف الأسمى لنزول القرآن هو هداية الإنسان، وتحويل المجتمع الذي يعيشه إلى مجتمع هاد، عالم ومعلم، خبير ورائد، واعٍ لأبعاد مسؤولية الاستخلاف في الأرض ومن ثم السير به في طريق تأسيس إعمار الأرض ضمن إطار الرؤية الكلية والشمولية للكتاب الخاتم.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف جعلها الله رسالة موجزة مقارنة بما تحتويه من معان عظيمة ليسهل حملها وقراءتها وحفظها.

ولأن الإنسان من طبيعته النسيان وكذلك لتعرضه المستمر للمغريات والملهيات خلال يومه وليلته كان من الأهمية بمكان أن يداوم على قراءة القرآن لتحدث له دوام التذكرة والتبصرة وليُعَوِّض بالقرآن ما فقده من إيمان، وليس ذلك فحسب بل وليمد قلبه بالروح التي تجعله دوماً في إقبال على الله... من هنا كانت التوجيهات النبوية المتعددة بكثرة تلاوة القرآن وتعاهده كل يوم وحتى لا تمل النفس كان رصد الجوائز والأجر العظيم لكل من قرأ حرفًا من القرآن ليستمر الحافز والدافع لديها للقراءة... كل ذلك ليتحقق المقصود من اللقاء بالقرآن.

إذن فكثرة قراءة القرآن وتعلم أحكام تلاوته، وترتيله وحفظ آياته وتدبره وقراءته بصوت مسموع وحزين.. كل هذه وسائل لتحقيق الهدف .

لكن ماذا يحدث لو نُسى الهدف؟!

إذا ما نُسي الهدف من نزول القرآن وبالتالي لم يحدث ربط الوسائل بهذا الهدف فمن المتوقع أن يهتم الكثير منا مع النصوص الواردة في فضل وأهمية «الوسائل» (كفضل القراءة والترتيل والحفظ وقراءة الليل..) على أنها غايات وأهداف.

فيُصبح هم المرء حفظ القرآن كهدف، ومن ثم لا يُعطي اهتماماً يُذكر للقراءة المتأنية الواعية المدركة لمعاني الآيات فضلاً عن التأثر بها، وينصرف الهم أيضاً إلى استغراق الأوقات في تعلم أحكام الترتيل والتعمق فيها، والتشديد على المتعلمين في أمور قد لا تكون أساسية في الترتيل.

ولأننا نسينا الهدف من نزول القرآن، فقد اندفعنا في طريق البحث عن القشور، فصار البعض يصرف الجهود على قضايا ثانوية.

فهذا أحدهم يقضي آماداً طويلة من عمره لكي يجيب على الأسئلة الآتية:

- ما الأعداد التي ذكرها الله في أهل الكهف؟
- وهل تزوج يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ امرأة العزيز؟
- ومن أكل من الشجرة أولاً، آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أم حواء؟
- ومن الذي عنده علم الكتاب؟...

والاشتغال بالتنقيب عن المبهمات التي لم يبينها القرآن، وبقضايا تُنسي الفرد الهدف الحقيقي، في حين إن القرآن الكريم لم يكن يتتبع المنهج التفصيلي التحليلي في حديثه عن السابقين وقصصهم وأخبارهم، ولم يتوسع في الحديث عن زمان أو مكان؛ لأنه لم يستهدف إلا العبرة والفائدة، ولم يستهدف التفصيلات والتحليلات في أغلب الأحيان إلا عندما تُحقق بُعداً يعمق الهدف الأساسي من نزول القرآن. كل ذلك وغيره من المتوقع أن يحدث لو نُسي الهدف من نزول القرآن.

هذه هي أهم المشكلات ـ في نظري ـ من خلال ما لمسناه في واقعنا؛ وعلى هذا فمن الطبيعي بعدئذ أن نبحث عن قيم الحياة ومناهج الحياة وتعاليم الحياة المزعومة في أماكن أخرى غير القرآن، بل ونكثف الجهود بحثاً فيها عن علاج المشاكل الفردية أو الاجتماعية.

القرآن يكسر أقفال العقول الموصدة



إنَّ مقام العقل في الإسلام هو مكان عالٍ وفريد، ولا نظير له في الشرائع السابقة. فالعقل في الإسلام هو مناط التكليف بكل فرائض وأحكام الإسلام. وحين كانت معجزات الرسالات السابقة معجزات مادية، تدهش العقول، فتشلها عن التفكير والتعقل، جاءت معجزة الإسلام ـ القرآن الكريم ـ معجزة عقلية، تستنفر العقل كي يتعقل ويتفكر ويتدبر. فالعقل هو سبيل الإيمان بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وكثيرةٌ هي الآيات التي تحث الإنسان على التأمل والتدبر والتعقل؛ ليكشف أسرار المخلوقات؛ وليقف على عظمة تدبيرها، وقد حشد القرآن الكريم عشرات الآيات القرآنية الداعية إلى استعمال العقل والتفكر والتدبر في آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية.

لقد جاء في القرآن الكريم الحث على التفكير في مواضع عديدة؛ حيث وردت مادة: (التفكر) في حوالي تسعة عشر موضعاً في القرآن الكريم، وخُتمَت سبع آيات من كتاب الله بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في إشارة إلى أن هذه الآيات العظيمة التي تُذْكَر قبلها؛ لا ينتفع بها إلا ذوو العقول المتفكرة.

ورسولنا الكريم ﷺ يتوعد بالويل لمن يقرأ القرآن ولا يتفكر بمعاني الآيات ودلالاتها، فقال ﷺ: «لقد أنزلت علي آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠﴾ [آل عمران] ثم قال ﷺ: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**»[١]. لقد أبكت هذه الآيات نبينا ﷺ وأقضت مضجعه فصرفت

(١) صحيح ابن حبان.

النوم عنه ولم تجعله يهنأ به في ليلته تلك، فكان يقرأها في صلاته ويبكي قائما وساجداً.

وقد بلغت النصوص التي تتناول التنبيه إلى دور العقل المئات، ومن خلال نظرة عامّة إلى هذه النصوص نكتشف أن مشروع الإسلام في إعطاء العقل دوره الحقيقي قد جاء على مرحلتين؛ فهو يبتدئ بتحرير العقل، ثم ينتقل إلى توجيه طاقاته.

«لذلك أراد القرآن الكريم أن يجتاز بالعقل المسلم مرحلة النظرة التبسيطية، المسطحة، المفككة التي تعاين الأشياء والظواهر كما لو كانت معزولة. ولقد تمكن أن يعيد تشكيلها، عقلية تركيبية، تملك القدرة على الرؤية الاستشرافية التي تطل من فوق على الظواهر بحثاً عن العلائق والارتباطات، ووصولاً إلى الحقيقة المرتجاة....

فالدين الإسلامي يوجّه فكر الإنسان إلى النظرة العميقة والهادفة، وبطبيعة الحال هناك فرق كبير بين النَّظرة السطحية الساذجة للحياة والتاريخ، وبين النظرة العميقة والمتفحصة التي لا تقتصر على ملاحظة الشيء أو الحدث، وإنّما تنفذ إلى أعماقه، وترصد لوازمه ودلالاته بغية استنباط السُنّة التاريخية التي تنطبق عليه.

إنَّ المعجزة الكبرى للقرآن تكمن في أن وظيفته أنه مولد للطاقة البشرية، ينتج الحضارة المادية والمعنوية معاً، إذ يمتلك النص القرآني قدرة فائقة على تغيير القيم، وإحداث الانقلاب الشامل بها، ولم تتوفر هذه السمة لكتاب آخر، فهو أعظم كتاب غيَّر العقل البشري، ولا يزال يمتلك هذه القدرة، فقد أخرج القرآن أمة من الجهل والرذيلة والشرك والكفر، إلى أمة هادية مهدية، فاتحة منتصرة ورائدة وعادلة.

لقد كان القرآن الكريم هو حادي الجيل المؤسس في الإسلام، وما تلاه من أهل القرون الأولى، فكان خلقهم وسلوكهم القرآن، فانتفعوا بقوى الكون، وفهموا أن القرآن أنزل لتحرير الإنسان من كافة القيود التي تخل بكرامته وعقله وإنسانيته، كذلك فإن القرآن حمل خطاباً تنويرياً للعقل والوجدان والسلوك، فأنتج الإبداع والفعالية، كذلك فإن القرآن الكريم ركز على الهدف من القراءة، وهو ألا يظل التفكير فريضة معطلة، وبالتالي فالمسألة ليست حفظاً وتكراراً، ولكنها إعمال للعقل، لأن العقل هو آلة اكتشاف المنهج، وبه يفهم الكتاب العزيز»[1].

(١) تعليم القرآن.. من التبرك إلى التحرك ـ أبو بلال عبد الله الحامد.

القرآن وتحفيز العقل



تحرير العقل هي الخطوة الأولى من خطوات المشروع الإسلامي

ولما كان للعقل في الإسلام هذه العناية الفائقة من التقدير والخطاب، فقد قرر الإسلام منهجاً فريداً في تحرير العقل والفكر، ليبقي العقل عصياً على الضلال والضياع، ويبقى الفكر راشداً ناضجاً. ولقد جاء القرآن الكريم بمظاهر شتى من الإعجاز، لتكون أدلة للإيمان بالله، وحتى يتبين للعالَم أن هذا الكتاب الذي أُنزل على محمد ﷺ لا يمكن أن يصدر عن غير كلام الله، فبينما اعتمدت باقي معجزات الرسل على الإعجاز الحسي بأفعال خارقة للقوانين الطبيعية المادية، فإن إعجاز القران على العكس من ذلك يعتمد على إيقاظ العقل والنهوض به. وبعد أن حرّرت العقيدة الإسلامية العقل من القيود التي تأسره، أطلقته إلى أمام وهي توجه طاقاته من خلال الالتفات والتدبر في الكون والحياة، من أجل بناء متكامل ديناً ودنيا .

إنّ قضية وعي القرآن وفهمه واستيعاب دلالاته ومعانيه، واكتشاف آفاقه ومحتوى أعماقه البعيدة، هي قضية من أهم قضايا التعامل مع القرآن وفهم الرِّسالة، وبناء السلوك والحياة. وعندما يغيب دور العقل، ويسيطر الجمود والتحجّر، فلا يمكن اكتشاف معاني القرآن وفهم محتواه، لذا يذمّ القرآن أولئك الذين وضعوا الأقفال على عقولهم، ولم يفكِّروا في دلالات الآيات ولم يتدبّروا معانيها، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد].

إن هذه الدعوة للتعامل مع القرآن الكريم لا تعني دعوة للقفز على عطاءات السابقين من الأعلام المخلصين لهذا الدين في القرون الفاضلة، لأنَّ منهم من تجاوز بعطائه عصره، لذا لا بد من الرجوع والاستنارة والاقتداء بهم. وتؤكد مسيرة التفسير عبر القرون الماضية على حرص المفسرين على اتخاذ فهم السابقين لهم أساساً في بناء فهمهم الخاص؛ فليس بإمكان أحد أن

يستغني عن فهم السلف في التفسير لأسباب من أهمها:

أ ـ أنهم أهل اللغة، وعنهم أخذنا علومها .

ب ـ حرصهم على نقل ما صحّ عن رسول الله ﷺ، في تفسير القرآن الكريم، وكذلك ما صحّ عن الصحابة والتابعين.

لذلك نحن مطالبون بفهم السلف بدليل قول الرسول ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[(١)].

«وقد يكون من أخطر الإصابات التي لحقت بالعقل المسلم فحالت بينه وبين التدبر والتفكر، هو التوهم بأن الأبنية الفكرية السابقة التي استمدت من القرآن في العصور الأولى هي نهاية المطاف، وأن إدراك أبعاد النص مرتهن بها، في كل زمان ومكان. هذا علاوة على أن الاقتصار على هذا المنهج في النقل والتلقي، يحاصر الخطاب القرآني نفسه، ويقضي على امتداده وخلوده، وقدرته على العطاء المتجدد للزمن، وإلغاء لبعده المكاني .



(١) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إن الدعوة إلى محاصرة العقل، والحجر عليه، وقصر الفهم والإدراك والتدبر على فهوم السابقين، هو الذي ساهم بقدر كبير في الانصراف عن تدبر القرآن، وأقام الحواجز النفسية المخيفة التي حالت دون النظر، وأبقى الأقفال على القلوب، وصار القرآن تناغيم وترانيم. وبدل أن يكون الميراث الثقافي وسيلة تسهل الفهم، وتغني الرؤية، وتعين التدبر، أصبح ـ من بعض الوجوه ـ عائقاً يحول دون هذا كله».[1]

فإذا كان القرآن الكريم قد غير موازين الأشياء ومنهجيّة التفكير لدى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباعهم... فلماذا لا يحدث هذا عند المسلمين اليوم؟!

إن موضوع القرآن هو صياغة الإنسان، ووظيفة الإنسان هي القيام بأعباء الاستخلاف والأعمار عن طريق اكتشاف سنن التسخير وحسن التعامل معها. لذلك فرض القرآن النظر والتدبر والملاحظة والاختيار وإدراك علل الأشياء وأسبابها، وامتد في ذلك إلى استشراف المستقبل.

ثم لابد من توجيه الدراسات والخطط نحو إعادة «برمجة» أو «إصلاح» أو «تشكيل» أو «تأهيل» العقل المسلم ليمارس دوره وواجبه الملقى على عاتقه، وهو أولى الأولويات لتحقيق الرؤية الشاملة المتوافقة مع منهج القرآن باعتباره منهج للحياة.

(١) كيف نتعامل مع القرآن ـ محمد الغزالي ـ بتصرف.

حبر وريشة.. وكلمات..



لقد أدهشني ذلك الشاب الامريكي «إيفريت باربي Barbee Everitte» المولود عام ١٩٨٨ في ولاية تينيسي، والذي تعرَّف على الخط العربي لأول مرة خلال زيارة لدمشق عام ٢٠٠٧. وبعدها بدأ بدراسة الخط العربي عام ٢٠٠٩، فتعلم أن يرسم الحروف الهجائية العربية من أستاذه عدنان فريد بعد أن سكن في مدينة دمشق في سورية لفترة خمسة أشهر، تعلم المزيد عن ذلك الفن الذي شغف به، علاقة العشق هذه غيرت مجرى حياته، فحبه للخط العربي والثقافة الإسلامية دفعاه إلى ترك منزله والانتقال إلى بيروت ليعمل في مجال الخط العربي والزخارف الإسلامية.

يقضي إيفريت باربي ساعات يومه حالياً في مرسم فوق سطح أحد المباني مستغرقاً في رسم لوحات بالخط العربي معظمها يحوي آيات من القرآن الكريم. وذكر الفنان أنه يسعى من خلال إبداعاته إلى تغيير نظرة الغرب إلى الإسلام.

حبر وريشة.. وكلمات.. وإيفريت عالق بينها لساعات، هكذا يمضي مجمل أيامه قابعاً في شقته الصغيرة على سطح أحد المباني في العاصمة اللبنانية بيروت.

ويقول إيفريت: «ما يحفزني لإنتاج أعمال بالخط العربي هو الاحتفاء بالشرق الأوسط والعالم الإسلامي.. الاحتفاء بالإسلام ومحاولة إزالة بعض المفاهيم الخاطئة عندنا خصوصاً في الغرب وهذا الخوف من الإسلام الناتج أساساً عن الجهل.. أنا أرى أن الثقافة الإسلامية مضيافة وودودة جداً وأن ثمة كثيراً من الصور الخاطئة.. لذلك أتمنى أن أكسر كل ذلك من خلال أعمالي الفنية».

ويكشف إيفريت أنه يعمل حالياً على مشروع مصحف لكتابة القرآن كله في ١١٤ لوحة كل منها تجسد سورة.. سيكون معظمها زخارف إسلامية أحاول الالتزام بالقواعد الإسلامية والابتعاد عن رسم الكائنات الحية، مع مراعاة النواحي الجمالية لكي يستمتع الجمهور الغربي بها أيضاً.

ويقول إيفريت: «مؤخراً وبعد أن قرأت القرآن، قررت أن أكتب الكتاب كله، سورة سورة في هذه الصور المجردة. من المرجح أن هذا المشروع سيستغرق بضعة سنوات حتى يكتمل، وآمل أن في النهاية أن أعطي النسخة النهائية من جميع السور المئة وأربعة عشر ١١٤، إلى المركز الإسلامي في Murfeesboro. أخطط أيضاً على إرسال نسخة منه إلى المركز المقترح مركز بارك ٥١ الإسلامي في مدينة نيويورك التي كانت عرضة للعنصرية وكره الإسلام على نطاق وطني»[(١)].

«إن علينا أن لا ننظر بالمنظار الضيق فنشترط أن يكون المبدع المسلم معنا وفي صفنا لكي نحتفي به ونعترف ونروج له، بل كل مبدع هو من صناع الحياة الإسلامية، ومن تمام أمرنا أن نفرح به ونقدمه، لأنه سيخدم توجهنا الحضاري ويساعد على غرس الأذواق في الناس ومعاني الاعتدال وحب الجمال»[(٢)].

أدهشني هذا الشاب الأمريكي برؤيته الشمولية للسورة القرآنية، وهذه بعض أعماله الفنية يصور فيها سورة الرحمن، وكأنه يحلق فوق السورة فيرى ما لم نره نحن أبناء الإسلام واللغة العربية، وقد قرأنا السورة عشرات أو مئات المرات، لقد شكلت آيات سورة الرحمن لوحة فنية رائعة تبين السجود لله وإن هذا الوجود مرتبط ارتباط العبودية والعبادة بمصدره الأول، وخالقه المبدع. والنجم والشجر نموذجان منه، يدلان على اتجاهه كله.

(١) www. Everitte.org.

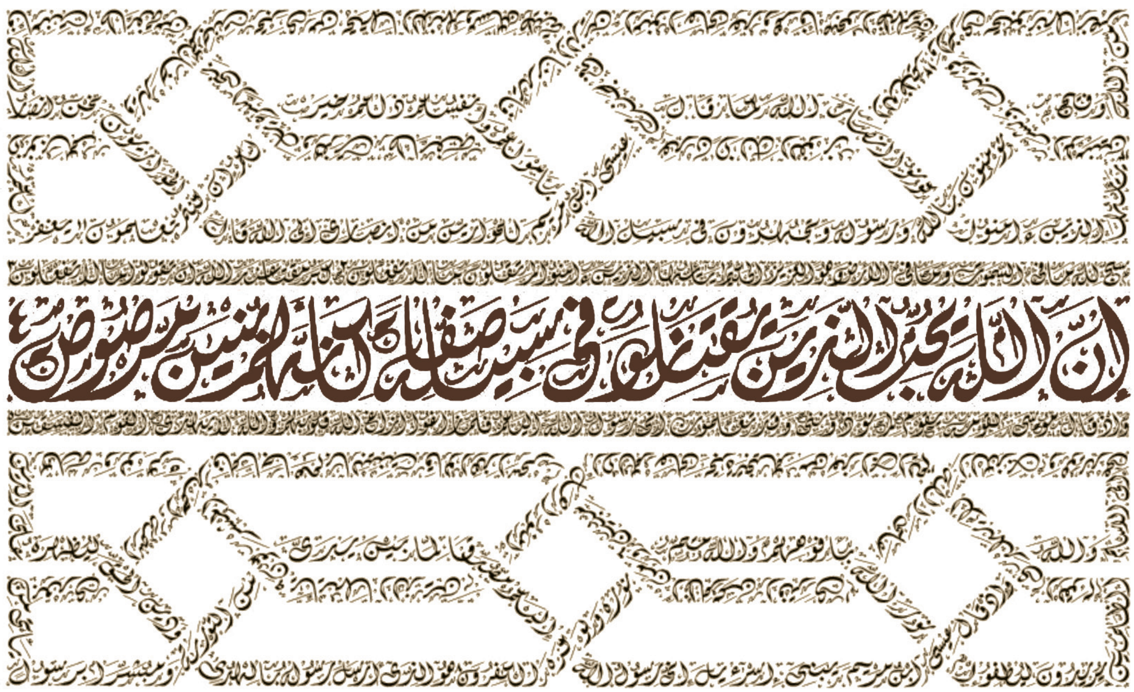
(٢) الاستاذ محمد أحمد الراشد ـ صناعة الحياة.



لوحة فنية قرآنية لآيات سورة الرحمن

ومثال آخر على إبداعه سورة الصف، وكأنه اطلع على تفسير سيد قطب رحمه الله لهذه الآية، فتراه صف كلمات هذه السورة بهذه الطريقة التي توحي إليك الصف المرصوص للآيات وهي الصورة التي يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم، وتوضح لهم معالم الطريق، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه التعبير القرآني المبدع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف: ٤].

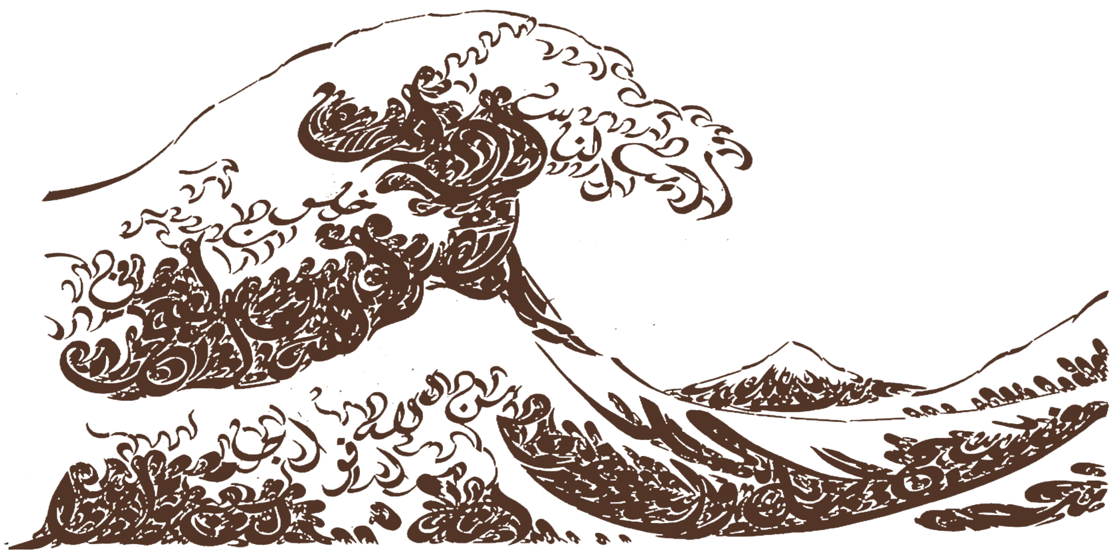
بنيان تتعاون لبناته وتتضامن وتتماسك، وتؤدي كل لبنة دورها، وتسد ثغرتها، لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها. تقدمت أو تأخرت سواء. وإذا تخلت منه لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبيها سواء. إنه التعبير المصور للحقيقة لا لمجرد التشبيه العام. التعبير المصور لطبيعة الجماعة، ولطبيعة ارتباطات الأفراد في الجماعة. ارتباط الشعور، وارتباط الحركة، داخل النظام المرسوم، المتجه إلى هدف مرسوم.



لوحة فنية قرآنية لآيات سورة الصف

ويصور سورة النصر كموج البحر الهادر الذي يكسح الباطل ليحق الحق. وكأنه يحفظ قصيدة كنا جبالاً للشاعر محمد إقبال:

كنا جبالاً في الجبال وربما سرنا	على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان آذاننا	قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنسَ أفريقيا ولا صحراؤها	سجداتنا والأرض تقذف نارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة	خضراء تنبت حولنا الأزهار
لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو	نصب المنايا حولنا أسوارا



لوحة فنية قرآنية لآيات سورة النصر

ويصور أيضاً سورة الحجرات وهي السورة التي تتحدث عن أدب العلاقات والتعامل مع الرسول ﷺ ومع المسلمين والناس عامة. اشتملت السورة الكريمة على خمس نداءات أربعة منها للمؤمنين وواحد لجميع الناس. تناولت هذه السورة على قِصرها كل محاور العلاقات الاجتماعية فبيَّنت ضوابط علاقة المجتمع المسلم بمصدر التشريع، وعلاقة المجتمع المسلم بغيره من المجتمعات، وعلاقته بعضه ببعض أفراداً وجماعات، وبيَّنت منظومة المجتمع الأخلاقية، كما بيَّنت علاقته بالإنسانية جمعاء. وكأن الهدف من هذه السورة قد تجسد من خلال دوائر العلاقات الموجودة في اللوحة المرسومة.



لوحة فنية قرآنية لآيات سورة الحجرات

حتى لا نُسيء فهم القرآن



القرآن الكريم يزيد قليلاً عن ٧٧ ألف كلمة، وهذا يعني أنّه يعادل كتاباً من ٣٠٠ صفحة تقريباً. ومثل هذا الحجم لا يتضمن، في العادة، الكثير من المعلومات والمعارف والخبرات. وعلى الرغم من ذلك فقد أحدث القرآن الكريم تغييراً هائلاً وجذرياً في مسيرة البشرية الفكرية والسلوكية، مما يجعلنا نتساءل عن سر الانطلاقة الفكرية التي حدثت بعد نزوله. وظاهر الأمر أنّ السر لا يكمن في الكم الهائل من المعلومات، لأنّ مقدار ٣٠٠ صفحة لا يكفي في العادة إلا لإعطاء القليل من المعلومات. والذي نراه أنّ السّر قد يكمن في المنهجية التي يكتسبها كل من يتدبر القرآن الكريم.

وعند تَصفُّح أي كتاب نجده في الغالب يتسلسل في الفكرة والمعلومة من البداية حتى النهاية، ويرجع هذا الأمر إلى رغبة الكاتب في إعطاء القارئ المعلومات والخبرات. ولكن من يتصفّح القرآن الكريم يلاحظ أنّ اكتشاف التسلسل يحتاج إلى تفكر وتدبر. من هنا نجد أنّ غير العرب يشعرون عند قراءة ترجمة القرآن الكريم بأنه غير مترابط في كثير من المواقع. ويرجع هذا إلى أنّ القرآن الكريم يخالف في صياغته مألوف البشر، ثمّ إنّ كلماته المعدودة تحمل المعاني غير المحدودة. ولا ننسى أنّ إعجازه بالدرجة الأولى يرجع إلى لغته، وبيانه وإيجازه... وأنّ فهمه يحتاج إلى تدبر. ويلحظ أنّ من يعتاد تدبره تنشأ لديه منهجيّة في التفكير والاستنباط. وإذا وجدت هذه المنهجيّة أمكن أن يوجد الإنسان المبدع. وكل من يتعمق في تدبّر القرآن الكريم ودراسته يلمس الترابط بين معاني كلماته، وجُمله، وآياته، بل وسوره. ولا يزال علماء التفسير يشعرون بحاجتهم إلى التعمق أكثر من أجل إبصار معالم البنيان المحكم للألفاظ والجمل القرآنية(١).

---

(١) القرآن ومنهجية التفكير ـ بسّام جرّار.

يقول المودودي: «لا بد أن نتعامل مع القرآن بطريقة أخرى تختلف عما نحن عليه الآن، وكأننا نتعامل مع كتاب مدرسي أو كعامة الكتب، يجب أن نتعامل مع القرآن على أنه يختلف عن عامة الكتب التي ندرسها، حيث أننا نجد أن جميع ما في الكتب من معلومات وأفكار ودلائل يدور حول موضوع بعينه، بأسلوب تأليفي وبصورة منسجمة، ولذلك لا نلاقي صعوبة في معرفة أسرارها وبلوغ مغزاها. ولكننا لا نعثر عليها في القرآن بالشكل الذي تعودناه في غيره من الكتب.

لكن الدارس الذي ليس له عهد بالقرآن، إذا أراد أن يدرسه أول مرة في حياته فإنما يتناوله وهو على ظن أنه باعتباره كتاباً سيكون على غرار عامة الكتب التي تعود قراءتها، قد حدد موضوعه المنشود، ثم قسم هذا الموضوع على أبواب وفصول. وكذلك يظن أن هذا الكتاب قد تناول كل شعبة من شعب الحياة الإنسانية على وجه الاستقلال بالبحث والعرض ليسرد ما يتعلق من أحكام وتعاليم بترتيب متسلسل. إلا أن الدارس إذا بدأ يتصفح هذا الكتاب يفاجأ بعكس ما كان يتوقعه، فيجد أسلوباً لم يألفه من قبل، إذ إنه يرى فيه المسائل العقائدية والتعاليم الخلقية، والأحكام الشرعية، والدعوة والنصيحة، والعبرة والنقد، والزجر والتخويف والترغيب، والحجج والشواهد، والقصص التاريخية، والإشارات إلى آيات الله في الكون. كل ذلك يتكرر بيانه بين حين وحين، ويبدأ ويعاد بوجوه متباينة وأساليب منوعة. ونراه حيناً يطرق موضوعاً فإذا به يولي وجهه شطر موضوع ثان وثالث.



بل يكون الأمر أغرب من ذلك، حين يبتدئ موضوع ثم يتخلله موضوع آخر بغتة. كما يتبدل المخاطب والمتكلم بين حين وآخر، وتتجه وجهة المحاورة إلى جهات مختلفة مرة بعد أخرى.

إنَّ الدارس إذا وجد هذا وأمثاله على غير ما ألفه من أساليب الكتابة وأنماط البيان، وعكس ما تعوده من مناهج التعبير تأخذه الدهشة ويبدأ يستشعر أن هذا الكتاب ينقصه الترتيب ويعوزه التنسيق. ويشكِّل من أوله إلى آخره مجموعة من شذور متناثرة وقطع مبعثرة جمعت في عبارات متسلسلة وحلقات متماسكة.

فمرة؛ يغمض نظره عن المطالب خلال دراسته. وأخرى يطمئن قلبه بتفسيرات عديدة لانعدام التناسق الظاهري. وثالثة؛ يأتي بنتائج غريبة لمحاولته إيجاد وجوه للتناسق وذلك

باجتهاد شخصي متكلف. ورابعة؛ يستسلم لفكرة «شذور متناثرة» فتصبح كل آية من آياته معزولة عن السياق العام. وتعود مسرحاً لابتكار المعاني التي تخالف ما يريده العزيز الحكيم.

ولذلك إذا بدأ يدرسه أحد منا كعامة الكتب فلن يستطيع التعرف في موضوعه وغايته وبحثه الرئيس، وسيستغرب أسلوب بيانه وطراز تعبيره، ويغرب عن نظره الملابسات الكامنة وراء ألفاظه في معظم المواضع. ونتيجة لذلك فإنه يحرم من التوصل إلى روح كلام الله، ورغم استفادته قليلاً أو كثيراً من لآلِئ الحِكَم القرآنية المشرقة المتناثرة. وسوف يضطر إلى الاكتفاء بحفنة من حكم مبعثرة، وإلى اقتطاف قبضة من زهور متناثرة بدلاً من أن يلم بعلم الكتاب ويطول فيه باعه. بل إن بعض الناس الذين يقعون في شبهات وأخطاء بعد دراسة القرآن، يعزى سبب ضلالهم إلى أنهم قرؤوا القرآن دون سابق إلمام بالقواعد اللازمة لفهمه، فصادفوا المباحث المختلفة المتنوعة متناثرة في صفحاته، ولم يظهر لهم مغزى كثير من آياته، ورأوا العديد من الآيات كأنها جواهر تتلألأ بنور من الحكمة الربانية، ولكنها فيما يبدو غير منسجمة مع سياق العبارة السابقة واللاحقة. وكثيراً ما قذفهم جهلهم بأساليب القرآن التعبيرية، وأنماطه البيانية إلى معان غير مقصودة. كما وقعوا في ضروب من سوء الفهم لكثير من الآيات لأنهم ما عرفوا أسباب نزولها.

ومما لا خلاف فيه أن الذي يريد في القرآن الترتيب التأليفي المتداول ثم يتخبط في صفحاته خبط عشواء إذا لم يبلغ ما يريد، فإن مبعث تخبطه ومثار حيرته ليس إلا أنه لم يتعلم ما لدراسة القرآن وفهمه من أصول وقواعد، ولأنه بدأ يطالع القرآن ظناً منه أنه يطالع «كتاباً» موضوعه «الدين» ويكون في تصوره «للكتاب» و«للدين» على ما يكون في أذهان عامة الناس من تصور «للدين» و«للكتاب» بيد أنه حين يواجه في هذا الكتاب ما يختلف عن تصوره الذهني يجد نفسه لا تأنس إليه. ويظل يتيه بين دفتي الكتاب لعجزه عن معرفة نقطة الانطلاق في بحثه. ويكون مثله في ذلك كمثل النزيل الغريب الذي يهيم على وجهه في دروب مدينة كبيرة. ويمكن أن يتفادى هذا الضياع لو أخبر مقدماً بأن الكتاب الذي يريد دراسته هو نسيج وحده في عالم التأليف. وتم «تأليفه» على نمط لم يتم عليه تأليف الكتب الأخرى. كما أنه فذٌّ فريد باعتبار موضوعه وبحثه وترتيبه»[1] .

---

(١) أبو الأعلى المودودي ـ مبادئ أساسية لفهم القرآن ـ بتصرف.

الخرائط الذهنية للقرآن

ما هي الخريطة الذهنية (Mind map)[١]

الخريطة الذهنية وسيلة حديثة وأسلوب مبتكر نعبِّر فيها عن أفكارنا، عبر مخطَّط نقوم برسمه باستخدام الكتابة والصور والرموز والألوان عوض الاقتصار على الكلمات فقط، فنربط معاني الكلمات بالصور، ونربط المعاني المختلفة بعضها ببعض. وتعتبر طريقة من طرق استخدام الذاكرة وتعتمد على الذاكرة البصرية في رسم توضيحي سهل المراجعة والتذكر بقواعد وتعليمات ميسرة.

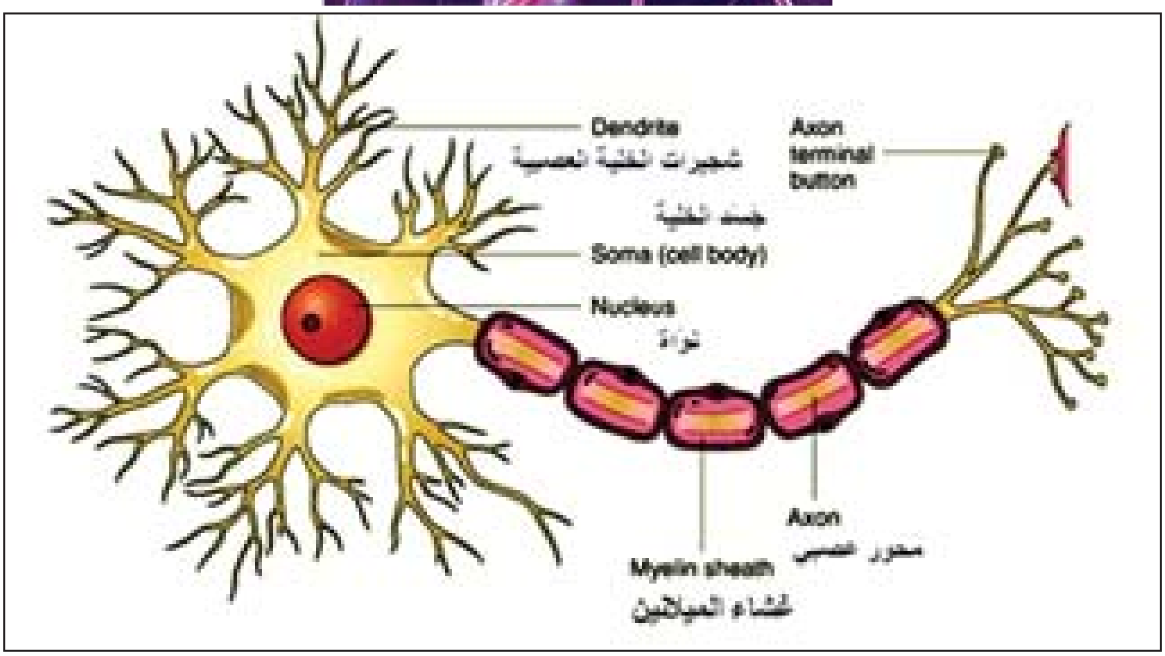
والخريطة الذهنية هي الطريقة الفعلية التي يستخدمها العقل البشري في التفكير: ربط الكلمات ومعانيها بصور، وربط المعاني المختلفة بعضها ببعض ثم بالفروع. وهي كذلك تستخدم فصي الدماغ الأيمن والأيسر فترفع من كفاءة التعلم، تعتمد الطريقة على رسم شكل هندسي يمثل الفكرة أو الموضوع الرئيس ثم ترسم منه فروعا للأفكار الأساسية المتعلقة بهذا الموضوع، وتكتب على كل فرع كلمة واحدة أو أكثر للتعبير عنه. ويمكن وضع صور رمزية على كل فرع تمثل معناه، ويستحسن استخدام الألوان للفروع المخلتفة. كل فرع من الفروع الرئيسة يمكن تفريعه إلى فروع ثانوية. وبالمثل تكتب كلمة واحدة على كل فرع ثانوي تمثل معناه، وهكذا يستمر التشعب في هذه الخريطة، حتى تكون في النهاية شكلاً أشبه بشجرة أو خريطة تعبر عن الفكرة بكل جوانبها.

(١) ظهر هذا المصطلح «الخريطة الذهنية» لأول مرة عن طريق العالم الأمريكي «توني بوزان» في نهاية الستينيات.

فوائد الخرائط الذهنية

١- الخريطة الذهنية تمكِّننا من استخدام كامل الدماغ، بفصَّيه الأيمن والأيسر، فترفع بذلك كفاءة تعلُّم واستيعاب سورالقرآن الكريم، ومن ثم يتمُّ تخزين المعلومات في الدماغ لأطول مُدَّة ممكنة، لأنها جمعت بين الصور والكلمات، وربطت المعاني المختلفة بعضها ببعض عن طريق الفروع المستخدمة في رسمها. ولهذا السبب نجد تشابها كبيراً بين شكل خلية عصبية وشكل الخريطة الذهنية مثلما هو موضَّح في الشكل الذي يمثِّل عصبوناً.





من الواضح في الصورة أن الخلية العصبية لها نقطة مركزية وأذرع متفرعة منها، ومن كل ذراع تتفرع أذرع أصغر وأدق. إنَّ فَهمنا للخلية العصبية يجعلنا نفهم دماغنا بشكل أكبر، وربما لهذا السبب تكون الخرائط الذهنية أقرب في شكلها إلى الخلايا العصبية.

٢ – سهولة الوصول إلى المعلومة من الخريطة الذهنية أثناء دراسة وحفظ سور القرآن لأنها تعتمد الطريقة المتسلسلة، حيث تبدأ من نقطة مركزية محددة، ثم تسمح بالأفكار بالتدفق.

٣ – تعطيك صورة شاملة كاملة عن موضوع السورة القرآنية، أو الجزء الذي تريد حفظه أو دراسته وتدبره.

٤ – تجعلك تضع أكبر قدر ممكن من المعلومات في ورقة واحدة بشكل مركز ومختصر يغنيك عن رزم من الورق.

٥ – تمنع نسيان حفظ وفهم السورة القرآنية لأنها تعتمد الصور والألوان والكلمات وليس الكلمات فقط.

٦ – تنمِّية النشاط الإبداعي والمهارات العقلية لحافظ القرآن. فتتوالى الأفكار في ذهنك بعد قيامك بأول خطوات رسم الخريطة الذهنية، أفكار قد لا تظهر لك لو اعتمدت على الكتابة المباشرة، والسبب أنك قمت تعمل بنفس طريقة عمل دماغك!



رسول الله ﷺ والخريطة الذهنية

قد يثار تساؤل هل استخدم رسول الله ﷺ الوسائل التعليمية؟ وهل استخدمت هذه الوسائل لتوضيح القضايا المعروضة بالطريقة التي تتناسب مع العقلية البشرية وإمكاناتها المختلفة حسب أنماط البشر وقدراتهم المتفاوتة على الإدراك؟



ونحب أن نوضح أن القول في استخدام الرسول ﷺ للوسائل التعليمية كالقول في شتى المجالات والأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهي بعمومها قيم ومناهج وسياسات، ومحركات ومحرضات، ومنطلقات ومرجعيات ومشروعيات للانطلاق وليست برامج تفصيلية، ذلك أن البرامج منوطة بالإنسان المسلم في ضوء التطوير والتطور والإمكانات المتاحة.. فالإسلام لم يأت ببرامج وإنما جاء بقيم ومعايير، وترك البرامج للعقل الإنساني لينطلق فيها.

ولا شك أن الاستخدام الجيد لمجموعة من وسائل الاتصال وتيسير إيصال المعلومة من شأنه زيادة إمكانات التعلم، وترسيخ المعلومات واستبقائها في الذاكرة، وتحسين الأداء للمهارات للوصول إلى أفضل مردود ..فالتعليم والتعلم كان ولا يزال من الصناعات الثقيلة، التي تقتضي الإعداد والاستعداد، والتهيؤ، والصبر، والتحمل لبطء ترتب النتائج على المقدمات، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل].

ولقد وظَّفَ رسول الله ﷺ عدد كثير من الوسائل التعليمية ومن بينها الخريطة الذهنية في تعليم صحابته الكرام في موقف تربوي نبوي يتقاطع بشكل ما مع الأهداف المتوخاة من العمل بها، وكيف أن الرسول ﷺ حرص على حاسة البصر علاوة على السمع في توصيل الفكرة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ عندما رسم لهم خطاً مستقيماً وقال: هذا سبيل الله، وخط خطاً عن يمينه وخطاً عن شماله، وقال: هذه سبل الشيطان. وسنستعرض نصين كما وردا في كتب الحديث.

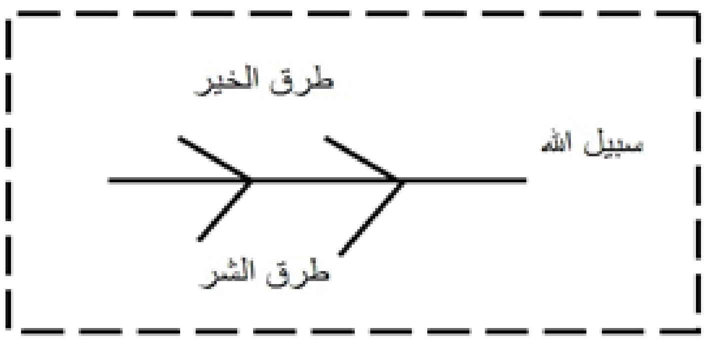
مثال رقم ١:

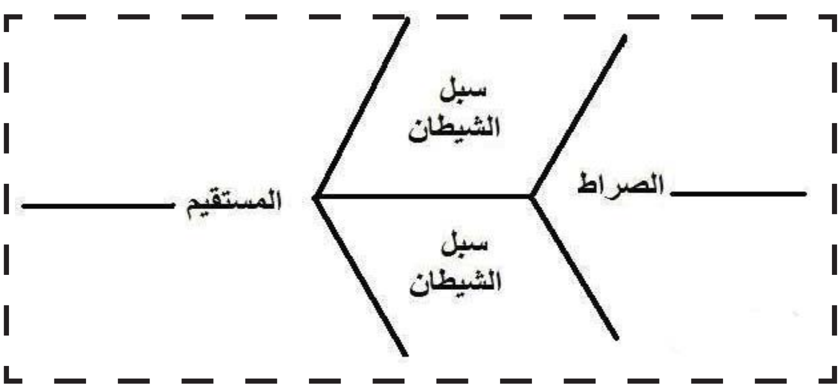
روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه، فقال: «هذا سبيل الله عَزَّوَجَلَّ»، وخطين عن يمينه، وخطين عن شماله، قال: «هذا سبيل الشيطان»، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام]).

وروى الدارمي في مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها»، ثم قرأ هذه الآية.. وأخرج ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند النبي ﷺ إذ خطَّ خطاً ، فقَالَ : « هَذَا سَبِيلُ اللهِ» ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، فقَالَ: «هَذِهِ سُبُلُ الشَّيَاطِينِ» ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الأَوْسَطِ وَتَلا الآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام].

وهذان تشبيهان للخريطة الذهنية التي خطها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:





لو تدبرنا هذه اللوحة الوصفية التي خطها رسول الله ﷺ ليبين للناس أمر هذا الدين، لوجدنا فيها وصفاً هندسياً واضحاً **(خريطة ذهنية)** وهو أن صراط الله المستقيم يقاطعه طرق أخرى عديدة منحرفة معوجة يقف على رأس كل واحدة منها شيطان من شياطين الإنس والجن يحاولون إزاحة المؤمنين عن الاستقامة التي أرادها الله تعالى لهم.

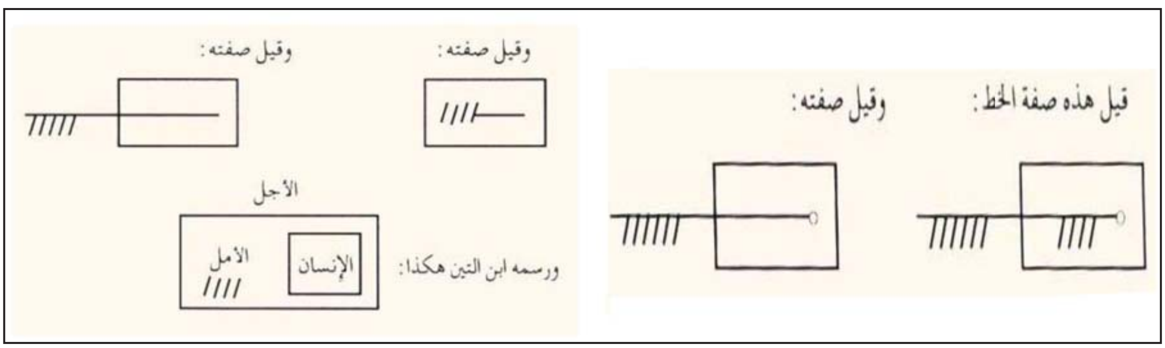
كما يبين لنا الشكل أن الصراط المستقيم هو الطريق المستقيم الواضح الاستقامة غير المعوج ولا المنحني ولا المنكسر، والمؤدي مباشرة إلى مرضاة الله تعالى والفوز بجنانه بينما خطوط الشياطين الأخرى قد تكون معوجة أو منكسرة أو منحنية أو حتى مستقيمة، ولكنها تتقاطع مع إستقامة الصراط واتجاهه، وهذا المعنى يبين لنا أن الصراط المستقيم هو خط مستقيم ومتجه أيضاً، فهو مستقيم باستقامة وعدل العقيدة والتشريع وهو متجه مباشرة لمرضاة الله تعالى.

مثال رقم ٢:

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

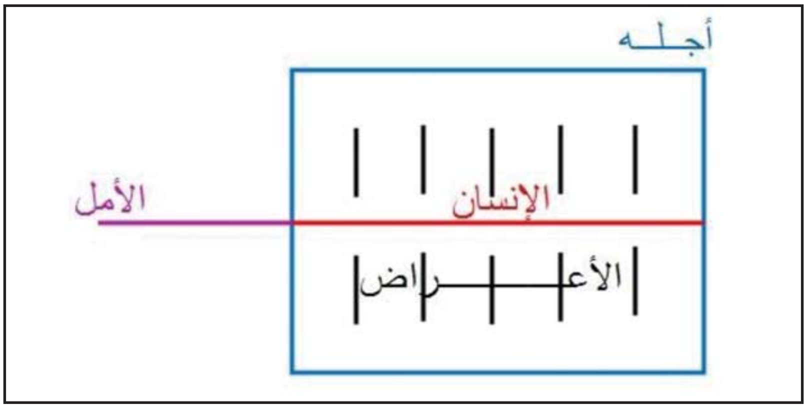
«خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعاً وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغاراً إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا» [البخاري، ج٨، ص ١٦٤].

وقد أورد الحافظ بن حجر عدداً من الرسوم لهذا الحديث.. فبعد أن شرح ابن حجر ألفاظ الحديث[1]، قال:



«ورسمه عدد آخر من الباحثين بهذا الشكل»:

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٢٣٥-٢٣٦.



وهو توضيح جميل وخريطة ذهنية مبسطة من المعلِّم الأول .عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويمكن اعتبار هذا الحديث لفتة مهمة من النبي ﷺ، واستخدام تربوي مبكر للوسائل التعليمية، وكشف عن أهمية التدريس البصري في إيصال مفهوم معين. وهذا ليس بعيداً عن الخريطة الذهنية، بل إن هذا الرسم هو عبارة عن تمثيل معرفي، أو خريطة ذهنية مصغرة لمفهوم محدد عن الإنسان وعلاقته بالأجل والأمل.

يتبين لنا مما سبق أن النبي ﷺ استخدم الخرائط الذهنية حتى يوصل المعلومة ويرسخها في الأذهان، والدليل هو وصف هذا الصحابي الجليل وبمنتهى الدقة للخط المربع والمستقيم والخطوط الصغار، ووصفه لاتجاهها ووضعها بدقة عالية وذلك نظراً لانطباعها في ذهنه، وهذا طبعاً شرف لنا أن نستخدم طريقة استخدمها معلم البشرية ﷺ لنثبت للجيل القادم أننا نستطيع أن نجدد وسائلنا التعليمية لفهم وتدبر الآيات والسور القرآنية. ويمكن القول إنَّ أسلوب الخارطة الذهنية من أنجح الأساليب تفعيلاً للذاكرة وتنشيطها، لأنه من خلال الخرائط الذهنية نستخدم عقولنا بالطريقة التي يفهمها ويحبها العقل وباستخدام فصي الدماغ.

إذاً لا بد من الربط بين استثمار الذاكرة وتحفيز العقل في تعليم القرآن، لتجاوز طريقة حفظ القرآن دون تدبر وفهم، واعتماد تلاوة الآيات القرآنية (بمنهج التلقي)، وذلك بإيجاد طريقة تساعدنا على استيعاب القرآن الكريم بمنهج التدبر والتفكر والتذكر وتتيح تعليم الكتاب والحكمة (بمنهج التدارس) عن طريق إدخال أفكار السورة ومحورها الى عقولنا وتراعي مايلي:



١. استخدام الفصين



٢. إدخال السورة على شكل خريطة



٣. إدخال السورة على هيئة صورة

الخريطة الذهنية للقرآن الكريم في وعي صاحب الظلال

يقول سيد قطب (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): «يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سوره شخصية مميزة! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيس أو عدة موضوعات رئيسة مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو... وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً. ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور»[(١)].

إنَّ منهج سيد قطب في عرض الوحدة الموضوعية للسورة منهج فريد ذلك أنه يجعل السورة كلها وحدة موضوعية، فيعرف بمحورها، ثم يقسمها تقسيماً موضوعياً ملتحماً مع المحور بحيث يشعر القارئ بوحدة موضوعية متناسقة متناسبة، ذات شخصية فريدة، وكأنها مشهد حي، يتفاعل معه القارئ بروحه وإحساسه، ويشعر معه بروحانية ووجدان، ينمي فيه حباً وتعظيماً للقرآن. «لقد لاحظ سيد قطب الوحدة الموضوعية في القرآن، وقال بها وحرص على بيانها في الظلال، إنَّ كل سورة تمثل عنده وحدة متناسقة واحدة... ولقد وقف متفرداً بين جميع المفسرين في بيان الوحدة الموضوعية»[(١)].

فسيد ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بعد أن يفرغ من الدراسة الإجمالية للسورة ـ لا ينكب مباشرة ـ كغيره من المفسرين ـ على تفسير آيات السورة التي يعنى بتفسيرها، وإنما له طريقة خاصة، ومنهج خاص، يمكننا أن نوضحه في الخطوات المنهجية الآتية:

أ - يعمد سيد قطب في التفسير التفصيلي إلى تقسيم السورة إلى مقاطع أو دروس مكونة لفكرة شاملة ومتكاملة، وهو يورد نص المقطع قبل مباشرة تفسيره.

ب - يحاول وضع يد القارئ على مفتاح المقطع أو الدرس بأن يطلعه على الفكرة المحورية التي يعالجها، والأفكار الثانوية المكونة له، وقد يستطرد إلى مناقشة بعض القضايا العقدية أو الاجتماعية أو الأدبية.

(١) في ظلال القران/ ج١ ص٢٧.

ت- بعد ذلك يشرع في تفسير الآيات المكونة للمقطع آية آية. فيورد نص الآية، ويعقبها بفكرتها الرئيسية ثم يحللها إلى أفكار ثانوية، ثم يعرض بعد ذلك لكل فكرة وموضوع على حدة.

ث- بعد أن يفرغ من تحليل آية من الآيات المكونة للمقطع تفصيلياً يعمل على تجميع هذا الشتات ليكون منه فكرة رئيسية متكاملة، هادفة، تكون بمثابة العبرة أو الموعظة المستخلصة أو الدرس المحصل من تفسير الآية الكريمة(١).

وقد ساعدني هذا الأسلوب كثيراً في رسم خرائط ذهنية لعدد من السور القرآنية في بحثي هذا.

مميزات الخريطة الذهنية للسورة القرآنية

- ربط أجزاء وأفكار السورة بعضها ببعض.
- تيسير تدبر القرآن وحفظه.
- التفكير التحليلي أو التفسير الموضوعي لفهم القرآن والتعايش معه.

ما هي العناصر الأساسية للخريطة الذهنية؟

الخريطة الذهنية تتكون من ٣ أشياء وهي تشبة تماماً الشجرة؛ فالشجرة تتكون أيضاً من ثلاثة أجزاء وهي:

- الفكرة المحورية (الجذر)
- الأفكار الرئيسة (الساق)
- الأفكار الفرعية (الفروع والأوراق)

الفكرة المحورية (الجذر)
الأفكار الرئيسة (الساق)
الأفكار الفرعية (الفروع)

(١) نسقية السورة القرآنية من خلال تفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب. أحمد بزوي الضاوي أستاذ التعليم العالي- مساعد شعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب و العلوم الإنسانية - جامعة شعيب الدكالي ـ المغرب.

الفكرة المحورية:

المقصود منها محور السورة الرئيس أو مقصدها، فمثلاً يمكن أن يكون هدف السورة العقيدة أو التشريع أو بناء المجتمع المسلم...إلخ

الأفكار الرئيسة:

هي الأفكار التي توضح وتشرح الفكرة المحورية للسورة بشيء من التفصيل.

الأفكار الفرعية:

وهي الآيات التي تقوم بتفصيل و توضيح أجزاء الأفكار الرئيسية.

خطوات عملية لرسم خريطة ذهنية للسورة القرآنية

هناك مراحل عملية ووسائل تعين على تدبر القرآن الكريم ومن ثم رسم خريطة ذهنية للسورة القرآنية والتي يمكن تقسيمها إلى أربعة مراحل وهي كالآتي:



أولاً ـ قراءة تفسير السورة القرآنية:

نبدأ بقراءة تفسير سورة نرغب برسم خريطة ذهنية لها، ويفضل قراءة كتاب تفسير مختصر(١) يتمتع بأسلوب منظم ويقوم بتوضيح الأفكار المهمة للسورة.

ثانياً ـ تجهيز البيئة والأدوات المطلوبة وتدوين الأفكار:

قبل أن نرسم الخريطة الذهنية للسورة القرآنية نقوم بـ:

(١) مثال ذلك صفوة التفاسير للصابوني.

- اختيار مكان هادئ وجلسة مريحة.
- ورقة كبيرة الحجم (أكبر من A4) إذا أمكن.
- استخدم ألواناً مختلفة.
- اجلب أي معلومات أو مواضيع متعلقة بالسورة التي ترغب برسم خريطة ذهنية لها .

ثالثاً ـ معرفة خطوات العمل، وهي:

١ـ ضع الورقة الكبيرة أمامك، وفي مركزها واكتب ٣- ٤ كلمات تعبر عن المحور الرئيس للسورة أو الفكرة الأساسية في مركز الورقة تماماً.

٢ ـ ابدأ في منتصف الورقة برسم شكل معين (دائري، بيضوي، مستطيل...الخ) واكتب وسطه محور السورة الموجود في كتاب التفسير الموضوعي الذي لديك، أو حتى تكتب اسم السورة (النص لايتعدى ٣ كلمات قدر المستطاع).

٣ ـ اجعل محور السورة القرآنية أكثر نقطة وضوحاً.

٤ ـ أخرج خطوط عريضة من الشكل الذي في منتصف الخريطة والتي سوف تمثل الأفكار الرئيسة في السورة ، و في بعض الأحيان تحتاج أن ترتب الأفرع بالترتيب.

٥ ـ دون الأفكار الفرعية المبثوثة في الآيات القرآنية والتي تقوم بتفصيل، وتوضيح أجزاء الأفكار الرئيسة.

٦ ـ حاول تنظيم موضوعات السورة وتحديدها في مجموعات ومحاولة ربطها مع بعضها. ثم ابدأ برسم تفرعات الخريطة من اليمين إلى اليسار (باتجاه عقارب الساعة)، حتى توافق طريقة تعامل العقل.

٧ ـ استخدم الصور والرسوم والأشكال وحاول أن تكون الصورة بجانب الكلمة أو العبارة.. بحيث تختار صورة أو رسمة تغنيك عن النص . جرب أن تختار صور بدقة عالية فهذا أفضل.

٨ ـ بعد أن تنتهي تماماً من وضع كل أفكارك (بل وحتى أفكار الآخرين إذا قاموا بمساعدتك مثلاً) في الخريطة الذهنية للسورة القرآنية، أعد النظر إليها نظرة متفحصة، وقم بترتيبها. وهكذا تكون انتهيت من إعداد الخريطة الذهنية .

٩ ـ حاول قدر الاستطاعة أن تظهرها بأسلوب (بسيط وجذاب) و ذات شكل مشع ومرتبط بما تعرفه من معلومات سابقة .



رابعاً ـ ما يجب وضعه في الحسبان:

بعد قيامك بأول خطوات رسم الخريطة الذهنية ستتوالى الأفكار في ذهنك، لذلك لاتتقيد بشكل محدد للخريطة الذهنية للسورة القرآنية، بل يمكنك أن تخترع نظاماً شكلياً خاصاً بك، النقطة المهمة أن تكون الأفكار متصلة ببعضها البعض، متفرعة من بعضها البعض.

إذا مرَّ عقلك بحالة خمول، وشعرتَ بتباطؤ تدفق الأفكار، أو أنه لا يوجد لديك المزيد من الأفكار لتضيفها، فلا تفزع، وأبقِ يدك في حركة مستمرة، ارسم دوائر وأفرعاً فارغة، أو ارسم خطوطاً جديدةً على الخطوط الموجودة أصلاً، أو قم بتغيير اللون فمثل هذا يساعد على شحن طاقة المخ ويدفعه لإنتاج المزيد من الأفكار.

وسأحاول أن أضع بين يدي القارئ مثالين لكيفية ابتكار خريطة ذهنية تتعلق الأولى بعلاقتنا مع القرآن الكريم والخريطة الذهنية الثانية حول القواعد الأساسية لحفظ القرآن.

مثال رقم ١:

كيف هي علاقتك بالقرآن؟



هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم..

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فإن كنت تريد أن تتأثر بالقرآن وأن تُداوي به آفات قلبك، لا بد أن تُصلح علاقتك به..

أولاً : اعلم أن **هجر القرآن من أعظم العقوبات** .. لأن النبي ﷺ قال: «والقرآن حجة لك أو عليك» [رواه مسلم] .. **فإيـــاك وهجره**.

ثانياً : **إياك أن تبتغي به عرضاً زائلاً من الدنيا** ..لأن النبي ﷺ قال: «إقرؤوا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» حسنه الألباني، [صحيح الجامع].

ثالثاً: **إياك أن تتخذ القرآن مزامير** .. قال النبي ﷺ: «أخاف عليكم ستاً: إمارة السفهاء، وسفك الدم، وبيع الحكم، وقطيعة الرحم، ونشءٌ يتخذون القرآن مزامير، وكثرة الشرط» [صحيح الجامع]، فلا يجوز التغني به زيادة عن الحد حتى يصير أشبه بالغناء، فالقرآن ما أنزل ليُطرب به، لكن الرسول ﷺ أمر بتحسين الصوت بالقرآن، فقال: «حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً» [رواه الدارمي وصححه الألباني]، ليكون له أثر على القلب وليزداد به خشية وخشوعاً.

رابعاً :عليك **بدوام مذاكرته** .. فإن النبي ﷺ قال: «استذكروا القرآن فإنه أسرع تفصياً ـ أي تفلتًا ـ من صدور الرجال من النعم من عقله» [أخرجه السنن الكبرى للنسائي، وصححه الألباني].

خامساً: اقرأ القرآن على طهر .. ليجتمع لك طهارة الظاهر وطهارة الباطن.

مفاتيح التدبر والتأثر في القرآن(١)



المفتاح الأول :حب القرآن..

المفتاح الثاني: استحضار النوايا.. اجعل نيتك خالصة لله تعالى كي تجد الأثر..

المفتاح الثالث :القراءة جهراً .. فالقراءة الجهرية تختلف تماماً عن القراءة سراً.

المفتاح الرابع: أن تكون القراءة حال الصلاة لا سيما في الليل .. يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء: ٧٩].

المفتاح الخامس: أن تكرر قراءة القرآن كل أسبوع.

المفتاح السادس: أن تكون قراءة القرآن من الحفظ .. اجعل لك قراءة مما تحفظ.

المفتاح السابع: معرفة معاني الآيات ..اقرأ إحدى التفاسير المُيسرة، حتى تفهم الآيات فتستطيع أن تتفاعل معها وتتأثر بها.

المفتاح الثامن: أكثر من قراءة الآية التي تؤثر فيك.

علامات التدبر و التأثر بالقرآن(٢):

وهذه أهم مرحلة في علاقتك بالقرآن، فيجب أن تحدث لك إحدى هذه العلامات السبع الآتية:

---

(١) مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة / خالد بن عبد الكريم اللاحم اللاحم ـ الرياض، ١٤٢٥هـ.

(٢) مفاتيح التعامل مع القرآن للدكتور صلاح الخالدي ـ دار القلم بيروت.

أولاً ـ التوقف تعجباً وتعظيماً.

ثانياً ـ البكاء: يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

ثالثاً: أن تزداد خشوعاً يقول الله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

رابعاً: القشعريرة خوفاً من الله؛ لقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر].

خامسًا: زيادة الإيمان .. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

سادسًا: الفرح والاستبشار .. لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة].

سابعاً: السجود تعظيماً لله .. لقول الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:].

وإليكم الخريطة الذهنية للموضوع.



مثال رقم ٢: عوائق وقواعد لحفظ القرآن الكريم

ومن أهم وأخطر هذه العوائق:

١) **كثرة الذنوب والمعاصي** .. فالذنب ينسي العبد القرآن ويعمي قلبه .

٢) **عدم المتابعة والمراجعة الدائمة** .. فلابد أن تكون هناك مراجعة وتسميع دائم لما تم حفظه وإلا سيتفلَّت.

٣) **الانشغال بالدنيا** .. فالإهتمام الزائد بأمور الدنيا، يجعل القلب معلَّق بها مما يجعل حفظ الآيات صعباً.

٤) **حفظ آيات كثيرة في وقت قصير والانتقال إلى غيرها قبل إتقانها ..**

كان الفضيل بن عياض يقول: «حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن» .

ثم قال الأب مخاطباً أحمد ورقية: وإليكم أولادي **القواعد الأساسية لحفظ القرآن الكريم:**

١) **الرغبة والعزيمة الصادقة ..** وهذه تتولّد باحتسابك للنوايا التي ذكرناها، فأصدّق الله يصدقك .. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

٢) **استشعار صعوبة المهمة ..** فسلعة الله غالية ومهمة حفظ القرآن ليست يسيرة .. قال الرسول ﷺ: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً ـ أي تفلتاً ـ من الإبل في عقلها» [صحيح البخاري].

٣) **الإخلاص ..** وهو أعظم المعينات الإيمانية، فجدد النية واخلِّص لله تبارك وتعالى .

٤) **العمل بالقرآن ..** «يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال».

٥) **فهم معاني الآيات ..** فعليك أن تقرأ تفسير الآيات التي تحفظها، حتى تفهم معناها وأسباب نزولها وتستنبط الفوائد والعِبَر منها .

٦) **تصحيح النطق والقراءة ..** فيجب التلقي والمشافهة عن طريق معلم، ولا تعتمد على مجرد الإستماع .

٧) **كثرة قراءة القرآن وسماعه.**

٨) **الصلاة بما تحفظ ..** فالصلاة أيضاً من مثبتات الحفظ، والنبي ﷺ كان لا يدع قيام الليل.

بعض الوسائل العملية للحفظ ..

١) **حدد مقدار الحفظ يومياً ..** فيكون شُغلَك الشاغل هو الانتهاء من حفظ عدد الآيات التي قد حددتها لكل يوم.

٢) **ولا تتجاوز مقررك اليومي حتى تُجيد حفظه تماماً ..**

٣) **التسميع كتابةً ..**

٤) **الحفظ من رسم واحد للمصحف ..**

٥) **لا تتجاوز سورة حتى تربط أولها بأخرها..** فإذا كانت السورة طويلة تقوم بتقسيمها إلى مقاطع وتربط ما بينهم.

٦) **العناية بالمتشابهات ..**

٧) **انتهاز وقت البكور ..** فعليك أن تنتهز وقت البكور بعد صلاة الفجر لتلاوة وحفظ القرآن،

ليشملك دعاء النبي ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» [رواه أبو داود وصححه الألباني] وهذه هي الخريطة الذهنية للموضوع:

وأخيراً



١ـ إذا أردت أن تستخدم هذه تقنية ما عليك إلا أن تتوكل على الله وتُسَخِّر مدركاتك الذهنية بكافة العناصر التفصيلية للسورة القرآنية المُراد عرضها، وإجراء التصميم اللازم لها، ثم إعرضها أمام أصدقائك أو زملائك أو طلابك، واكتشف المستويات المعرفية والوجدانية والمهارية التي اكتسبوها من عرض هذا الموضوع. ثم أطلب من الطلبة تصميم نماذج لسور قرآنية أخرى لعرضها أمام زملائهم.

٢ـ تجنب أن تصمم خرائط ذهنية معقدة وكثيرة التفرعات بحيث يصعب عليك أو على الآخرين تتبعها أو تذكرها وحفظها.

محاور السور وأثرها في فهم القرآن:

إن لكل سورة من سور القرآن الكريم محوراً محدداً تنبني عليه السورة، وتدور حوله وتؤكده بصور ونماذج تفصيلية متعددة، وتجند لأجل خدمته وإبرازه أمثالاً وقصصاً ومقاطع قرآنية، مطولة أحياناً ومقتضبة، حازمة خاطفة في أحيان أخرى بحيث تشتمل تلك المقاطع على أوامر تشريعية ونظم أخلاقية ومناقشة لمناهج فكرية مختلفة وما أشبه مما يشكل مقاصد جزئية، تتعاضد وتأتلف وتتداخل من أجل ترسيخ وتوكيد ذلك المحور الرئيسي الذي تدور السورة حوله.

فمحور سورة البقرة مثلاً في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة]. إذ تدور سورة البقرة حول قضية الإسلام لله، وكيف أنها المدخل الأعظم لتحقيق قضية العبودية والإعانة التي جاءت بها سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]، وأن الأمر فيها ينهض على أساس راسخ من التسليم المطلق لله بالعظمة والربوبية واستحقاق العبادة وأنه وحده الحاكم، وأن التشريع والأمر والنهي له وحده.. حتى إذا ما ثبتت قضية التسليم واستقرت في العقل، أنعقد عليها الجنان أمكن نقل هذا المكلف إلى قضية الاصطفاء وهي محور سورة آل عمران، إذ تدور السورة كلها حول آيتين محوريتين وهما قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران].

وهكذا وكأن سور القرآن تعالج قضية كبرى، ابتداء بقضية العبودية في سورة الفاتحة وقضية الإسلام في سورة البقرة وقضية الإصطفاء في سورة آل عمران وانتهاء بقضية الالتجاء إلى الله والاحتماء به في سورة الناس(١).

إن بركة القرآن تكمن فيما يحمله من معان عظيمة تنير الطريق وتشفي الصدور وتسعد العامل بها في الدنيا والآخرة.

(١) http://www.hiramagazine.com .

شروط التدبر في القرآن الكريم:


إن بركة القرآن تكمن فيما يحمله من معان عظيمة تنير الطريق وتشفي الصدور وتسعد العامل بها في الدنيا والآخرة

إن مما يصرف كثيراً من المسلمين عن تدبر القران والتفكر فيه وتذكر ما فيه من المعاني العظيمة اعتقادهم صعوبة فهم القرآن، وهذا خطأ في مفهوم تدبر القرآن، وانصراف الغاية التي من أجلها أنزل، فالقرآن كتاب تربية وتعليم وكتاب هداية وبصائر لكل الناس ، كتاب هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ، كتاب قد يسر الله تعالى فهمه وتدبره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر].

إن إغلاق عقولنا عن تدبر القران بحجة عدم معرفة تفسيره، والاكتفاء بقراءة ألفاظه مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به. وإذا سلمنا بهذه الحجة فإن العقل والمنطق والحزم والحكمة أنك إذا أشكل عليك معنى آية تبادر وتسارع للبحث عن معناها والمراد بها، لا أن تعلق عقلك فتقرأ دون تدبر أو تترك القراءة.

ومما لاشك فيه أنَّ لدينا تراثاً غنياً ورائعاً من التدبر في سور وآيات القرآن الكريم ورثناها من سلفنا الصالح، ويستطيع طالب العلم المُجد أن يجمع التراث التدبري المتفرق في مصادر التفسير وغيرها من كتب العقائد والتزكية والتراجم..إلخ.

وهدفنا من رسم الخرائط الذهنية للسور القرآنية ليس مجرد نقل التدبر والوقوف على أعتابه بل إنتاجه، ومبتغانا ليس قطف الثمرة بل غرس شجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ومن هنا يأتي هذا الكتاب ليحاول تقديم طريقة جديدة (**الخرائط الذهنية**) تساعدنا على تدبر القرآن الكريم وسهولة فهمه وتثبيت حفظه من أجل العمل به، ولكي يكون التدبر في القرآن الكريم مثمراً ومفيداً، ولكي يكون متكاملاً وسليماً لابد أن تتوفر مجموعة من الشروط فيمن يتدبر في

آيات القرآن الكريم، ومن تلك الشروط[1] :

١ـ الإخلاص والموضوعية:

لعلّ أهمّ صفة للمتدبر في القرآن الكريم هي صفة الإخلاص، فالقرآن يحتاج إلى شخص نزيه موضوعي يقرؤه بإخلاص وأمانة وصدق، مستهدفاً الوصول إلى هديه، وليس لشخص محمل بالأفكار الخارجية التي يريد أن يتصيّد لها الشواهد القرآنية، أو ليبحث في القرآن عما يناسب هواه.

٢ ـ الملاحظة العلمية الدقيقة (بذل قصارى الجهد):

إنّ قسطاً كبيراً من التقدم العلمي الحديث يعود إلى روح البحث والملاحظة التي توفرت في هذا العصر، والتدبر في القرآن لابد أن تتوفر فيه (الملاحظة الدقيقة)؛ حتى يكون مفيداً مثمراً، وذلك بأن يطرح الإنسان أسئلة مختلفة على نفسه حول مختلف الظواهر القرآنية: لماذا جاءت الكلمة هنا بشكل وجاءت في مكان ثان بشكل آخر؟ لماذا تقدمت هذه الكلمة على تلك؟ ما هي الحكمة في إنزال العقاب أو الثواب بأسلوب معيّن على قوم وبأسلوب ثان على قوم آخرين؟

٣ ـ التروي والأناة:

فبعد أن تقودنا الملاحظة العلمية إلى طرح مجموعة من التساؤلات حول الآيات القرآنية علينا أن نبدأ تفكيراً معمقاً للوصول إلى الإجابة. وليس من المهم أن تكون (كمية) أفكار الإنسان كثيرة، المهم أن تكون (كيفيتها) ممتازة وجيدة.

٤ ـ عدم التسرع في تقبّل الأفكار:

إنّ (للفكرة) في بدايتها بريقاً أخاذاً لا يقاوم. ومن هنا نجد الكثيرين يبادرون إلى تقبّل الأفكار بمجرّد أن تلوح لهم من بعيد، من دون أن يحققوا في مدى صحتها أو سقمها. وهنا نخصّ بالذكر ضرورة الحذر الأكثر من التسرع في تقبّل نوعين من الأفكار خلال التدبر في القرآن الكريم:

---

(١) التدبر الموضوعي في القرآن الكريم.. قراءة في المنهجين: التجميعي والكشفي ـ للشيخ علي آل موسى.

أ- الأفكار الجاهزة: ونعني بها: (**تلك الأفكار المصبوبة في قوالب لطيفة وظريفة**).

إنّ على الإنسان أن يهتم بمضمون الفكرة ومحتواها وليس بشكلها الخارجي الآسر فحسب، وفي سبيل ذلك لابد من التفكير الدقيق المعمق.

ب - الأفكار الشخصية: إنّ الإنسان (**يحابي**) ذاته، ويتحيّز لها، ولذلك فإنّه يتسرع في قبول ما أبدعه عقله وتفكيره، دون أن يفكر جدياً في الأمر، ودون أن يرى جوانب القضية المختلفة. من هنا كان على الإنسان أن (**يتهم**) ما خطر على قلبه، بمعنى أن لا يتقبّله بسرعة، بل يفكر فيه بدقة، فإن كان حقاً قبله، وإن كان باطلاً طرحه بعيداً.

٥ـ التتلمذ على يد القرآن:

فعلى الإنسان أن يكون التلميذ المتواضع أمام القرآن، عليه أن يُسيّر نفسه وفق ما يريده القرآن، لا أن يسيّر القرآن وفق ما يريده هو. عليه أن يحكّم القرآن في أفكاره ورؤاه، وليس العكس. ومن دون ذلك سيكون مصير الإنسان الضلال والانحراف.

٦ـ الرجوع إلى المصادر:

وعملية التدبر في القرآن الكريم قد تستلزم الرجوع إلى أمور مساعدة ومعيْنة عليها، منها: كتب التفاسير والسنة المباركة، وكتب علوم القرآن واللغة العربية والثقافة العامة.

٧ـ الثقة بالنفس:

فعلى الإنسان خلال تدبره في القرآن الكريم أن لا يستصغر ذاته، ولا يحقر أفكاره، وأن لا يسمح لنفسه بالذوبان في أفكار الآخرين وآرائهم. إنّ آراء المفسّرين السابقين قد تكون ضوءاً على الطريق، ولكنّها لا يجوز أن تقفل أبواب التفكير أمام المتدبر لكلام الله، وتصيب دماغه بالتحجر والجمود، ولا بالتبعية والتقليد والاستنساخ الفكري.

٨ـ الإبداع والابتكار:

فعلى الإنسان أن يربّي عقليته على (**الإبداع والابتكار**)، ويحاول أن يستنبط أفكاراً جديدة ورؤى مبتكرة، وذلك ضمن حدود الدين الإسلامي، وليس خارجاً عنه؛ لأنّ ذلك يعني (**البدعة**) المنهي عنها في الشرع.

معايير التدبر الكلي لسور القرآن لمعرفة مقاصد السور:

يقول د. عبد الله السحيم: «إنَّ المتأمل في واقع المؤلفات والمصنفات التي اعتنت بذكر مقاصد السور وموضوعاتها فإنها لا تخلو في كثيراً منها من عدم وجود مسار منضبط ينتهجه المؤلف في حكمه على السور، فلا تستطيع من خلاله أن تقايس على كلامه أو تفرع عليه ، بل لو قلت إن كل مؤلف يسلك طريقاً مختلف عن الآخر في حكمه على موضوع السورة لما كان ذلك بعيداً، فإنك تجد التباين الكبير والواضح في تحديد مواضيع السور، فبعضهم ينظر من زاوية ويغفل زاوية أخرى، وآخر ينظر من منظور آخر، منطلق كل منهم من الواقع الذي يعيشه والبيئة التي تأثر بها.

لذلك ومع تزامن الطرح المتزايد حول موضوع التدبر الكلي وكثرة الخائضين فيه من غير علم، فإنه من اللازم على المعتنين بهذا العلم أن يحفظوه من عبث العابثين، بوضع قواعد ومعايير تضبط أطره، وتحكم جوانبه، وتسد خلله.

المعايير الكاشفة عن مقاصد السور القرآنية

يمكن تقسيم المعايير إلى قسمين:

١ـ معايير خارجية.

٢ ـ معايير داخلية.

القسم الأول : المعايير الخارجية ثلاثة :

١ـ جمع روايات أسباب النزول لكل سورة فإنه في الغالب ترد إشارة أو إلماحة من كلام الرسول ﷺ أو من كلام الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان مقصد السورة.

٢ ـ جمع أسماء السورة فإنه يرد في الغالب أن السورة تسمى بأكثر من اسم، وقد يرد من تلك المسميات ما يكون هو المقصد.

٣ـ جمع ما يتيسر الوقوف عليه من كلام العلماء في مقاصد السورة.

القسم الثاني : المعايير الداخلية:

١ ـ لفظ متكرر في السورة.

٢ ـ لفظ غريب في السورة ـ عند البحث عن معناه وتفسيره، ربما تتضح معالم الموضوع .

٣ ـ أول السورة وخاتمتها.

٤ ـ القرينة.

٥ ـ الربط بين جزئيات السورة.

٦ ـ علاقة اسم السورة بالموضوع.

٧ ـ الترتيب المنطقي لمواضيع السور.



هذه أبرز المعايير الكاشفة عن مواضيع ومقاصد السور، فإنه بمجموع هذه القرائن يغلب على الظن تطابق الموضوع مع السورة، وقد تجتمع هذه المعايير كلها في سورة، وقد يفتقد بعضها في سورة أخرى»[١].

---

(١) عبد الله السحيم ـ موقع ملتقى أهل التفسير.

سورة الفاتحة
فاتحة المطالب العالية



الإسلام دين سمو و علو، يوجه قلوبنا للواحد الأحد، ويسمو بأرواحنا عن مشاغل الدنيا خمس مرات على الأقل كل يوم، فيحلق بنفوسنا وأرواحنا نحو المعالي، بل إن الصلاة تضفي السرور على أيامنا، فبينما يطيل التعقيد والروتين ساعات حياتنا، فنسأم، ونمل، ونضجر، تختصرها الصلاة إلى بضع ساعات فحسب، ترسم لنا الخط الفاصل بين مشهدين مختلفين متباينين، مشهد التعلق بالدنيا، ومشهد الإقبال على الآخرة، مشهد مطلب الجسد، ومشهد مطلب الروح، فنعيش في اطمئنان، وراحة بال، تتضاءل بجانبها كل المغريات والملذات، فتضيء الصلاة قلوبنا المليئة بظلمة الغفلة والمعاصي، وتنير دروبنا بذكر الله تعالى آناء الليل والنهار.

«ويا لها حكمة أن فرض الله علينا هذه الصلوات بين ساعات وساعات، لتبقى الروح أبداً إما متصلة أو مهيأة لتتصل، ولن يعجز أضعف الناس مع روح الدين أن يملك نفسه أنه متوجه بعدها إلى ربه، فخاف أن يقف بين يديه مخطئاً أو آثماً، ثم هو إذا ملك نفسه إلى هذه الفريضة ذكر أن بعدها الفريضة الأخرى، وأنها بضع ساعات كذلك، فلا يزال من عزيمة النفس وطهارتها في عمر على صيغة واحدة لا يتبدل ولا يتغير، كأنه بجملته ـ مهما طال ـ عمل بضع ساعات»[1].

(١) الرقائق ـ محمد أحمد الراشد ـ نقلاً عن مصطفى صادق الرافعي.

وإنَّ لصحبة سورة الفاتحة في كل صلاة إشراقة ربانية، تسمو فيها بروحك الطهور إلى الملأ الأعلى، تحاور الله عَزَّوَجَلَّ وتتدبر الآيات التي تتلوها، أنت تسأل والله عَزَّوَجَلَّ يجيب، وتدعو فتجد الاستجابة حاضرة، وهذا هو السر الأول من أسرار فتح أبواب أنوار سورة الفاتحة على القلب، وأما أسرارها الأخرى التي لا حدود لها ولا شطآن، فتأتي تباعاً أمواجاً من النور على صفحات القلب تغسله من الأدران، وتعيد الروح الهاربة إلى محراب الإيمان، في حمى الرحمن، لكل من فتح نوافذ قلبه لآياتها وتلقاها بدفء محب لمحبوبته شوقاً لديار المحبوب، لأنه يعرف مصدرها ويعظم منزلها، فيظفر بخير الدنيا والآخرة، وهذا هو سمت الصالحين مع آيات القرآن في محراب الصلاة.

لقد جُعِلَتِ الفاتحةُ صلاةً مفروضةً، تُتلَى في كل ركعة من كل صلاة، على مدار الليل والنهار!

فصلاتُك ميزانُك! وصلاتُك مقامُك!

فلا تبرر دنو همتك وقصورك عن إدراك المعالي بكونك تعودت قراءة سورة الفاتحة بقلب لاهٍ وفكرٍ تائه، فأين هَمُّ القلب وأنت تقرأ الفاتحة؟.. هل قرأتها ونفسك موقنة بكل آية فيها، فالنفس المضيئة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها، «فعليك بمعالي الأمور وكرائمها واتقِ رذائلها وما سفَّ منها فإن الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها»[(١)].

وإياك أن تظن أنَّ سورة الفاتحة جمل ترتل وكلمات تنثر؟ وإلا ستتمدد أمامك الآيات بلا روح ولن تستطيع العيش في ظلالها أو الاغتراف من جلالها وجمالها..

إنها كلام رب العالمين.. هي كلام صادر عن الله ذي الجلال والجمال والكمال!

لا نتحدث هنا عن مخارج الحروف وأحكام التجويد وقواعد الترتيل... وإنما نتحدث عن كيفية التلقي من هذا المصدر العظيم..

هل نحن حين نقرأ الفاتحة ونمر بآياتها نستشعر أن رب الأرض والسماوات يقول لنا ذلك، إنه الله، يتحدث عنا ونحن نقرأ الفاتحة.. هل تتصور؟!

(١) قول للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كيف نقرأ... ونفهم... ونتدبر... ونعيش مع فاتحة الكتاب... هذا هو جوهر مشكلتنا... وأصل غربتنا...!

لا بد أن يكون للفاتحة دور في تغيير حياتنا، وحينها فقط سنفهم القرآن بشكل مختلف أكثر فاعلية وواقعية، لو فهمناه من خلال سورة الفاتحة، التي ستجعلنا نتغير، ونعيد صياغة أنفسنا لتتأهل لتغير العالم من حولنا.

سورة الفاتحة في غير الصلاة تفتح للقارئ نافذة علم إذ تلخص له قصة الإسلام كلها عقيدة وشريعة، والمفسر يكتسب بها مقام علم رفيع.

وأما الفاتحة داخل محراب الصلاه فهي تفتح للعابد أقواساً من نور لمشاهدة جمال العلم بالإسلام من داخل قباب العبد فالعبد يقرأ بين يدي سيده مناجياً وشهود الحي القيوم حيٌّ بقلبه.

د. فريد الأنصاري ـ قناديل الصلاة: مشاهدات في منازل الجمال.

أليست سورة الفاتحة التي نتلوها اليوم هي عينها الفاتحة التي تلاها الصحابة الكرام والسلف الصالح من قبل؟

فما الذي حدث لنا نحن أهلَ هذا الزمان إذن؟

ذلك هو السؤال! وتلك هي القضية!

ألم يقرأ رجل من الصحابة سورةَ الفاتحة على لَدِيغٍ من بعض قبائل العرب[1]، سعوا له بكل شئ فلم ينفعه، فلبث ينتظر حتفه، فقرأ عليه الصحابي ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ التي يحفظها اليوم أطفالنا! فبرأ وقام كأنْ لم يكن به شيء قط؟

لا شك أن السر كامِنٌ في منهج تعاملنا مع سور القرآن عموماً والفاتحة خصوصاً!

«و لابد هنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً ندلف منه إلى موضوع السورة

لماذا هذه السورة بالذات لها هذا المعدل العالي من القراءة؟

(١) حديث رواه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لِمَ فَرَضَ الله عليكَ أن تقرأها و تتأمل و تتدبر معانيها سبعة عشر مرة يومياً؟ أو ما شاء الله أن يرددها كلما قام يدعوه في الصلاة.

لا بد أن هناك معنى أو معان يحتاج كل مسلم أن يتذكرها الفينة بعد الفينة، إنه المحور الذى تدور حوله السورة، وهو الدعاء الذي يتوسطها.

«إنه دعاء الهدى من هذه الآيات هو الغاية التي تنتهي إليها سورة الفاتحة. فإذا كانت آيةُ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

هي خلاصتها وروحها، فإن دعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

هو ثمرة تلك الخلاصة، وبشارتها المتنزلة على العبد، هديةً تملأ قلبَه بالأمن والسلام؛ تحيةً من الله السلام! وإذناً منه ـ جل علاه ـ بدخول جنات القرآن! فكانت هذه الآيات هي مصب روافد سورة الفاتحة، ومجمع بحورها، وخزانة أسرارها.

إنها أعظم المطالب العالية التي يحتاجها المسلم في الحياة الدنيا يحين يدعو بها ربه كل صلاة.

إنه دعاء بالهداية... الهداية التي من دونها الضلال...

«وإنما فرض عليه من الدعاء الراتب الذي يتكرر بتكرر الصلوات، بل الركعات فرضها ونفلها، هو الدعاء الذي تتضمنه أم القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، لأن كل عبد فهو مضطر دائماً إلى مقصود هذا الدعاء وهو هداية الصراط المستقيم»[(١)].

«إذن لا بد أن يكون دعاؤنا ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ بأصدق ما يكون الْجُؤار والاستغاثة؛ رجاءَ بشارة الاستجابة، عند مناجاة الرحمن، في كل ركعة من كل صلاة، ونحن سائرون إليه عبر مواقيتها، متقلبون في أحوال العبودية بين يديه تعالى، متقربون ومتزلفون، ما بين منازل الليل والنهار»[(٢)].

---

(١) الإمام ابن تيمية ـ [الفتاوى: ٢٢/ ٣٩٩].

(٢) د. فريد الأنصاري ـ سورة الفاتحة بتصرف بسيط ـ موقع الفطرية – http://alfetria.com.

باب القرآن للدخول إلى حمى الرحمن

قبل البدء في تدبر سورة الفاتحة والعرض المجمل لأهدافها ومحورها والمعاني التربوية فيها، ثم رسم خريطة ذهنية لها، لابد لنا من وقفة سريعة مع فضائل هذه السورة التي فضلها رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى وميزها بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر].



قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فاتِحَةُ الْكِتاب، وأُمُّ القرآن، والسبعُ المثاني، والشفاءُ التام، والدواءُ النافع، والرُّقيةُ التامة.

ومفتاح الغِنَى والفلاح، وحافظةُ القوة، ودافعةُ الهم والغم والخوف والحزن لمن عرف مقدارَها وأعطاها حقَّها، وأحسنَ تنزيلها على دائه، وعرَفَ وجهَ الاستشفاء والتداوي بها، والسرَّ الذي لأجله كانت كذلك».

وهذا رسول الله ﷺ يحدثنا عن عظمة هذه السورة فيقول: «ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته» [متفق عليه].

إنَّ سورة الفاتحة هي أعظم وحي أوحاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طوال تاريخ النبوات، إنها مفتاح الخير كله ولذا شرفت بافتتاحها أشرف العبادات، ولا تقبل الصلاة بدونها فمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب لقول رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [متفق عليه]. ولا يقبل عند أهل الله الدخول إلى حمى الرحمن، والولوج إلى حضرته دون استئذان ولا تأدب ولا تجرد من علياء النفس وكبرياء الإرادة الإنسانية ليرتبط الأمر بإرادة الله عَزَّوَجَلَّ، والمسلم في حاجة إلى المفاتحة بالمناجاة في صلاته وهذا سر الافتتاح بالفاتحة.

«إن مقدمة أي كتاب تلخص فصوله ومباحثه وموضوعاته بإجمال، وتكون تلك الفصول شرحاً وتفصيلاً لتلك المقدمة المجملة. هكذا الفاتحة أم القرآن، فهي مقدمة مجملة موجزة، وكل السور الطويلة والقصيرة بعدها تفصيل لها، ولهذا سميت فاتحة، أي: افتتاحية عظيمة للكتاب العظيم»(١).

---

(١). مقالة للدكتور صلاح الخالدي http://www.salah-alkhaldi.com

> لقد جمعت سورة الفاتحة أعظم المعاني التي وردت في الكتب السابقة بل ما أوتي نبي مثلها كما في حديث سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا مَلَك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن، تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»
>
> [رواه مسلم].

إنَّ فاتحة الكتاب هي باب القرآن الأول. هي «فاتحة» نعم، ولكنها ليست كأي فاتحة! فإذا كان مِنْ وظائفِ المقدماتِ والفواتح تقديمُ مضمونِ الكتاب للناس، على سبيل العرض الإجمالي، فإنَّ الله ـ جَلَّجَلَالُهُ ـ قد ثَنَى القرآنَ كلَّه ثَنْياً في سورة الفاتحة!

وإنما هي سبع آيات! بما بهر القلوب بقوة نوره! وأعجز العقول عن إدراك سره!

فلذلك سماها تعالى: «السَّبْعَ الْمَثَانِي»! وبذلك أيضا كانت هي «أم القرآن»، و«أم الكتاب»! وكانت مفروضةَ التلاوةِ في كل ركعة من كل صلاة، فريضةً كانت أم نافلة! لا تصح صلاةٌ إلا بها! قال ﷺ: «من صَلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِدَاجٌ! فهي خِدَاجٌ! فهي خِدَاجٌ! غَيْرُ تَمَامٍ»! والْخِدَاجُ: النقصان والفساد واللغو[1].

ولأنها مقدمة القرآن الذي هو آخر ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، والذي هو الفرصة الأخيرة للبشر لكي يعودوا إلى الله ربهم وخالقهم وملكهم.. من أجل أن يؤدوا ما خلقوا من أجله، لكي يحدثوا التغير المنشود ويعيدوا تشكيل العالم وفق منهج الله وشريعته.. فلابد إن يكون لسورة الفاتحة والقرآن دور أساسي في إعادة الناس إلى منهج الله وصراطه المستقيم، واستعادة دور الأُمَّة المسلمة لتمارس الشهادة على الناس كل الناس؟ لأنه لا تغيير ولا تحرير للأمة اليوم في صراع هذا الزمان إلا بالقرآن.

لقد تضمنت سورة الفاتحة: مقاصد القرآن ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن وأم الكتاب والأساس. قال الحسن البصري: «إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في المفصل ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير

(١) د.فريد الأنصاري- سورة الفاتحة بتصرف بسيط - موقع الفطرية- http://alfetria.com

جميع الكتب المنزلة»[1].

تأمل حين يخبرك النبي ﷺ إن أعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة، عن أبي سعيد المعلى أن النبي ﷺ قال له: «لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» [البخاري: ٤٤٧٤].

خلاصة الخلاصة! وروح الروح!


المصلي يناجي ربه في صلاته

هل فكرنا أن نتواصل مع الله، أن نتحدث مع هذا الخالق العظيم، وأن نترك كل الناس وتبقى علاقتنا مع الله تعالى قوية سليمة؟

لذلك فإن قراءتنا لسورة الفاتحة بتدبر وتأمل هي نوع من التواصل مع قائل هذه السورة، وهي نوع من الإحساس بالقوة لأن الله سيكون معك ويحدثك، بل ويثني عليك، وتصور أن الله تعالى وكلما قرأت الفاتحة يكلم ملائكته عنك، ما رأيك بهذا الإحساس؟

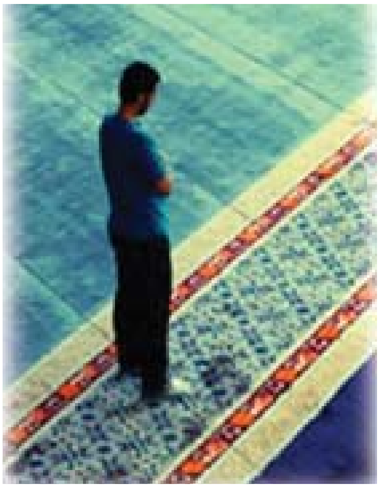
إنَّ سورة الفاتحة هي محاورة ومناجاة بين العبد وربه، يكتشف المؤمن ظلمات النفس، فتحترق في وهجها الرباني العظيم كلُّ الوساوس والدسائس الشيطانية، فلا يبقى برغائبها شيءٌ غيرُ وجهِ الله! وتتدفق المواجيد خالصة لله تترى، فيترقي المؤمن بذلك إلى مقام العبدية العالي؛ تكريماً من الله وتشريفاً، فَاقْرَأْ يا صَاحِ وَارْتَقِ!

ذلك مقتضى الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله عن رب العزة والجلال. قال ﷺ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: **الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**، قال: مجدني عبدي، فإذا قال: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**، قال:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» [رواه مسلم].



القضية ههنا إذن: فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: «هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي..!»[1].

تأمل في هذه الآيات الثلاث التي ذكرها الله تعالى في الحديث القدسي أنها نصف الفاتحة، حين قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين». هذه الآيات الثلاث التي هي نصف الفاتحة، أي أنها نصف أعظم سورة في القرآن، كلها حمد لله وثناء على الله وتمجيد لله..

ثم تأمل لقد بدأت سورة الفاتحة بـ:

فإذا قال العبد:	قال الله تعالى:	الموضوع	دلالة الآيات
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	حمدني عبدي	الثناء على الله وحمده والإقرار له بربوبيته	خالصة لله عَزَّوَجَلَّ
﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	أثنى علي عبدي	الاستمرار في الثناء	ذكر الله بأحب أسمائه وصفاته إليه
﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	مجدني عبدي (فوض إلي عبدي)	بعد أن بدأت بصفات الجمال تثني وتمجد بصفات الجلال	تقر أنه الملك المالك فهو يملكك ويملك الكون كله
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل	تقترب أكثر وتعاهده الله	قلب سورة الفاتحة! وكنز أسرارها! ومنبع أنوارها! وسط بين العبد وربه
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	هذا لعبدي ولعبدي ما سأل	تتذكر ضعفك وتقصيرك وتخشى من تبعات هذا التقصير على ذلك العهد الذى قطعته للتو	خالصة للعبد تتبرأ من حولك وقوتك وتطلب المعونة من الله

(١) د. فريد الأنصاري ـ سورة الفاتحة ـ موقع الفطرية ـ http://alfetria.com

* ساعتها إن قلت ذلك وأنت تعنيه وتقصده ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله تتوطد العلاقة أكثر فأكثر إلى مرحلة غير مسبوقة إلى مرحلة يكون فيها أسرار بينك و بين الله عَزَّوَجَلَّ وهذا لا يكون إلا بين القريبين من بعضهم، ويتضح هذا السر في قوله رداً على ما عاهدته به من إخلاص العبودية حين يقول المولى عَزَّوَجَلَّ: «هذا بيني وبين عبدي».

فيا له من شرف ويا له من مقام وصلت إليه بفضله، وهو سبحانه قد عَلَّمَكَ كيف تصل إليه بمنه، فله الحمد والمنة بعد هذا الأدب وبعد هذا التمجيد لك الآن أن تسأل وتطلب، وكُلُّك رجاءٌ في الإجابة بعد أن وعدك: «ولعبدي ما سأل».

وآنئذٍ تُفْتَحُ مَدَارِجُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بين يديك... (لكن بشرط الوفاء بإخلاص العهد لله وحده!)



ويُؤْذَنُ لكَ بالدخول!

ثم تكون المناجاة بينك وبين الرحمن جمالاً يتدفق بالعطايا والسلام..!

فلَكَ يا عبدَ الله آنئذٍ من الله كل ما سألت من «المطالب العالية»!

لقد وصلتَ الآن إلى الغاية، فتمتع بنور الهداية! هنيئاً هنيئاً!

فإنما الهدى جائزة المكابِدين لمنازلِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾!

أما وقد وصلتَ؛ فَلَكَ الآن يا صاح أن تسأل ما تريد من المطالب العالية..!

فماذا تسأل؟ وهل في نِعَمِ الله بهذه الدنيا شيءٌ أعظم من نعمة الهدى؟

ذلك النور العظيم الذي ليس بعده إلا جحيم الظلمات وشقاء الضلال! فافتح قلبك للتلقي يا صاح! ولندخل جميعا تحت أنوار هذا البيان!

فالصراط المستقيم: إنما هو طريق أهل اليقين وكمال الإيمان، ودونه ما دونه من مفاوز المجاهدة والمكابدة!

فمن تحقق به فقد نال تاج النعم، وكمال الهدى! فأكرم به وأنعم!

ولذلك وجب السعي إليه في كل صلاة، دعاءً أبدياً يستغرق العمر كله[١]!

مغبون مسكين من لم يجد بهذه المشاعر و الصلة الروحية بينه و بين بارئه.

«وما إن يتجاوز المتدبر والقارئ لفظ الهداية.. إلا وتبدأ أولى محطات الإشارة إلى «الصراع»..

ذكر الله بعد ذلك مباشرة الإشارة إلى محل الهداية وهو «الصراط» وهذا يعني أنه صراط واحد، وليس متعدداً..

هل اكتفى بذلك؟ لا.. بل وصفه بأنه «مستقيم» أيضاً.. والخط المستقيم أقصر طريق بين نقطتين، ولذلك لا يتعدد , ومن استقام اهتدى إلى الله



فهو صراط لا يحتمل المنعطفات، فمن خرج عن هذا الصراط فقد خرج عن الإسلام.. ومن دخل في هذا الصراط لكن لم يراع استقامته فهو من منحرفي أهل القبلة..

فالصراط وصف للإسلام..

والمستقيم وصف للسير على السُّنة..

بل زاد بأن ربطه بتجربة بشرية معروفة فقال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾..

ثم تختتم هذه السورة برسم أسباب الافتراق الكبرى وآثارها، حيث يقع الصراط المستقيم بين طريقين، طريق المغضوب عليهم، وهم الذين حصلوا العلم وأهملوا العمل، وطريق الضالين، وهم الذين اجتهدوا في العمل بلا علم.. وأهل الصراط المستقيم جمعوا العلم والعمل..

فانظر كيف تصوغ هذه الفاتحة العظيمة حياة المسلم وهو يكررها كل يوم..»[٢].

---

(١) التفسير الموضوعي لبعض سور القرآن د. محمد علي يوسف.

(٢) المصدر السابق نفسه.

جدد عهدك مع أولياء الرحمن



إنَّ من علامات الهدى، ومن شروط السير على صراطه المستقيم، الإقتداءَ الجميل والتأسي الحسن بمجاهدات الْمُنْعَم عليهم، والسير على سَنَنِهِمْ، من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. والتشمير عن عزائم الصبر؛ للالتزام بمسلكهم، والدخول في صحبتهم، ونقل الخطى إلى مجالسهم؛ للغَرْفِ من علمهم، والتخلق بسمتهم، وتلقي حكمتهم، والانضمام إلى قوافلهم السائرة إلى الله، فقوافلهم لا تنقطع أبداً، ومدرستهم مفتوحة سَرْمَداً، فسجل قلبك بفصولها، وادْخُلْ مجالس القرآن(1)!

إنه الالتزام والثبات على الصراط المستقيم في الدنيا و الآخرة

هذا الطريق الصعب المحفوف بالمخاطر في الدارين

* **ففي الدنيا** حُف هذا الصراط بالمكاره والشهوات والشبهات وامتلأ بالملذات والفخاخ وتربص بك فيه الأعداء من كل جانب خارجك وداخلك.

«فإنك إن قلت: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

تذَّكرت أنَّ لهذا الصراط الذى تطلب الهداية إليه، فيه خصائص مميزة وله صفات عالية رفيعة، فهو طريق يُعرَفُ بسالكيه وليس قفراً، وأنت أول من يسلكه؛

(1) د.فريد الأنصاري ـ سورة الفاتحة – موقع الفطرية ـ http://alfetria.com

بل سلكه قبلك أناس زكاهم مولاك وتركوا لك آثاراً، عليك أن تقصها وتلتمس الصراط المستقيم بها؛ وهم الذين أنعم الله عليهم.

إنَّ الصراط الذي نسير عليه لنا فيه رفقة، ولنا فيه صحبة صالحة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

أنا لدي رفقاء في هذا الدرب، غالبيتهم أنا لم أرهم، ولم ألتقِ بهم من النبيين والصديقين والشهداء سبقوني في ذاك الطريق. الطريق مأهول، وليس طريقاً غريباً أو موحشاً، توجد فيه صعوبات وبعض العثرات من الأحجار والصخور ولكنها لم توضع في ذلك الطريق لتسده عليَّ، تلك الصخور والصعوبات وضعت لأرتقي عليها فأواصل الطريق وهذا معنى عظيم في مفهوم الصراط المستقيم.

ولك أن تسأل من هؤلاء الذين لشرفهم ميز الله الصراط بهم و طلب منك أن تقفو آثارهم؟

فهم القدوات والمتبعون من البشر الذين تسير على نهجهم.

عليك أن تتذكرهم كلما قرأت الفاتحة و دعوت مولاك بهذا الدعاء.

تذكر أنك لست وحدك تسير إلى الله بل هم من قبلك سبقوك وكانوا لك خير سلف وعليك أن تكون لهم خير خلف.

تذكر أنك لست نبتاً مجتثاً لا أصل لك، وإنما لك جذور وقواعد راسخة، عليك أن تعتز بالانتساب إليهم وتهفو روحك إلى الاقتداء بهم»[(١)]، والتشمير عن ساعد الجد في طلب الهدى، وحث الخطى للحاق بقوافل الْمُنْعَمِ عليهم، من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين؟

«ولا بد أن تستشعر في كل ركعة طائفة من الأصناف الثلاثة ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾، وتخصص كل ركعة لمن ظهر منهم في زمن واحد، أو بلد واحد، فتجول في ركعات يومك بلاد الإسلام أجمع، وتستعرض تاريخ الإسلام أجمع.

- ففي ركعة تذكر النبي ﷺ وصحبه الأطهار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مثلاً لمن أنعم الله عليهم، وتذكر أبا جهل ومسيلمة مثلاً للمغضوب عليهم والضالين.

---

(١) التفسير الموضوعي لبعض سور القرآن د. محمد علي يوسف.



- وفي ركعة أخرى تذكر هوداً وصالحاً ـ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ـ مثلاً ممن أنعم الله عليهم، وعاداً وثمود من الهالكين.
- وفي ركعة أخرى تذكر الحسن البصري وابن سيرين وابن المسيب ممن أنعم الله عليهم، وأهل الردة، والجهم ابن صفوان، والجعد بن درهم من المتخبطين.
- وفي أخرى تذكر الإمام أحمد بن حنبل ورهطه من المحدثين الموفقين، وبشراً المريسي وابن دؤاد من الظالمين.
- وفي أخرى تذكر ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي من المصلحين، وأصحاب وحدة الوجود والفناء الموهوم والشطح والابتداع من المدلسين.
- وفي أخرى تذكر شهداء الحركة الإسلامية المعاصرة، وثباتهم أمام الطغاة المتجبرين.

وبذلك تعقل صلاتك، والمرء ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، و تجدد عهدك مع أجيال المؤمنين، وتنبذ المفسدين، وتلك هي حركة الإيمان، فإن الإيمان الحق ما أخذ منك الولاء، وتركك على المفاصلة[1]».

«وهناك إشارة إلى أنَّ خلاص الإنسان حقيقة يتوقف على وجود جماعة ـ أمَّة مهتدية ينحاز الفرد إليها، ويكون واحداً من أبنائها. فالصراط المستقيم صراط أمَّة تسلكه فتحقق بذلك الحماية للسالكين الذين أنعم الله عليهم بالهداية والحياة الإيمانيَّة والفرقان، فاتخذوا الصراط السويّ لهم صراطاً. فدعاؤنا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ أي إنَّنا نسأله ـ سبحانه ـ أن يهيئ أمَّة خيّرة وسطاً تستقيم على الطريقة، وتتخذ من الصراط المستقيم صراطاً لها. هذه الأمَّة هي التي ندعوه ـ سبحانه ـ أن

(١) الرقائق – محمد أحمد الراشد.

يسلكنا في عدادها ويضمنا إليها. ويجعلنا منها وعلى صراطه».[1]

أما في الآخرة فالأمر أخطر و الصعوبة أشد فصراط الآخرة كما وصفه النبي ﷺ في ذكر مشاهد يوم القيامة:

«ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم.

قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟

قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفة، تكون بنجد يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً» [صحيح البخاري: التوحيد (٧٠٠٢) وصحيح مسلم: الإيمان (١٨٢)].

وفي رواية لمسلم قال أبو سعيد الخدري:

بلغني أن الجسر أدق من الشعر و أحد من السيف فيمره المؤمن كطرف العين و كالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب و في رواية للبخاري: [**حتى يمر آخرهم يسحب سحباً**].

لكن كيف يوفق للمرور عليه بهذه السرعة و بسلام و هو بهذه الحدة و الخطورة؟ لا شيء إلا أن ينجيه الله فيتذكر المؤمن ذلك فيدعو بحرقة أشد و بافتقار أكبر ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.

فالثبات يوم القيامة على الصراط مرهون بالثبات على الدين في هذه الدنيا، فعلى قدر ثبوت العبد على هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم. وعلى قدر سيره على تعاليم هذا الدين العظيم يكون سيره على ذاك الصراط.

لذلك نستطيع أن نقول أن هذا هو أهم دعاء ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ يحتاج المسلم أن يدعو به ربه لينجو في الدنيا والآخرة. كيف لا وهو من دون ذلك ضال لا محالة لقول الله في الحديث القدسي: «كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم».

(١) تأملات في الفاتحة – د. طه جابر العلواني.

محور سورة الفاتحة

إذا كانت الفاتحة هي فاتحة المطالب العالية، التي جمعت فيها مقاصد القرآن ومعانيه.
والقرآن يدور حديثه حول العقائد والعبادات ومناهج الحياة. يمكن تقسيم السورة إلى محاور رئيسة واضحة المعالم

المحور الأول: التعريف بالله سبحانه (العقائد)..

المحور الثاني: توجيه العبادة له وحده..وعدم الالتفات إلى سواه (العبادات).

المحور الثالث: توضيح أن العبادة أشمل من أن تكون مجرد شعائر،ولكنها بناء حياة شاملة كاملة.

فالهدف الذي خلق الإنسان من أجله هو عبادة الله، وعبادة الله تشمل الدين كله وتشمل الحياة كلها، فالإنسان المسلم عليه أن يكون عبداً لله طوال حياته. لأنَّ المفهوم الحق للعبادة ينسجم مع النظرة الواعية في فهم الإسلام فهماً صحيحاً قائماً على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومبنياً على فهم السلف الصالح لهذا الدين بعمومه وشموله وأنه يغطي جميع جوانب الحياة وليس قاصراً على جانب واحد منها مع إهمال الجوانب الأخرى.

إن من يظن أن مجرد الصلاة والصيام والحج وبعض الذكار هي الدين كله وهي العبادة كلها لا شك أن مخطىء خطأً شنيعاً في تصوره لحقيقة الدين وفهمه لحقيقة العبادة.

لا شك أن الصلاة والصيام والحج من أعظم الشعائر ومن أركان الإسلام ولكنها تبقى جزءاً من هذا البناء العظيم ومن هذا النظام الشامل لجميع نواحي الحياة.

العقائد ﴿الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

والعبادات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

ومناهج الحياة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

القواعد التربوية في سورة الفاتحة

من أخطر ما ابتليت به الأمة المسلمة ذلك الفصل بين العقيدة والعبادة، وكذلك الفصل بين العبادة وآثارها التربوية والاجتماعية، حيث تحولت العبادة إلى مجرد تجارة يكون هم العابد فيها الحصول على الحسنات، دون تطبيق للمضامين التربوية والاجتماعية لهذه العبادة في واقع الحياة. وسنحاول في هذا الجدول البسيط الوقوف على الآثار التربوية لسورة الفاتحة.

الإعجاز التربوي في:	الشرح والتعليق
أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ الاستعاذة بهذه الصيغة ليست آية من كتاب الله، لكن رسول الله ﷺ كان يقرؤها؛ استجابةً لأمر الله تعالى في القرآن: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل]. فهي أمر رباني وسنة نبوية.	نوع عظيم من التربية القرآنية؛ لكي نتغلب على هذا العدو الذي لا نراه، وأنه لا بَدْءَ في طريق الله، ولا فَتْحَ للعبد الطَّارِقِ أبوابَ مَعَارِجِ القرآن؛ إلا بإعلان الولاء لله الحق، والانتظام في صف العابدين له وحده دون سواه! وإعلان معاداة الشيطان، والتبرؤ منه ومن حزبه وأتباعه!. إن الاستعاذة ليست مجرد عبارات تُلْقَى في الهواء فحسب، ولكنها اتخاذ موقف! فتَدَبَّرْ!..[1]
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	الابتداء ببسم الله هو الأدب التربوي الذي أدّب الله به هذه الأمة، وأنَّ العبد لا ينبغي له أن يتصرف في شيء من الأعمال إلا باستئذان سيده، سواء كان ذلك من العبادات أو من العادات؛ تعبيراً عن مطلق التوكل والخضوع الواقعين بالقلب. إنَّ هذا الأدب التربوي رادع عن المعصية في القول والعمل، إذ أنّ المسلم ليحس بالخجل من أن يبدأ فعله للمعصية باسم الله.

(١) د. فريد الأنصاري –سورة الفاتحة ـ موقع الفطرية ـ http://alfetria.com

الإعجاز التربوي في:	الشرح والتعليق
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	تربية المسلم على أن يشكر الله في كل لحظة و في كل حركة وفي كل كلمة وأمام كل نعمة من نعم الله عليه و بما سخر الله له من هذا الكون الفسيح. ثم هو تربية للمسلم على الاعتراف لله بالربوبية على العالمين، وكلمة الخضوع لألوهيته في كل شيء.
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	يعلمنا الله تعالى ويربينا على الرحمة وهي واحدة من أجل الخصال التي يتميز بها أهل القرآن عمن سواهم من الناس، وهي من الخصال التي يريد أن يرسخها القرآن في أهله المؤمنين به ترسيخاً عميقاً.
مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ	إنّ الإيمان باليوم الآخر وما فيه من العدالة الإلهية المطلقة، يبعث في نفس الإنسان الثقة والطمأنينة بأنّ عمله لن يذهب سدى، وبأنّ جهده لن يكون هباء، وبأنه ما لم يكافأ على عمله في الدنيا فإنّ المكافأة قائمة يوم القيامة، وهذا ما يدفع الإنسان إلى العمل الصالح والعمل بطاعة الله واجتناب ما نهى الله عنه، بكل جهده من غير إهمال ولا تقصير.
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ	تعني التحرر المطلق من كل عبودية لغير الله، وعلى هذا لا يكون الإنسان حراً ما لم يكن عبداً لله وحده، حيث يتحرر من عبودية الأوهام والخرافات، ويتحرر من عبودية النظم والأوضاع، وفي ظل العبودية لله وحده يولد الإنسان من جديد. إنها المنهاج العملي الجامع لكل الدين، فلا شيء يبقى خارج فَلَكِهَا من الدين!

الإعجاز التربوي في:	الشرح والتعليق
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	وُضِعَ هذا الدعاء لِيُتْلَى في كل صلاة؛ تجديداً للإيمان، وإلحاحاً على الله تعالى بالحاجة والافتقار. فالمسلم يسال الله أن يوفقه إلى الطريق المستقيم، طريق الذي أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو غير طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، وغير طريق الضالين ـ الذين لم يعرفوا الحق فهم هائمون في الضلالة.

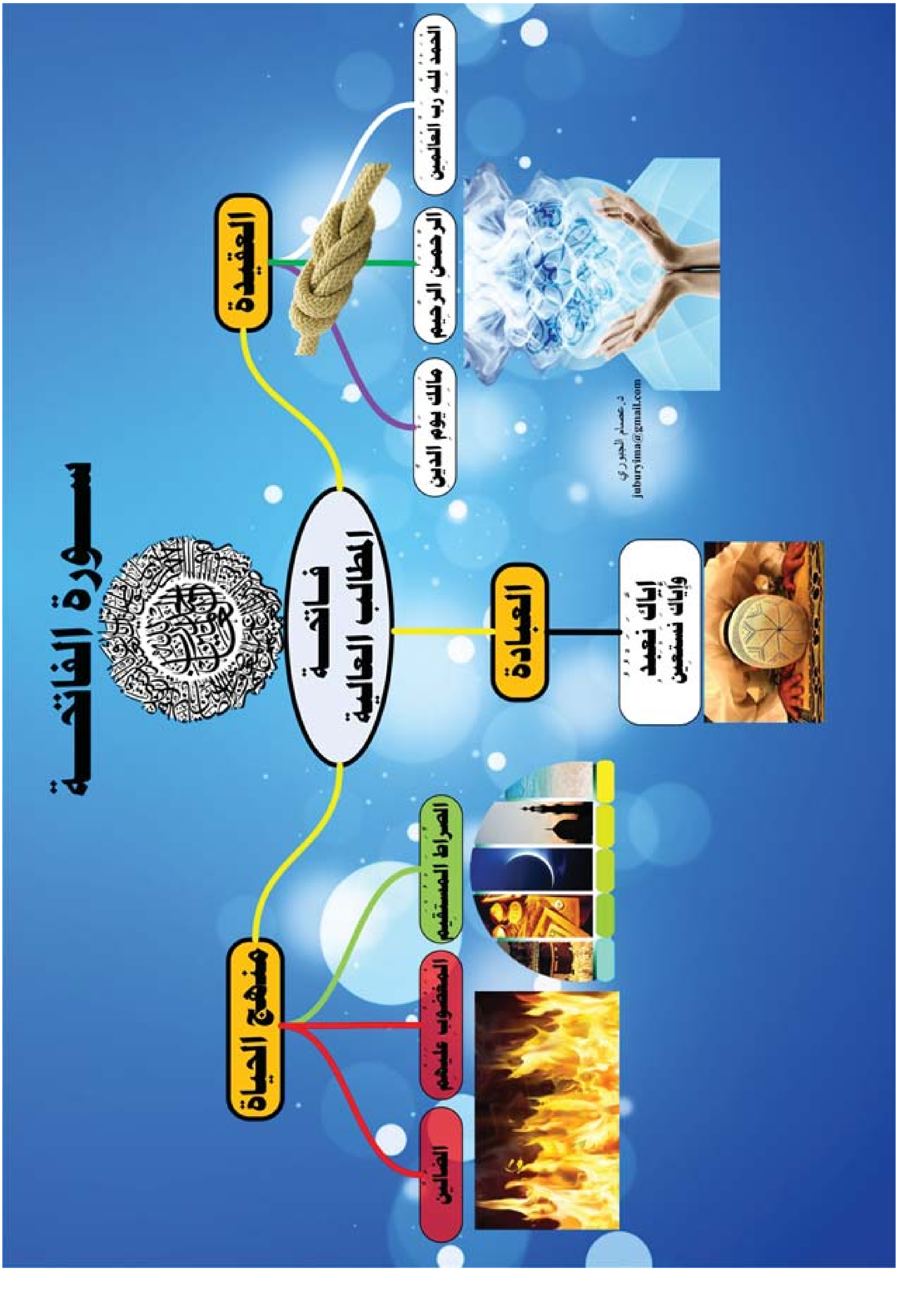
رجاء وطلب

أنت مطالب منذ اليوم: أن تعيش مع سورة الفاتحة بكلية قلبك، تتذكر ما قلناه وما رسمناه من خريطة ذهنية، وتعيد النظر في آياتها مرات ومرات وفي خريطتها الذهنية كذلك، أو حاول أنت أن ترسم خريطة ذهنية خاصة بك لتجد بعد ذلك متعة رائعة في تعاملك مع القرآن الكريم وتدبره والعيش معه.. فلا تملك إلا أن تقول:

مساكين والله من يقرؤون القرآن بدون تدبر وفهم..

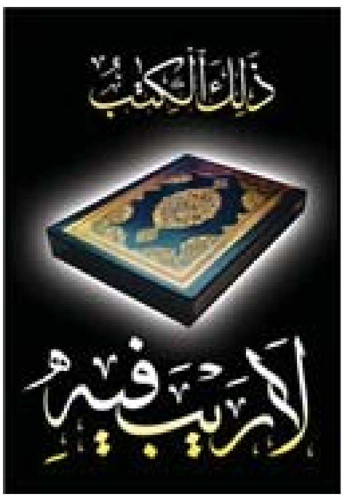
إنهم محرومون من أروع متعة على ظهر هذه الأرض..نعمة التدبر والفهم للقرآن الكريم..

المهم أن تقبل على كتاب الله.... فلعل الله تعالى يفتح علينا أبواباً من عنده..


سورة الفاتحة
فاتحة الطالب العالية
العقيدة
الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين
العبادة
إياك نعبد وإياك نستعين
منهج الحياة
الصراط المستقيم
المغضوب عليهم
الضالين
د. عصام الجبوري
jaburyima@gmail.com

سورة البقرة

محور السورة:
منهج الاستخلاف للأمة الرائدة



سنحاول أن نقف على المحور الرئيس الذي تدور حوله آيات سورة البقرة، وذلك بالبحث عن الأفكار الرئيسة في هذه السورة المباركة وإبرازها وتوضيحها وبيان العلاقات بينها، وأترك القضايا الجزئية والتفصيلات الفرعية لفعالية القارئ والمتدبر في ضمها وإدراجها تحت أفكارها الرئيسة، ولست أزعم أنّ ما أقوله هنا هو وحدة موضوعية وحيدة. بل هي محاولة مني لترتيب الأفكار لكي نستنتج منها محور السورة، ليتسنى لنا بعد ذلك رسم خريطة مفاهيمية ترافق قارئ السورة مع كل فكرة رئيسة وفرعية، ثم أختمها برسم خريطة ذهنية للسورة كاملة.

سورة البقرة نزلت في أول العهد المدني بعد هجرة النبي ﷺ للمدينة، أي في مطلع تأسيس أول دولة في تاريخ المسلمين وسط مجموعة كبيرة من المتغيرات و الاختلافات بين عناصر هذا المجتمع الوليد. وهي أطول السور القرآنية جميعاً في كتاب الله العزيز، إذ تستغرق أكثر من جزأين من أجزاء القرآن، وفيها حشد من الموضوعات المتنوعة أكثر مما حوته أية سورة أخرى من سور القرآن. و هذا يسبب للبعض عدم وضوح في رؤية محور السورة و يكون التأثر بها جزئياً عند الكثيرين دون فهم محورها والأفكار الرئيسة والوحدة الموضوعية لهذه السورة العظيمة.

ولأول وهلة وأثناء القراءة السطحية لسورة البقرة، قد لا يبدو هنالك ارتباط مباشر أو تسلسل معين بين الجزئيات التي يحويها هذا القسم من السورة أو ذاك، كما هو موجود في السور الأخرى الأكثر تخصصاً، وكأنه انتقال من موضوع إلى موضوع آخر، ولكنك إذا تدبرت هذه السورة وأمعنت النظر، وعرفت محور السورة وأفكارها الرئيسة، عرفت أن آيات السورة متصلة اتصالاً عجيباً. فبالرغم من طولها، وكثرة الحشد المتنوع من الموضوعات التي فيها، فإنها ذات «تنسيق» دقيق في بنائها، يربط هذا الحشد المتنوع كله في رباط محكم، بحيث يصبح له ـ على تنوعه ـ أهداف رئيسة واضحة محددة، ومحور رئيس واحد مميز! يوصلك بقوة لإدراك عظمة السورة، مما يزيدك حباً لكتاب الله وإيماناً بأنه تنزيل من حكيم خبير ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].



إنها بمثابة معالم الطريق أو الدستور الذي تسير فيه الأمة الجديدة لتقوم برسالتها الضخمة في إقامة الخلافة الراشدة لإعمار الأرض. وليس من المفروض في أي دستور عام ينظم حياة الناس أن يوجد فيه تسلسل معين. فمطالب الحياة البشرية متعددة ومتداخلة. ونحن نقول مثلاً في تفكيرنا المبوب المقسم: هذه سياسة. وهذا اقتصاد. وهذا اجتماع.. الخ. ولكن هل يوجد حقيقة تخصص كامل في أي موضوع يقطع صلته تماماً بغيره من الموضوعات أم إنها في حقيقة الأمر متداخلة ومترابطة بأكثر من رباط؟[(١)]

يقول سيد قطب (رَحِمَهُ ٱللَّهُ):

«هذه السورة تضم عدة موضوعات. ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً. **فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللجماعة المسلمة**

(١) محمد قطب ـ دراسات قرآنية ـ دار الشروق ـ الطبعة الخامسة ١٩٨٨.

الناشئة على أساسها... وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى..

وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم. وكل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسيين»[1].

إذن ما الرابط الذي يربط هذه الموضوعات جميعاً؟

إنه يربطها رباطان:

أين أصحاب سورة البقرة

إنَّ النبيّ ﷺ كان ينادي حين تشتدّ المعركة على المسلمين ويقول: «يا أصحاب سورة البقرة؟» وكأنَّ أصحاب البقرة أناس مخصوصون وحين يسمعون النداء يهبّون مباشرة لتلبية النداء...

ففي غزوة حنين، والجيش الإسلامي في طريقه لملاقاة المشركين، وصل المسلمون إلى وادي حنين، فانحدروا فيه في غبش الصبح، فما راعهم إلا الكتائب خرجت إليهم من مضايق الوادي وشعبه وقد حملوا حملة واحدة على المسلمين فانكشفت الخيول وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد منهم على الآخر، وانحاز رسول ﷺ ذات اليمين، ثم نادى في الناس: إليَّ عباد الله، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، فقال ﷺ للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا عباس نادِ: يا أصحاب السَّمُرَة.. يا أصحاب سورة البقرة».

وكنت رجلاً صيتاً، فقلت: يا أصحاب السَّمُرَة يا أصحاب السَّمُرَة (أي الشجرة، والمقصود: أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة)..

يا أصحاب سورة البقرة فرجعوا عطفة كعطفة البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك، يا لبيك... وأقبلوا يقتتلون مع الكفار، وكان النداء:

يا للأنصار، وأشرف رسول الله ﷺ ينظر الى قتالهم قائلاً: «الآن حمى الوطيس»، ثم أخذ حصيات من الأرض فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب محمد.

[المصباح في عيون الصحاح ـ تفسير سورة البقرة. وقفات تربوية/ محمد سعيد ياقوت ـ مؤسسة نبي الرحمة].

(١) سيد قطب/ الظلال ج١/ تفسير سورة البقرة.

الأول: كما قلنا أنها جميعاً معالم في طريق الأمة تهتدي بها في سيرها نحو غايتها، وضرورات حيوية لها لكي تتبين الطريق.

والثاني: أنها كلها منبثقة من العقيدة.. فالعقيدة هي الشريان الذي يغذيها جميعاً ويمنحها دلالتها..

ولا نستطيع هنا في تلك اللمحة السريعة أن نستعرض كل موضوعات السورة، وإن كنا سنقف وقفات سريعة عند بعضها. ولكنا نقول كلمة موجزة عن هذا «التنسيق» الدقيق الذي يقوم عليه بناء السورة، وهي أن السورة تتضمن ثلاث أفكار أو موضوعات رئيسة، موضحة بالشكل:



يلاحظ: أن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة تحته مواضيع وأفكار كثيرة، ولو تحدثنا عنها تفصيلاً لطال بنا الكلام وربما ابتعدنا عن الهدف الذي من أجله وضع هذا الكتاب ولذلك: سيكون حديثنا عن هذه الأقسام وما فيها إجمالاً فقط، اعتماداً على فطنة المتدبر للسورة، وتوفيق الله لنا وله في فهم ذلك، ويمكن الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة.

ولفهم المضمون المجمل لسورة البقرة سوف نعرض بإيجاز وعلى شكل جدول تحليلاً لأفكار السورة الرئيسة والفرعية وحسب ترتيب الآيات:

الجزء الأول من سورة البقرة

		المواضيع التي تتحدث عنها الآيات	
الجزء الأول	أصناف الناس الموجودة على هذه الأرض والتي سيكلف أحدها بالاستخلاف.	الآيات (١ – ٥)	المؤمنون: صفاتهم وجزاؤهم.
		الآيات (٦ – ٧)	الكافرون: صفاتهم وجزاؤهم.
		الآيات (٨ ـ ٢٠)	المنافقون صفاتهم وضرب مثلان مصوران لخسارتهم
		الآيات (٢١ ـ ٢٢)	دعوة الناس للانحياز إلى المتقين
		الآيات (٢٣ ـ ٢٤)	تحدي الكفار بمعارضة القرآن
		الآيات (٢٥ ـ ٢٧)	مشهد لنعيم المؤمنين واختلاف أثر الأمثال القرآنية على المؤمنين والكافرين
		الآيات (٢٨ ـ ٢٩)	استنكار كفر الكفار بالله
	أول تجربة استخلاف على الأرض: آدم عليه السلام	الآيات (٣٠ ـ ٣٩)	قصة آدم واستخلافه في الأرض على عهد من الله وشرط
	التكليف والمسؤولية: قصة بني إسرائيل ونكثهم عهد الله وحرمانهم من الخلافة	الآيات (٤٠ ـ ٤٨)	تذكير وعتاب
		الآيات (٤٩ ـ ٧٤)	أحوال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام
		الآيات (٧٤ ـ ١٢٣)	موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم وكشف دسائسهم للإسلام والمسلمين والرد على شبهاتهم ثم تحذير وتذكير ختامي لهم.
	تجربة سيدنا إبراهيم عليه السلام الناجحة في الاستخلاف	الآيات (١٢٤ ـ ١٤١)	إمامة إبراهيم عليه السلام وشرط الإمامة في ذريته الإسلام في وصية إبراهيم ويعقوب دعوة إبراهيم وتبرؤها من ادعاءات السابقين.

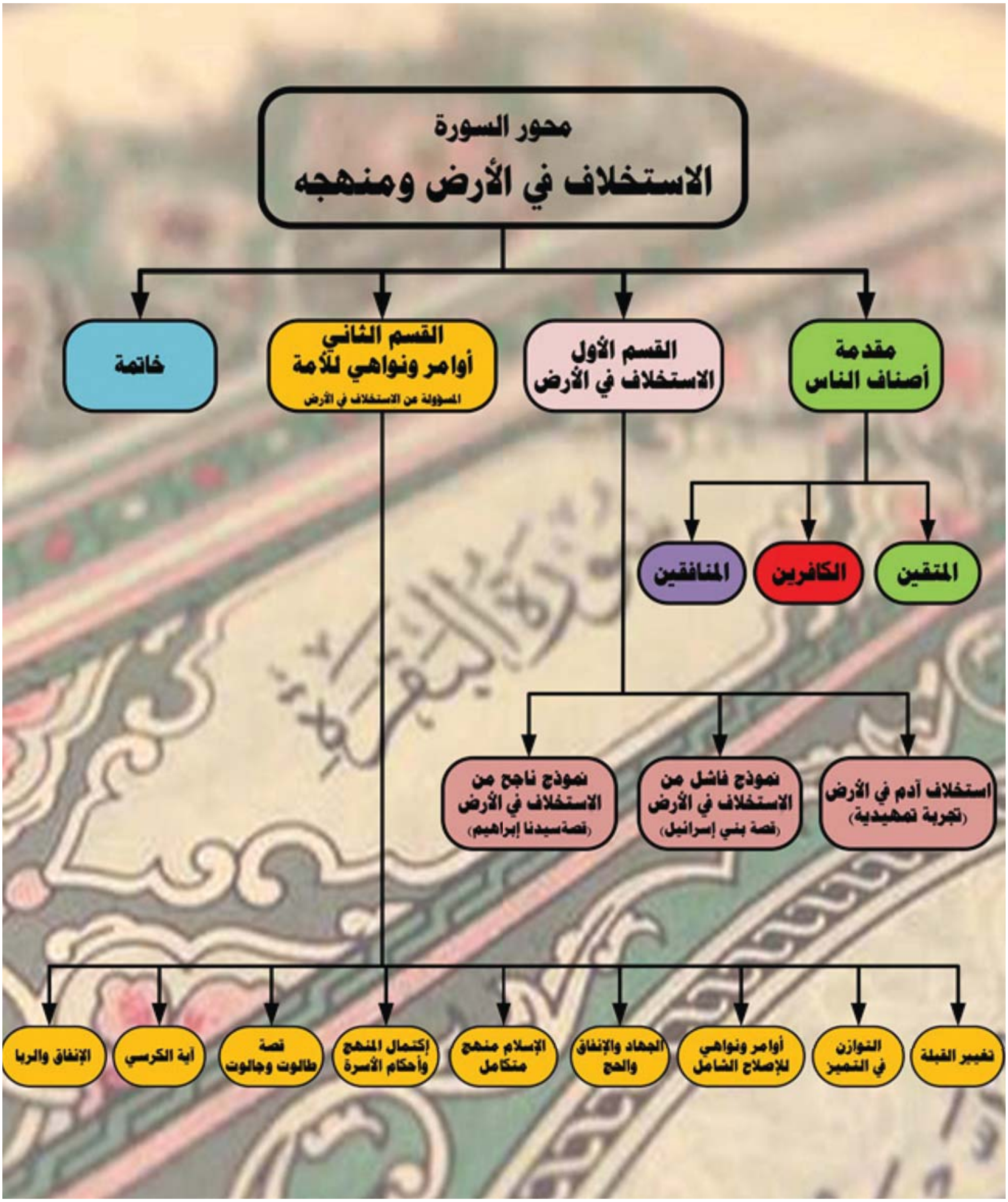
الجزء الثاني من سورة البقرة

		المواضيع التي تتحدث عنها الآيات	
الجزء الثاني	انتقال القبلة والإمامة في الدين لأمة سيد المرسلين	الآيات (١٤٢_١٤٣)	تحويل القبلة إيذان بتحويل الخلافة
		الآيات (١٥٣_١٥٧)	خطاب المؤمنين وإعدادهم لحمل الأمانة الكبرى بالجهاد والصبر
	مؤهلات الأمة الراشدة المرشحة للاستخلاف وإعمار الأرض	الآيات (١٦٣_١٧٧)	العقيدة وربط المسلمين بالتوحيد
		(١٦٥-١٦٨)الآيات	إخلاص العبادة لله رب العالمين
		الآيات (١٧٧_٢٠٣)	آية البر والحديث عن معالم الإصلاح الشامل: ١- التشريع الجنائي (الآية ١٧٩) ٢-التَرِكات والوصية (الآية ١٨٠) ٣-التشريع التَعَبُّدي (الآية ١٨٣) ٤- الجهاد (للمحافظة على المنهج وحمايته) (الآية ١٩٠ _ ١٩٤) ٥- الإنفاق (الآية ١٩٥) ٦- الحج (الآية ١٩٦ _ ٢٠٠)
		الآيات (٢٠١ _ ٢٢٠)	نماذج بشرية ومواعظ إلهية، والجهاد في سبيل الله
		الآيات (٢٢١_٢٤٢)	بناء و تكوين الأُسرة (تفاصيل أحكام الأسرة، الحقوقِ الزوجيةِ، وعن الطلاقِ والخُلعِ، والرضاع والنفقاتِ الواجبةِ، إلي غيرِ ذلك مما يتعلقُ بالأحوالِ الشخصيةِ)
	مرحلة إعادة بناء الأمة (التدافع سنة كونية وضرورة شرعية)	الآيات (٢٤٣ _ ٢٥٤)	١- قوم خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت (تخاذل عن حماية المنهج) ٢- قصة طالوت وجالوت (حماية المنهج ونصرة الدين)

الجزء الثالث والأخير من سورة البقرة

		المواضيع التي تتحدث عنها الآيات		
الجزء الثالث	خاتمة السورة		(٢٥٥ ـ ٢٥٧)	آية الكرسي وصفات الله سبحانه وتعالى
			الآيات (٢٥٨ ـ ٢٦٠)	(ثلاث قصص لإبراهيم مع النمرود، وعُزَير، وإحياء الموتى أمام إبراهيم)
			الآيات (٢٦١ ـ ٢٧٤)	الإنفاق وآدابه والمستحقون له
			الآيات (٢٧٥ ـ ٢٨٣)	المنهج الاقتصادي (الربا وحفظ الأموال عن الحرام ومن الإضاعة)
		«سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» الإسلام المطلق والإذعان الكامل لشرع الله و القبول به	الآيات(٢٨٤-٢٨٦)	ربط كل شيء بقضايا الإيمان والسمع والطاعة والتوبة من التقصير

ويمكن تحويل الجداول أعلاه إلى مخطط يوضح محور السورة والأفكار الرئيسة وما يتفرع عنها من أفكار ثانوية. ثم بعد ذلك سوف أستعرض كل فكرة فرعية وارتباطها بالفكرة الرئيسة، ومن ثم ارتباطها بمحور السورة. ومن أجل سهولة تتبع انسيابية هذه الأفكار أيضاً فقد قمت بعملية التركيز على جزء معين بذاته وجعله مضيئاً (محور السورة، الفكرة الرئيسة، الفكرة الفرعية) وجعل بقية الأفكار بألوان باهتة لتعين القارئ على التركيز التدبر والفهم. ثم في النهاية رسمت خريطة ذهنية تعين على استيعاب محور السورة وفهم أفكارها بأكملها.


محور السورة
الاستخلاف في الأرض ومنهجه
مقدمة
أصناف الناس
القسم الأول
الاستخلاف في الأرض
القسم الثاني
أوامر ونواهي للأمة
المسؤولة عن الاستخلاف في الأرض
خاتمة
المتقين
الكافرين
المنافقين
استخلاف آدم في الأرض
(تجربة تمهيدية)
نموذج فاشل من
الاستخلاف في الأرض
(قصة بني إسرائيل)
نموذج ناجح من
الاستخلاف في الأرض
(قصة سيدنا إبراهيم)
تغيير القبلة
التوازن
في التميز
أوامر ونواهي
للإصلاح الشامل
الجهاد والإنفاق
والحج
الإسلام منهج
متكامل
إكتمال المنهج
وأحكام الأسرة
قصة
طالوت وجالوت
آية الكرسي
الإنفاق والربا

الفكرة الرئيسة الأولى: أصناف الناس الموجودون على الأرض والمرشحون للاستخلاف

يتحدث الربع الأول من سورة البقرة عن المنهج الذي هو القرآن الكريم وهدايته للناس. ويذكر أصناف الناس الموجودون على الأرض (المتقين والمنافقين والكافرين والذين هم مرشحون للاستخلاف). وهذا التقسيم الثلاثي إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين يجيء في مقدمة سورة البقرة ليصف حال المجتمع الذي يحيط بالدولة الناشئة، وبيان موقفهم تجاه هذا الدين الجديد (الإسلام) فمنهم المؤمن المسالم، والكافر المجاهر، والمنافق المخادع.

«ولتأسيس دولة المدينة المنورة كان لا بد من استعراض الناس بها وتصنيفهم وبيان صفاتهم، ثم إظهار الغاية من خلقهم، والغاية من خلق الكون حولهم، فإذا تعلم الإنسان لماذا خلق؟ وعلم مغزى استخلاف الله له، والمقدرات التي خلقها الله من أجله، فعليه أن يعلم عدوه وقدرته على إنزال الضر به، وعليه كذلك أن يتعلم كيف يعالج هذا الضر إذا نزل به، ولذلك بصَّر الله آدمَ الهدى ليهتدي إليه هو وذريته، وليستكملوا رسالة الاستخلاف وحمل أمانة الدين من بعده»[(١)].

لقد بدأت السورة بوصف سمات المؤمنين في خمس آيات، ثم بعد هذا الاستفتاح الذي حدد فيه سمات المؤمنين وأوصافهم، أخذ النص يتحدث عن غير المؤمنين وسماتهم وأوصافهم، وتعرّف المؤمنين بعدوّيهم المحيطين بهم في ذلك الوقت: الكفار والمنافقين.

ففي آيتين اثنتين انتهى من وصف الكفار، الذين وقفوا موقف الكفر الواضح في قولهم وفي سلوكهم وفي تدابيرهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾.

أما المنافقون فيستغرق وصفهم ثماني آيات كاملة، ثم يستمر الحديث في تمثيل حالهم خمس آيات أخرى، فكأنما تحدث عنهم السياق ثلاث عشرة آية متوالية! وهذا الإطناب في ذكر صفات المنافقين للتنبيه إلى عظيم خطرهم وكبير ضررهم لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر وهم أشد من الكافرين. وكما يحيط هؤلاء وهؤلاء بالمسلمين في عالم الواقع، فإنهم يحيطون بهم كذلك في سياق السورة!

---

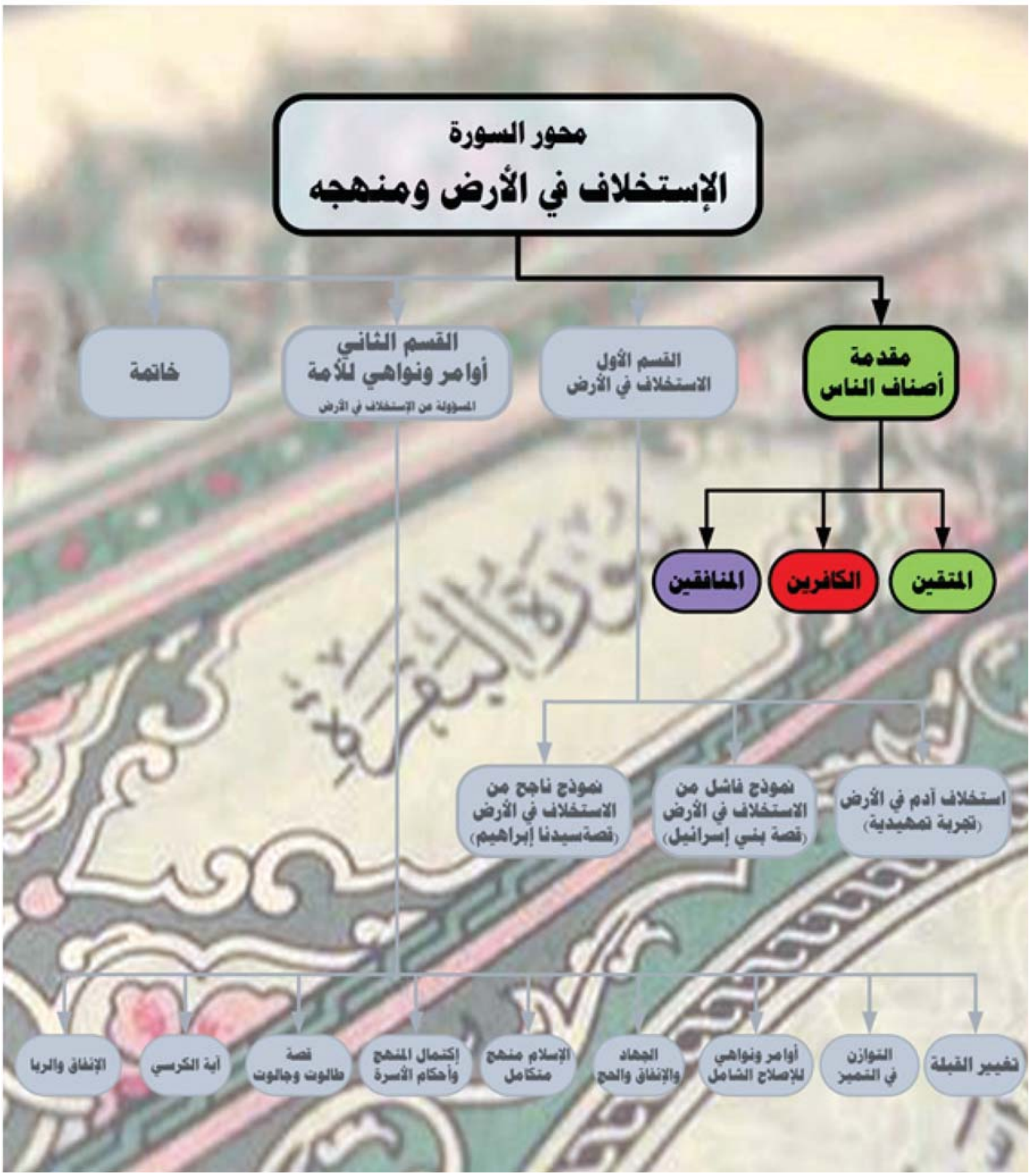
(١) د.أحمد مصطفى نصير – الإعجاز الدستوري في سورة البقرة.



إنَّ المنافقين دائماً ـ وفي كل مجتمع ـ أخطر من الأعداء الصرحاء. فهؤلاء يكشفون لك موقفهم فتعرفهم، وتتعامل معهم على أساس موقفهم المكشوف، سواء قاتلتهم أو هادنتهم.. أما المنافقون، الذين يظهرون لك الولاء وهم يكيدون لك في الخفاء فهؤلاء أخطر وأصعب في التعامل معهم. فإن عاملتهم على أنهم أعداء راحوا يتباكون ويقولون عنك إنك تضطهد المخلصين الموالين! وإن أمنت لهم جروك إلى المكيدة! وذلك فضلاً عن صعوبة كشفهم وتحديد أشخاصهم بسبب سلوكهم الملتوي، الذي يظهر الصداقة ويبطن العداء. ولذلك فالسياق يضع العلامات البارزة عليهم حتى يتجنبهم السائر في الطريق إلى الله.

وانتهى عند الآية ٢٥ وهي تتحدث عن جزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وسبقت بآية تتحدث عن جزاء الكافرين:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن
ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.



تجربة تمهيدية	• استخلاف آدم (عليه السلام) في الأرض
بني إسرائيل	• نموذج فاشل من الاستخلاف في الأرض
سيدنا إبراهيم	• نموذج ناجح للاستخلاف في الأرض

الفكرة الرئيسة الثانية: الاستخلاف في الأرض وتضمنت نماذج لثلاث قصص وهي:

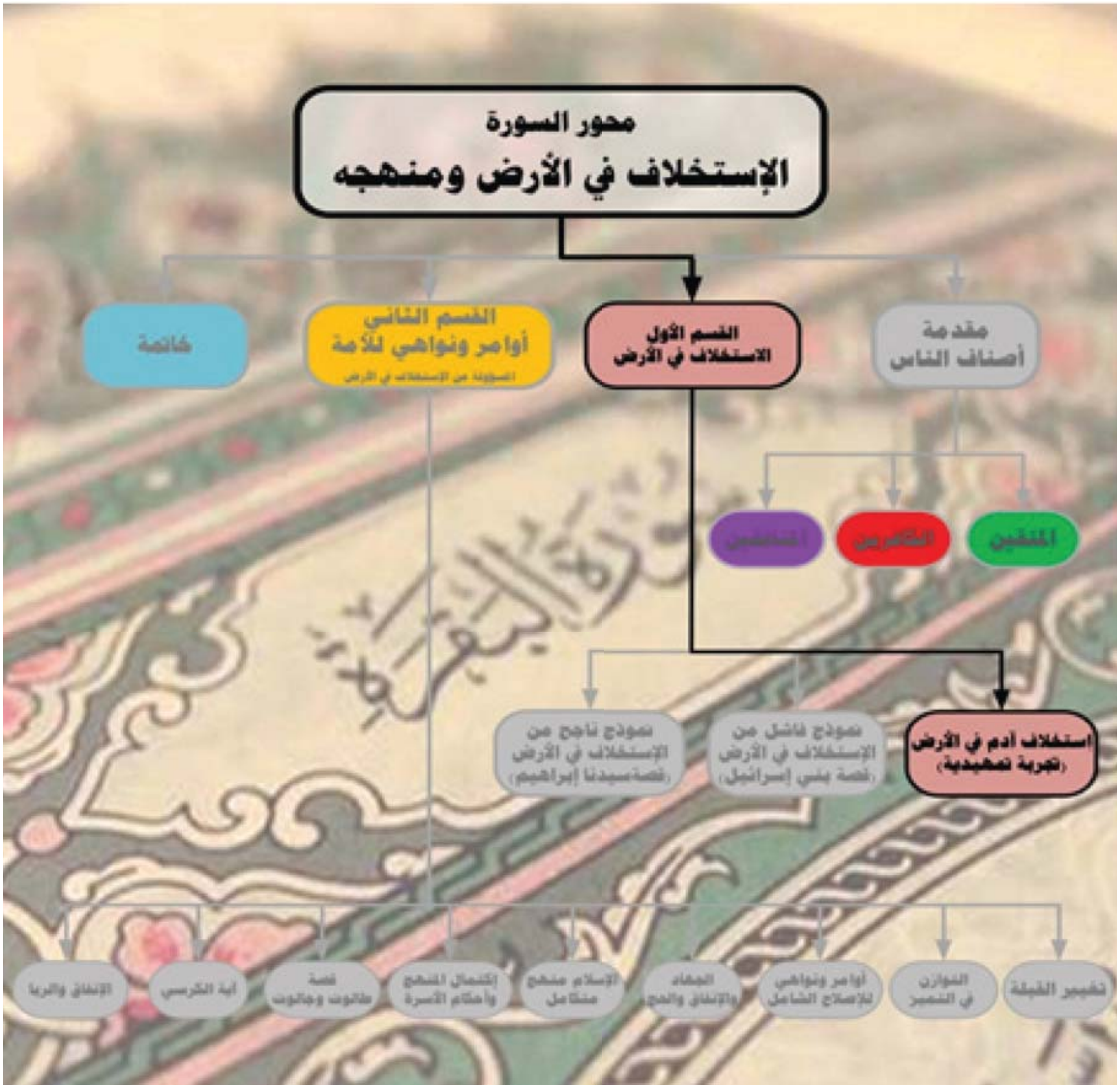
وإذا نظرنا للقصص الثلاث لوجدنا أنها تشاركت في وقوع الاختبار والتكليف عليها ثم تباينت ردود الأفعال تجاه هذا التكليف. وكما مبين في الجدول:

	القصة	الآيات	نوع الاختبار أو التكليف
١	قصة آدم عليه السلام	﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ... ﴿٣٠﴾﴾	اختبار آدم في مسألة عدم الأكل من الشجرة
٢	قصة بني إسرائيل	﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾	الاختبار في تنفيذ أوامر الله المختلفة وشكر النعم
٣	قصة إبراهيم عليه السلام	﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾	ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام

إنَّ هذه القصص تضع أمام المجتمع المسلم خيار من ثلاثة. وتختم بأصعب هذه الاختبارات ليسأل كل واحد منا نفسه بعدها: هل سأتجاوز الاختبار و أختار الاختيار الصحيح أم الخيارات الأخرى.

١. تجربة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ (تجربة تمهيدية للاستخلاف)

تبدأ السورة بسرد قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتجد أمامك آية محورية في بداية القسم الأول الذي يلي المقدمة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (الآية ٣٠) ويمكن اعتبارها تجربة تمهيدية تعليمية، حيث كانت المواجهة بين إبليس وسيدنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عند إعلان بداية مسؤولية سيدنا آدم وذريته عن الاستخلاف في الأرض. وهي لا تأتي في السور المدنية إلا في هذا الموضع من سورة البقرة. ويمكن اعتبارها تلخيصاً وافياً عن كل ما جاء حول هذه القصة في العهد المكي مع إغفال بعض التفصيلات. فإذا تذكرنا أن هذه هي السورة الأولى في المدينة، وأنها حددت سمات المجتمع المسلم وأعطته مقوماته الضرورية، أمكن لنا أن ندرك قيمة هذا التلخيص في مفتتح العهد المدني. إنه تذكرة بالدرس أو الدروس المستفادة من القصة، قبل أن يبدأ التطبيق العملي لهذه الدروس! لقد كانت القصة تورد في أماكن متفرقة من القرآن في العهد المكي بوصفها درساً في العقيدة! **والآن تلخص القصة وتقدم للتنبيه على أننا هؤلاء قد بدأنا مرحلة التنفيذ.. فخذوا حذركم! احفظوا الدرس جيداً.. وإياكم أن تفشلوا عند الامتحان!**



٢. قصة بني إسرائيل ومبررات عزلهم عن الخلافة

ثم يستغرق الحديث في الآيات عن بني إسرائيل. ومن أهم دواعي ذلك سببان رئيسيان:

السبب الأول

أن بني إسرائيل هم الأمة التي قامت حياتها على كتاب منزل من عند الله، ثم ظلوا يبتعدون عن كتابهم تدريجياً، حتى خرجوا منه خروجاً كاملاً في النهاية. والمسلمون في بدء إقامة دولتهم ومجتمعهم على أساس من الكتاب المنزل، يُوَجّهون ألا يفعلون ما فعله بنو إسرائيل من قبل، بل يتمسكون بكتابهم ويحافظون عليه لكيلا يحل عليهم غضب الله الذي حل ببني إسرائيل.

السبب الثاني

الكيد المستمر من اليهود للدولة الإسلامية الناشئة، ومحاولة تقويضها قبل أن تتمكن في الأرض، بدافع حسدهم لهذه الأمة المهتدية والتواء طبيعتهم عن الاهتداء: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾.. فكان القرآن يعرِّف المسلمين بتاريخ بني إسرائيل الماضي كله ليعرفوا عدوهم على حقيقته، ليتوقعوا منه الشر الدائم فيحذروه، ولكيلا يقوم بينهم وبينه أي لون من ألوان الولاء، إذ كان المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي يتخذون من اليهود أنصاراً وأولياء يلقون إليهم بالمودة...

أ ـ تذكير وعتاب من الآيات (٤٠ – ٤٨):

وفيها تذكير لبني إسرائيل بنسبهم الشريف وبنعمة الله عليهم ثم بينت لهم العهد الذي أخذه الله عليهم ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ وعاتبهم على أمرهم الناس بالبر ونسيانهم أنفسهم ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ثم ذكرتهم ثانية بالنعم ثم حذرتهم من يوم القيامة ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ وكل ذلك تذكير لهم وعتاب.

ب ـ أحوال بني إسرائيل مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ..الآيات (٤٩ – ٧٤):

وفيه تفاصيل نعم الله عليهم وقت أن كانوا في مصر وبعد أن خرجوا منها، وجاءت النعم مفصلة على قسمين:

- **حسية بنجاتهم من فرعون،ومعنوية بقبول التوبة..**

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

- **قصة البقرة: ٦٧ - ٧٤**

«وفي نهاية هذا الدرس تجيء قصة (البقرة).. تجيء مفصلة وفي صورة حكاية، لا مجرد إشارة كالذي سبق، ذلك أنها لم ترد من قبل في السور المكية، كما أنها لم ترد في موضع آخر، وهي ترسم سمة اللجاجة والتعنت والتلكؤ في الاستجابة، وتمحل المعاذير، التي تتسم بها

بنو إسرائيل. ثم عاد إلى ذكر النعم الحسية من الطعام والشراب وعقب بذكر مخالفاتهم من الاعتداء في السبت وقصة البقرة وما حدث فيها من مخالفات، ثم اختتم المقطع بذكر عاقبة أعمالهم وهي قسوة قلوبهم..»[1].

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.



في قصة البقرة نماذج من الذين أخطؤوا وهي امتحان من الله تعالى لمدى إيماننا بالغيب.

«إن السمات الرئيسية لطبيعة بني إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة هذه: انقطاع الصلة بين قلوبهم، وذلك النبع الشفيف الرقراق: نبع الإيمان بالغيب، والثقة بالله، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل. ثم التلكؤ في الاستجابة للتكاليف، وتلمس الحجج والمعاذير، والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان!

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

لقد قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةً ..﴾ وكان هذا القول بهذه الصيغة يكفي للاستجابة والتنفيذ. فنبيهم هو زعيمهم الذي أنقذهم من العذاب المهين، برحمة من الله ورعاية وتعليم، وهو ينبئهم أن هذا ليس أمره وليس رأيه، إنما هو أمر الله، الذي يسير بهم على هداه.. فماذا كان الجواب؟ لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب، واتهاما لنبيهم الكريم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم!»(١).

إنَّ هذه الآيات من سورة البقرة تقول لأمة محمد ﷺ: إنكم مسؤولون عن إعمار الأرض وهذه أخطاء الامم السابقة فلا تقعوا فيها فينزل عليكم غضب الله تعالى. وتسمية السورة بهذا الاسم (البقرة) إحياء لهذه المعجزة الباهرة وحتى تبقى قصة بني اسرائيل، ومخالفتهم لأمر الله وجدالهم لرسوله، وعدم إيمانهم بالغيب وماديتهم، وما أصابهم جرّاء ذلك تبقى حاضرة في أذهان المسلمين فلا يقعوا فيما وقعوا فيه بني إسرائيل من أخطاء أدت الى غضب الله تعالى عليهم.

ت ـ موقف اليهود المعاصرين للنبي ﷺ.. الآيات (٧٥-١٢٣):

وجاء في أوله تيئيس للمسلمين من إيمانهم بسبب ما كان منهم قديماً وما يكون منهم بعد ذلك..

﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [البقرة].

فذكرت الآيات كثيراً من أخلاقهم، وردت عليهم افتراءاتهم، وبينت حقدهم وحسدهم ثم ختم المقطع بدعوتهم إلى الإيمان بأسلوب هادئ يجذب مشاعرهم ﴿..يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة].

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.



١ ـ قصة سيدنا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ (تجربة ناجحة للاستخلاف)

وهي آخر تجربة استخلاف ورد ذكرها في السورة. حيث ابتلى سبحانه وتعالى آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في أول الخلق (تجربة تمهيدية) ثم بني إسرائيل فكانت تجربة فاشلة، ثم ابتلى إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. ولما تم الابتلاء على هذه الصورة الرهيبة الرائعة ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٢٤﴾، واجتاز إبراهيم الابتلاء مستقر القلب بالإيمان والتسليم الكامل لله، اصطفاه الله للإمامة، جزاء على هذه الدرجة الرائعة من التجرد لله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾.

ولاحظ أن سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم ينجح في الامتحان نجاحاً عادياً بل (أَتَمَّهُنَّ) أي قام بهنّ خير قيام فلما أتمّ هذه الابتلاءات:



قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمشاعر البشر، التي لا تفارق البشر حتى وهم أنبياء تطلع إبراهيم أن تكون الإمامة من حظ ذريته من بعده: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ إنه سؤال مهذب لطيف، ولكنه يحمل في طياته تلك اللهفة التي يحسها الآباء على مصير أبنائهم، والرغبة المتطلعة إلى المكانة الرفيعة لهم في الأرض. ولكن الرد الرباني يأتي حاسماً لا يجامل أحداً ولو كان هو إبراهيم الخليل، ولو كان في لحظة التكريم والتقريب: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ولعل في ذلك إيذاناً بأنه سيكون من ذرية إبراهيم ظالمون.. وأن العهد سينزع منهم.



وفي هذه الآية إثبات أن الاستخلاف في الأرض ليس فيه محاباة فالذي يسير على منهج الله وطاعته يبقى مسؤولاً عن إعمار الأرض، والذي يتخلى عن هذا المنهج لا ينال عهد الله ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وإذن فقد نُبِّهَ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن العهد له ثم لذريته إن استقاموا على العهد، فإن ظلموا فلا عهد لهم عند الله.

«إن الإمامة لمن يستحقونها بالعمل والشعور، وبالصلاح والإيمان، وليست وراثة أصلاب وأنساب. فالقربى ليست وشيجة لحم ودم، إنما هي وشيجة دين وعقيدة. ودعوى القرابة والدم والجنس والقوم إن هي إلا دعوى الجاهلية، التي تصطدم اصطداماً أساسياً بالتصور الإيماني الصحيح»[(١)].

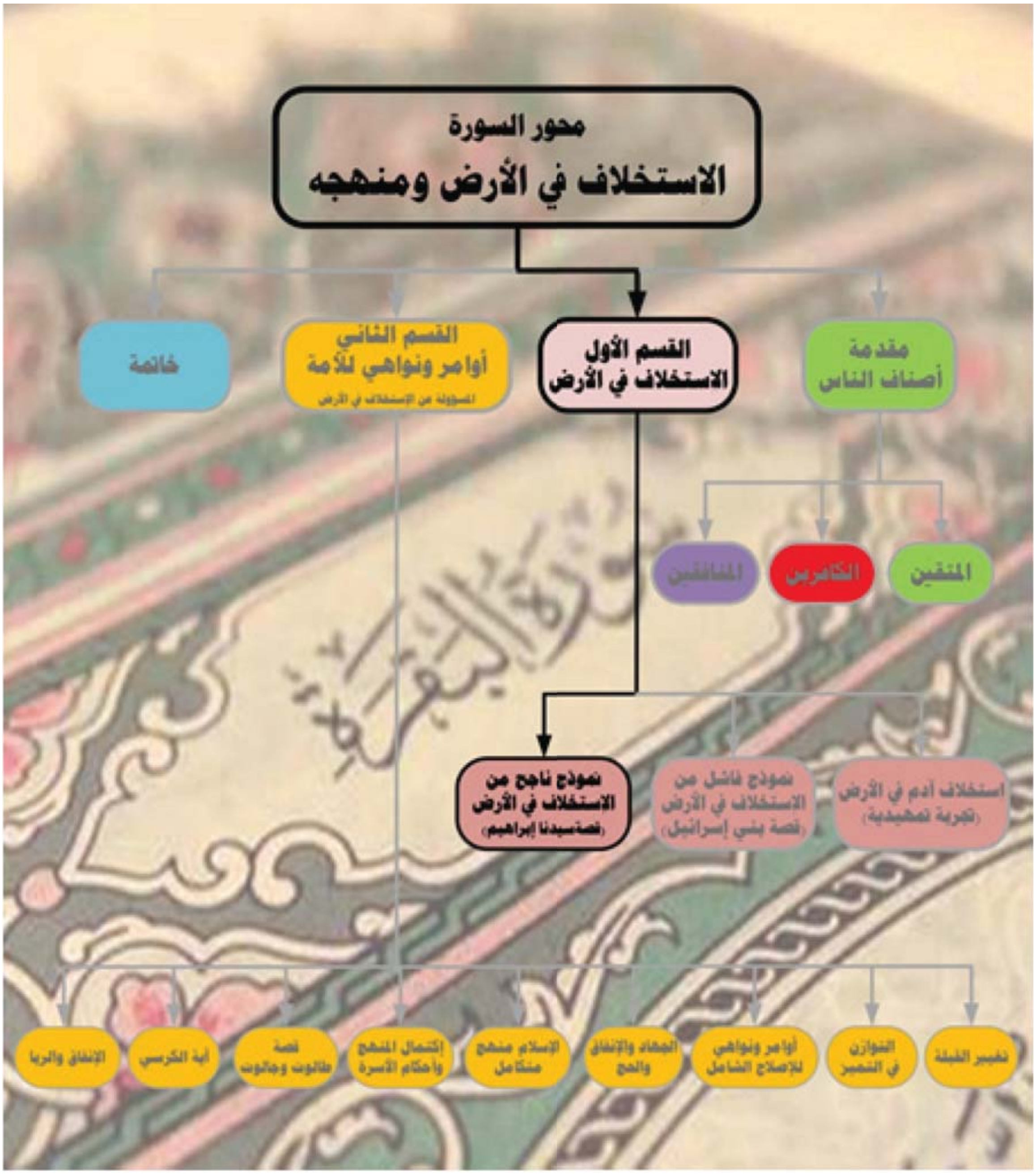
«ومضى العهد في ذرية إبراهيم عن طريق إسحاق ويعقوب [الذي هو إسرائيل] ثم في بني إسرائيل [أي بني يعقوب] حتى خرجوا عن العهد تماماً.. فانتقل العهد منهم إلى هذه الأمة الجديدة، وهي من ذرية إبراهيم كذلك ـ عن طريق إسماعيل ـ ولكنها أمة مؤمنة مهتدية، ولذلك أورثها الله العهد والكتاب، وها هو ذا سبحانه يبدأ في التمكين لها في الأرض.

تلك هي القصة التي تحويها ـ صراحة وضمناً ـ تلك الوصلة البديعة التي تصل بين الحديثين، وتفرق في ذات الوقت بين الأمتين! فتعلن انتهاء استخلاف بني إسرائيل في الأرض ـ لأنهم ظلموا ـ وبدء استخلاف الأمة الجديدة لأنهم مهتدون..

لقد كان آخر الحديث إلى بني إسرائيل ـ كما رأينا ـ هو ذلك الإنذار الأخير لهم أنهم إن لم يستقيموا فلا مفر لهم من الجزاء الصارم يوم الجزاء..

ولقد كان ذلك في الحقيقة إرهاصاً بنفض اليد منهم، لأنهم ـ على ضوء ما مر من تاريخهم ـ لا ينتظر منهم أن يستجيبوا لذلك النذير. إنما المعنى الحقيقي للنذير أنه: قد أنذرناكم بما فيه الكفاية، فاليوم نعلنكم أن دوركم في الاستخلاف قد انتهى، وأننا عهدنا إلى أمة أخرى، هي أحق منكم بالعهد والولاية والاستخلاف..!

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.



ثم كأنما يعرض السياق مؤهلات الأمة الجديدة للاستخلاف، أو «وثيقة العهد» التي تستحق بموجبها الاستخلاف!

إن الأمر يرجع في الماضي السحيق إلى إبراهيم نفسه، الذي يدعى بنو إسرائيل أنهم ـ وحدهم ـ ورثة عهده.. وإلى أبد الآبدين!

فالآن يكشف السياق ـ في أنسب لحظة ـ عن هذه الوثيقة التاريخية الهامة، التي تنتزع بموجبها الخلافة من بني إسرائيل وتعطى للأمة الجديدة!»[١].

«ثم يأتي هذا الدعاء الخاشع المطوّل، الذي يدعو به إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت:



﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

وإذن فهذه الأمة قديمة، مسجلة وموثقة على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه، ومسجلة وموثقة كذلك على لسان إسماعيل بن إبراهيم وفي حضور إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وبموافقته ومصادقته! فلا مجال لبني إسرائيل أن يقوموا بأي تشكيك في وثاقة هذه الأمة وصدق رسولها ﷺ بعد إعلان هذه الوثيقة الخطيرة.

ثم إن هذه الوثيقة تعلن الآن بالذات، لا قبل ذلك.. في اللحظة المناسبة لإعلان قيام الأمة المسلمة والدولة المسلمة، ونزع الخلافة والسلطان من الذرية الظالمة تحقيقاً لوعد الله من قبل: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وفي الوقت نفسه كذلك تعلن الأسباب التي دعت إلى نزع الخلافة والسلطان من تلك الذرية الظالمة..

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾.

إن ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هي هذه التي يحملها محمد ﷺ ويسير على هداها: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[الأنعام: ١٦١]

(١) محمد قطب ـ دراسات قرآنية ـ بتصرف بسيط.

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣]. فمن رغب عن الدخول في ملة محمد ﷺ فقد رغب عن ملة إبراهيم، وهي الهدى وهي الحق الذي لا يرغب عنه إلا من كان سفيهاً لا يحسن الإدراك ولا يحسن التقدير.

ثم إن الوثيقة الهامة التي تنشر اليوم تحوي سراً خطيراً يدين بني إسرائيل ويؤهل لنزع السلطان والخلافة منهم!

ثم تجيء «المفاصلة» بين الأمتين على أثر إعلان تلك الوثيقة الهامة: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾.

لقد انتهت صفحة تلك الأمة وبدأت صفحة جديدة لأمة جديدة.. هي التي سيتناولها السياق منذ هذه اللحظة ويوجه إليها البيان! ويختتم السياق مرة أخرى بصيغة المفاصلة التي تفصل بين الأمتين، وتعلن انتهاء عهد الأمة الأولى ليبدأ عهد الأمة الثانية»[1]: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾.

الفكرة الرئيسة الثالثة: أوامر ونواهي للأمة المسؤولة عن الاستخلاف في الأرض وإعمارها

القسم الثاني: «وابتداء من هذا الجزء في سورة البقرة نجد التركيز على إعداد الأمة المسلمة لحمل الأمانة الكبرى ـ أمانة العقيدة، وأمانة الخلافة في الأرض باسم هذه العقيدة ـ وإن نكن ما نزال نلتقي بين الحين والحين بالجدل مع أعدائهم المناهضين لهم ـ وفي مقدمتهم بنو إسرائيل ـ ومواجهة دسائسهم وكيدهم وحربهم للعقيدة في أصولها، وللأمة المسلمة في وجودها. كما نلتقي بالتوجيهات الإلهية للأمة المسلمة لمواجهة الحرب المتعددة الأساليب التي يشنها عليها خصومها، وللحذر كذلك من مزالق الطريق التي وقع فيها بنو إسرائيل قبلها.

فأما المادة الأساسية لهذا الجزء، ولبقية السورة فهي بصفة عامة قواعد الدولة الجديدة والمجتمع الجديد، القواعد التي تنظم الحياة الجديدة للمسلمين في المدينة، فيحدثهم عن التوجيهات والتنظيمات والتشريعات للأمة القائدة الرائدة...وإعطائهم خصائص الأمة المستخلفة، وشخصيتها المستقلة. المستقلة بقبلتها، وبشرائعها المصدقة لشرائع الديانات

(١) محمد قطب ـ دراسات قرآنية ـ بتصرف بسيط.

السماوية قبلها والمهيمنة عليها، وبمنهجها الجامع الشامل المتميز كذلك.. وقبل كل شيء بتصورها الخاص للوجود والحياة، ولحقيقة ارتباطها بربها، ولوظيفتها في الأرض، وما تقتضيه هذه الوظيفة من تكاليف في النفس والمال، وفي الشعور والسلوك، ومن بذل وتضحية، وتهيؤ للطاعة المطلقة للقيادة الإلهية، الممثلة في تعليمات القرآن الكريم، وتوجيهات النبي ﷺ وتلقي ذلك كله بالاستسلام والرضى، وبالثقة واليقين»[١].

«ويمضي السياق من هنا إلى نهاية السورة ينظم للمسلمين حياتهم الجديدة في المدينة، فيحدثهم في سياق متصل عن تحويل القبلة وموقف اليهود من هذا الأمر، وعن المشركين الذي يرفضون الإيمان. وعن المعنى الحقيقي «للبر» الذي هو حقيقة الإيمان. وعن القصاص. وعن الوصية. وعن الصيام. وعن الحج. وعن القتال في سبيل الله. ويرد على تساؤلاتهم بشأن الخمر والميسر، وبشأن ما يجب عليهم في الإنفاق، وبشأن اليتامى، وبشأن المحيض. ثم يتحدث عن الإيمان، ويمين الإيلاء، وعن الطلاق في بيان مفصل مستفيض، وعن الإنفاق في سبيل الله، وعن الربا، وعن الدَّيْن والتجارة والشهادة في الدَّيْن، والشهادة في البيع والشراء.. ثم يختتم السورة بتقرير صورة الإيمان الذي آمنه الرسول ﷺ والمؤمنون، وبالدعاء أن يعفى هذه الأمة مما وقع فيه من قبلها جزاء ما وقع منهم من انحراف.

إن هذه الأمة ليس مكلفة أن تعيش لذاتها فحسب، ولا في حدود ذاتها فحسب! إنها مكلفة بمهمة أخرى هي قيادة البشرية.

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴾.

والأمة القائدة الرائدة ينبغي أن تكون لها مواصفات غير الأمم العادية التي تعيش لذاتها فحسب، وفي حدود ذاتها فحسب!

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ...﴾.

والوسط في لغة العرب المخاطبين بهذا القرآن أول مرة تحمل معاني كثيرة. فالوسط هو الأفضل. والوسط هو المعتدل. والوسط هو المستوي. والوسط هو المتوسط بين الأطراف..

وكل هذه المعاني توفرت في تلك الأمة القائدة الرائدة، لتكون شهيدة على الناس.

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

ففي شأن تحويل القبلة يقول: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾.

وعن المشركين يقول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾.

وعن القصاص يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

وعن الصيام يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.

وعن الحج يقول: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾.

وعن القتال يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

وعن المحيض يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾.

وعن الطلاق: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾.

وعن الإنفاق: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾.

وعن الربا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ وهكذا.. وهكذا في كل التوجيهات والتنظيمات والتشريعات..

وهكذا كانت هذه الأمة «وسطاً» في كل مجال من مجالات الحياة، وبكل معنى من معاني الوسط.. لتكون القائدة لكل البشرية..

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿١٤٣﴾﴾.

فطبيعة الإسلام هي «التوازن».. والتوازن بمعناه الإسلامي هو المُعين على«التوسط».

ومن ثم كانت هذه الأمة لا مادية بحتة كمادية الجاهلية المعاصرة اليوم، ولا روحانية بحتة كالجاهليات التي تطهر الروح بكبت الجسد وتحقيره وتعذيبه وإهمال مطالبه، وبالتالي إهمال الحياة الدنيا كلها وإهمال عمارة الأرض..

إنما هي أمة تأخذ بجانب من المادة وجانب من الروح. وتصل ما بين المادة والروح ولا تجعلهما في موقف الخصام والصراع، لا يحقق أحدهما وجوده إلا بمحو الآخر وإغلاق السبيل إليه!

وأمة تعمل للدنيا والآخرة في سياق واحد، بموازنة بسيطة، تجعل العمل عبادة والعبادة عملاً كذلك! فتقوم بعمارة الأرض في ظل الله والعقيدة، لا بمعزل عن الله والعقيدة، وتقوم بشعائر التعبد لصلاح الدنيا وصلاح الآخرة في ذات الوقت!

في سياستها توازن بين سلطة الحاكم وسلطة الأمة، فلا يطغى أحدهما على الآخر. الحاكم له السمع والطاعة في المعروف، والأمة لها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لولي الأمر.

في اقتصادها توازن بين الملكية الفردية ومصالح الجموع، وبين المغانم والمغارم في المجتمع.

في اجتماعها توازن بين الفرد والجماعة فلا يطغى الفرد فيحطم الجماعة، ولا تطغى الجماعة فتحطم الفرد.

في تربيتها توازن بين إطلاق الدوافع الفطرية بلا ضابط فتنقلب شهوات مدمرة، وبين كبت هذه الدوافع وتعطيل الحياة بالرهبانية. فتقيم «ضوابط» تضبط منطلق الشهوات وتنطف مجراها دون أن تكبتها من منبعها..

في فكرها توازن بين «**العلم**» و«**الإيمان**» فلا يطغيها العلم العقلي أو المادي فتنكر الوحي. ولا يمنعها إيمانها بالوحي أن تتعلم وتجرب وتنقب وتجتهد حيثما كان مجال لكل ذاك[1].

(١) محمد قطب ـ دراسات قرآنية.

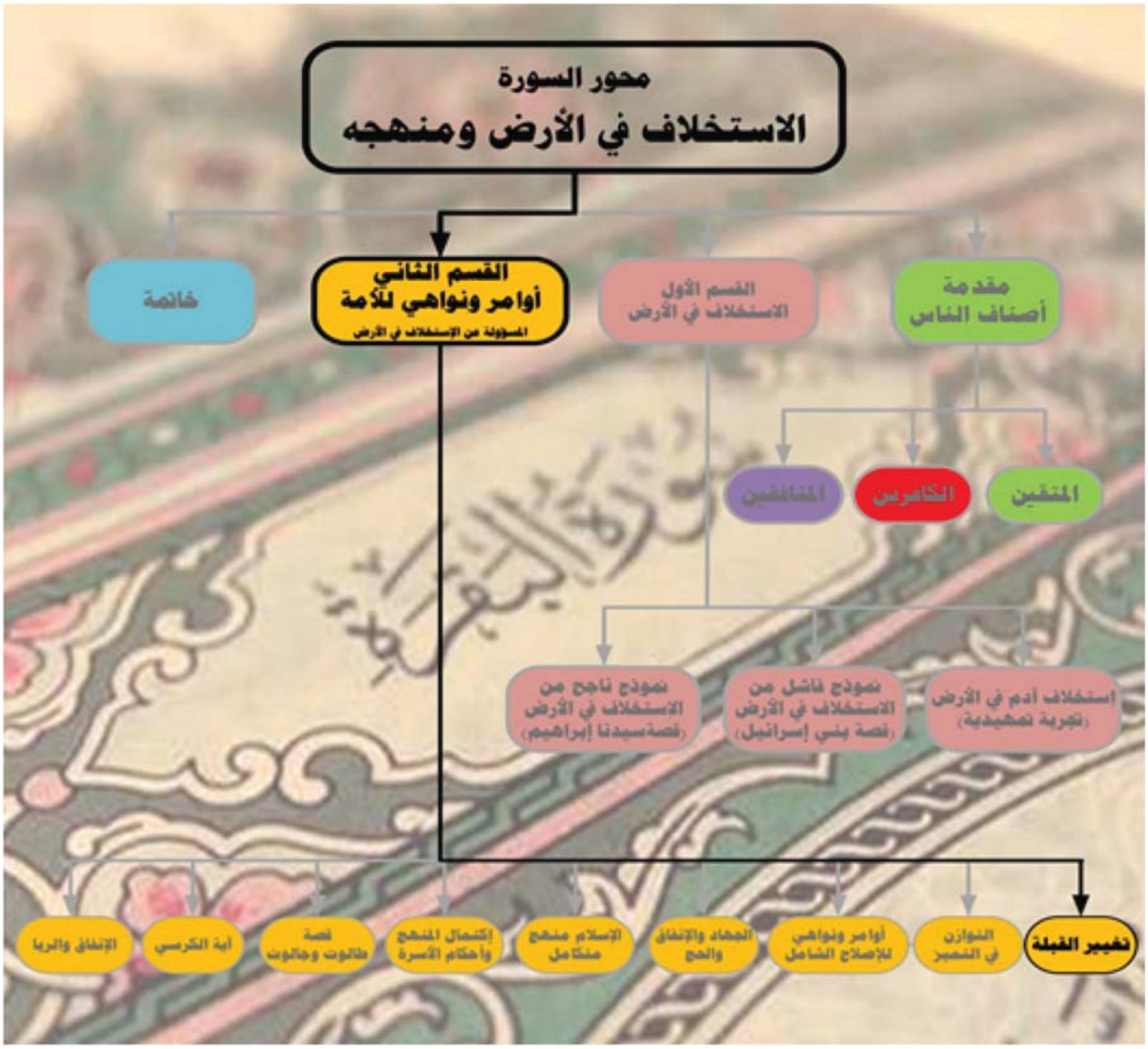
القسم الثاني من السورة (الجزء الثاني): أوامر ونواهي للأمة المسؤولة عن الأرض

وفي هذا القسم توجيه من الله عَزَّوَجَلَّ للناس الذين عرضت عليهم المناهج السابقة وتجارب الامم الغابرة، من أجل أن يتعلموا من أخطائهم ولا يقعوا فيها، وستأتيهم أوامر ونواهي لكي يكونوا مسؤولين عن الارض بحق ويكونوا نموذجاً ناجحاً في الاستخلاف وإعمار الارض.

يحدد الجزء الثاني من سورة البقرة الأوامر والنواهي التي لا بد للأمة من الأخذ بها حتى تستخلف. وكل هذه الأوامر والنواهي ـ كما سيتبين معنا ـ متعلقة بثلاثة أمور:



إن من سيستخلف على الأرض لا بد له من منهج ليسير عليه، هذا المنهج هو الجزء الثاني من سورة البقرة وينقسم هذا القسم الى:



فكرة ثانوية: تغيير القبلة (اختبار للطاعة وأمر بالتميّز)

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً
إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ
تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا
كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾



ثم انتقلت الآيات إلى الحديث عن شأن أمة ﷺ، لتفرد شوطاً توضح فيه تطبيق سنة الله تعالى الكونية في الاستبدال والاستخلاف، فتوضح أحقية أمة النبي محمد ﷺ في حمل أمانة هذا الدين، وأن الله مستخلفها محل بني إسرائيل الذين تنكبوا عن تنفيذ وصية أبيهم إبراهيم ويعقوب واسحق، وهو ما يستتبع الإيذان للنبي محمد ﷺ بالتميز في شعائره عن شعائرهم، وعبادته عن عبادتهم، وفي أخلاقه عن أخلاقهم، فأشارت إلى محاولة السفهاء من اليهود والمنافقين خداع هذه الأمة، وحملها على اتباع سنة اليهود والنصارى في أي شيء سواء في العبادات أو في العادات، حتى إنهم لينكرون على النبي ﷺ مخالفته لهم في شأن العبادات، فكان تمييز أمة الرسول محمد ﷺ عن سائر الأمم واجباً حتى تتميز شعيرة الإسلام عن غيره من الشرائع المحرفة والمبدلة والمنبوذة والمضيعة بحسب أهواء الذين ظلموا، فأضحت مخالفتهم سنة نبوية وعبادة يتقرب بها إلى الله، سواء في أمر القبلة أو في العبادات عموماً.

كما تناولت سبب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وفيه دلالتان:

١ـ تخلص العرب من ارتباطهم بالبيت الحرام ارتباط القومية والعصبية والقبلية، فجعل الله قبلة المسلمين الأولى بيت المقدس ليتخلص المسلمون من حبهم وارتباطهم القبلي للبيت الحرام، ثم إذا شاء الله أن يكون البيت الحرام قبلتهم كان ذلك عن عقيدة راسخة وليس عن تعصب قبلي.

٢ ـ الإشارة إلى اختلاف أحكام الإسلام وشرائعه عن شريعة من قبلنا، بما يؤدي إلى نسخ شريعتهم بشريعتنا، واستبدال شريعتنا بشريعتهم.

وبذلك تميز الإسلام في شعائره وعباداته وعاداته عن أهل الكتاب، لتتحول القبلة ويكون ذلك إيذاناً بمخالفتهم وحمل أمانة هذا الدين عنهم، للتأكيد على تبرء الأمة من تحريفهم للكتاب وتبديلهم الدين بأهوائهم.

فكرة ثانوية : التوازن في التميز

لماذا جاءت الآية في تغيير القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام؟ المسلمون أمة أرادها الله تعالى أن تكون متميزة وقوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فبما أنكم ستكونون شهداء على الناس لا بد من أن تكونوا متميزين فلا استخلاف بدون تميز لذا كان لا بد من أن تتميز الأمة المسلمة:

- **بقبلتها** (بدون تقليد أعمى لغيرها من الأمم السابقة) آية ١٠٤.
- **بمصطلحاتها** (انظرنا بدل راعنا) آية ١٤٤.
- **بالمنهج** (اهدنا الصراط المستقيم) سورة الفاتحة.



هذا الجزء يبدأ بالآية ١٢٨ والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ بعض الناس يفهم هذه الآية أن لا بأس بالطواف وأن الطواف اختياري. لكن لكي نفهم معنى الآية لا بد من معرفة سبب نزولها، فالواقع أن الصحابة عندما سمعوا خطاب القرآن يأمرهم

بالتمييز (سواء بتغيير المصطلحات أو بتغيير اتجاه القبلة)، ووجدوا أن المشركين يطوفون بين الصفا والمروة ويضعون صنمين على جبلي الصفا والمروة (آساف ونائلة) وكانوا يسعون بينهما، عندها شعر الصحابة بحرج من السعي بين الصفا والمروة، وأنه ينافي التميز الذي أمروا به، فجاءت الآية لتخبرهم أن ليس كل ما يفعله الكفار خطأ، فإن أصل السعي بين الصفا والمروة أمر رباني واتباع لسيدنا إبراهيم.

وبهذا تتضح الرسالة: لا بد من التوازن في التميز لأن هذه الأمة أمة وسط فليس كل ما يفعله الكفار مرفوض... ولذلك تأتي في هذا الربع آية هامة في رسم المنهج: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾. إذن علينا أن نبتعد عن التقليد الأعمى لمن سبقنا لكن مع الإبقاء على التوازن أي إننا أمة متميزة لكن متوازنة[1].



(١) الصورة في الشكل مؤخوذة من موقع http://www.sheekh-3arb.net

فكرة ثانوية: عملية إصلاح شامل

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ فيها أشياء كثيرة. فبعد أن أطاعوا وتميزوا مع الحفاظ على التوازن كان لا بد لهم من منهج إصلاحي شامل (الإيمان بالله، بالغيب، إيتاء المال، إقامة الصدقة، إيتاء الزكاة، الوفاء بالعهود، الصابرين، الصادقين، المتقين) وكأنما الربعان الأول والثاني كانا بمثابة تمهيد للأمة طاعة وتميز بتوازن وإصلاح شامل وتبدأ من هنا الآيات بالأوامر والنواهي المطلوبة.


محور السورة
الاستخلاف في الأرض ومنهجه
مقدمة
أصناف الناس
القسم الأول
الاستخلاف في الأرض
القسم الثاني
أوامر ونواهي للأمة
المسؤولة عن الإستخلاف في الأرض
خاتمة
المتقين
الكافرين
المنافقين
استخلاف آدم في الأرض
(تجربة تمهيدية)
نموذج فاشل من
الاستخلاف في الأرض
(قصة بني إسرائيل)
نموذج ناجح من
الاستخلاف في الأرض
(قصة سيدنا إبراهيم)
تغيير القبلة
التوازن
في التعمير
أوامر ونواهي
للإصلاح الشامل
الجهاد والإنفاق
والحج
الإسلام منهج
متكامل
إكتمال المنهج
وأحكام الأسرة
قصة
طالوت وجالوت
آية الكرسي
الإنفاق والربا

فكرة ثانوية: أوامر ونواهي للإصلاح الشامل

ومن أول الربع الثالث في الجزء الثاني تبدأ الأوامر والنواهي للأمة المسلمة لترسم شمول المنهج:

تشريع جنائي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ... ﴿١٧٨﴾ ﴾.

وبعدها يأتي قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ... ﴿١٧٩﴾ ﴾.



مواريث:

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ... ١٨٠ ﴾.



تشريع تعبدي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ
﴿١٨٣﴾ ﴾ التعبد وأحكام الصيام.



التقوى مصباح الطريق:

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ آية مفصلة في هذه الأحكام، وكلما تأتي الآيات في تشريع تنتهي بذكر التقوى لأنه لا يمكن تنفيذ القوانين إلا بالتقوى وهي مناسبة ومرتبطة بهدى للمتقين في أول السورة ونلاحظ كلمة التقوى والمتقين في الآيات السابقة.

إذن فالإطار العام لتنفيذ المنهج هو: **طاعة ـ تميز ـ تقوى** ونستعرض هذا التدرج الرائع:

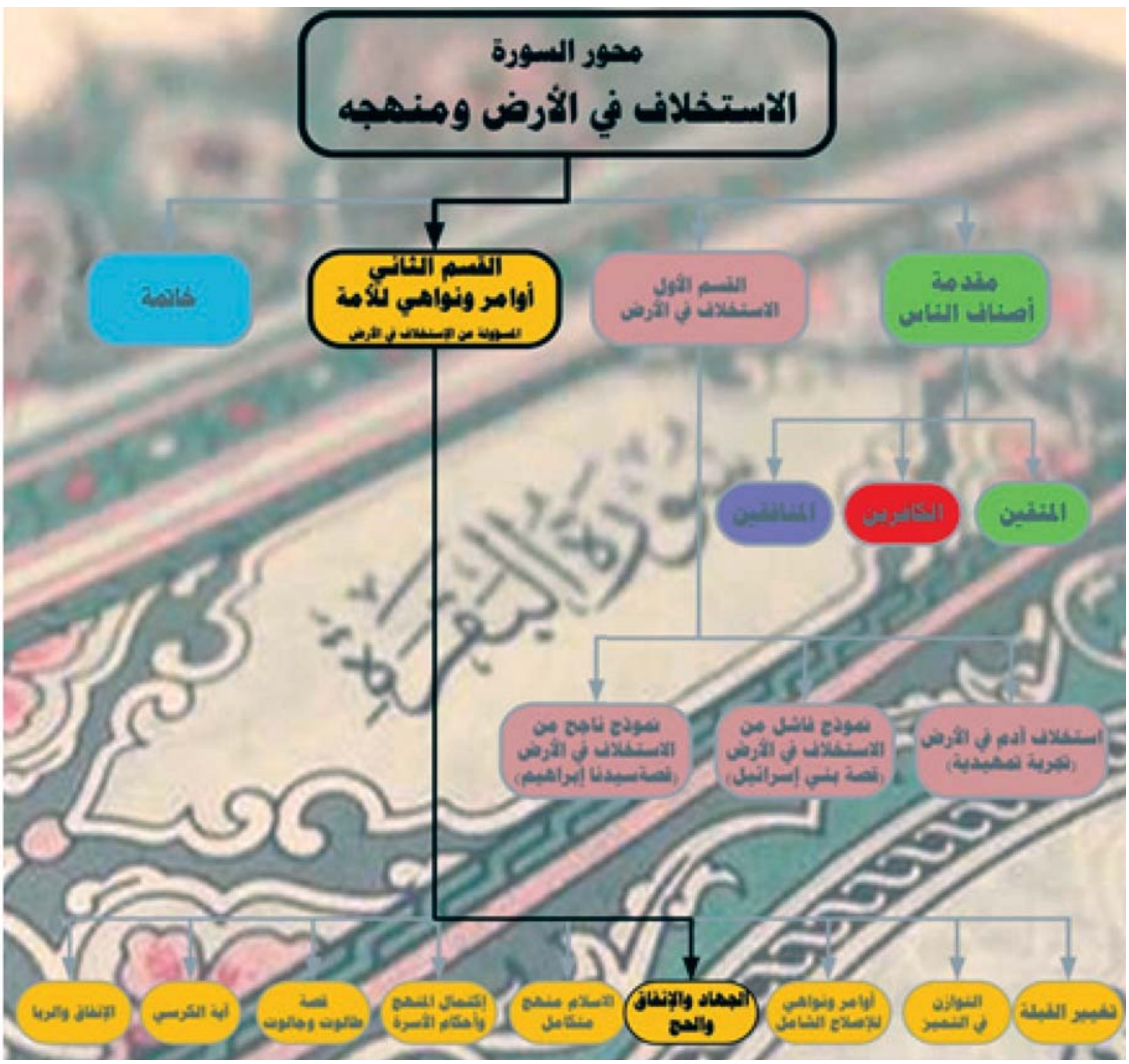


- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.
- ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.
- ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.
- ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

فهذا **المنهج** لا بد له من أناس **طائعين، متميزين** عن غيرهم، **ومتّقين** يريدون إرضاء الله تعالى، فهذه المحاور الثلاثة هي الإطار التي تحمي المنهج، وقد ذكرت بطريقة مترابطة ومدهشة.

فكرة ثانوية: الجهاد والأنفاق (دروع الإسلام الحصينة)

تتحدث الآيات عن تشريع القتال وأحكام الجهاد، وأن يكون القتال لأجل حفظ الدين، ودرء العدوان، ومنع الفتنة ولذلك أفردت السورة عدة مقاطع منها للحديث عن القتال في سبيل الله، الآيات من (١٩٠-١٩٥)، ومن (٢١٦-٢١٨)، فصدر الأمر من الله ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾، وتلته الآيات لتبين القاعدة في القتال، ومتى نكف اليد عنه، وعلته ووقته ومكانه وكيفيته بالمماثلة وتمويله، ثم تحدثت بين هذين المقطعين عن الحج باعتباره صورة من صور الجهاد السلمي وأعظم الجهاد في الإسلام.



وفي هذه الآيات تأكيد أنه لا بد من القتال للحفاظ على المنهج، ولا بد من إنفاق المال على الجهاد ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ...﴿١٩٥﴾﴾.

فهذا المنهج يستلزم قتالاً يحميه من أعدائه الواقفين في طريقه، وليس للإرهاب وسفك الدماء. وسنلاحظ في القرآن قاعدة عامة: كلما يذكر القرآن القتال يذكر معه ضوابطه، فهنا مثلاً حددت الآية قتال المعتدين ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ...﴿١٩٠﴾﴾ كما وبيّنت الأخلاق الحربية في القتال بعدم الاعتداء ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾.

فكرة ثانوية : الحج وأحكامه

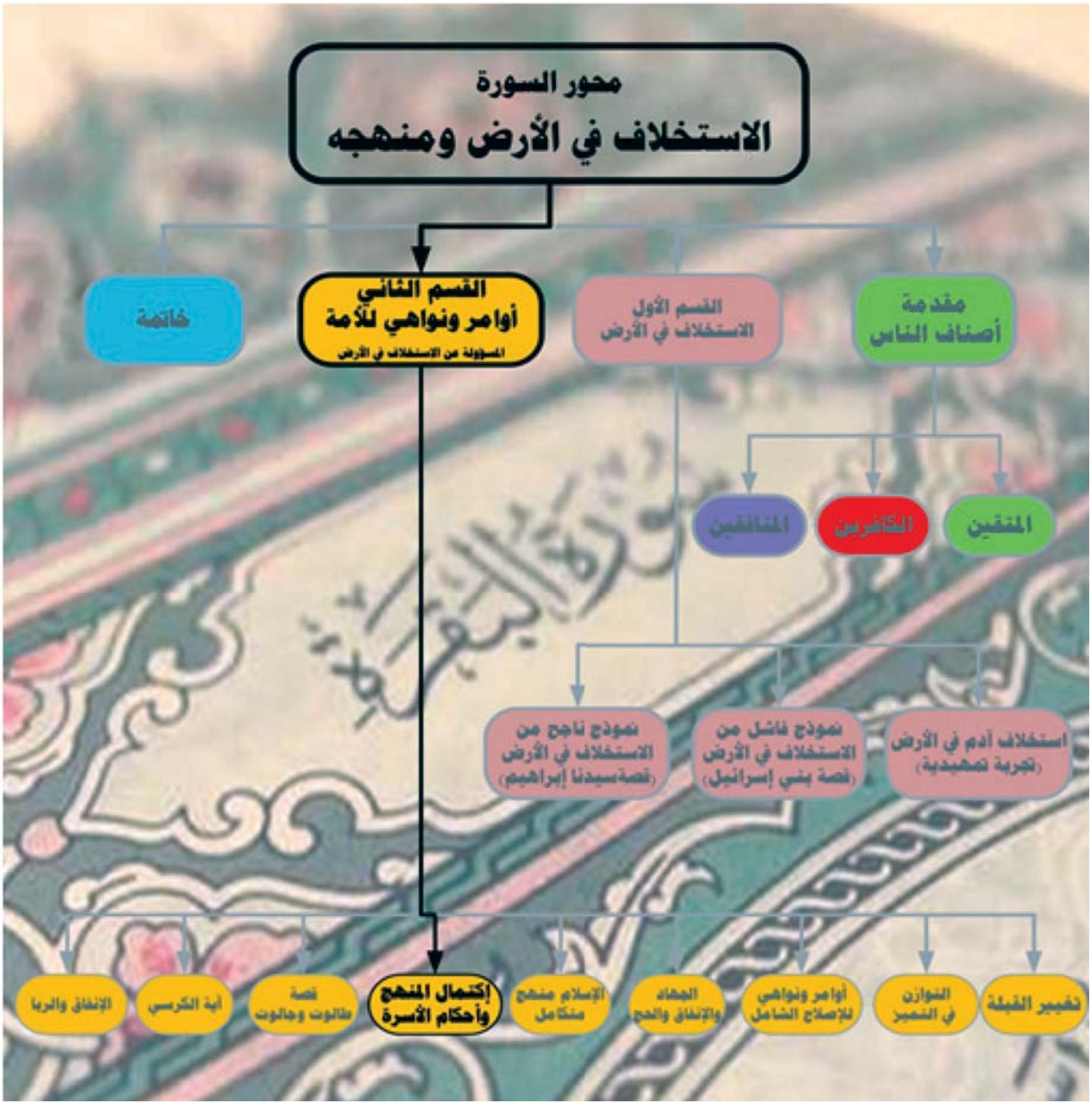
لماذا جاء آيات أحكام الحج بعد الجهاد؟ لأن الحج هو أعلى تدريب على القتال وأعلى مجاهدة النفس، إن الحج هو أول تدريب على القتال، والله تعالى يتيح للأمة من خلال الحج فرصة تدريبية (من إعداد نفسي وبدني وروحي) للتدريب على الجهاد وتغيير العادات.

تأمل كيف أن آيات السورة وحدة متماسكة رغم تنوع موضوعاتها.. وآيات الحج بالتفصيل وردت في سورة البقرة استجابة لدعوة سيدنا ابراهيم في الربع الثامن من القسم الاول (وأرنا مناسكنا) آية ١٢٨ ونلاحظ أن سورة البقرة اشتملت على أركان الاسلام الخمسة: الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج ولم تفصّل هذه الأركان في القرآن كما فصّلت في سورة البقرة.



فكرة ثانوية : الإسلام منهج متكامل

وبعد أن عرضت الآيات أحكاماً مختلفة نصل إلى **آية محورية** هامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨
فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾.



«إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان. بهذا الوصف المحبب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم.. دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة..

وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم. أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور، ومن نية أو عمل، ومن رغبة أو رهبة، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاه. استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية...

ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان. فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان. إما الدخول في السلم كافة، وإما اتباع خطوات الشيطان. إما هدى وإما ضلال. إما طريق الله وإما طريق الشيطان. وإما هدى الله وإما غواية الشيطان... وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه، فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات.

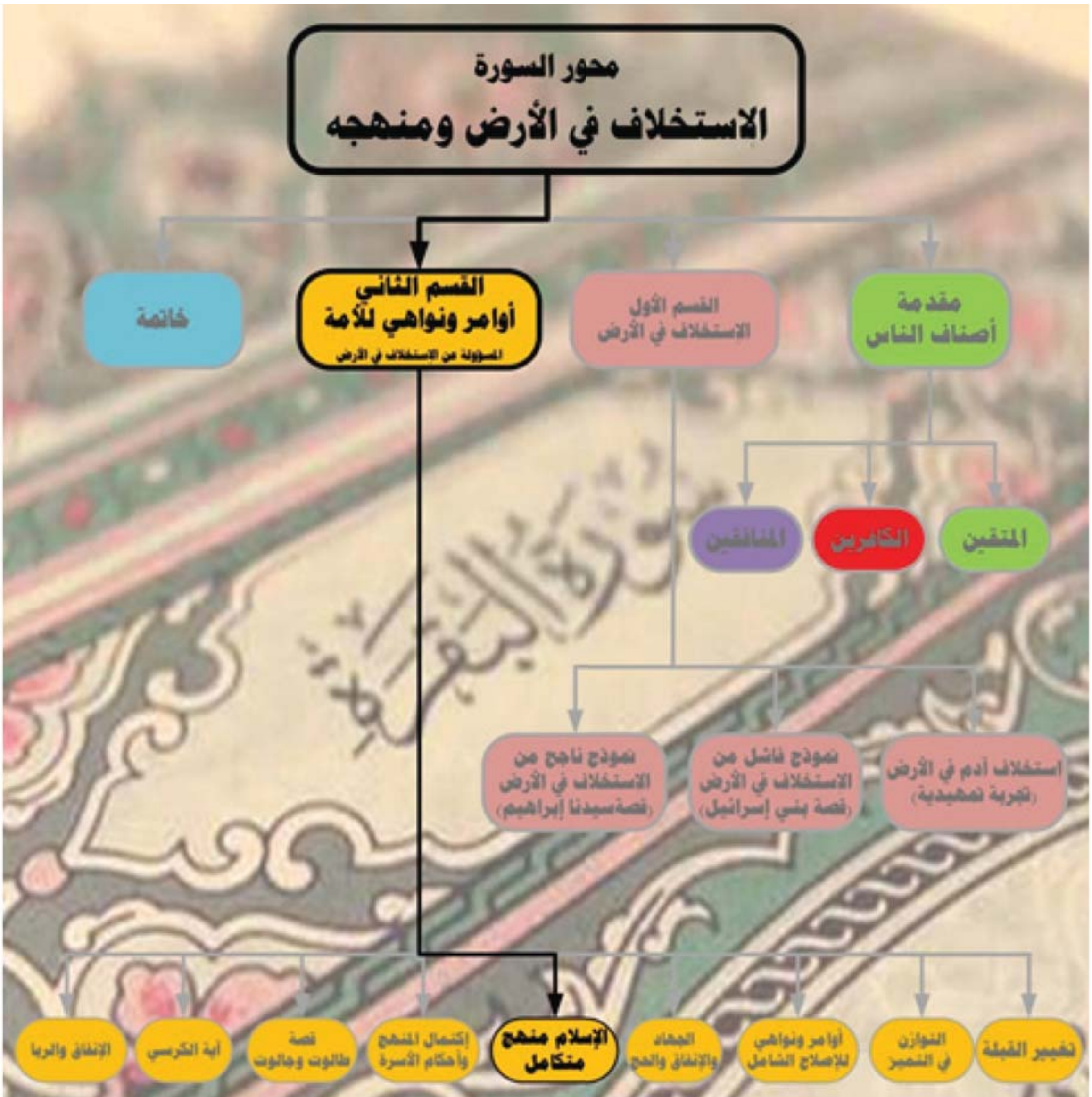
إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحدا منها، أو يخلط واحدا منها بواحد.. كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته، ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته، ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر.. إن هذا في سبيل الشيطان، سائر على خطوات الشيطان..

ليس هنالك حل وسط، ولا منهج بين بين، ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك. إنما هناك حق وباطل. هدى وضلال. إسلام وجاهلية. منهج الله أو غواية الشيطان. والله يدعو المؤمنين في الأولى إلى الدخول في السلم كافة، ويحذرهم في الثانية من اتباع خطوات الشيطان. ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم، ويستثير مخاوفهم بتذكيرهم بعداوة الشيطان لهم، تلك العداوة الواضحة البينة، التي لا ينساها إلا غافل. والغفلة لا تكون مع الإيمان»[1].

فكرة ثانوية: اكتمال المنهج وأحكام الأسرة (الآيات ٢١٩ ـ ٢٤٢)

ويستمر المنهج في تبيان أحكام الأسرة والزواج والطلاق والرضاعة والخطبة وخطبة وخلع وعدة وغيرها وسياق كل ذلك التقوى ونلاحظ نهاية الآيات بكلمة تقوى او مشتقاتها، على مدى ربعين كاملين.

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن ١/ ٢٠٦، ٢١١ (باختصار).



وقد يتساءل البعض عن سبب تأخر أحكام الأسرة وعدم ورودها في الأول..

والجواب:

١ ـ لقد تأخرت آيات أحكام الأسرة عن أحكام الصيام؛ لأن الله تعالى بعدما أعد المسلمين بالتقوى وبطاعته جاءت أحكام الأسرة التي لا ينفذها إلا من اتقى وأطاع ربه، فالمنهج الأخلاقي والعملي متداخلان في الاسلام. لا ينفع أن يبدأ بأحكام الأسرة ما لم يكن هنالك تقوى في النفوس البشرية.

٢ ـ لا بد من البدء بطاعة الله والتقوى والصيام والحج للإعداد، لأن تنظيم الأسرة من الأمور الصعبة.. فملايين القوانين تعجز عن إصلاح نفوس تريد الانحراف. لذلك أغلب آيات هذين الربعين ختمت بتقوى الله أو التذكير بعلمه ومراقبته:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾.

﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ... ٢٣٧﴾.

﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١﴾.

وتغليف أحكام الأسرة بالتقوى، يعلمنا أن النظام الأخلاقي والنظام العملي في الإسلام مرتبطان دائماً[1].



(١) عمرو خالد ـ خواطر قرآنية.

فكرة ثانوية: قصة طالوت وجالوت
(بداية النور والأمل للأمة الوليدة ولكل فئة مستضعفة على الأرض)

ذكرت هذه الآيات حكاية بني إسرائيل مع نبيهم، وحكايتهم مع طالوت، وقصة المعركة المشهورة بين جيش طالوت وجيش جالوت، وكيف أن التمحيص للجيش المؤمن سنة الله ليتحقق النصر. ولعل ذكر هذه القصة في هذا المكان من السورة ليدل على أن مرحلة التدافع ـ التي دارت حولها القصة ـ يسبقها مرحلة الابتلاء والتمييز والتمحيص، وتسبق مرحلة بناء الدولة الإسلامية، أسوة بتلك التي بناها نبي الله داود ثم سليمان عليهما السلام.

لقد شاءت قدرة الله عَزَّوَجَلَّ أن يبرز من بين المجاهدين جندي شاب يقتل قائد الأعداء ـ جالوت ـ فتتضاعف هزيمة الأعداء وتتأكد، ويؤتي الله داود الـمُلك ... ذلك أنه لا يصلح للمُلك والقيادة إلا من كان جندياً ممتازاً... وإذا أراد الله لعبد التمكين هيأ له أسبابه وجعل له من الآيات والكرامات ما يرسخ مكانته في القلوب ليكون هذا الحدث جسراً ربانياً يعبر به داود لقيادة شعبه.. إن الإثخان في الأعداء، وزعاماتهم بالذات هو السبيل إلى لقيادة والنصر. لقد قلب طالوت بتلك الفئة القليلة المؤمنة، الذل إلى عزّة، والهزيمة إلى انتصار، فهزموا عدوهم، ودحروا جنده، بعد فترة من الذل والهوان، ويظهر أن دور طالوت كان التمهيد لدور داود عليهما السلام، الأول يحقق النصر والثاني يقيم الملك والخلافة.

فكان الذي أخلص نيته لله تعالى هو الذي تخطى مرحلة التميز والتمحيص ـ مروراً بفرض القتال وتولية أقلهم مالاً ملكاً عليهم، والصبر على الماء كأقل رمز للتمول من الدنيا، والرهبة من كثرة جند جالوت خوفاً على النفس من الهلكة ـ فلما حصل منهم ذلك، وثبت في الابتلاءات المتلاحقة عدد قليل، أتم الله النصر لهم، وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك، ليظل التدافع بين الحق والباطل سنة كونية مانعة لأن تفسد السماوات والأرض، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾.

هذه القصة اشتملت على ابتلاء وقتال وأناس خافت من لقاء العدو وأخرى قاتلت، للتأكيد على لزوم القتال لحماية المنهج، وأن الجبناء والخائفين لا يصلحون لحمله وعليه لا يصلحون لمسؤولية إعمار الأرض.


سورة البقرة
طالوت وجالوت

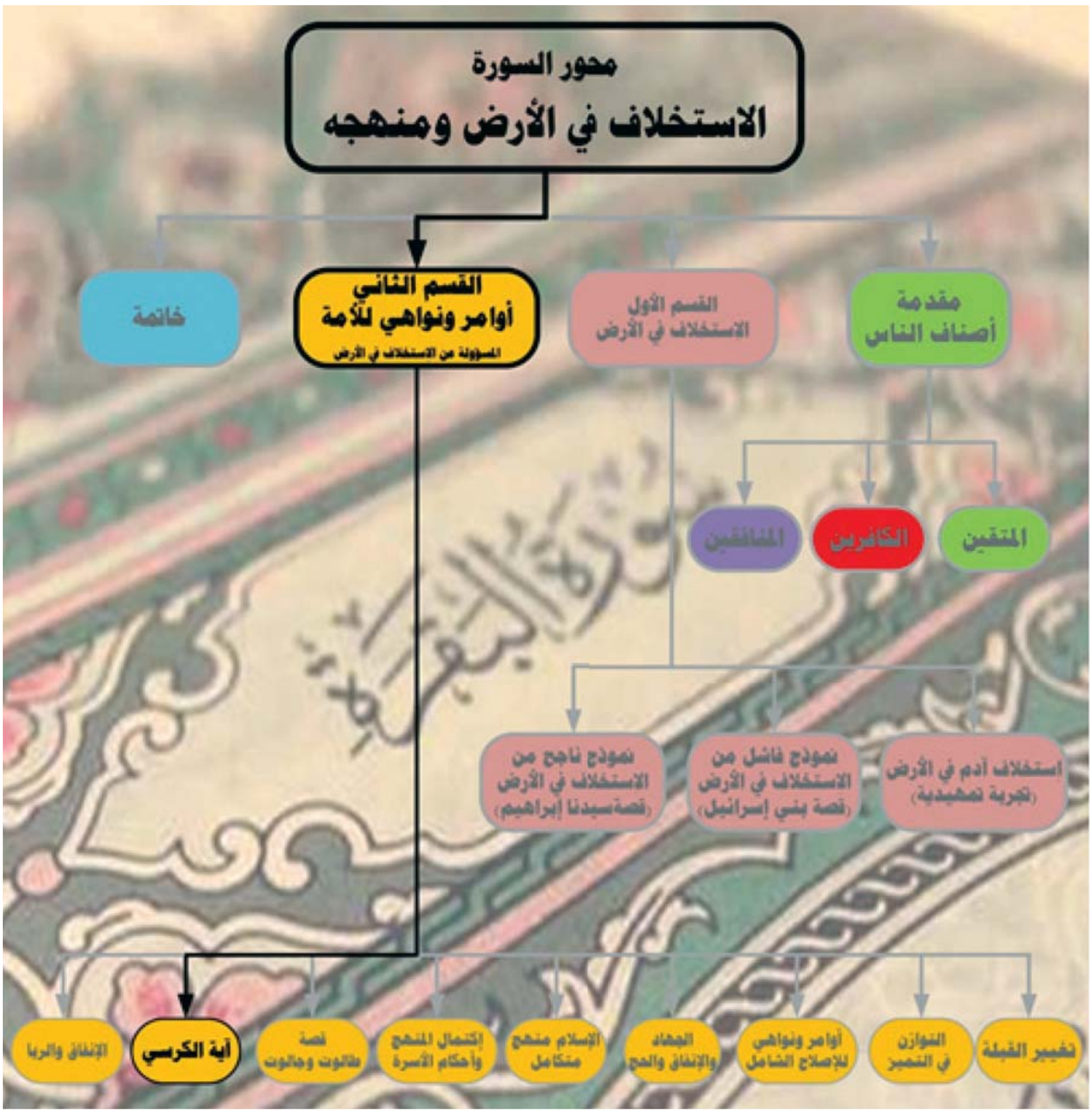


فكرة ثانوية: آية الكرسي قدرة وعظمة اللّٰه

«تضمنت آية الكرسي مسلمات عقلية للاعتقاد في الله تعالى، فهذه الآية ساعدت فكر الإنسان على أن يضع تصوراً منطقياً للإله الذي يستحق العبادة، كيف يمكن للعقل يتصور إلهاً، ويقبل أن يكلفه هذا الإله بأحكام شرعية، وهو لا يقدر على أن يتصور صفاته؟ وإن تصورها أفلا يعرض هذه الصفات على عقله مرة أخرى ليصل على قناعة بأنه لا يحق لأحد أن يتصف بصفة الألوهية إلا أن يتحلى بهذه الصفات، ومن ثم أرشدت هذه الآية العقل البشري إلى هذه

الصفات ليعرضها عليه، فإذا عرضها وجدها مطابقة للمنطق التصوري للأمور، ولعل أظهر هذه الصفات مما ذكرته الآية (**التفرد، الحياة، القيام على شئون خلقه، قوي لا يعتريه الضعف ولا النصب أبداً، الملك، العدل، العلم، الإحاطة، الوسع، الحفظ، العلو، العظمة**)»[1].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾.



(١) د.أحمد مصطفى ـ الإعجاز الدستوري في سورة البقرة.

موضعها في السورة مهم جداً وتدلنا إلى أنه إذا أردنا تطبيق المنهج يجب أن نستشعر قدرة الله وعظمته وجلاله (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ) فالمنهج ثقيل ويتطلب الكثير من الجهد لكنه يستحق التطبيق لأنه منهج الله تعالى (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ).

ثم تأتي بعدها آية غاية في كرم الله وعدله ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ أمر من الله بأن لا نكره أحداً على الدين لماذا؟ لأن الدين واضح معناه بعد قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فالذي لا يعرف معنى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا يستشعر عظمة هذا المعنى لا مجال لإكراهه على الدين. فالرشد بينٌ والغي بينٌ.

فكرة ثانوية: قدرة الله تعالى في الكون (دلائل إحياء الموتى):

من الآية (٢٥٨ – ٢٦١) جاءت في ثلاث قصص:

١ ـ **قصة إبراهيم مع النمرود (الآية ٢٥٨):** ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

٢ ـ **قصة عُزير والقرية الخاوية (الآية ٢٥٩):** ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾.

٣ ـ **قصة إبراهيم والطير (الآيتان ٢٦٠ – ٢٦١):** ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

لقد تحدثت الآيات عن العقل من حيث الترقي إلى مرتبة عين اليقين التي لا يصل إليها إلا الأنبياء، فالعقل بالتعقل، ويزيد العقل تعقلا بالتعليم، وفي القصص الثلاث تأكيد على قدرة الله تعالى وأنه (لا اله إلا هو) فكيف لا نقبل بتنفيذ المنهج أو نكون مسؤولين عن إعمار الأرض بعدما أرانا الله تعالى قدرته في الكون؟

فكرة ثانوية : تعمير الدنيا بالإسلام وبناء نظامها المالي وهيكلها الاقتصادي:

الآيات من (٢٦١-٢٨٣):

«لا شك أن مرحلة إعادة بناء الأمة الإسلام على غرار مملكة داود وسليمان عليهما السلام وامتداد حدودها الإقليمية لتتسع إلى أرجاء الأرض جميعاً هو ما يحقق معنى الاستخلاف في الأرض، وهذا المعنى حينما يتحقق، ويسبقه ـ بالطبع ـ الرقي الفكري على ما ذكرنا، وإن كانت الممارسة تضطرد بعد الفتح، يستتبعه أن تقوم الأمة المسلمة ببناء هيكلها الاقتصادي، والذي يقوم على أربع دعائم أساسية، حيث يقوم الهيكل الاقتصادي الإسلامي على فكرة:

١. **التضامن الاجتماعي كمقوم اقتصادي أساسي**، ولذلك أفردت سورة البقرة صفحات متتالية للحديث عن الإنفاق في سبيل الله، الآيات من (٢٦١) إلى (٢٧٣)،

٢. **تحريم الاكتناز بلا سبب وتشجيع تداول المال**، يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾، فيه إشارة إلى ديمومة الإنفاق في كل أوجه الخير، وتداول المال، سواء في البيع والتجارات، أو في عقود المعاوضات، أو التبرع والهبات.

٣. **هدم الكيانات الاقتصادية الربوية وإحلال الاقتصادي الإنتاجي**، مكانها (٢٧٥-٢٨١) وهو الأمر الذي يجعل الإسلام محارباً للكيانات الاقتصادية الربوية التي تحكمت في العالم، ومن ثم يهدمها ليقيم بدلاً منها الكيان الاقتصادي الإسلامي القائم على فكرة التضامن الاجتماعي كما أشرنا.

٤. **تأمين البيع والتجارات والديون المتبادلة**، حيث تحدثت السورة عن التجارات والتبايع والتداين وتداول السلع والأثمان، وتوثيق التعاملات التجارية في آيتين متتاليتين:

(٢٨٢-٢٨٣)، لتتأكد الحقوق وتضمن المعاملات مع المسلمين ويتم تأمين العقود بشهادة العدول، فيكون المسلم خليفة بشهادته، كما أن المسلمين خلفاء في مملكتهم»[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾.



(١) د.أحمد مصطفى- الإعجاز الدستوري في سورة البقرة.


محور السورة
الاستخلاف في الأرض ومنهجه
مقدمة
أصناف الناس
القسم الأول
الإستخلاف في الأرض
القسم الثاني
أوامر ونواهي للأمة
المسؤولة عن الإستخلاف في الأرض
خاتمة
المتقين
الكافرين
المنافقين
استخلاف آدم في الأرض
(تجربة تمهيدية)
نموذج فاشل من
الاستخلاف في الأرض
(قصة بني إسرائيل)
نموذج ناجح من
الإستخلاف في الأرض
(قصة سيدنا إبراهيم)
تغيير القبلة
التوازن
في التعمير
أوامر ونواهي
للإصلاح الشامل
الجهاد
والإنفاق والحج
الإسلام منهج
متكامل
إكتمال المنهج
وأحكام الأسرة
قصة
طالوت وجالوت
آية الكرسي
الإنفاق والربا

الخاتمة: سمعنا وأطعنا الآيات (٢٨٤-٢٨٦):

العبرة ليست ببناء دولة والعمل على توسيع امتدادها الإقليمي لتشمل العالم كله، فالملك كله لله، فكل ذلك ملك لله ونحن محاسبون فيما أعطاه الله لنا من نعم هو مالكها، وإنما العبرة بأن يتحقق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون تفرقة بينهم، والتسليم بالقضاء، ثم تخليص الإنسان من عبادة الدنيا ليكون عبداً لله تعالى، وذلك بإقامة شرعه ومنهجه على الأرض، ولا يتسنى له ذلك حتى يذب عن هذا الدين، ويقاتل من أجله، فيضحي بالمال والنفس لأجل هذه الأمانة التي حمَّلها الله تعالى له، فإذا ما حقق ذلك اضطلع إلى إقامة شرعه بالعدل بين الناس سواء في مجال العلاقات العسكرية والاجتماعية والإدارية والأسرية والثقافية والفكرية والخدمية والاقتصادية والتجارية..الخ، فإذا ما نجح في إقامة الدنيا على منهج الله تعالى وشرعه أفلح في تعمير آخرته.

والعلم بأننا مكلفون بتطبيق منهج الله بقدر الوسع والاستطاعة، فالتكاليف كثيرة والتعاليم والمنهج شاق وثقيل فكان لا بد من أن تأتي آية الدعاء لله تعالى حتى يعيننا على أداء وتنفيذ هذا المنهج ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

«إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ وهو يختم السورة يلخص مرة أخرى سمات هذه الأمة المميزة، التي تؤهلها للخلافة الراشدة في الأرض.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

وسواء كان هذا تقريراً ربانياً لحقيقة ربانية، أو كان جزءاً من الدعاء معناه: ربنا لا تكلفنا فوق وسعنا.. فإنه تقرير لحقيقة أن التكاليف التي فرضها الله في هذا الدين هي في وسع النفس البشرية، وليست خارجة عن احتمالها..

ثم يُلْهَمُ المؤمنون أن يدعوا بهذا الدعاء الخاشع الجامع الجميل:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾.. وقد استجاب الله للدعاء الذي ألهم به عباده.. يقول الرسول ﷺ:

«إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» [رواه ابن ماجه عن ابن عباس (٢٠٤٥)].

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾.. والإشارة إلى بني إسرائيل الذين فرضت عليهم القيود بسبب عدوانهم في السبت وبسبب كفرهم وانحرافهم.. وهنا يبدو التناسق بين بدء السورة وختامها. ففي أولها تحدث عن بني إسرائيل ليوجه المسلمين إلى انحرافاتهم لكي لا يقعوا في مثلها.. فالآن تختتم السورة بدعاء المؤمنين ألا يصيبهم مثل ما أصاب بني إسرائيل من قبل.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ وهو دعاء طبيعي من كل نفس بشرية في الوجود. ولكنه هنا ليس تهرباً من التكاليف! فقد سبق أن التكاليف التي فرضها الله في هذا الدين ليست خارجة عن وسع البشر.. إنما هو دعاء للتخفيف من الابتلاء وليس للتهرب من التكاليف!

﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.. الذين جاء في سياق السورة أنهم لا يكفون عن قتال المؤمنين»(١).

(١) محمد قطب – دراسات قرآنية.

عهد ووعد

«بعد أن استعرضنا سورة البقرة وشموليتها لأحكام الإسلام نفهم لماذا كان النبي ﷺ يولي على القوم من يحفظ سورة البقرة لأنه بذلك قد جمع معالم المنهج. هذا المنهج الشامل الذي هو الصراط المستقيم في سورة الفاتحة، نجده عقيدة في آية الكرسي، وعبادة في أحكام الصيام والحج، ومعاملات في الإنفاق وتوثيق الديون وتحريم الربا وأحكام القتال، يغلفها جميعها محاور ثلاثة الطاعة، التميز بالوسطية، التقوى»(١).

وهكذا نرى سورة البقرة الكاشفة عن أسباب استبدال الله لبني إسرائيل لأنهم نكثوا العهد واستبدلوا العقيدة وقتلوا الأنبياء وجاءت الأمة الجديدة لتقوم بدور الاستخلاف في الأرض.

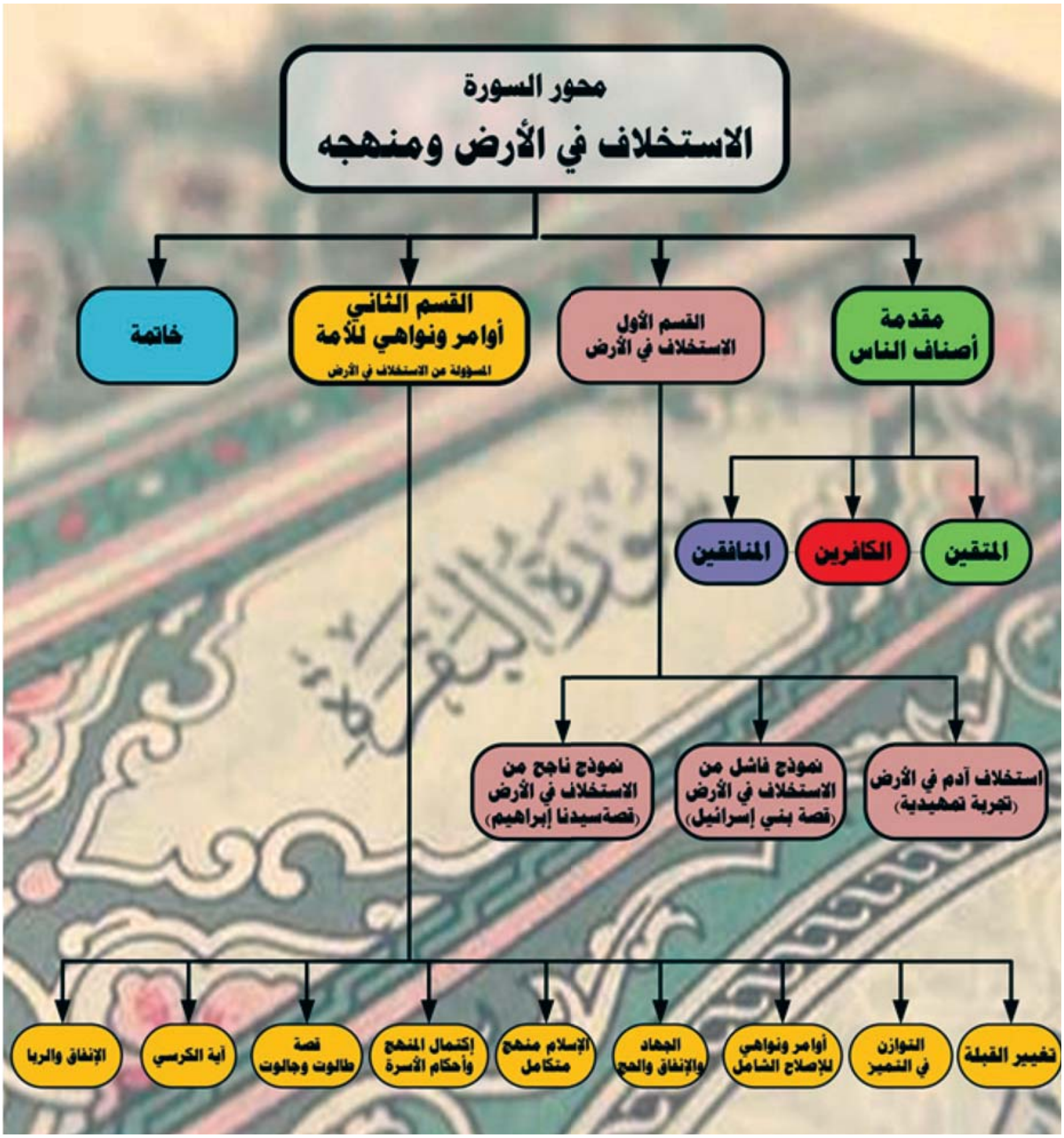
فبنو إسرائيل قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

أما نحن أمة الإسلام فليكن شعارنا (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) لنبقى مسؤولين عن الأرض.

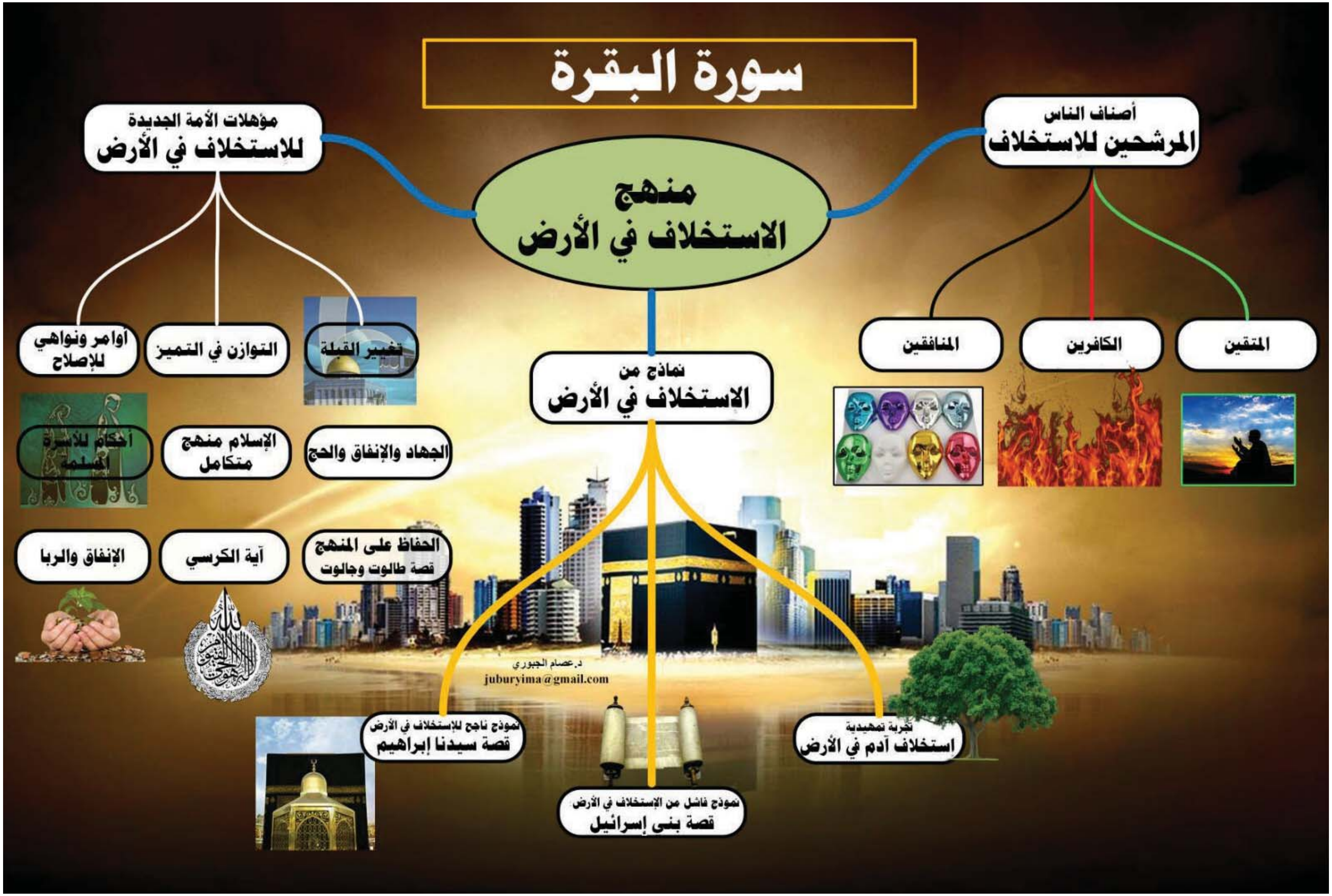
على هذه الأمة أن تعلم أن الأمر إنما هو عهد ووعد، وأن الخلافة لها شروطها، وأساسها هو تنفيذ شرع الله والتمسك بكتابه وما أنزل على رسوله ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة].

---

(١) خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن ـ عمرو خالد ـ الدار العربية للعلوم – ٢٠٠٤.



ويمثل الشكل الخريطة الذهنية لسورة البقرة، حيث الكعبة قبلة المسلمين تتقدم ركب الحضارة وخلفها بقية كل حواضر العالم.


سورة البقرة
منهج
الاستخلاف في الأرض
أصناف الناس
المرشحين للاستخلاف
المتقين
الكافرين
المنافقين
مؤهلات الأمة الجديدة
للاستخلاف في الأرض
تغيير القبلة
التوازن في التميز
أوامر ونواهي للإصلاح
الجهاد والإنفاق والحج
الإسلام منهج متكامل
أحكام للأسرة المسلمة
الحفاظ على المنهج
قصة طالوت وجالوت
آية الكرسي
الإنفاق والربا
نماذج من
الاستخلاف في الأرض
تجربة تمهيدية
استخلاف آدم في الأرض
نموذج فاشل من الإستخلاف في الأرض
قصة بني إسرائيل
نموذج ناجح للإستخلاف في الأرض
قصة سيدنا إبراهيم
د.عصام الجبوري
juburyima@gmail.com

سورة الكهف



تحدث كثير من المفسرين والباحثين عن الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم بعامة، وحظيت سورة الكهف بوافر من الاهتمام، فقد ورد في فضائل هذه السورة الكريمة أحاديثُ كثيرةٌ، تدلُّ على فضلِها، وتنوِّه بشرفها، وترغِّب في قراءتها، وحسن تدبرها[١]، ونحن إذ نَتّناول سورة الكهف وقصصها ومواضيعها، سنحاول أن ندل بدلونا في قراءة تفاصيل آياتها وسنجتهد في التدبر لإيجاد الخيط الذي يربط هذه القصص والمواضيع بعضها ببعض؟ وما مبرر ورودها معاً في هذه السورة دون سواها؟ وما هو محور السورة الرئيس الذي تدور حوله كل مواضيعها والإطار العام الذي يحفظ وحدتها. ولسنا نزعم أنّ ما نقوله هنا هو وحدة موضوعية وحيدة.

«نجد أنّ هذه السورة تتضمّن ست قصص أو حكايات يستقّل كلّ منها عن الآخر من جانب،

(١) قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سورةَ الكهفِ في يومِ الجُمُعَةِ أضاءَ له من النورِ ما بينَ الجُمُعَتَين» ـ رواه البيهقي في السنن الكبرى.

كما تتداخل هذه القصص بالآخر من جانب ثان.

إنّها تحوم على ما أفرزته مقدمةُ السورة من أفكار تتمثّل بخاصة في الآيتين اللتين سبقتا قصة أهل الكهف:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾

ففي هذه المقدّمة يحدّثنا النصُّ عن وظيفة الإنسان على الأرض، وإخضاعه للاختبار ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، مع ملاحظة أنّ النص رَسَم للأرض طابعاً خاصاً هو الزينة، أي أنَّ الدنيا أو الأرض تظل مجرّد زينة أو حلية أو متاع عابر صاغها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمثابة منبّهات أو مُثيرات، لها صلة بدوافع الشخصية، لِتختبرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خلالها نمطَ الاستجابةِ التي ستصدر الشخصيةُ عنها، وهل إنّها استجابةٌ سَوِيّةٌ ملتئمة مع مبادئ الإسلام التي أمرنا بالالتزام بها، أو إنّها استجابةٌ مريضةٌ تتمركز حول الذات وإشباعها بلا قيد؟

وقد عقّب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآية الثانية على هذا المتاع أو الزينة، حينما ألغاه أساساً، و جعله صعيداً أجردَ ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾.

و نحن ينبغي ألّا نقف عند هذه الصورة صعيداً جُرُزاً أو صورة الأرض الجرداء.

إنّنا إزاء اختبار أو امتحان ينبغي أن نجتازه بنجاح ما دامت الزينة أو المتاع مجرّد لباس أو نبت مصيرهُ إلى الزوال التام، أي إنّه متاعٌ فاقدٌ للقيمة أساساً، فيما ينبغي ألاّ نقيمَ له أيّ وزن على الإطلاق.

ولكي يُجسّدَ النصُ القرآني الكريمُ هذا المفهومَ في أذهاننا يتقدّم إلينا بنصٍّ قصصي يجسّد عملياً مفهوم هذه الزينة على الأرض، وكيفية سحقِها و نبذِها تماماً، حيث يتمّ ذلك من خلال قصة أصحاب الكهف الذين نبذوا زينة الحياة الدنيا تماماً، واتجهوا إلى كهف يعزلهم تماماً عن الأرض وزينتها. هذا المفهوم للزينة و للاختبار، هو الذي جسّدته العناصر القصصية في السورة، بنحو هندسي منتقىً. فأهل الكهف جسّدوا نبذ الزينة، و التجؤوا إلى الكهف[١].

(١) قصص القرآن الكريم دلالياً و جمالياً (الجزء الاول)- د. محمود البستاني http://www.sibtayn.com.

محور سورة الكهف



وما الدنيا في الآخرة إلا كقطرة ماء في بحر عميق ..
طوبى لمن باع دنياه في سبيل آخرته ..

«إنَّ بناء سورة الكهف يقوم على محور السورة وأفكار رئيسة وأخرى ثانوية... ويمكننا القول بأن محور هو (زينة الحياة الدنيا وكيفية التعامل مع هذه الزينة)... والقارئ بمقدوره أن يستكشف هذا الهدف سريعاً حينما يضع في ذهنه أنَّ السورة تتضمن نمطين من الصياغة اللغوية: النثر القصصي والنثر غير القصصي.

وبالنسبة إلى النثر الأخير يواجه القارئ ثلاث آيات أو ثلاثة مواقع متفاوتة أو متباعدة تتحدث عن (الزينة) في السورة المذكورة،

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...۝٢٨﴾

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...۝٤٦﴾

ويواجه مجموعة من القصص أيضاً تتحدث عن زينة الحياة الدنيا (ولكن بالنحو غير المباشر بطبيعة الحال، وهو أحد أشكال (المنبّهات) الإدراكية للشيء، حيث نجد حيناً أن تمرير الأهداف يتم من خلال الطرح المباشر، وحيناً من خلال الطرح غير المباشر... وأول القصص: قصة أهل الكهف حيث أوردها النص مباشرة، بعد آيتي الزينة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ و﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾

حيث تأتي القصة مباشرة بهذا الافتتاح ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ...۝٩﴾ ومن البيِّن أن إحلال القصة مباشرة بعد الحديث عن زينة الحياة الدنيا وتحوّل الزينة صعيداً جرزاً،

له مغزاه الفني الخطير، حيث تدع القارئ (بنحو لا واعٍ يواجه تطبيقاً أو سلوكاً عملياً لنبذ زينة الحياة الدنيا دون أن تشير القصة إلى هذه الظاهـرة لفظياً، وهذا النبذ لزينة الحياة الدنيا ليس نبذاً عادياً، بل النبذ للزينة بأقصى صورها ألا وهو اللجوء إلى الكهف حيث تنطفئ الحياة تماماً، كما إن أبطال الكهف ليسوا أشخاصاً عاديين، بل يحتلون مواقع اجتماعية أو سياسية من الدرجة العليا، بمعنى أن الشخصية العادية من الممكن أنَّ تنبذ زينة الحياة الدنيا العامة، ولكنها تشبثت بأمتعتها المباحة: كالحياة الزوجية والأسرية والقرابة والصداقة...الخ. أما أن تدلف إلى الكهف مع أنها شخصية ذات موقع اجتماعي رفيع، فأمر يجسّد ـ كما قلنا ـ أقصى النبذ لزينة الحياة الدنيا، مما يترك أثره الاستجابي على المتلقي بنحو حاد كما هو واضح.

وما إن يمضي القارئ في متابعة النص حتى يواجه الآية الثانية للزينة، ثم ما إن يدعها حتى يواجه القصة الثانية المجسدة بدورها لأحد أنماط التعامل مع زينة الحياة الدنيا، ألا وهي قصة صاحب الجنتين (المزرعتين)، حيث يواجه القارئ موقفاً مضاداً تماماً للموقف السابق الذي لاحظه لدى أصحاب الكهف، فهذه الشخصية (أي صاحبة المزرعتين) قد تشبثت ـ على عكس أصحاب الكهف ـ بزينة الحياة الدنيا حيث قالت لصاحبها:

﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾ وقالت عن مزرعتها:

﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾﴾ بل شككت حتى بقيام الساعة ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ ...﴿٣٦﴾﴾.

أيضاً: لم تقل القصة مباشرة أن هذه الشخصية متشبثة على عكس أصحاب الكهف، بل تركتنا ـ نحن المتلقين ـ نستكشف ذلك من خلال الصياغة غير المباشرة... بل أنها قدمت بنحو غير مباشر أيضاً تطبيقاً أو تجسيداً لما قالته الآية الأولى من الآيات التي تحدثت عن الزينة ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ حيث أوردت على لسان المحاور (صاحب الجنتين) بفقرة ﴿...فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾.

بعد ذلك نواجه قصتين هما: قصة موسى والعبد الصالح، ثم قصة (ذي القرنين) وقبلهما، الآية الثانية والثالثة للزينة،... بيد أن الملاحظ أن شخصية ثالثة هي شخصية ذي القرنين تقف بدورها تجسيداً لأحد أنماط التعامل مع زينة الحياة الدنيا، وهو التعامل الإيجابي، أي عدم

التشبث بالزينة، ولكن من خلال سلوك مضاد تماماً لسلوك أبطال الكهف من جانب، ومن خلال سلوك مضاد لصاحب الجنتين من جانب آخر.

أما السلوك المضاد لأبطال الكهف، فهو: السيطرة على المعمورة جميعاً، فإذا كان أهل الكهف انطلاقاً من نبذهم للزينة قد التجؤوا إلى كهفهم، فان ذا القرنين (سيطر على الحياة الدنيا) ولكن من خلال نفس السلوك غير المتشبث بزينة الحياة الدنيا، وهذا يدع المتلقي بنحو غير مباشر أيضاً يستخلص دلالة هي: أن نبذ زينة الحياة الدنيا من الممكن في سياقات خاصة أن يتجسّد في العزلة الاجتماعية بأقصى صورها، ومن الممكن أن يتجسد أيضاً عكس ذلك: في الحضور الاجتماعي بأقصى صوره... طبيعياً، هذا التقابل بين أقصى العزلة وأقصى الحضور، ومع كونهما في خط (التماثل) في الأهداف، يشكل أحد أجنحة البناء العماري الجميل للنص.

بالمقابل نجد تقابلاً من الخط الآخر بين شخصين، صاحب الجنتين وذي القرنين، فذو القرنين ملك مغرب الأرض ومشرقها، حيث نواجه حدين للتملك هما: مغرب الأرض ومشرقها، وهذا ما يتقابل مع حدين للتملك أيضاً عند صاحب الجنتين، أي: تملكه لمزرعتين، ويقابل ذلك تملك ذي القرنين المغرب والمشرق، الأول يجسد أصغر المساحات الأرضية، وهما: المزرعتان، والآخر يجسّد أوسع المساحات وهما مشرق الشمس ومغربها... فهذا التقابل (يتم أيضاً بنحو غير مباشر)، التقابل بين من يملك شرق الأرض وغربها، ومع ذلك لا يتشبث بزينة الحياة الدنيا، وبين من يملك مزرعتين فحسب، ولكن يتشبث بالزينة، الأول يقول بعد أن يسيطر على شرق الأرض وغربها ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي... ﴿٩٨﴾﴾، والآخر يشكك كما لاحظنا بقيام الساعة..

إذن: هذه القصص (وتداخلات المساحة العظمى أو الغالبية من السورة) حامت على تجسيد هدف خاص، كل ما في الأمر أن الهدف قد (يُنَصّ) عليه مباشرة، وقد يتم التنصيص بنحو غير مباشر، كما لاحظنا بالقياس إلى النثر القصصي والنثر غير القصصي، ومن ثم: قد يعي القارئ والمتدبر هذه الصياغات، وقد لا يعيها، ولكن في الحالتين، ثمة آليات وعمليات ذهنية تستجيب (في أحد أشكال الاستجابة الشكلية) إلى النص المقروء: استجابة تترك أثرها أو انطباعها العام على الشخصية المتلقية للنص والمتدبرة للآيات المباركة، بحيث يتحسس المتلقي وهو ينتهي من تلاوة السورة بنحو واع، لما يتلوه أنها قد تركت انطباعاً مجملاً عن

أهدافها ومواقفها في ذهنه بنحو غير واع بالنسبة إلى الغالبية عدا الدارس بوعي لهذا الجانب»[1].

مرّة جديدة يتعيّن علينا قبل أن نتابع قصصَ سورة الكهف، لابد من أن نُذَكّر قارئ السورة أو متدبرها بأنّنا حيالَ مقدّمة أو تمهيد تصدّر سورة الكهف، وإلى أنّ الخريطة الذهنية التي سنرسمها للسورة، ستدور حول المحور الرئيس الذي أفرزته المقدّمة، وما يتفرّع منها من أفكار رئيسة أخرى. وهذه الخريطة الذهنية ليست الوحيدة أو النهائية ولا أدعي فيها الكمال، بل يستطيع شباب آخرون قابضون على دينِهم جمراً لَاهِباً في زمن الفتن والمحن الذي نعيشه، أن يأتوا بأفضل مما جئت به، إذا أخلصوا وتجردوا لله وتعاونوا، لأن العمل الجماعي خير من العمل الفردي ويد الله مع الجماعة.

«لقد نزلت سورة الكهف كما يدل موضوعها الرئيس على نبينا الكريم ﷺ والمؤمنين معه في أحلك ساعات الفتن واليأس. فهي لا تعدهم بالنصر بل تدعوهم للصبر وتقول لهم إذا وصل التحدي والفتن التي يواجهونها حداً لا يقدرون على مقاومته والصبر عليه فإن لله وسائله في حمايتهم منه. لكنهم لن يحتاجوا هذا النوع من الحماية لأنهم قادرون بالصبر والإخلاص على النجاح في مواجهة تحديات بيئتهم. أي إن الموضوع الرئيسي للسورة ولقصصها جميعاً هو تدخل إرادة الله لحماية من يَتَعَرَّض، دون ذنب منه، إلى فتنة أو قوة قاهرة لا يستطيع صدها. وتتعرض كل قصة أو مَثَل إلى نوع من أنواع الفتن التي يعجز المتعرض لها عن مقاومتها سواء أكان المتَعَرِض لها فرداً أو مجموعة أفراد أو شعباً بحاله.

وهذا يتفق مع اسم السورة. فالكهف هو رمز الملجأ ووسيلة الحماية من الفتنة أو الخطر الشديد المتوقع. فالإنسان لجأ إلى الكهف في المراحل الأولى من تاريخ البشرية ليحتمي به من عوامل الطبيعة القاسية ومن وحوشها الكاسرة. فكان الملجأ الذي يحميه عندما يعجز عن حماية نفسه بنفسه وبأدواته التي يملكها. لذا فإن في كل قصة من قصص السورة كهف من نوع ما، وسوف نطلق عليه مجازاً (قوارب النجاة). ولكن كهف أصحاب الكهف كان كهفاً حقيقياً وبالمعنى المطلق. بينما كانت بقية طرق حماية المستضعفين في السورة كهوفا بالمعنى الرمزي للكهف وأدت وظيفته تماماً[2]».

(١) الفهم المتجدد لآيات الكتاب المجيد في ضوء منهج التفسير البنائي ـ د. محمود البستاني ـ http://www.altaghrib.net .

(٢) معجزة أسماء السور ـ علي راضي أبو زريق ـ بتصرف بسيط http://abuzurayk.blogspot.com .

سورة الكهف وتصحيح الموازين

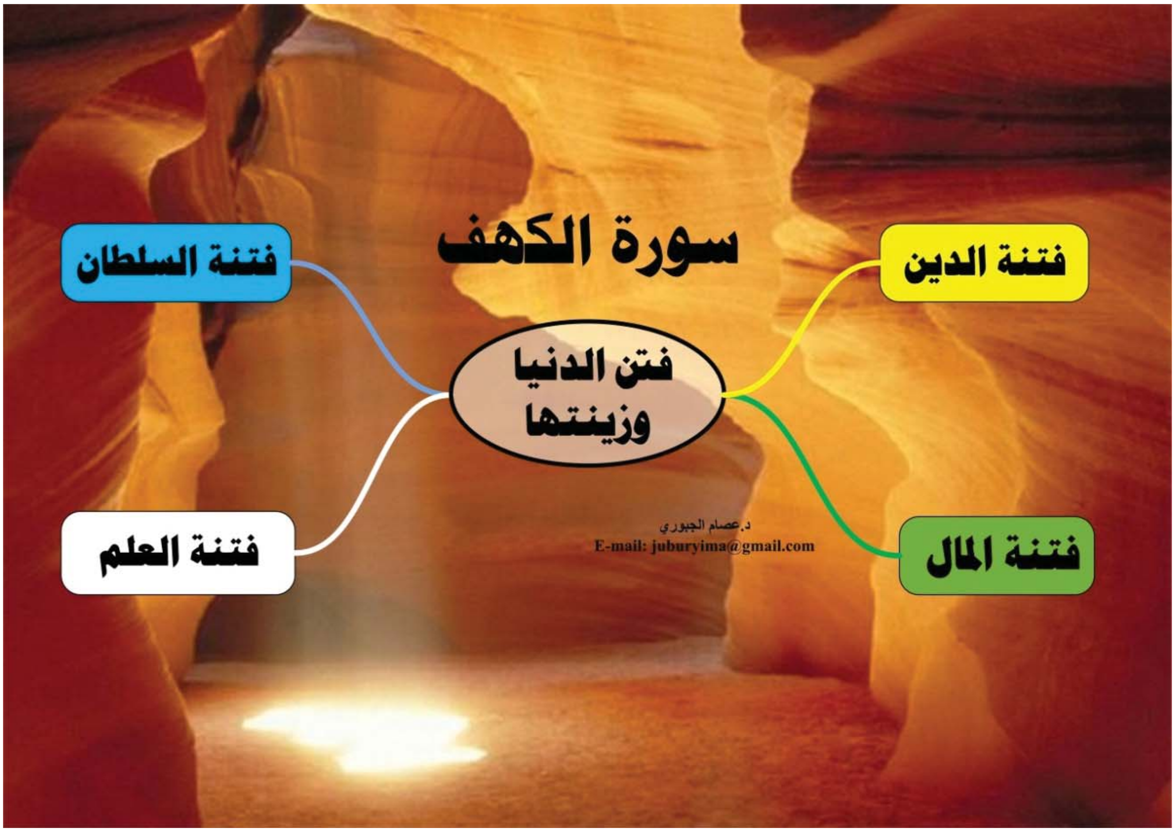
تحدث صاحب الظلال عن سورة الكهف ودورها في تصحيح الفكر والنظر والسلوك والموازين[1]، فالسورة تؤكد أن الله تعالى جعل ما على الأرض زينة لها، ما يعني أن ما يظهر على السطح ليس بالضرورة هو الحقيقة، ثم يأتي التعقيب على قصة الكهف بأمر النبي محمداً ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾، إن المظهر الخارجي ربما يوهم بأن هؤلاء المؤمنين لا مستقبل لهم، وأن القوة والمستقبل مع الذين بيدهم زينة الحياة الدنيا، فتؤكد السورة أن أمر هؤلاء فرط غير متماسك وأن المستقبل الحقيقي في الدنيا والآخرة هو مع هؤلاء المستضعفين الذين قد لا يملؤون العيون فعليه أن يصبر نفسه معهم، وألا تعدو عيناه عنهم باتجاه من أغفل الله قلبه واتَّبع هواه وكان أمره فرطاً كمثل صاحب الجنتين، الذي حسب أنه خير عند الله لكونه أكثر من صاحبه مالاً وولداً، وأنه مفضل في الآخرة كمثل تفضيله في الدنيا، فجاء رد صاحبه المؤمن ثم الإحاطة بثمره ليصحح له سوء فهمه وليرسخ للمؤمنين ما يجيئهم من الوحي، ويستمر الجو ـ جو التصحيح ـ في قصة موسى مع العبد الصالح بمشاهدها الثلاثة، وحتى في قصة ذي القرنين فإن القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً حسبوا ذا القرنين كغالب الملوك في الأرض فعرضوا عليه خرجاً حتى يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً.

الأفكار الرئيسة في سورة الكهف:

جاءت السورة بالتبشير للمؤمنين والإنذار لمن أشرك بالله شيئاً، وهذه البداية تتناسب مع محور السورة ألا وهو (**فتن الحياة الدنيا وكيفية علاجها**) التحذير من الافتتان بأربع وهي: فتنة الدين والمال والعلم والسلطان فلا تكن يا محمد آسفاً عليهم إذا لم يؤمنوا بهذا المنة، وهذه الفتن تمثل الأفكار الرئيسة في السورة.

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ تفسير سورة الكهف.

ثم تبدأ الآيات في تقدمة لهذه الأفكار الرئيسة الأربع بذكر أن الحياة مزينة للناظرين، ولكن حقيقتها ابتلاء واختبار لهم من سيحسن العمل، وفي نهاية هذه الحياة تضيع كأنها تراب؛ إذ يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾.



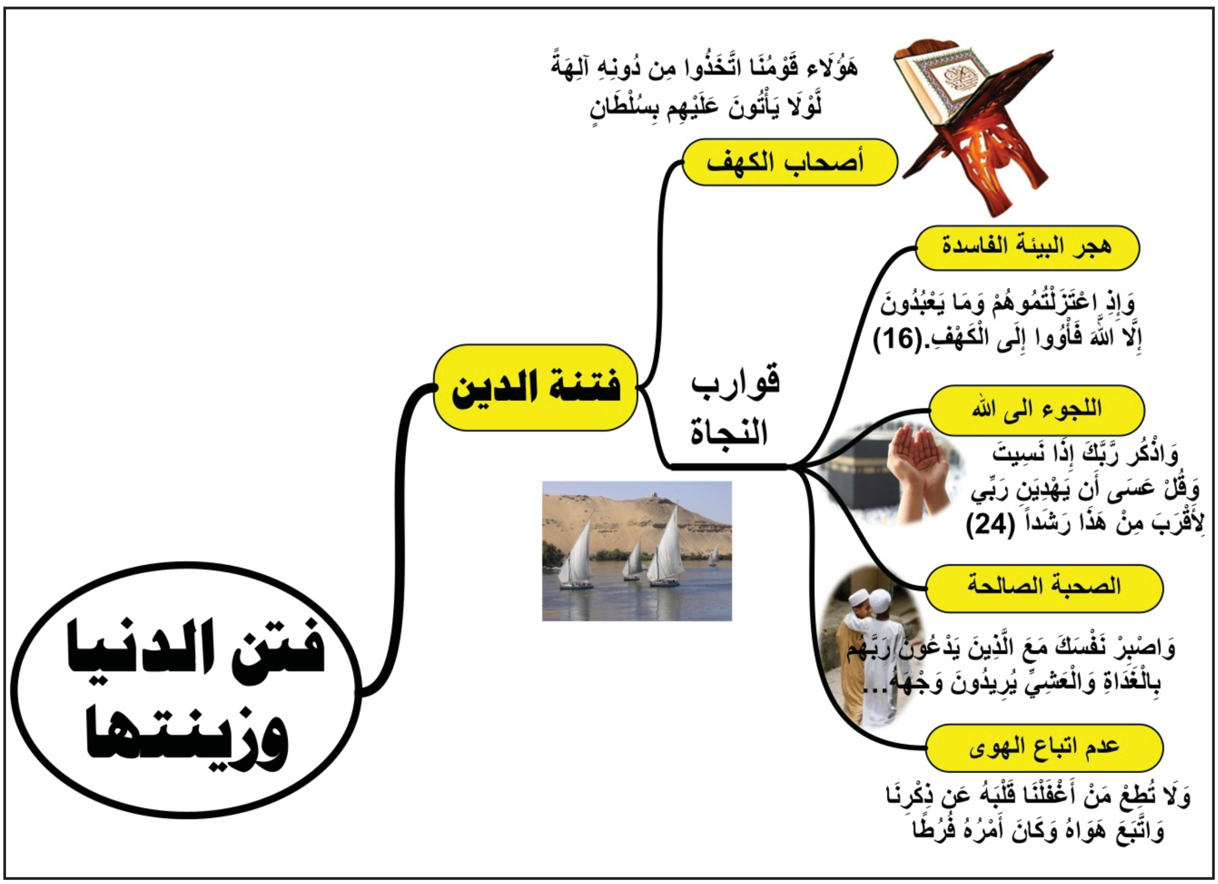
وتلاحظ بين كل قصة وأخرى تكرر الحديث عن حقيقة الحياة الدنيا وكأنه تنبيه للغافلين عن هذه الحقيقة أفيقوا أمة القرآن، فالموت هو الحقيقة الوحيدة في حياتنا أما الدنيا فهي زينة وتفاخر وتباهي فهي كم فتكت بالمفتونين بها.

قبل معرفة علاقة القصص الأربع لا بد أن نتذكر أن القرآن لا يسرد علينا قصصاً متناثرة، بل أنها كلها تكون بناءً متكاملاً وتخدم معنىً معيناً. فقصة سيدنا موسى مثلاً لم تأتِ على ذكر فرعون أو معجزة العصا وذلك لأن إيراد القصة يخدم هنا هدفاً معيناً لا يوجد في قصة فرعون مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. فما هو الخيط الذي يربط القصص الأربع ببعضها؟ إنّ هذه القصص تحدثت عن الفتن الأساسية في حياة الناس.

إن قصص سورة الكهف كلها تتحدث عن إحدى هذه الفتن الأربع ثم يأتي بعده تعقيب بالعصمة من الفتن أو قوارب النجاة:

١ ـ فتنة الدين:

قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاثمئة سنة وازدادوا تسعاً وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد. ثم تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.



مثلت هذه القصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة وأشارت هذه القصة إلى أن المؤمن لابد له أن يجاهد من أجل دينه ويفر من بلده أن لقي ظلماً وإجباراً على ترك دينه الحق، وهذه الفتنة تتكرر على مر العصور والأزمنة والأمكنة فالحق مطارد.

والعصمة من فتنة الدين (قوارب النجاة) تكون بالصحبة الصالحة واللجوء إلى الله وهجر البيئة الفاسدة.

٢ ـ فتنة المال:

قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله تعالى الجنتين. تمثل هذه القصة فتنة المال والنعمة التي قد تؤدي بصاحبها إلى الغرور فنجد صاحب هاتين الجنتين يباهي بما لديه ويتفاخر بنفسه وماله على محدثه الذي يحاوره، وهنا بدأت الفتنة وصار يظلم نفسه من خلال تصوراته فأخذ ينسب الى نفسه قدرات لا يملكها إلا الله تعالى، فالله هو الذي أعطاه هذه الخيرات من مال وأولاد وأخذ يتعدى من خلال كلامه وافتخاره وأخذ يتكلم على الغيب في أن الجنة لن تبيد أبداً وإنها باقية.

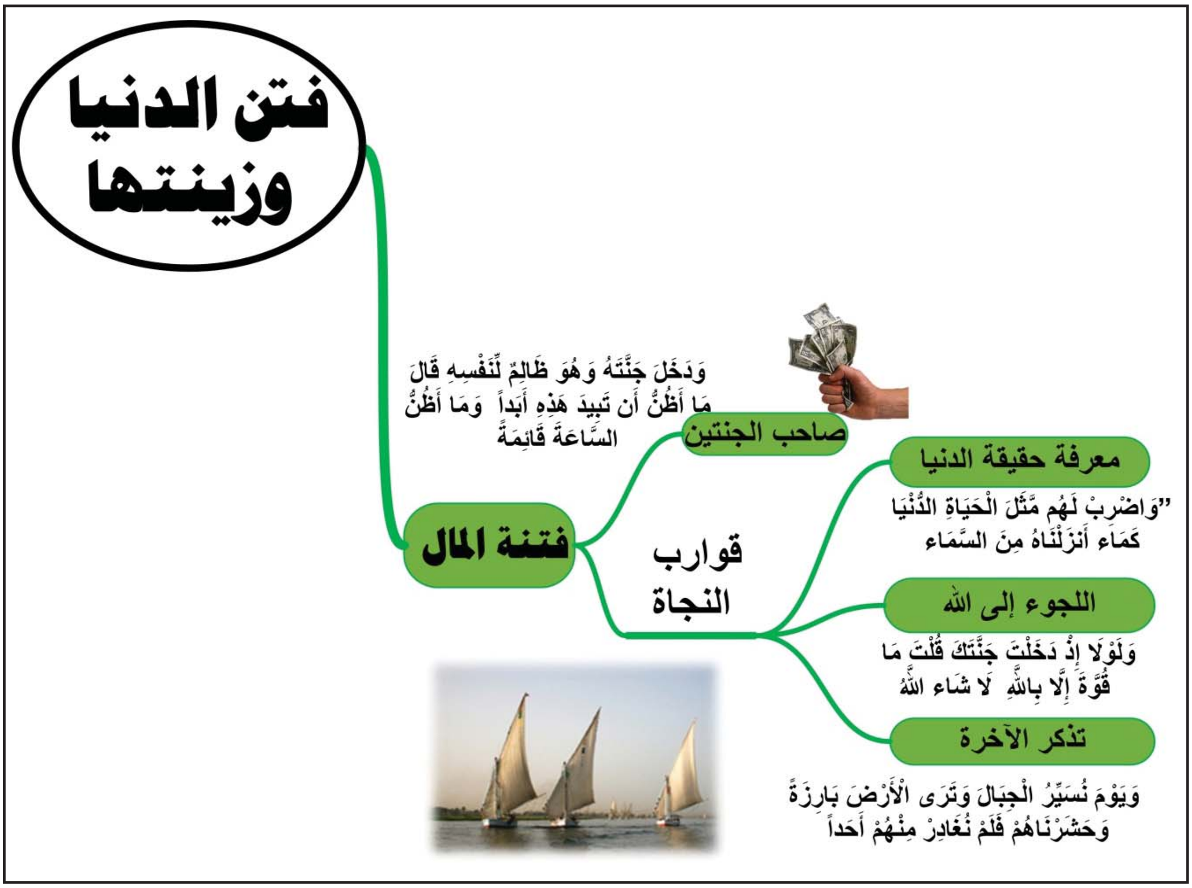
إنَّ قصة الصاحبين، أظهرت قوة اعتزاز الصاحب المؤمن بصلته بالله تعالى ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾ وفي الوقت نفسه أنذر صاحبه المشرك بالبوار لحديقته، وقد استجاب الله دعاءه، فكانت العبرة لكل من يعتز بغير الله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾، وحدث الندم الشديد: ﴿ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ وقال: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾.

لقد جَسّد صاحب الجنّتين أو المزرعتين تشبّثه بتلك الزينة، و لكنّه جسّد في الآن ذاته نهاية تلك الزينة، متمثلةً في إبادة جنّته التي أصبحت صعيداً زَلَقاً على نحو ما أشارت مقدمةُ السورة إليه، من أنّ ما على الأرض قد جعلته السماء صعيداً جُرُزاً.

إذن هذه هي نتيجة الاستكبار في الأرض بالعرَض الزائل من مال أو ولد أو منصب، لتكون قصة أمل دائمة لأصحاب الحق أن الله تعالى هو الذي بيده مفاتيح الخير، وهو وحده النافع الضار، المعز المذل، القابض الباسط.

ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾.

والعصمة من فتنة المال (قوارب النجاة) تكون في فهم حقيقة الدنيا واللجوء إلى الله وتذكر الآخرة.



٣ـ فتنة العلم:

وهي تتضمن ثلاث قصص دارت أحداثها بين سيدنا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ والعبد الصالح، فبعد إلقاء خطبة بليغة الأثر على النفوس، سئل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عن أعلم أهل الأرض، فقال: (أنا)، وهي إجابة حسبها موسى صائبة نظراً للقرائن والميزات المتوفرة فيه، فقد خصه الله تعالى بأمور كثيرة. فهو كليم الله عَزَّوَجَلَّ، وأحد أولى العزم من الرسل، وصاحب معجزة العصا واليد، والنبي الذي أنزلت عليه التوراة دون واسطة، وإنما كلمه الله تكليماً. ويمكن أن نلاحظ أن هذه القصص

الثلاث تضمنت أيضاً ثلاث فتن هي زينة وابتلاء في هذه الحياة الدنيا وهي:

أ ـ مساكين أمام ملك ظالم (فتنة السلطان): في قصة موسى والعبد الصالح نرى مساكين يمتلكون سفينة يعيشون منها وفي البحر ملك يستولي على كل سفينة يعثر عليها. فيسبقه العبد الصالح، الذي يتحرك بإذن الله المباشر، إلى سفينة المساكين فيخرقها لترسو ويظهر للملك عجزها عن الإبحار فلا يغتصبها. والعبد الصالح رمز قوة الله اللطيفة الخفية. وواضح عجز المساكين عن مواجهة الملك الظالم فتدخلت إرادة الله لحمايتهم مما لا يقدرون على دفعه.

ب ـ المغلوبون برحمتهم الأبوية (فتنة الولد): نرى هنا غلاماً شريراً سيء الخلق يرهق والديه بسوء عمله فلا يجدان حيلة في معالجة أمره بسبب حنانهم الأبوي. فتتدخل إرادة الله بواسطة العبد الصالح لتنقذ الأبوين من ولدهما الطاغية. على أن يعوضهما الله بابن يستحقانه بإيمانهما: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾. فتدخل الله بقتل الغلام رحمة بأبويه المؤمنين يتفق مع سنة الله التي تدور السورة حولها. وكي لا نشعر بقسوة القدر بشرتنا الآيات أن الله سينعم عليهما بذرية أقرب رُحماً.

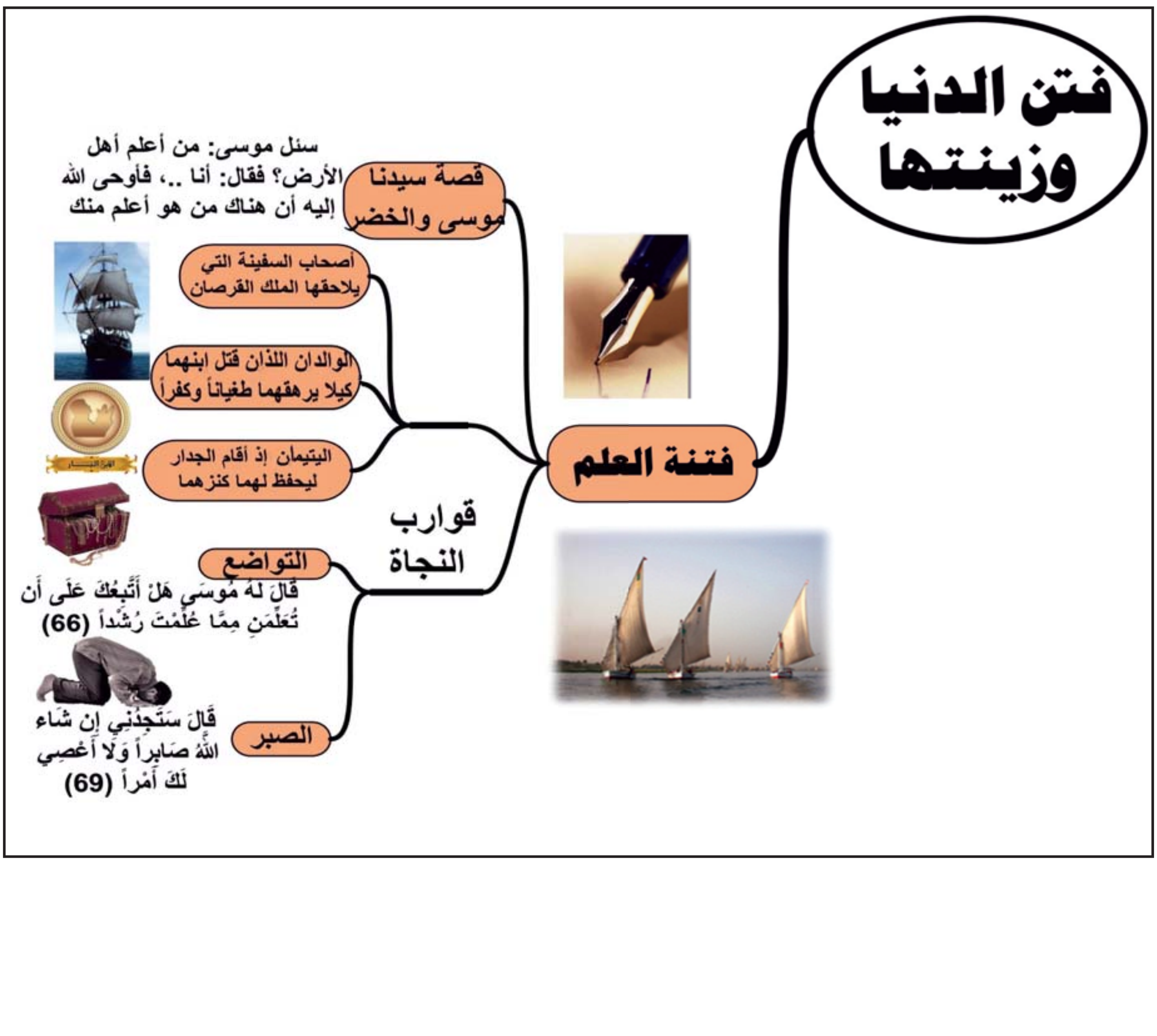
ت ـ جدار اليتيمين (فتنة المال): يمر العبد الصالح وموسى على جدار يوشك أن يسقط فيعيد العبد الصالح بناءه مجاناً. وفي تعليل ذلك لموسى يقول: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾. أراد الله سبحانه أن يستفيد الغلامان من كنزهما. ولذلك لا بد أن يخفى أمره عليهما وعلى الناس حولهما حتى يبلغا مرحلة يستطيعان معها الحفاظ على مالهما من الطفيليين والمحتالين حولهما. ويستطيعان استثماره فيما يفيدهما. باختصار هو حماية الضعيف الذي لم يصنع ضعفه من قُوى لا يستطيع دفعها. ومن يعرف كيف يحتال الناس على المال في البيئة الفقيرة يفهم هذا القصة من زاوية السورة المخصصة لنصرة العاجزين أمام قوى قاهرة لا يقدرون على حماية أنفسهم وأموالهم منها[1].

(١) معجزة أسماء السور ـ علي راضي أبو زريق–http://abuzurayk.blogspot.com .

يمكن الملاحظة من خلال هذه القصص الثلاث كيف أصبح هذا النبي العظيم إلى طالب علم متواضع يحتمل أستاذه ليتعلم. فلم يصبر سيدنا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على ما فعله العبد الصالح لأنه لم يفهم الحكمة في أفعاله وإنما أخذ بظاهرها فقط.

من هنا ينبغي على طلبة العلم أن يقتدوا بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في تعاملهم مع غيرهم بعدم ادعاء العلم المطلق والتواضع في طلب ما خفي عنهم من أوجه العلم المختلفة، ولن يستطيعوا إدراك ذلك ولو حرصوا، لأن العلم أوسع من أن يُدرك كله، ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله، بل ينبغي الاجتهاد في التحصيل مع التواضع، واعتقاد أن ما عند الآخرين من علم ومعرفة يعتبر تكملة لما عندك، ووجه آخر من أوجه العلم الواسع، فالله تعالى يفرق هذا العلم على عباده كل حسب طاقته ومدى تجاوبه وانتفاعه بهذا العلم، وكذلك حسب مدى خشيته لله تعالى وتقواه.

والعصمة من فتنة العلم (قوارب النجاة) هي التواضع وعدم الغرور بالعلم والصبر على طلب العلم، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ۝٦٩﴾.



٤ـ فتنة السلطة:

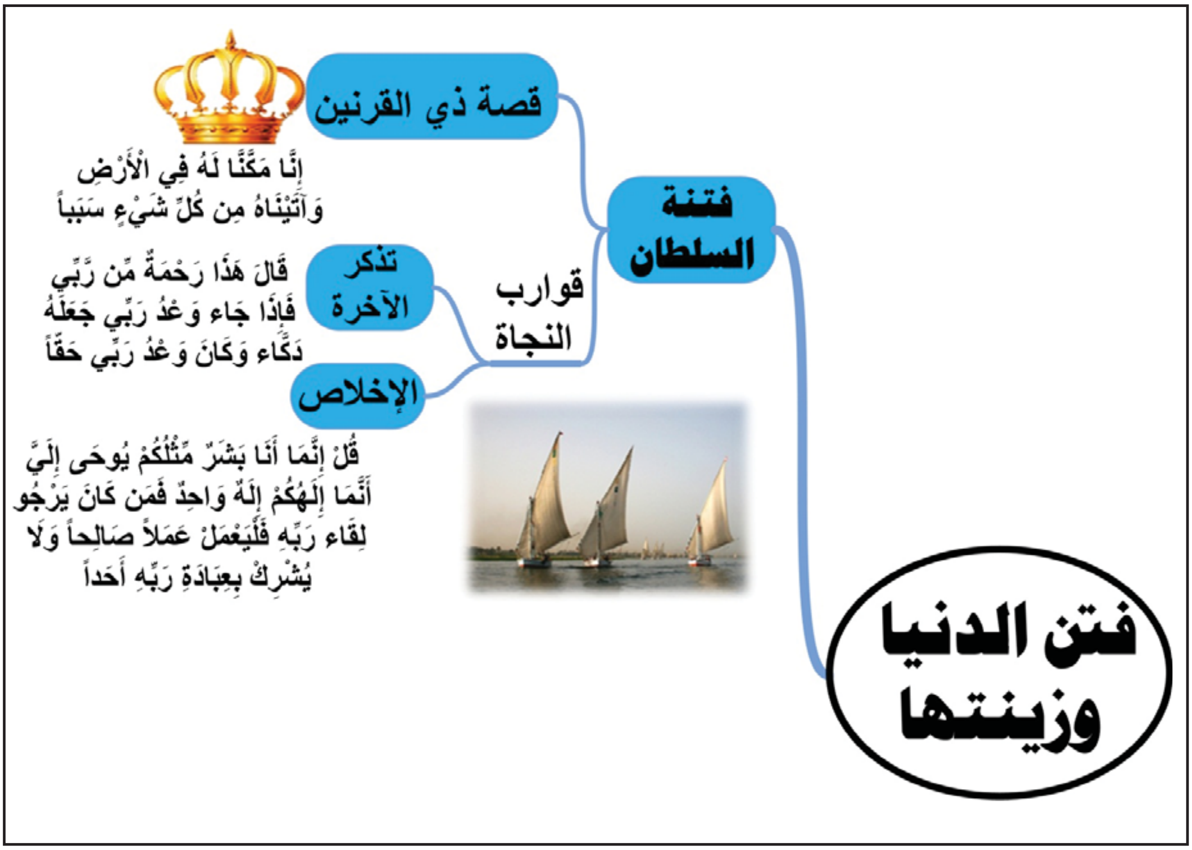
هنا نعيش مع قصة شعب مظلوم تأتيه الحماية من ذي القرنين الملك العادل و القائد العسكري المحنك، الذي ينتقل بجيشه الجرار ويقطع آلاف الأميال وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها، يدعو إلى الله وينشر الخير، دون أن يعلم ما سيواجهه، فيجد نفسه يدخل بلد شعب مظلوم مغلوب على أمره خائفين من هجوم شعب قوي مستبد (يأجوج ومأجوج)، فيتدخل لحماية الشعب المظلوم من الشعب الظالم. ثم يعينهم على بناء سد لمنعهم عنهم وما زال السدّ قائماً إلى يومنا هذا.

تؤكد قصة ذي القرنين أن الحكم والسلطان والتمكين في الأرض ينبغي أن يسخر لتنفيذ شرع الله في الأرض، وإقامة العدل بين العباد، وتيسير الأمر على المؤمنين المحسنين، وتضييق الخناق على الظالمين المعتدين، ومنع الفساد والظلم، وحماية الضعفاء من بطش المفسدين.

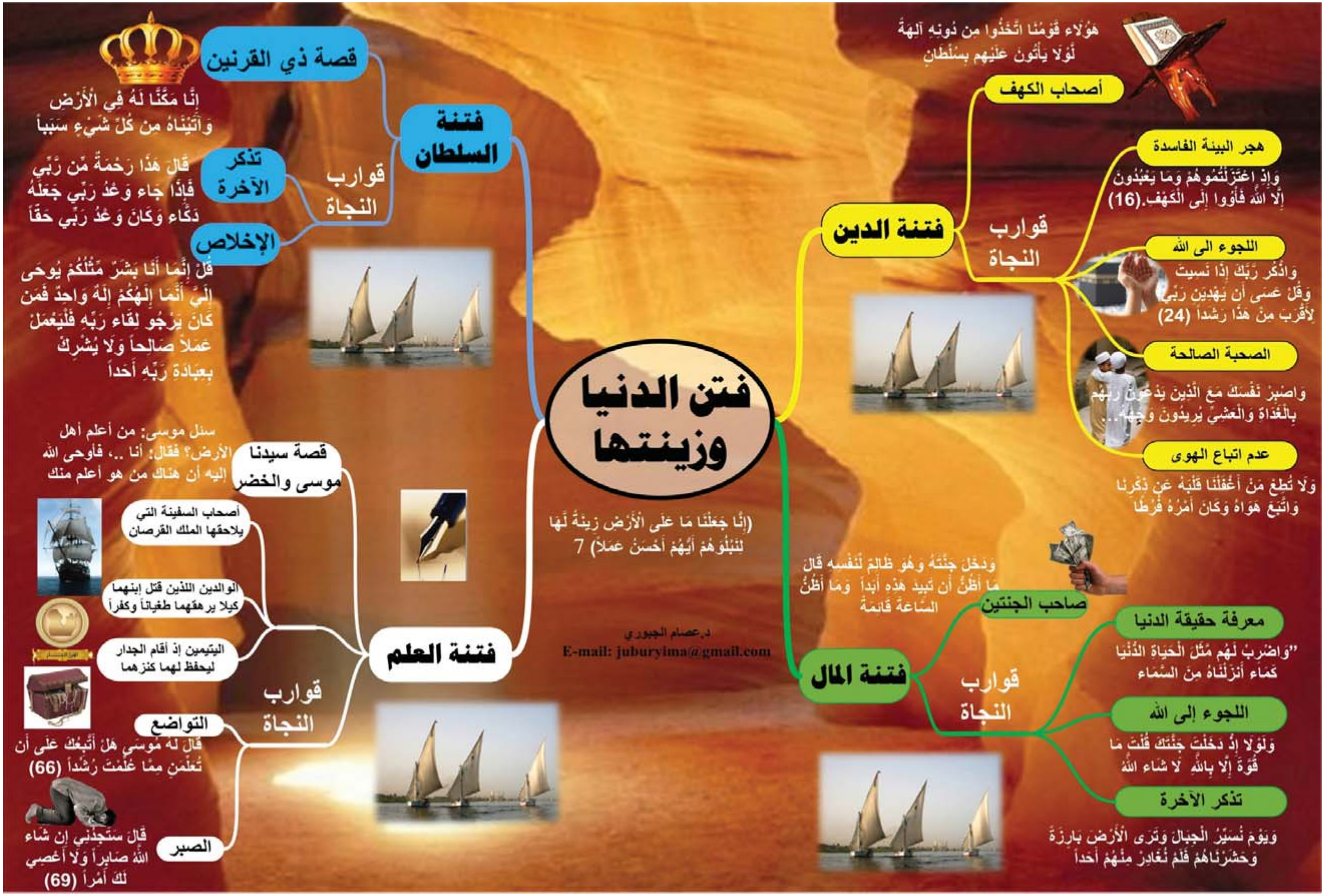
وتؤكد القصة على إنَّ آخر طريق الدعوة والدعاة هو التمكين، وإنه يجب أن تكون عندهم أسباب القوة بحيث يستطيعون مواجهة الظالمين أفراداً وجماعات أو عصابات، وتدلهم على طرق امتلاك القوة المطلوبة كالصبر والإخلاص والالتفاف حول قيادتهم والتصاق بها، كما حدث مع أهل المغرب وبين السدين، وقد تمثلت قصة النجاح في المنع الكامل لهذا الظلم من قوم يأجوج ومأجوج حيث نص القرآن على أنهم: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾، وهذا يعني أن آخر مشوار الدعوة بالحسنى هو العز والتمكين، والقدرة على ردع الظالمين ومنعهم من استضعاف الآخرين، ونهب ثروات المساكين.

وتأتي آية العصمة : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾.

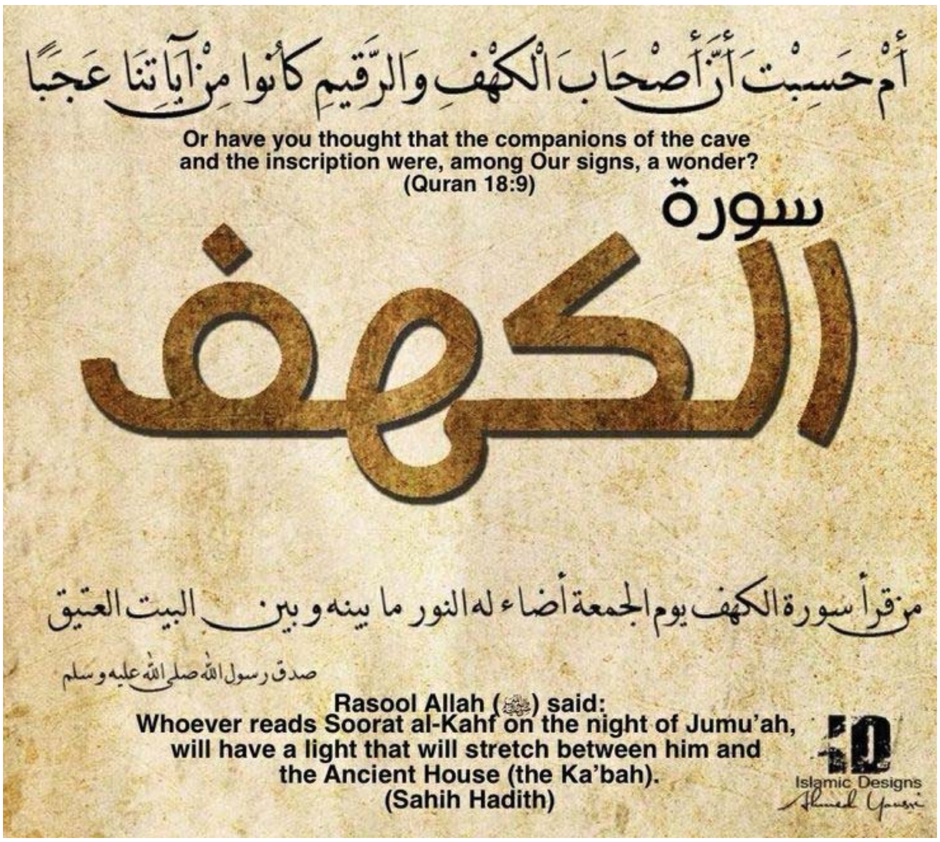
والعصمة من فتنة السلطة (قوارب النجاة) هي تذكر الآخرة و الإخلاص لله في الأعمال.



والشكل يوضح ترتيب هذه الأفكار على شكل خارطة ذهنية لكل أجزاء سورة الكهف.


فتن الدنيا وزينتها
(إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً 7)
د.عصام الجبوري
E-mail: juburyima@gmail.com
فتنة الدين
أصحاب الكهف
هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ
قوارب النجاة
هجر البيئة الفاسدة
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ.(16)
اللجوء الى الله
وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً (24)
الصحبة الصالحة
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...
عدم اتباع الهوى
وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً
فتنة المال
صاحب الجنتين
وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
قوارب النجاة
معرفة حقيقة الدنيا
"وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
اللجوء إلى الله
وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
تذكر الآخرة
وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً
فتنة السلطان
قصة ذي القرنين
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً
قوارب النجاة
تذكر الآخرة
قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً
الإخلاص
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً
فتنة العلم
قصة سيدنا موسى والخضر
سئل موسى: من أعلم أهل الأرض؟ فقال: أنا ..، فأوحى الله إليه أن هناك من هو أعلم منك
أصحاب السفينة التي يلاحقها الملك القرصان
الوالدين اللذين قتل إبنهما كيلا يرهقهما طغياناً وكفراً
اليتيمين إذ أقام الجدار ليحفظ لهما كنزهما
قوارب النجاة
التواضع
قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (66)
الصبر
قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (69)

كهفنا نور بين الجمعتين



إنَ قصة الكهف، التي سميت بها السورة، كانت كفصل أول في رواية، وتبعتها القصص الأخرى فصولاً تالية، أو هي ملخص وتفصيله ما بعده؛ فالسورة بدأت بما يشبه واقع المسلمين في مكة من المطاردة والاضطهاد، ثم أرادت تصبيرهم على ما هم فيه بطمأنتهم على أنفسهم وعلى دينهم، وبلفتهم إلى أن لله تعالى حكمة عظيمة في كل أمر، وأن الأمور ليست على ظاهرها دائماً، والمطلوب تسليم الأمر لله تعالى، فإن الله تعالى سيرعاهم ويحفظهم حتى يتم نوره، ويصير حالهم إلى حال ذي القرنين فيفتحون المشارق والمغارب بالتوحيد، واسم ذي القرنين كما هو واضح، يوحي بمعاني القوة والغلبة، كأنها تؤكد لهم أنهم صائرون إلى مثل حال ذي القرنين، وهو ما أشار إليه أول السورة في قوله تعالى:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾؛

فالله تعالى أنزل هذا الكتاب على عبده ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾،

والبأس الشديد يأتي من قوم أولي بأس شديد، في إشارة واضحة إلى ما سيصير إليه حال المؤمنين إلى القوة بعد الضعف، وإلى الأمن بعد الخوف، وإلى التمكين بعد التخطف والمطاردة، ولعل مما يفيده التعبير بـ (من لدنه) أن ليس في واقع المؤمنين وقت نزول الآيات، ما يدل على قرب امتلاكهم ذلك البأس، وبالتالي فهو بأس (لدنّي)، يوقن المؤمنون بالغيب أنه آت، ويستبعده الذين لا يؤمنون إلا بما تلامسه حواسهم.

الكهف والجمعة والخلافة

في الحديث: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ»[(١)]، و«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»[(٢)].

إن يوم الجمعة هو يوم الخلافة، لما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس: يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»[(٣)]، فالخلق للخلافة والإخراج من الجنة لتسلم الخلافة.

إن سورة الكهف تبين للمؤمنين الوظيفة المنوطة بهم والدور المطلوب منهم، وهو القيام بواجب الخلافة وإعمار الأرض بشرع الله تعالى، كما يبرز فيما قام به ذو القرنين من منع للفساد وزحف نحو المشارق والمغارب لإقامة العدل ونشر الخير، بعد أن ترينا مشهداً لملك قرصان لا يشبع حتى إنه ليلاحق المساكين في لقمة عيشهم.

ومن هنا يتبين لنا سر اجتماع المسلمين يوم الجمعة وسر خطبة الجمعة، ومن ثم سر قراءة الكهف في هذا اليوم العظيم[(٤)].

---

(١) رواه الدارمي (٣٤٠٧). والحديث: صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٧١).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٣٩٩) والبيهقي (٣/ ٢٤٩).

(٣) صحيح مسلم ـ الصفحة أو الرقم: ٨٥٤.

(٤) الوحدة الموضوعية في سورة الكهف ـ طارق مصطفى حميدة ـ مركز نون للدراسات القرآنية/ فلسطين.

أرجو مطالعة كتاب (سورة الكهف.. منهجيات في الإصلاح والتغيير)[1]، حيث يمثل هذا الكتاب نقلة نوعية في التعايش مع القرآن وإمعان الفكر والنظر في إشعاعاته، وإضاءاته الربانية التي تتنادى لمن غاص في بحار أنواره بأشرعة التفكر والتدبر والخشوع.

المسيح الدجال وعلاقته بسورة الكهف

ذكر الله في سورة الكهف فيها أصول الفتن الأربع (فتنة الدين والمال والعلم والسلطان) وبيّن فيها مصادر الشر والمحن ثم وضع للمسلم قوارب النجاة من هذه الفتن، ورسم له المخرج من هذه المحن. وقد سن النبي ﷺ قراءة وتأمل وتدبر سورة الكهف في يوم الجمعة من كل أسبوع.

ونحن نقرؤها كل جمعة، ولكنّنا نجهل الحكمة من قراءة هذه السورة في كلّ يوم جُمعة، التي ورد بأنّ الربح الذي يجنيه من قرأها بهذا اليوم:

- «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء الله له من النور ما بين الجمعتين».
- «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ»وفي رواية أخرى لمسلم: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ».

وههنا سؤال: لماذا شرعت قراءة الكهف يوم الجمعة؟.

هناك مناسبة كبيرة بين الأمرين:

١ ـ يوم الجمعة هو يوم قيام الساعة التي من أشراطها الكبرى ظهور الفتن وخروج الدجال، كما ذكرت السورة نهاية الدنيا بخروج يأجوج ومأجوج الذين هم من علامات الساعة الكبرى، ففي هذه السورة تنويه بقرب وقوع الفتن وقيام الساعة وتذكير بالاستعداد لها وعدم الاغترار بالدنيا.

٢ ـ فتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قيام الساعة وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب فقد ورد أن معه جنة ونار وجنته

(١) سورة الكهف.. منهجيات في الإصلاح والتغيير، د. صلاح الدين سلطان.

نار وناره جنة، وإن معه أنهار الماء وجبال الخير ويأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث استدبرته الريح إلى غير ذلك من الخوارق.

إنَّ الدجال يحمل جميع الفتن التي وردت في القصص الأربعة في سورة الكهف فتنة الدين والعلم والمال والسلطة، وهي تمثل أعظم الفتن التي يمر بها المسلم في حياته. وقد ورد عن النواس بن سمعان في حديثه في ذكر النبي ﷺ خروج الدجال، وفيه: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ» [رواه مسلم وأبو داود، وزاد أبو داود: «فإنها جواركم من فتنته»].

إنَّ الفتن الأربع المذكورة في السورة اجتمعت في الدجال وكما مبين بالجدول:

فتنة الدين	إذ يفتن الناس في دينهم، ويدعوهم إلى الشرك، ويقهرهم عليه
فتنة المال	إذ يمر بالخربة فتتبعه كنوزها ويأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت
فتنة العلم	إذ يخبر الرجل عن أبيه وأمه، ويقطع الرجل بسيفه حتى يمشي بين نصفيه ثم يدعوه فيأتي بأمر الله تعالى، ويشق الرجل بمنشاره من مفرق رأسه إلى قدميه ثم يعيده بأمر الله تعالى كما كان.
فتنة السلطان	إذ تدين له الممالك، ويعيث في الأرض فساداً، وما من بلد إلا يبلغها سلطانه إلا مكة والمدينة.

إنَّ سورة الكهف هي بمثابة الترياق الوحيد لسم فتنة المسيح الدجال، فلكل داء دواء وداء فتنة الدجال لا ترياق له ولا دواء إلا تلاوة آيات سورة الكهف عليه للوقاية والعصمة من شر فتنته.

وحري بمن كان من أهل سورة الكهف: قارئاً لها، متدبراً لآياتها، عارفاً بقصصها، حافظاً للآيات العشر من أولها أن يحفظ من فتنة الدجال، فلا يغترُّ بكذبه وبهرجه، ولا تنطلي عليه أفعاله وما سخر الله تعالى له من الآيات، ولا يزدادُ فيه وفي فتنته إلا بصيرة على بصيرته، وإيماناً بالله تعالى مع إيمانه.

أخي الحبيب: ما أجمل أن نحفظ ونفهم ونتدبر هذه السورة العظيمة، وأن نحافظ على قراءتها كل جمعة، فتكون هذه القراءة الأسبوعية مراجعة للحفظ وسبباً لعدم النسيان، ولتكون منهاجاً روحياً لا ينقطع، ونوراً متدفقاً لا ينطفئ، ومعيناً من الأجر والثواب لا ينضب، وأنيساً للنفوس المتعبة لا يمل، وحصناً من الفتن والابتلاءات لا يخترق، حتى قيام الساعة، زيادة على الأجر والنجاة من الفتن.

وما أجمل كذلك أن نربي أهلنا وأسرنا على قراءة لهذه السورة فتجتمع الأسرة على قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، ويفضل أن يقف من عنده علم من الأسرة على شيء من تفسيرها وقصصها من كتب التفسير الموثوقة، ويشرح لهم بعده خريطتها الذهنية، في جلسة إيمانية وجو عائلي هادي، نربي فيه أزواجنا وأولادنا على ذكر الرحمن والتمسك بالقرآن وتدبره.

سورة لقمان

محور السورة:
تربية الأبناء على منهج الله



لقد جاء الإسلام بمنهج شامل قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات. وما ذاك إلا لتحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار.

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «انتصرَ محمدٌ ﷺ يوم صنَع أصحابه صوراً حيَّة من الإيمان، يوم صاغ من كل واحد منهم قرآناً حيّاً يدبُّ على الأرض، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للإسلام يراه الناس فيرون الإسلام، فالنصوص وحدها لا تصنَع شيئاً، وإن المصحف وحده لا يعمَل شيئاً حتى يكون رجلاً، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً، ومِن ثم جعل محمد ﷺ هدفه أن يصنَع رجالاً لا أن يُلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبِّج خطباً، وأن يَبني أمة لا أن يُقيم فلسفة، أما الفكرة ذاتها، فقد تكفَّل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد ﷺ أن يحول الفكرة المجرَّدة إلى رجال تَلمسهم الأيدي وتراهم العيون»(١).

(١) سيد قطب ـ دراسات إسلامية ـ ص٧٢.

ومن أظهر المسؤوليات التي اهتم الإسلام بها وحظ عليها مسؤولية تربية الأولاد تجاه من لهم في أعناقهم حق التعليم والتوجيه والتربية. وتعتبر الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، إن صلح أفرادها صلح المجتمع و إن فسدوا فسد، و يعتبر الأولاد أطفال اليوم رجال المستقبل هم الذين ينهضون بالأمة أو العكس لذا وجب الاهتمام بهم و تربيتهم تربية سليمة، وإعدادهم إعداداً جيدا يؤهلهم لحمل الأمانة.

سورة لقمان سورة مكيّة وهي تمثّل بحق أفضل طرق تربية الأبناء على العقيدة الصحيحة بمخاطبة الفطرة بآيات الله عَزَّوَجَلَّ في الأنفس والآفاق. ولما كانت العلاقة بين الآباء والأبناء من الأهمية بمكان؛ ها هو القرآن الكريم يعرض علينا مشهداً مهيباً لأب حكيم ومُرَبّ عظيم يجلس مع ابنه جلسةً روحيةً ويوصيه فيها بأعظم وصية، بأسلوب بديع، وإشفاق رحيم، لذا جاءت آياتها فيها رقة وحنو ولطف وهدوء، لقمان ينصح ابنه بكل مودة ولطف ورقّة ويكثر من استخدام كلمة (يا بني) وقد أوصاه بوصايا هي قمة الآداب الاجتماعية والأخلاق الحميدة.

تدل السورة على ضرورة أن يجلس الأب مع ابنه دائماً أو كثيراً للوعظ والتوجيه والتربية، والتعبير القرآني يدل على إعطاء أولوية كبيرة للجلوس مع الأولاد ذكوراً وإناثاً للوعظ والنصح والتربية، فهي مهمة ليست سهلة، وهي تستحق كل العناية والاهتمام، لأنها تتعلق ببناء الإنسان، وبناء الجيل القادم، وبناء القيادة للأمة.(١)

(١) د. علي محيي الدين القره داغي ـ دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم ـ جريدة الشرق الأوسط ـ أغسطس ٢٠٠٣ العدد: / ٩٠٤١/ .

أفكـــار الســـورة

نفهم محور السورة من اسمها، الذي يدل على تربية لقمان لابنه ووصيته التي جاءت بها السورة. فهي سورة تربية الأبناء، تحمل في آياتها أساليب رائعة لتربيتهم على منهج الله تعالى، تربية شاملة لكل ما يحتاجه الأبناء في دينهم ودنياهم. هذه التربية تشمل الأفكار الآتية:



١ ـ آيات الكتاب الحكيم (الموجودة في الكون) وكيف أنها:

- ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾.
- وكمقابل لهم هناك فريق من الناس يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم، ويتخذ تلك الآيات هزواً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

أما الذين آمنوا فلهم جنات النعيم أبداً ـ وليس لفترة من الزمن ـ فهذا وعد الله حقاً ـ فهو سبحانه قدر أن يخلق السماوات بغير عمد وألقى في الأرض رواسي وبث الدواب وأخرج النباتات ـ فما المانع من تحقق وعد الله في الآخرة؟! ـ وهذا كله خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه.

٢ ـ توحيد الله تعالى ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾. إن أول واجب على الوالد، وولي الأمر هو غرس العقيدة الصحيحة، فهي الأساس لبناء إيمان الشخص وتصوراته وأفكاره، ثم إن لقمان الحكيم بدأ بالنهي عن الشرك ولم يبدأ معه بالأمر بالإيمان بالله تعالى

وذلك لأن الإيمان بالله تعالى متحقق لدى الأطفال بحكم الفطرة، ولكن المشكلة هي تحقيق توحيد الألوهية وهذا هو الذي ضل فيه كثير من الناس، وأما توحيد الربوبية وإثبات الخلق لله تعالى فهو محل اتفاق أكثر العالمين على مرّ التاريخ، ولذلك ركز عليه لقمان. واستعمل سيدنا لقمان وسائل الإقناع بشكل واضح حيث لم ينه عن الشرك، لأنه شرك، بل أوضح ما يقنع ابنه بأن الشرك أمر قبيح مكروه غير مقبول، لأنه ظلم عظيم، والفطرة السليمة تأبى الظلم والضيم، وتضمنت الوصية درسين:

- درس نظري ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾.
- درس عملي وهي جولة في آيات الله في الكون.

◆ ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾.

◆ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣ ـ **برَّ الأبناء لآبائهم** ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ ... ﴿١٤﴾ ﴾. وتضمنت:

- الطاعة وعدم الشرك ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴿١٥﴾ ﴾.
- التوازن بين البر وترك الشرك ﴿ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴿١٥﴾ ﴾.

٤ ـ **أهمية العبادة والإيجابية** (الأمر بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على تحمل المشاق في سبيل ذلك) وتضمنت:

- **تنشئة الأطفال على عبادة الله تعالى** ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴿١٧﴾ ﴾.
- **نغرس في قلوبهم الإيجابية ليأخذوا بأيدي الناس للهداية** ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ... ﴿١٧﴾ ﴾.

٥ ـ **فهم حقيقة الدنيا** (لا للترف...تعريف الأبناء بحقيقة الدنيا وسياستها المتقلبة).

- ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾.

٦ ـ الذوق والأدب:

- ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾.

أن سيدنا لقمان نهى ابنه عن التكبر، ثم استعمل وسيلة الإقناع من خلال أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، بل إن كل إنسان عاقل لا يحب المختالين، وكذلك حينما نهاه عن القصد والتوسط في المشي والصوت، استعمل وسيلة مقنعة واضحة وهي أن أنكر الأصوات لصوت الحمير.

- ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾.

استعمال الأشياء المفهومة للأولاد، والألفاظ الواضحة، وبعبارة أخرى أن يكون خطابهم باللغة التي يفهمونها هم وليس بلغة الكبار، وهذا ما فعله سيدنا لقمان في وعظه لابنه حينما تحدث عن الأصوات المرتفعة الكريهة شبهها بأصوات الحمير، وذلك لأن أصوات الحمير مفهومة جداً للأطفال، وكريهة كذلك ومزعجة، فاستعمل وسيلة التقبيح المفهومة لديهم.

ملاحظة: من الضروري الإتيان بالبدائل عند النهي عن أي شيء، حيث بعدما نهى لقمان عن الخلق الذميم من التكبر ونحوه رسم له الخلق الكريم فقال: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ بعدما قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ فعلى المربين أن يوجدوا البدائل المقبولة لكل المنهيات المستهجنة، ومن فضل الله تعالى أنَّ ديننا يقوم على ذلك.

٧ ـ التخطيط للحياة:

- (أن تضع قصداً وهدفاً وراء كل خطوة تمشيها، فلا تعيش في الحياة زائداً عليها دون أن يكون لك أي هدف فيها)... ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ... ﴿١٩﴾ ﴾.

٨ ـ عدم الاتباع الأعمى (خطورة تربية الأبناء على الإتباع الأعمى دون فهم لمعتقدات الآباء).

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴿٢١﴾ ﴾.

وتختم السورة بالتأكيد على علم الله تعالى وقدرته في الكون:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

وهذا ما يجب أن يربّي الآباء أبناءهم عليه فلا يغتروا بالحياة الدنيا وينسوا من وهب هذه الحياة ومن خلق الكون ابتداءً. وذكرت الآية الأخيرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ خمس غيبيات لا يعلمها إلا الله تعالى:

١. علم الساعة. ٢. إنزال الغيث. ٣. علم ما في الأرحام. ٤. الرزق والكسب. ٥. ساعة ومكان الموت.

على هذا النحو تتبدى لنا جلياً بعض ملامح التربية الحضارية للأبناء في القرآن الكريم، ممثلة بالرسالة التربوية الراقية التي يقدمها «لقمان الحكيم» ولنا فيها عبرة تنتظر المزيد من التأمل والبحث والتقصي لاكتشاف الكنوز الحقيقية التي نحن في أمس حاجة لها في تعاطينا مع جوانب الحضارة الحديثة ومفرزاتها، من خلال منظور إنساني حضاري راقٍ يعمل على البناء النوعي للشخصية الإنسانية وفق منحيين متكاملين متداخلين (**المنحى الروحاني المعرفي، والمنحى الأدائي السلوكي**) وهذا في حد ذاته هو غاية ما تطلبه النظريات التربوية المعاصرة[(١)].

ختاماً: إلى الآباء والمربين: ما الذي نستفيده من قصة لقمان ووصاياه؟

ليس من مقاصد القرآن أن يذكر لنا قصة لقمان الحكيم ووصاياه لابنه، لمجرد الخبر أو التسلية، وإنما لتكون منهجاً سديداً ومسلكاً رشيداً يسلكه الآباء والمعلمون والمربون، ونبراساً وأنموذجاً يحتذون حذوه ويسيرون على نهجه في تربية الأبناء وتعليم النشء.

إنَّ وصايا لقمان الحكيم لابنه تشير إلى قضية هامة في المجتمع المسلم، وهي قضية القرب من الأبناء ووعظهم وإرشادهم وتوجيههم، والجلوس ومعهم والتحدث إليهم.

وإذا لم نقم بهذا الأمر تركنا الطرقات والشوارع تربّي أبناءنا، والقنوات الفضائية تفسد مبادئهم وتهدم أخلاقهم، ورفاق السوء والشلل الفاسدة تنخر في سلوكياتهم وتصرفاتهم، والنتيجة: فساد كبير لا يعلمه إلا الله[(٢)].

---

(١) فيصل سليمان حسن ـ التربية الحضارية في القرآن الكريم ـ مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد: ٥٣٢.

(٢) د. نوف بنت ناصر التميمي ـ المضامين التربوية لوصايا لقمان ـ دار طيبة للنشر ـ www.ktibat.com



صاحب أولادك واكسب مودتهم قبل أن تعظمهم
تربية الأبناء على منهج الله
عقيدتي
لا إله إلا الله
توحيد الله تعالى
درس العملي
درس النظري
[يٰبُنَيَّ لا تُشرِك بِاللهِ إِنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عَظيمٌ] (١٣)
بر الوالدين
الطاعة وعدم الشرك
التوازن بين البر وترك الشرك
أهمية العبادة والإيجابية
تنشئة الأطفال على عبادة الله تعالى
نغرس في قلوبهم الإيجابية ليأخذوا بأيدي الناس للهداية
[يٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلوٰةَ ...] (١٧)
فهم حقيقة الدنيا
لا للترف...تعريف الأبناء بحقيقة الدنيا وسياستها المتقلبة
الذوق والأدب
التخطيط للحياة
[وَاقصِد في مَشيِكَ ...] (١٩)
تحديد الهدف في الحياة والتخطيط للمستقبل
أن تضع قصداً وهدفاً وراء كل خطوة تمشيها، فلا تعيش في الحياة زائداً عليها دون أن يكون لك أي هدف فيها...
عدم الاتباع الأعمى
خطورة تربية الأبناء على الإتباع الأعمى دون فهم لمعتقدات الآباء
د.عصام الجبوري
juburyima@gmail.com
قرآني

فصّلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف

المحور العام للحواميم:
أنتم مسؤولون عن الرسالة: واجبات ومحاذير

إن سور الحواميم تحدث عن القرآن من جهات متعددة: (المرسِل، والمُرسَل، والمنزل عليه، والوحي النازل)، ثم بعد ذلك تنطلق إلى موضوعات تفصيلية متعلقة بهذا الوحي العظيم.

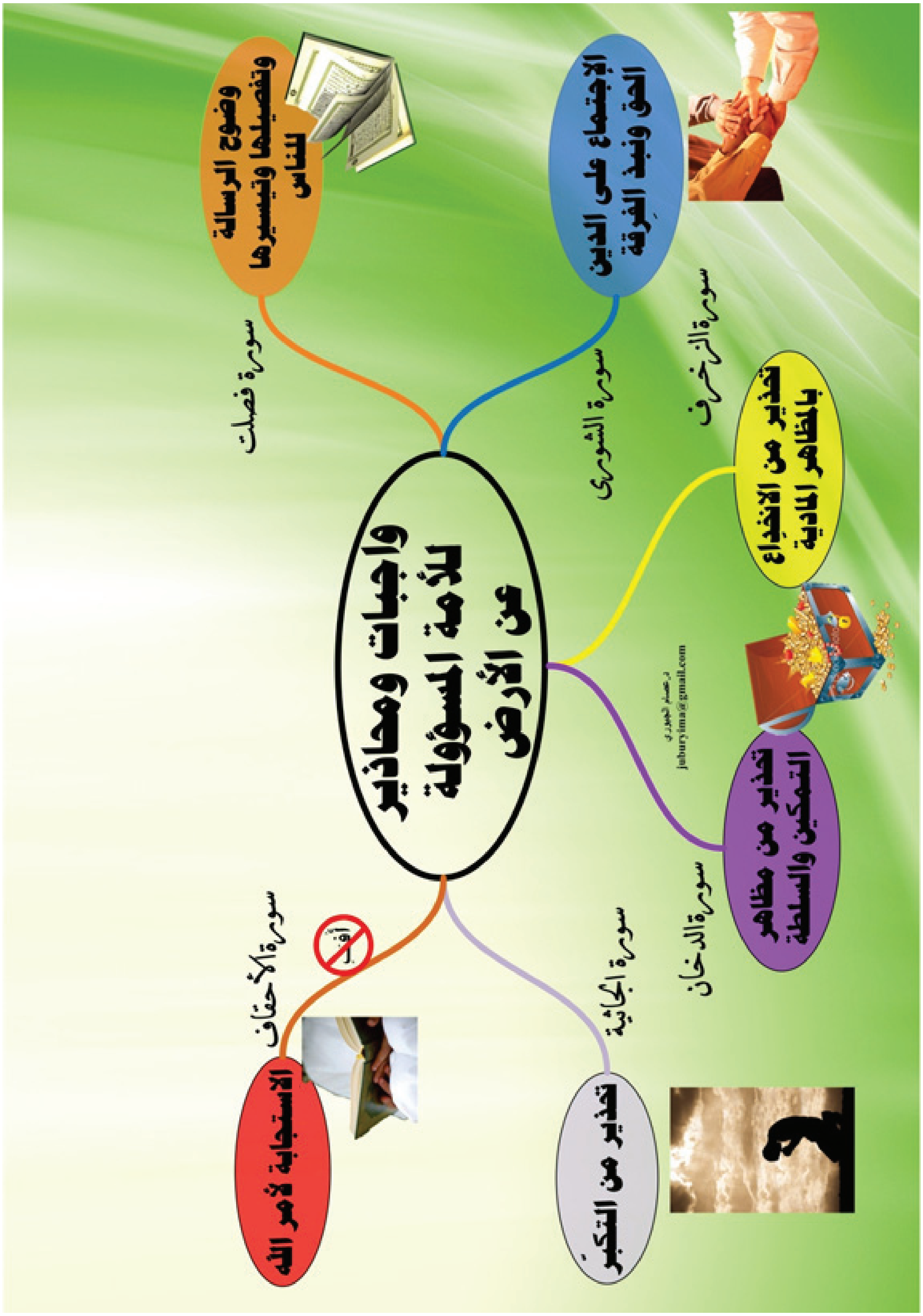
محور كل سورة وموضوعها الأساسي:

ت	اسم السورة	محور السورة
١	فصلت	الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ تجعلكم يا أمة محمد ﷺ مسؤولين عن حمل أمانة القرآن الكريم للعالمين؛ **فعليكم واجب توضيح الرسالة وتفصيلها وتيسيرها للناس** ـ وخذوا العبرة من تاريخ بني إسرائيل.
٢	الشورى	الدعوة إلى الله ومسؤوليتكم عن الكتاب تلزمكم **بالشورى عند الاختلاف**، فهي الضمانة لعدم تمزق الأمة كما تمزقت الأمم السابقة؛ فاحذروا الفرقة.
٣	الزخرف	الدعوة إلى الله ومسؤوليتكم عن الكتاب وعن إقامة الدين تلزمكم أن **تتنبهوا إلى المظاهر المادية التي ينبهر بها كثير من الناس** فتضيع الرسالة؛ فإياكم وهذه المظاهر.
٤	الدخان	الدعوة إلى الله ومسؤوليتكم عن الكتاب وعن إقامة الدين تلزمكم أن تتنبهوا إلى المظاهر المادية **كالجاه والسلطة** ـ كسبب للتكذيب والاغترار والاستكبار.
٥	الجاثية	الدعوة إلى الله ومسؤوليتكم عن الكتاب وإقامة الدين تلزمكم أن تتنبهوا إلى محظور آخر يمنع قبول المنهج وحمله وهو: **التكبر الذي يؤدي إلى العناد وغمط الحق**.
٦	الأحقاف	الدعوة إلى الله ومسؤوليتكم عن الكتاب وإقامة الدين تلزمكم: **الاستجابة لأمر الله والتدبر والاتعاظ** والاعتبار بالآيات الكونية والآيات التاريخية والآيات المنزلة.

وتشترك الحواميم بأنها جميعاً سور مكية وفيها مواضيع مشتركة كثيرة كما مبين في الجدول:

الموضوع / السورة	بيان قيمة القرآن	موسى عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ و بني إسرائيل	الوحدة وخطورة الفرقة	انتقال الرسالة من بني إسرائيل إلى أمة محمد ﷺ	أهمية الصفح والإمهال
فصّلت	﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾		
الشورى	﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾.	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾.	﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾.	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾.	﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾.
الزخرف	﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٦﴾	﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾		﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾

الموضوع / السورة	بيان قيمة القرآن	موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ و بني إسرائيل	الوحدة وخطورة الفرقة	انتقال الرسالة من بني إسرائيل إلى أمة محمد ﷺ	أهمية الصفح والإمهال
الدخان	﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾	﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾			﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ٥٩﴾
الجاثية	﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾	﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠﴾	﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧﴾	﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾	﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾
الأحقاف	﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾	﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢﴾.		﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢﴾	﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾


واجبات ومحاذير للأمة المسؤولة عن الأرض
وضوح الرسالة وتفصيلها وتيسيرها للناس
سورة فصلت
الاجتماع على الدين الحق ونبذ الفرقة
سورة الشورى
تحذير من الانخداع بالمظاهر المادية
سورة الزخرف
تحذير من مظاهر التمكين والسلطة
سورة الدخان
تحذير من التكبر
سورة الجاثية
الاستجابة لأمر الله
سورة الأحقاف

سورة فصلت[1]

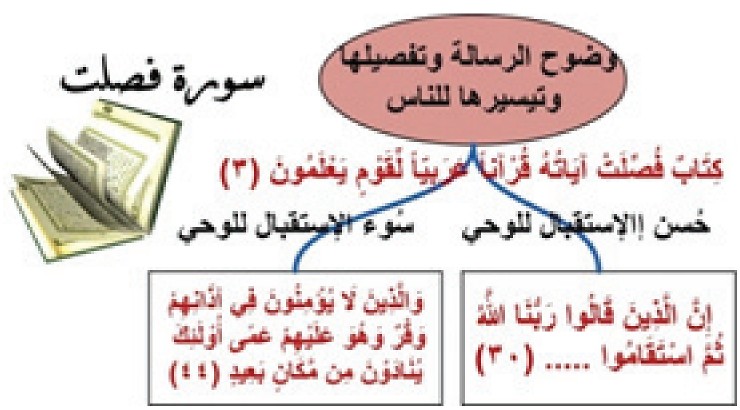
محور السورة

يا أمة محمد ﷺ أنتم مسؤولون عن حمل أمانة القرآن الكريم للعالمين؛ **فعليكم واجب توضيح الرسالة وتفصيلها وتيسيرها للناس** ـ وخذوا العبرة من تاريخ بني إسرائيل[2].

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- **بيان قيمة وعظمة القرآن.**
- **بيان مسؤولية أمة محمد ﷺ في حمل أمانة الكتاب بعد تخلي أمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الأمانة.**
- بيان المسؤولية الأخلاقية على هذه الأمة مثل: الصبر والصفح والإمهال حتى يتم عرض الكتاب والدعوة به وإليه.
- **بيان أهمية الوحدة والائتلاف وخطورة الفرقة التي تؤدي للضعف والتخلي عن أمانة حمل الكتاب.**

فقرات السورة:



١- آيات الله المنزلة في القرآن شاهدة بصدقه وبالحق الذي جاء به شأنها شأن الآيات الكونية المبثوثة في السماء

---

(١) ملاحظة: السور التي تبدأ بنفس الحروف المقطعة يكون بينها موضوع مشترك: مثلاً (الٓمٓ) البقرة: عرض للمنهج. (الٓمٓ) آل عمران: الثبات على المنهج. (الٓمٓ) العنكبوت: الابتلاء في طريق الحفاظ على المنهج.

(٢) الشيخ محمد عبد الهادي المصري ـ عون الكريم في بيان مقاصد سور القرآن الكريم.

والأرض والآيات التاريخية الشاهدة على مصارع المكذبين وعرض لمصيرهم المخزي في الآخرة وتخاصمهم في النار في مقابل المؤمنين في الجنة ثم توجيه للدعاة إلى منهج وخلق الداعية: [آية (١)- آية (٣٦)].وبينت الآيات كيف انقسم الناس في استقبالهم للوحي إلى:

- **حُسن الاستقبال للوحي**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾.
- **سُوء الاستقبال للوحي**: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ .

٢- جولة أخرى مع آيات الله المشاهدة في الكون والمقروءة في الكتاب (القرآن) شاهدة بالصدق والحق وشاهدة على استكبار وجحود هؤلاء الكافرين الذين يسيرون على درب أسلافهم المكذبين إلى نفس المصير الرهيب وكان الأولى بهم الاحتياط لأنفسهم لأن البشر حريص على الخير جذوع من الضر ثم تسلية للدعاة ووعد من الله أن يكشف عن دلائل صدق القرآن حتى يتبين لهم أنه الحق: [آية (٣٧)- آية (٥٤)].

سورة الشورى

محور السورة وموضوعها الأساسي:

بما أنكم مسؤولون عن الكتاب فاحذروا الفرقة[١] فالسورة تقول للمؤمنين عليكم بالشورى[٢] عند الاختلاف فهي ضمانة لعدم تمزق الأمة كما تمزقت الأمم السابقة. **وعليكم الاجتماع على الدين الحق ونبذ الفِرقة.**

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

تنبيه للأمة المؤمنة أن دورها المعين لها كقيادة جديدة وأخيرة للبشرية يلزمها بعدم التفرق والاختلاف المذموم، لكي يتمكنوا من إقامة الدين وحمل أمانة هذا الكتاب[٣].

فقرات السـورة:



١ ـ آيات الكتاب المنزلة شاهدة على صدقه وعلى الحق الذي جاء به والآيات الكونية شاهدة كذلك على الصدق والحق فيه **فعلى أهل الحق أن يتخذوه مرجعاً ثابتاً يرجعون إليه عند الاختلاف ويجعلوه إمامهم يجتمعون عليه ويدعون إليه ولا يتفرقوا فيه** كما

(١) **ملاحظة**: سورة الشورى هي أكثر سورة تكلمت عن الوحدة والفرقة إذ ذكر فيها كلمة الفرقة أربع مرات.

(٢) **ملاحظة**: آية (١٠) وآية (٣٨) توجيه للشورى.

(٣) **ملاحظة**: الآيات من (١٣) إلى (١٥) آيات محورية في السورة وفي كل الحواميم.

حدث للأمم السابقة التي اتخذت لها شركاء أضلتها عن الحق وأبعدتها في الباطل فعلى أهل الحق أن يدعوا هذه البشرية الضالة بإمهال وعدل وصفح لا يريدون إلا وجه الله الذي يجمع الكل يوم القيامة ويمضي عليهم حكمه الحق: [آية (١)- آية (٢٤)].وفيه أيضاً دعوة إلى:

- **نعم للاختلاف** ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.
- **لا للخلاف والفرقة** ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ... ﴿١٤﴾﴾

٢ ـ **دلائل قدرة الله وعظمته تملأ الآفاق** وتؤكد صدق نبيه ﷺ وكتابه المنزل، وتؤكد الضلال والتيه والارتياب والفوضى التي آلت إليها البشرية بعيدًا عن هدي ربها، وتؤكد قيمة هذا الكتاب الهادي وأهمية القيادة الراشدة التي تقوم على نهجه الثابت ومن ثم ينتدب حامل الرسالة الأخيرة ﷺ لهذه القيادة وأمته من بعده، ومن هنا يأتي **بيان صفة هذه الأمة المؤمنة** بوصفها الجماعة التي ستقوم على قيادة هذه البشرية على نهج هذا الكتاب الثابت القويم وتدعوها إلى التوبة قبل العذاب المقيم: [آية (٢٥)- آية (٥٣)].

سورة الزخرف

محور السورة وموضوعها الأساسي:

أنتم أيها المؤمنون مسؤولون عن هذا الكتاب الأخير (القرآن) وعن إقامة الدين فإياكم والمظاهرة المادية التي ينبهر بها كثير من الناس[1] فتضيع الرسالة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

استعراض لأنواع المظاهر المادية الخادعة التي تؤدي إلى التكذيب وعدم الإيمان.

فقرات السـورة:

١ ـ **الرد على التصورات الجاهلية والأساطير الوثنية الزائفة، والانحرافات الاعتقادية** التي تصادم الحقائق الفطرية المنطقية البدهية الأولية التي تشهد بالتوحيد والبعث والنبوة وصدق رسوله ﷺ وكتابه (القرآن)، وبيان حقيقة ما وراء هذا الجدل الزائف من المشركين وهو انبهارهم شأن آبائهم وأسلافهم بالأولاد والأموال من الذهب والفضة ثم تحذير من عاقبة المكذبين الذين سبقوهم: [آية (١)- آية (٢٥)].

٢- **بيان خطورة المظاهر المادية على النفس البشرية في عدم تقييم الأمور تقييماً صحيحاً** فالمظاهر المادية الخادعة تضيع الحقائق وتقلب الأمور وتدفع صاحبها إلى التكذيب بالحق **(الانبهار بالسلطة والزينة من الذهب والفضة والمال)** وتحذير من مصير من سبقهم بالتكذيب بسبب انبهاره بهذه المظاهر الخادعة (فرعون وملئه) فيوم القيامة سيُسأل الناس عن المنهج والقيام به وسيظهر أن الشرف الحقيقي والعظمة الحقيقية لأهل القرآن وأن النعيم الحقيقي

١ () ملاحظة: سورة الزخرف هي أكثر سورة ذكر فيها الذهب والفضة.

والزخرف الحقيقي هو نعيم الجنة وزخرفها: [آية (٢٦)- آية (٥٦)].

- متاع الحياة الدنيا: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.
- قصور النظر: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.
- فرعون والمظاهر المادية: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾.
- الزخرف الحقيقي: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.
- عيسى ابن مريم... رمز الزهد:

١) ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٢) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾.

٣) ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾.

- العز الرباني والشرف الحقيقي: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٣ـ **التحذير من الجدل الزائف والتهويش على الحق والتمسك بالأساطير الوثنية**، والتحذير من الافتراق على الدين والتحذير من اختيار الأصدقاء على أساس المظاهر والمصالح المادية، فالأصدقاء والأصحاب المتحابون في الدنيا من أجل متاعها ومنافعها ومظاهرها المادية، بعيداً عن الدين يعادي بعضهم بعضاً يوم القيامة ويظهر لهم **أن زينة الذهب والفضة في الجنة هي المتعة الحقيقية والنعيم الحقيقي والزخرف الحقيقي** ثم توجيه للنبي ﷺ بالصفح والإمهال وتركهم لما ينتظرهم يوم ينكشف المستور: [آية (٥٧)- آية (٨٩)].

سورة الزخرف


تحذير من الإنخداع بالمظاهر الماديّة
متاع الحياة الدنيا
وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)
الزخرف الحقيقي
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)
قصور النظر
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)
فرعون والمظاهر المادية
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢)
وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧)
وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)

سورة الدخان

محور السورة وموضوعها الأساسي:

تحذير من مظاهر التمكين والسلطة كسبب للتكذيب.

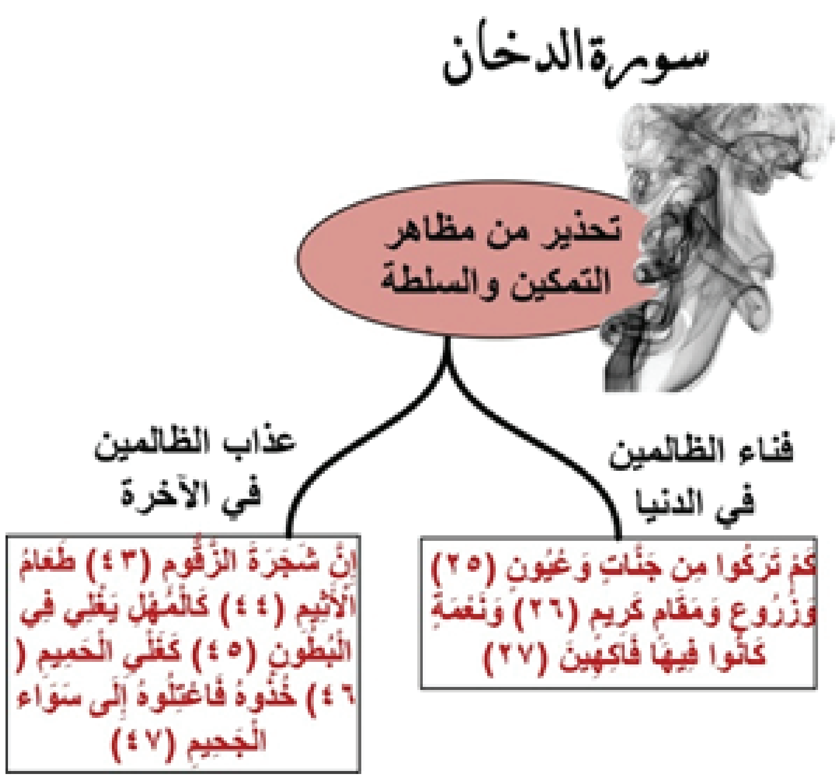
أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

عرض نهاية فرعون من جهة أنها جاءت بسبب اغتراره بنعم الله عليه واعتماده على سلطانه.

وفيها يستعرض:

١. فناء الظالمين في الدنيا: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢. عذاب الظالمين في الآخرة: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾.



فقرات السـورة:

١- تقرير أن هذا الكتاب حق أنزله الحق وبالحق: [آية (١)- آية (٨)].

٢- وتحذير للمكذبين بهذا الحق من اليوم الحق يوم القيامة: [آية (٩)- آية (١٦)].

٣- مصرع فرعون وملئه عبرة لمن تخدعه مظاهر السلطة والجاه عن الخضوع للحق: [آية (١٧)- آية (٣٣)].

٤- ونفس النهاية لقوم تبع ونفس العبرة: [آية (٣٤)- آية (٣٧)].

٥- كما أنزل الله الكتاب بالحق فقد خلق السماوات والأرض بالحق: [آية (٣٨)- آية (٣٩)].

٦- ويوم القيامة يفصل فيه بين أهل الحق (في الجنة) وأهل الباطل (في النار): [آية (٤٠)- آية (٥٧)].

٧- فالصفح والإمهال حتى يجيء مصيرهم الموعود في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا بهذا الكتاب: [آية (٥٨)- آية (٥٩)].

سـورة الجاثيـة

محور السورة وموضوعها الأساسي:

ذل الأمم التي استكبرت في الدنيا والتي تعلقت بالمظاهر المادية واغترت بالسلطة.

وهذا محظور آخر يمنع قبول المنهج أو حمله وهو (التكبر) وحقيقته أنه يعني منازعة الله عَزَّوَجَلَّ في صفة من صفاته وهي صفة (الكبرياء) ولذلك كانت عاقبة المستكبرين المذلة والهوان يوم القيامة ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

استعراض أنواع من التكذيب للحق يدفع إليه الاستكبار، ودعوة لهؤلاء المكذبين إلى الاعتبار بالآيات الكونية والنعم الربانية والبراهين العقلية وأحداث القيامة والبعث والحساب بناءً على التبعة الفردية.



فقرات السـورة:

١- بيان أنـواع من المكذبين الذين يدفعهم الكبر إلى غمط الحق: المعاندون سيئو الأدب فـي حـق الله عَزَّوَجَلَّ ـ أصحـاب الموازين الضالة والقيم الزائفة والأحكام الطائشة ـ الذين لا يعرفون حكماً يرجعون إليه إلا هواهم فهو إلههم الذي يعبدونه من

دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم تحذير من الاختلاف على الحق والافتراق في الدين كما حدث مع بني إسرائيل وتكليف للنبي ﷺ والمؤمنين من بعده بحمل مسؤولية هذا الكتاب: [آية (١)- آية (٢٣)].

٢- عرض جزاء المتكبرين في الآخرة بسبب تكبرهم على الحق الذي تسطع آياته الظاهرة المعنى الواضحة الدلالة في الكون والكتاب وتتفاعل مع الفطرة السليمة النقية ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

سورة الأحقاف

محور السورة وموضوعها الأساسي:

الاستجابة لأمر الله والتدبر والاتعاظ والاعتبار بالآيات الكونية والآيات التاريخية والآيات المنزلة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

جولات مع الفطرة البشرية السوية في الآفاق الكونية والنفسية والتاريخية لبيان أن قضية الإيمان والعقيدة هي قضية الوجود والمخلوقات كلها لا قضية البشر وحدهم.

فقرات السورة:

١ ـ **كتاب القرآن المقروء وكتاب الكون المنظور يتوافيان على بيان الحق وإقامة الحجة على المشركين (المعرضين) عن الحق بلا حجة على شركهم وتكذيبهم** للنبي ﷺ الذي جاء بكتاب حق مصدق للكتب السابقة نذيراً للكافرين بشيراً للمؤمنين: [آية (١)- آية (١٤)].

٢ ـ **هنالك نموذجان من الاستجابة للدعوة:**

- **نموذج للفطرة السليمة السوية** التي تلتقي فيها آصرة الإيمان مع آصرة العلاقة الأسرية السوية (الأمومة والأبوة والبنوة) في طريق مستقيم يقود إلى الجنة **وهم أناس استجابوا لأمر الله** (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (١٥) .
- **نموذج للفطرة المنحرفة (المعرضة والتي لم تستجب لأمر الله)** عن الحق والتي تقود صاحبها إلى النار: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن

كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ
أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ
أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ
﴿٢٣﴾﴾ [آية (١٥)-
آية (٢٠)].



٣- تذكير بمصارع الأقوام السابقين الذين (أعرضوا) عن الحق مفتونين بقوتهم المادية فكذبوا رسلهم فلم تغن عنهم قوتهم ولا آلهتهم المزعومة من الله شيئاً: [آية (٢١)- آية (٢٨)].

٤- **خلق من خلق الله (الجن) نفرٌ منهم آمنوا بكتاب الله المقروء وبكتاب الكون المنظور لأنهم أقبلوا على آيات الله بلا (إعراض)** فعلموا أن هذا الكتاب يتوافى مع كتاب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ثم توجيه للنبي ﷺ أن يصبر على الكافرين ويصفح ويمهل حتى يلاقوا مصيرهم المحتوم: [آية (٢٩)- آية (٣٥)].

ما هو المحور الرئيس الذي يجمع هذه السور الستة؟

كل الحواميم (**فصلت إلى الأحقاف**) تحمل نفس الموضوعات، لكن لكل سورة طابعها الخاص وكلها وحدة واحدة تمثل مرحلة انتقالية بين الدعوة إلى الله (**غافر**) وقبل المواجهة والقتال في سبيل الله ونصرة الدين (**محمد**) لذلك نزلت بينهما، فمحور الجزء: أنتم يا أمة محمد ﷺ مسئولون عن حمل أمانة القرآن فعليكم واجبات وهناك محاذير، وخذوا العبرة من تاريخ بني إسرائيل. وهذا الهدف مختلف عن هدف سورة البقرة لأن في سورة البقرة كان الهدف عرض المنهج فقط بدون أية توصيات مفصلة. أما في الحواميم فكل سورة من السورة تأتي لتعرض جانباً من التوصيات للمنهج وهي كلها عبارة عن تحذيرات وواجبات يجب أن يراعيها من سيتولى المسؤولية في الأرض على الرسالة وعلى المنهج الذي شرعه الله تعالى للاستخلاف في الأرض[(١)].

خلاصة الحواميم:

إياكم والكبر والفرقة والانخداع بالمظاهر المادية واحرصوا على الشورى حتى تقودوا الأرض بما عليها وتطبقوا منهج الله تعالى كما أراده في كونه لتنعموا في الدنيا والآخرة.

والشكل يمثل خريطة ذهنية لهذه السور.

(١) خواطر قرآنية ـ د. عمرو خالد.


واجبات ومحاذير للأمة المسؤولة عن الأرض
سورة الأحقاف
الإستجابة لأمر الله
الجن إستجابوا لأمر الله
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن.... (٢٩)
نموذج المؤمن البار بوالديه
قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين (١٥)
أناس لم يستجيبوا لأمر الله
قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
نموذج الكافر العاق بوالديه
والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ... (١٧)
أف
سورة الجاثية
تحذير من التكبر
ذل الأمم التي إستكبرت في الدنيا والتي تعلقت بالمظاهر وأغترت بالسلطة
وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨)
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤) ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥)
سورة الدخان
تحذير من مظاهر التمكين والسلطة
عذاب الظالمين في الآخرة
إن شجرة الزقوم (٤٣) طعام الأثيم (٤٤) كالمهل يغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (٤٧)
فناء الظالمين في الدنيا
كم تركوا من جنات وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) ونعمة كانوا فيها فاكهين (٢٧)
د. عصام الجبوري
juburyima@gmail.com
سورة الزخرف
تحذير من الإنخداع بالمظاهر المادية
الزخرف الحقيقي
ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون (٧٠) يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون (٧١)
متاع الحياة الدنيا
وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (٣٥)
عيسى بن مريم... رمز الزهد
ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧)
العز الرباني والشرف الحقيقي
وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (٤٤)
قصور النظر
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (٣١)
فرعون والمظاهر المادية
ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون (٥١) أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (٥٢)
سورة فصلت
وضوح الرسالة وتفصيلها وتيسيرها للناس
كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣)
حسن الإستقبال للوحي
إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ..... (٣٠)
سوء الاستقبال للوحي
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد (٤٤)
سورة الشورى
الإجتماع على الدين الحق ونبذ الفرقة
نعم للاختلاف ...
وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠)
لا للخلاف والفرقة
أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ..... (١٣)

الجزء ٢٨

تربية الفرد والأمة على الولاء للإسلام وأهله والبراء من الكفر وأهله

«نحن في هذا الجزء كله تقريباً مع أحداث السيرة في المجتمع المدني، ومع الأمة المسلمة الناشئة حيث تُربى وتقوّم وتعد للنهوض بدورها العالمي، بل بدورها الكوني الذي قدره الله لها في دورة هذا الكون ومقدّراته، وهو دور ضخم يبدأ من إنشاء تصور جديد كامل شامل لهذه الحياة في نفوس أفراد هذه الأمة، وإقامة حياة واقعية على أساس هذا التصور، ثم تحمله هذه الأمة إلى العالم كله لتنشئ للبشرية حياة إنسانية قائمة على أساس هذا التصور كذلك، وهو دور ضخم إذن يقتضي إعداداً كاملاً.

ولقد كان أولئك المسلمون الذين يعدهم القدر لهذا الدور الضخم ناساً من الناس، منهم السابقون من المهاجرين والأنصار الذين نضج إيمانهم، واكتمل تصورهم للعقيدة الجديدة. ولقد اقتضت تربية النفوس وإعدادها للدور الكوني الكبير المقدر لها في الأرض جهوداً ضخمة، وصبراً طويلاً، وعلاجاً بطيئاً، في صغار الأمور وفي كبارها. كانت حركة بناء هائلة هذه التي قام بها الإسلام، وقام بها رسول الإسلام ﷺ في بناء النفوس التي تنهض ببناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، وتقوم على منهج الله، تفهمه وتحققه، وتنقله إلى أطراف الأرض في صورة حية متحركة، لا في صحائف وكلمات.

ونحن نشهد في هذا الجزء كله طرفاً من تلك الجهود الضخمة، وطرفاً من الأسلوب القرآني كذلك في بناء تلك النفوس، وفي علاج الأحداث والعادات والنزوات، كما نشهد جانباً من الصراع الطويل بين الإسلام وخصومه المختلفين من مشركين ويهود ومنافقين.

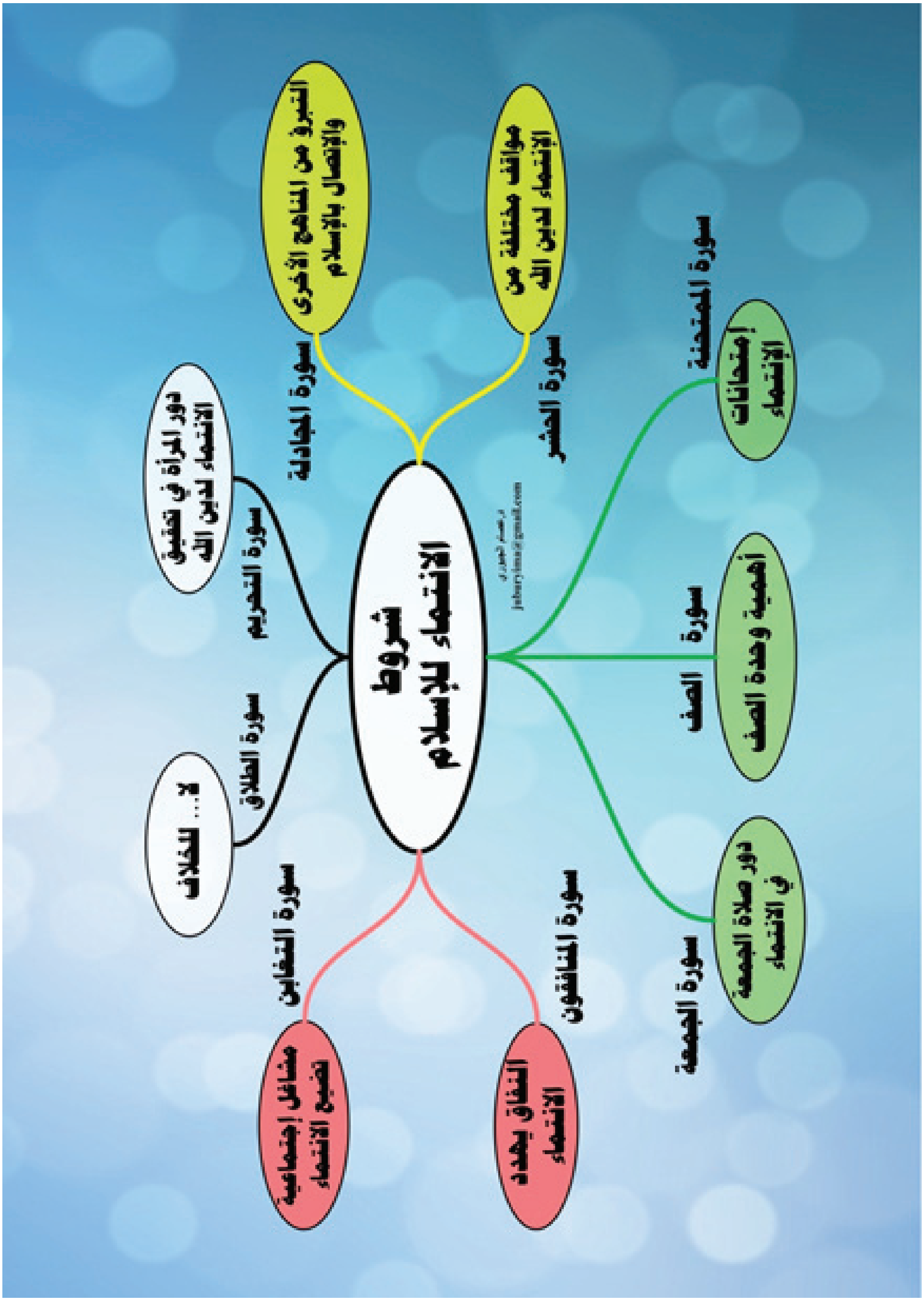
وفي هذا الجزء صورة موحية من رعاية الله للأمة الناشئة، وهو يصنعها على عينه، ويربيها بمنهجه، ويشعرها برعايته، ويبني في ضميرها الشعور الحي بوجوده سبحانه معها في أخص خصائصها، وأصغر شؤونها، وحراسته لها من كيد أعدائها خفيه وظاهره، وأخذها في حماه وكنفه، وضمها إلى لوائه وظله؛ وتربية أخلاقها وعاداتها وتقاليدها تربية تليق بالأمة التي تنضوي إلى كنف الله، وتنتسب إليه، وترفع لواءه لتعرف به في الأرض جميعاً، وهي بمثابة تربية الفرد والأمة على الولاء للإسلام وأهله والبراء من الكفر وأهله، أو هي شروط الانتماء للإسلام»[١].

الجدول أدناه يستعرض كل سورة من سور الجزء، ويبين المحور الذي تدور حوله آياتها كلاً على حدة، فكل منها تخدم جانباً من جوانب المحور الرئيسي للجزء. فالسور الأربعة الأولى (**المجادلة، الحشر، الصفّ، الجمعة**) كلها تدعو للاجتماع والوحدة والانتماء ودليل هذا الانتماء هو ترابط المؤمنين ووحدتهم. ثم تأتي سورة الممتحنة التي فيها امتحان إيمان المسلم، وتعطي نماذج عن أناس امتحنوا في إيمانهم، وتأتي بعد ذلك سورة المنافقون لأن أكثر ما يضيّع وحدة الصف عند المسلمين والانتماء لدينهم هو النفاق والمنافقين. ثم تأتي مجموعة السور الأخيرة (**التغابن، الطلاق، التحريم**) كلها تركّز على الشواغل التي تمنع من الانتماء كالأولاد والذرية والبيوت[٢].

---

(١) سيد قطب في ظلال القرآن ـ مقدمة الجزء ٢٨ بتصرف بسيط.

(٢) عمرو خالد ـ خواطر قرآنية ـ بتصرف.


شروط الانتماء للإسلام
سورة المجادلة
التبرؤ من المناهج الأخرى والاتصال بالإسلام
سورة الحشر
مواقف مختلفة من الانتماء لدين الله
سورة الممتحنة
إمتحانات الانتماء
سورة الصف
أهمية وحدة الصف
سورة الجمعة
دور صلاة الجمعة في الانتماء
سورة المنافقون
النفاق يهدد الانتماء
سورة التغابن
مشاكل إجتماعية تضيع الانتماء
سورة الطلاق
لا ... للخلاف
سورة التحريم
دور المرأة في تحقيق الانتماء لدين الله

والآن سنحاول التعرف على محور كل سورة ليتسنى لنا بعد ذلك معرفة المحور الرئيس للجزء كله.

محور كل سورة وموضوعها الأساسي:

ت	اسم السورة	محــور الســورة
١	**المجادلة**	**التبرؤ من المناهج الأخرى والاتصال بالإسلام**: الولاء والحب والنصرة للإسلام والمسلمين أصل من أصول هذا الدين؛ وهذا يستلزم الانتماء والترابط والتوحد بين المؤمنين؛ وهذه الوحدة تحتاج لترابط الأسرة والبيت.
٢	**الحشر**	**مواقف مختلفة من الانتماء لدين الله**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم التبرؤ من الكفر والكافرين؛ فمن يوالي الكافرين فهو منافق من المنافقين.
٣	**الممتحنة**	**امتحانات الانتماء**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم الشعور بالانتماء لهذا الدين وموالاة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ والتبرؤ من الكفر وأهله والتحيز للمؤمنين ومحبتهم ونصرتهم؛ فامتحن نفسك أيها المؤمن هل تشعر بهذه المشاعر وإلا فعندك مشكلة في الإيمان.
٤	**الصف**	**أهمية وحدة الصف والاجتماع على قلب واحد**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم أن ينصر المؤمن دينه فيجاهد في سبيله ويقاتل لإعلاء كلمته صفاً واحداً مع إخوانه المؤمنين؛ شأنه شأن أتباع جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
٥	**الجمعة**	**دور صلاة الجمعة في تعزيز الانتماء**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم تذكير المؤمنين بالانتماء ووحدة الأمة وأحد صوره اجتماع المؤمنين لصلاة الجمعة وترك الانشغال بالدنيا الذي دفع اليهود إلى التخلي عن أمانة حمل الدين.

ت	اسم السورة	محور السورة
٦	**المنافقون**	**النفاق يهدد الانتماء**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم فضح دور المنافقين في تفتيت الانتماء والولاء لهذا الدين وكشف أخلاقهم الفاسدة ودسائسهم ومناوراتهم ضد هذا الدين وأهله؛ كما يستلزم تحذير المؤمنين من أن يتصفوا بأدنى صفة من صفات المنافقين.
٧	**التغابن**	**مشاغل اجتماعية تضيع الانتماء**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم أن يتنبه المؤمنون إلى خطورة فتنة الأولاد والأزواج عن أن تكون سبباً يعيق أو يلهي عن قضية الولاء والبراء.
٨	**الطلاق**	**لا... للخلاف للحفاظ على وحدة الصف**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم المحافظة على وحدة الأسرة التي يبدأ بها الانتماء والولاء. ولكن إذا وقع الطلاق فيجب على جميع الأطراف المحافظة على تقوى الله عَزَّوَجَلَّ للحفاظ على تماسك الجماعة المسلمة.
٩	**التحريم**	**دور المرأة في تحقيق الانتماء لدين الله**: الولاء للإسلام والمسلمين يستلزم الحذر والتنبه والحرص على أن تتبنى الأسرة المسلمة هذه المفاهيم وتتربى عليها لإنقاذ النفس والأهل من النار؛ فالأسرة القوية المتماسكة والمرأة الواعية هي أساس تماسك وقوة الأمة المسلمة[١].

(١) عون الكريم في بيان مقاصد سور القران الكريم – محمد عبد الهادي المصري.

سورة المجادلة

محور السورة وموضوعها الأساسي:

التبرؤ من المناهج الأخرى والاتصال بالإسلام.



السورة تقرر: لا يكفي صلاتك وقراءتك القرآن بل لابد لك من الانتماء للمؤمنين ولهذا الدين ومن أجل الانتماء لابد أن تكون في حالة وحدة مع المؤمنين وهذه الوحدة تحتاج لترابط الأسرة(٢).

هذه السورة تفصّل الولاء للمؤمنين والانتماء للدين والتبرؤ من المعادين للدين. وقضية الأسرة مهمة للغاية لأن ترابط المجتمع يبدأ من ترابط الأسرة. وكأن هذه السورة هي مفتاح باقي السور في الجزء ففيها موضوع الانتماء والتبرؤ، وباقي السور تأتي لتشرح هذا المبدأ(٣).

---

(١) سور (المجادلة والحشر والصف والجمعة) كلها تدعو لتجميع المسلمين وتعرض لقضية الولاء والبراء بشكل تفصيلي ولقضية تماسك الأسرة والبيت وأهمية هذا في ترابط المجتمع وقضية الانتماء وسورة (المنافقون) تقرر أن أكثر شيء يضيع الانتماء هم هؤلاء المنافقون. وسور (الطلاق والتغابن والتحريم) تتكلم عن شواغل البيت والأولاد التي تعيق الانتماء.

(٢) الشيخ محمد عبد الهادي المصري ـ عون الكريم في بيان مقاصد سور القرآن الكريم.

(٣) عمرو خالد ـ خواطر قرآنية.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:



١- تبدأ السورة بقضية أسرة ستتفكك إذ إن **أول بداية الانتماء هو أسرة متماسكة** وزوجة تأخذ حقها وتشعر بتكريم هذا الدين لها فتربي أولادها على الانتماء لهذا الدين (فالمرأة محور أساسي في الإسلام): [آية (١)- آية (٤)]. وهذا يدل على كرامة المرأة في الإسلام والحرص على حقها. والمرأة عندما تتيقن أن هذا الدين ينصفها ويعطيها حقها تربي أسرتها على مبادئ هذا الدين وعلى الوحدة.

٢- تتدرج السورة في استعراض **مواصفات (حزب الشيطان)** أي المنافقين وبيان مصيرهم الرهيب جزاء كيدهم للمسلمين وتوليهم للكافرين: [آية (٥)- آية (٢١)].

٣- تنتهي السورة ببيان **صورة وضيئة** للمؤمنين الذين لا ولاء لهم إلا لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ والمؤمنين: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾. وهي آية مهمة تبيّن **حقيقة الحب في الله والبغض في الله الذي هو أصل الإيمان، ولا بد في اكتمال الدين من معاداة أعداء الله، فالمنتمي لهذا الدين لا يمكن أن يوادّ من حارب الله ورسوله أبداً.**

سورة الحَشر

محور السورة وموضوعها الأساسي:

مواقف مختلفة من الانتماء لدين الله.

وقد نزلت السورة في غزوة بني النضير لتبرز نوعين من الناس: من ينتمي إلى الإسلام ويتبرأ من الكافرين، ومن يوالي الكافرين. ولذلك فهي تذكر صفات المنافقين.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١- قدرة الله هي التي هزمت اليهود في نفوسهم أولاً ثم في حصونهم وأن هذا هو مصير أعداء الله دائماً: [آية (١)- آية (٥)].

٢- الله هو الذي أفاء عليكم بفضله فلا ترجعوا لغيره أمراً أو نهياً (**وحدة المصدر التشريعي**) ولا تجعلوا المال حكرا على الأغنياء منكم بل يعطى لعامة (**المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان**) الذين هم **المثال الأعلى لولاء المؤمنين بعضهم لبعض**: [آية (٦) - آية (١٠)].

٣- ولاء المنافقين للكفار ولاء هش لا أصل له فهم لن ينفذوا ما وعدوهم به بل سيتخلون عنهم كما يتخلى الشيطان عن أوليائه: [آية (١١) - آية (١٧)].

٤- تذكير المؤمنين أن لا يكونوا كهؤلاء الذين نسوا أوامر الله ونسوا الآخرة بل على المؤمنين دائماً تقوى الله وتذكر الآخرة: [آية (١٨) - آية (٢٠)].

٥- بيان عظمة القرآن وعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزل القرآن وخالق الجبال وهازم الأحزاب فكيف يظن اليهود أو غيرهم أن حصونهم تمنعهم من الله إذ لا ناصر ولا معين ولا حافظ إلا الله **وكيف لا ينتمي المرء للملك العظيم الذي له هذه الأسماء الحسنى** الدالة على قوته وقدرته وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: [آية (٢١)- آية (٢٤)].

سورة الممتحنة

محور السورة وموضوعها الأساسي:

امتحانات الانتماء.

السورة تمتحن قارئها: هل تشعر بالانتماء والولاء للإسلام والمسلمين؟ وهل ولاؤك لله ولرسوله ﷺ والمؤمنين؟ وهل محبتك لهذا الدين ولكل من ينتمي إليه؟ وهل عندك رغبة في نصرة هذا الدين وأهله والمعاداة والتبرؤ من الكفر وأهله حتى وإن كانوا أقرب قريب؟ إن لم تشعر بهذه المشاعر وإن لم تتحرك في هذا الاتجاه فعندك مشكلة في الإيمان لأن الموالاة والمعاداة أصل من أصول التوحيد.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

ابتدأت السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾.

١ـ قصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قبيل فتح مكة يقرر عدة قواعد في الموالاة والمعاداة:

أ ـ لا موالاة ولا مودة بين المؤمنين والكافرين ولو كانوا أقرب الأقربين: فشل حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في (**الامتحان**): [آية (١)- آية (٣)].

ب ـ الموالاة والمعاداة أصل من أصول التوحيد عند كل الأنبياء صلى الله عليهم وسلم والمؤمنين: نجاح إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في (**الامتحان**): [آية (٤)- آية (٦)].

٢ـ بالدلالة على الانتماء ويجب أن ننتبه أن الإسلام لا يدعو إلى عدم التعامل مع غير المسلمين وإنما النهي يكون عن الذين يقاتلون المسلمين ويؤذونهم ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي

﴿ٱلَّذِينَ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

ويستفاد من هذه الآيات: أنه لا تعارض بين معاداة الكافرين وبين العدل في معاملة غير المسلمين رجاءَ هدايتهم: (**امتحان**) للمسلمين في التوازن بين الأمرين: [آية (٧)- آية (٩)].

٣ـ بيان كيفية التعامل مع المؤمنات المهاجرات: (**امتحان**) لهن للتأكد من صدقهن: [آية (١٠)- آية (١٣)].

ويجب أن يكون هناك توازن بين عدم اتّخاذ الأعداء أولياء، وبين القسط والبر بالذين لم يقاتلوا المسلمين. وهذه السورة هي سورة الامتحانات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٤ ـ الامتحانات الأربعة:

١) نموذج امتُحن فأخطأ وهي حادثة حاطب بن أبي بلتعة الذي كتب إلى أهل مكة يخبرهم بأن الرسول يتجهز لفتح مكة وأنه يريد غزوهم، وذلك لأنه كان له قرابات في مكة أراد أن يحميهم فنزل الوحي على الرسول وأخبره بذلك، فعفا عنه الرسول لأنه كان ممن شهدوا بدراً ونزلت الآية آية (١).

٢) اختبار سيدنا إبراهيم الذي امتُحن فنجح ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

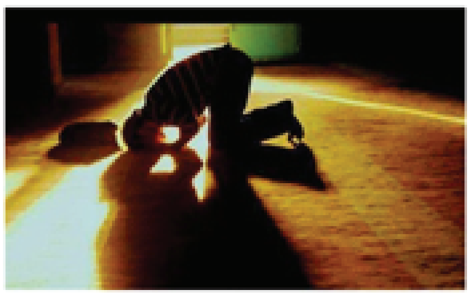
٣) امتحان العدل في معاملة غير المسلمين آية (٨ و ٩).

٤) وآخرها امتحان المبايعة للنساء آية (١٢).

وعلى المسلم أن يأخذ العبر ويستعد لامتحانه، فماذا يفعل عندما يكون الامتحان هو الانتماء للإسلام؟

سورة الممتحنة

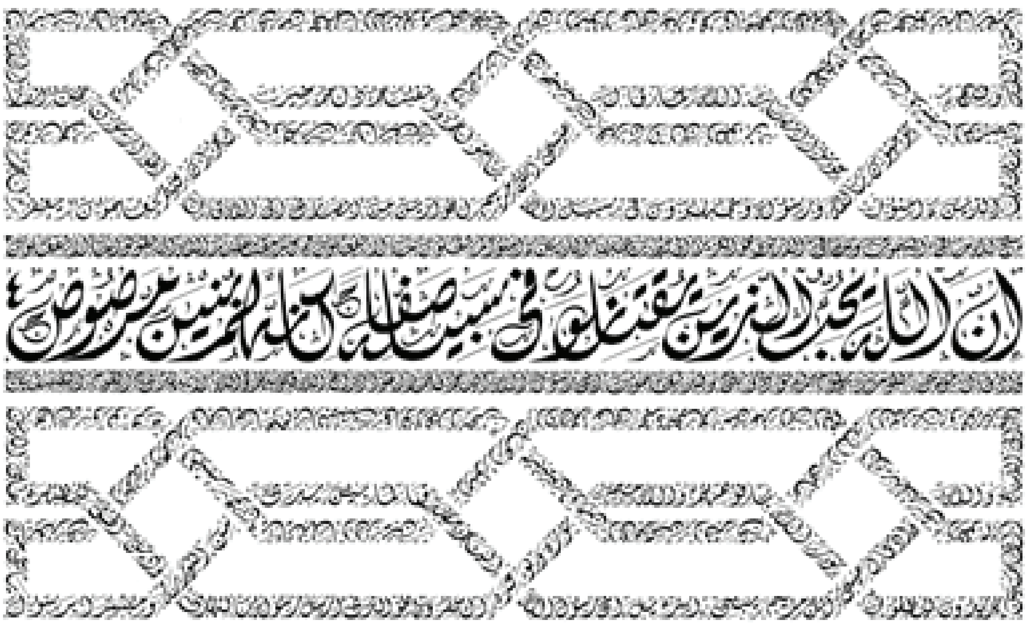
- امتحان حاطب رضي الله عنه
- امتحان التوازن في الولاء والبراء
- إمتحان النساء قبل مبايعتهن
- إمتحان المؤمنات المهاجرات



سورة الصف

محور السورة وموضوعها الأساسي:

أهمية وحدة الصف والاجتماع على قلب واحد.



السورة توضح قضية الانتماء والموالاة، وأن من صفات المؤمن الحق أن ينصر دينه ويجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله، ولن يحدث هذا إلا بالانتماء والولاء لهذا الدين. ويستدل من اسمها أن فيها دعوة للصفّ والوحدة والتراصّ في سبيل الله.

وفيها آيات تدل على المزيد من الانتماء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾، وآيات تدل على العكس: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

فالسورة دعوة لوحدة الصف من أجل نصرة هذا الدين، فتبدأ بهذا المعنى وتنتهي به مبينة أن قضية الانتماء والموالاة أصل من أصول الدين الذي جاء به جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١- بيان أن دين المسلم هو المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة التي أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يظهره على الدين كله (خاصة بعد فشل أهل الكتاب في حمل الأمانة) حيث إن الكفار يسيرون عكس ذلك ويريدون القضاء على هذا الدين: [آية (١)- آية (٩)].

٢- على المسلم أن يحمل أمانة هذه العقيدة **ويجاهد في سبيلها متضامناً مع إخوانه المسلمين** مخلصاً لله قولاً وعملاً ليفوزوا في الدنيا والآخرة كما فاز من حملها من الأمم السابقة: [آية (١٠) - آية (١٤)].

٣- تختم السورة بسيدنا عيسى ودعوته إلى الحواريين أن ينتموا إلى الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾، فالانتماء حتى عند سيدنا عيسى والحواريين والدين ليس محصوراً بالصلاة والصوم والعبادة وإنما هو الانتماء للدين أيضاً.

سورة الجمعة

محور السورة وموضوعها الأساسي:



دور صلاة الجمعة في تعزيز الانتماء.

هي سورة اجتماع المسلمين والذي من صوره صلاة الجمعة وأنها يوم وحدة الأمة. ومن أهدافها تذكير الأمة بالانتماء والولاء للإسلام والمسلمين وترك الانشغال بالدنيا ذلك الانشغال الذي دفع اليهود من قبل إلى التخلي عن أمانة حمل الدين.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١- ترسيخ أن الجماعة المسلمة هي المختارة لحمل أمانة العقيدة بعد أن منّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بخاتم الأنبياء ﷺ عليها وبعد نكول بني إسرائيل عن حمل الأمانة:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾.

٢- ومن ثم توجيه للجماعة المسلمة بأن لا تلهيها الدنيا والمال عن المتاع الحقيقي في الدنيا والآخرة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾.

سورة المنافقون

محور السورة وموضوعها الأساسي:

النفاق يهدد الانتماء.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:



١- حملة عنيفة على المنافقين **تفضح دورهم في تفتيت الانتماء والموالاة لهذا الدين** وتكشف أخلاقهم الفاسدة وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض للمسلمين والكيد واللؤم والجبن وانطماس البصيرة: [آية (١)- آية (٨)].

٢- ثم تحذير للمؤمنين من أن يتصفوا بأدنى صفة من صفات المنافقين كالانشغال بالأموال والأولاد عن البذل في سبيل الله لأن هذا الانشغال عامل مؤثر سلباً في الانتماء والموالاة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ آية (٩)- آية (١١)].

وفي هذا تقديم لما سيأتي بالتفصيل في السور الثلاثة اللاحقة (**التغابن، التحريم، الطلاق**).

سـورة التغابن[1]

محور السورة وموضوعها الأساسي:

(مشاغل اجتماعية تضيع الانتماء)

بيّنت السورة خطورة بعض الأولاد والزوجات الذين قد يلهون المسلم عن الانتماء للإسلام.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ وهذا في الغبن ذكر المولى عَزَّوَجَلَّ ﴿مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ﴾ أي ليس كل الأولاد والأزواج.

أما في الفتنة فجاءت الآية ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ للكل ولم يستثني أحداً. ولكي تحافظ على الانتماء عليك أن تنتبه لما قد يشغلك عن الدين وانتمائك له.

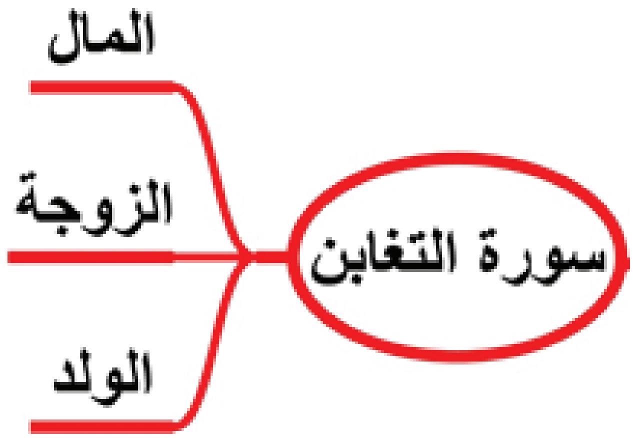
أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١- دعوة للعقيدة الصحيحة من خلال المؤثرات الكونية والنفسية ومن ثم تنديد بالكافرين بالبعث وتذكيرهم بمصير المكذبين السابقين وتحذيرهم من عذاب الآخرة: [آية (١)- آية (١٣)].

---

(١) سورة (التغابن والطلاق والتحريم) تدور حل محور واحد: خطورة فتنة الأولاد والأزواج عن أن تكون سبباً يعيق أو يلهي عن القضية الأساسية للمسلم، وهي قضية الانتماء والولاء للإسلام والمسلمين.

٢- ثم تنبيه للمؤمنين وحث على الإنفاق **وتحذير من الشح والافتتان بالأزواج والأولاد والأموال**: [آية (١٤)- آية (١٨)].



سورة الطلاق

محور السورة وموضوعها الأساسي:

لا... للخلاف للحفاظ على وحدة الصف.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:



١ ـ بيّنت السورة نوعاً آخر من التفكك الاجتماعي الذي يجب أن نحرص على التقوى فيه حتى لا تتفكك المجتمعات والأسر، فإذا وجدت التقوى في كل الأمور تبقى وحدة المجتمع ويبقى الانتماء وقد جاءت كلمة التقوى كثيراً في السورة.

٢ ـ الأصل في الإسلام المحافظة على وحدة الأسرة التي يبدأ بها الانتماء والموالاة، ولكن إذا وقع الطلاق فيجب على جميع الأطراف المحافظة على الموالاة وتقوى الله عَزَّوَجَلَّ للحفاظ على تماسك الجماعة المسلمة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا
تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ
حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ
بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن

كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ
عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن
نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ
لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾.



ولذلك يتكرر الحض على تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طوال السورة من خلال:

- بيان أحكام الطلاق التي لم تفصل في سورة البقرة في إطار من:
- الترغيب في السماحة والتراضي، وإيثار الجميل وتقوى الله وبيان ثواب ذلك، وهو الفرج والسعة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صاحب الخلق والرزق والتيسير: [آية (١) آية (٧)].

٣ ـ الترهيب من التعنت وما يجره من عقاب من الله عَزَّوَجَلَّ والتعسير على صاحبه واستجلاب سنن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هلاك العاتين عن أمره تعالى: [آية (٨) آية (١٢)].

سورة التحريم

محور السورة وموضوعها الأساسي:

دور المرأة في تحقيق الانتماء لدين الله.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١ ـ للأسرة دور أساسي في ترابط المجتمع وبدونها يتفكك ولا يوجد انتماء، والمرأة لها دور محوري في كل هذا لأنها هي التي تربي الأجيال وتؤثر على أفراد المجتمع، وهي مصنع الرجال. وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة عن نماذج نساء نجحوا في انتمائهم كامرأة فرعون ومريم بنت عمران

٢ ـ إذا كانت الأموال والأولاد فتنة وإذا كان من بعضهم عدوّاً لكم فاحذروا وتنبهوا وكونوا حريصين على إنقاذ أنفسكم وأزواجكم من النار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ .

٣ ـ **الأسرة القوية والمرأة الواعية هي أساس انتماء وتماسك الأمة** ومن ثم:

- دعوة لصاحبات البيوت بالتوبة من أي تقصير في حق الأسرة.
- دعوة لأصحاب البيوت بالقيام على تربية الأهل والأولاد لإنقاذ أنفسهم وأهليهم من عذاب الآخرة.
- دعوة للدفاع عن الأسرة المسلمة ضد الكفار والمنافقين: [آية (١)– آية (٩)].

٤ ـ **بيان أهمية دور المرأة الصالحة** في حمل أمانة الدين مع **تقرير مبدأ التبعة الفردية** حتى داخل الأسرة الواحدة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ



﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[1].

٥ ـ نساء أخريات فشلوا في هذا الانتماء للدين واختاروا غيره فنالوا عقابهم ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

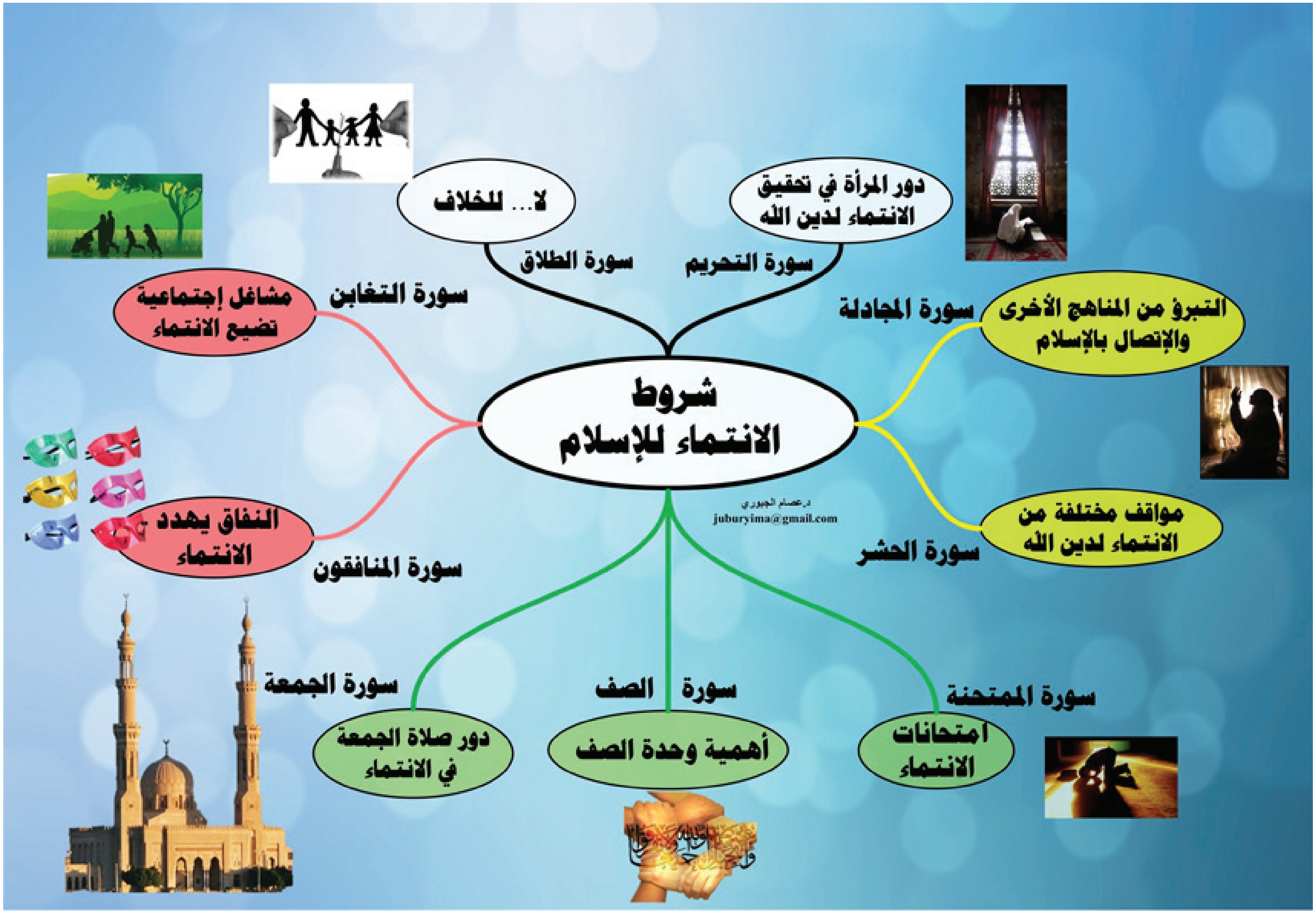
٦ ـ الانتماء مسألة هوية وآن لنا أن ننتمي للدين وللأمّة الإسلامية.

محور الجزء: شروط الانتماء للإسلام:

كل السور في الجزء الثامن والعشرون تهدف إلى تربية الفرد والأمة على الولاء للإسلام وأهله، والبراء من الكفر وأهله، فلا بد لكل من أيقن وآمن بالقرآن أن يكون في حالة واحدة مع المؤمنين، والانتماء هذا يبدأ بالأسرة التي يجب أن تكون متماسكة وموحّدة. يجب أن تشعر أن كيانك كلّه مرتبط بهذا الدين فولاؤك وانتماؤك ومناصرتك كلّه للمؤمنين، وتتبرأ من كل شخص لا ينتمي لهذا الدين. وقد سبقت لسور القرآن أن عرضت على المسلمين المنهج في سورة البقرة، والآن سور هذا الجزء تؤكد أنه لا بد من الإحساس بالانتماء، فلا يكفي للمسلم أن يؤدي عباداته كالصلاة والزكاة.

وهذه الخريطة الذهنية للجزء ٢٨ بأكمله.

(١) الشيخ محمد عبد الهادي المصري ـ عون الكريم في بيان مقاصد سور القرآن الكريم.


شروط
الانتماء للإسلام
د.عصام الجبوري
juburyima@gmail.com
دور المرأة في تحقيق
الانتماء لدين الله
سورة التحريم
لا... للخلاف
سورة الطلاق
التبرؤ من المناهج الأخرى
والإتصال بالإسلام
سورة المجادلة
مواقف مختلفة من
الانتماء لدين الله
سورة الحشر
مشاغل إجتماعية
تضيع الانتماء
سورة التغابن
النفاق يهدد
الانتماء
سورة المنافقون
امتحانات
الانتماء
سورة الممتحنة
أهمية وحدة الصف
سورة الصف
دور صلاة الجمعة
في الانتماء
سورة الجمعة

الجزء ٢٩

هدف الجزء: الدعوة إلى الله فريضة شرعية وضرورة بشرية

يتكون هذا الجزء من ١١ سورة وهي:

(الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجنّ، المزّمل، المدّثر، القيامة، الإنسان، المرسلات).



الجزء كله له هدف واحد أساسي وهو الدعوة إلى الله. حيث تخاطبك هذه السور من الجزء وتقول لك: كن داعية ناجحاً إلى الله عَزَّوَجَلَّ: بعلمك وأخلاقك وعبادتك، وإذا أردت أن تدعو الناس فلابد أن تعرف ما الذي ستدعو إليه (**التوحيد والبعث والنبوة**). وأن تعرف ما ينبثق عنه من تصورات وآداب وسلوك ومعاملات، وقيم وموازين في حياة المسلم. وأن تعرف قبل كل شيء قدر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. وهذه وصية القرآن ما قبل الأخيرة. واجب المسلمين أن يدعوا إلى الله ويأخذوا هذا المنهج ويحملوه للأرض كلها؛ مصداقاً لقول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «بلّغوا عني ولو آية». وعليه فإن كل إنسان مسلم مسؤول عن الدعوة إلى الله مهما كان حديث العهد بالإسلام.

والآن سنحاول التعرف على محور كل سورة ليتسنى لنا بعد ذلك معرفة المحور الرئيس للجزء كله.

محور كل سورة وموضوعها الأساسي:

ت	اسم السورة	محور السورة
١	الملك	**تعرف على الله** الذي ستدعو الناس إليه ببيان الصفات **العلمية** للداعية.
٢	القلم	**أهمية العلم** و الصفات **الأخلاقية** للداعية.
٣	الحاقة	التذكرة بالآخرة هي وسيلة مهمة للداعية (الصفات **الوعظية** للداعية).
٤	المعارج	التحلي بالصفات والأخلاق **العبادية** للداعية.
٥	نوح	**تقرير ميداني** لداعية رباني.
٦	الجن	**دعاة إلى الله من عالم آخر**: المؤمنون بالله من الجن.
٧	المزمل	**زاد الداعية** لتحمل أمانة الدعوة.
٨	المدثر	**تكليف بالحركة والنهوض بالدعوة إلى الله**.
٩	القيامة	أيها الداعية: **استمر بدعوة الناس والفاصل يوم القيامة**.
١٠	الإنسان	أيها الداعية: **ادعُ واترك الهداية لله** عَزَّوَجَلَّ.
١١	المرسلات	**تحذير لمن يكذب بالدعوة**: ويل يومئذ للمكذبين.

والآن ستتعرف على محور كل سورة بالتفصيل.

سورة الملك

محور السورة وموضوعها الأساسي:

تعرف على الله الذي ستدعو الناس إليه.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- عرض آيات الله في الحياة والموت والسماوات وما فيها:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن
فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا
رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾.

- تذكير وتخويف بعذاب جهنم وبئس المصير:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ
تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ
فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾.

- علم الله محيط وشامل لعالمي الغيب والشهادة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾.

- **آيات الله وآلائه ونعمه العظيمة الشاملة** تملأ السماء والأرض وتحيط بالإنسان والمخلوقات من حوله شاهدة على الصفات العُلا للخالق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى
ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا
فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ
أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

- **تذكير الإنسان أنه سيُبعث ويُحشر ويحاسب** على هذه النعم ثم يُجازى بالجنة أو بالنار وفق علم الله الشامل المحيط، فالمُلك بيده وحده سبحانه وهو على كل شيء قدير:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ
زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ
رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾.

سورة القلم

محور السورة وموضوعها الأساسي:



أهمية العلم و الصفات الأخلاقية للداعية. وفيها دعوة لتوثيق العلم.

وفيها بيان أخلاق النموذج الأول للداعية: النبي محمد ﷺ مع مواساته وتثبيته على الدعوة

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ
٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ٧﴾.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- عرض للصفات الذميمة للمكذبين المستهزئين المغترين بالأموال والأولاد تحذيراً للدعاة من هذه الصفات المذكورة:

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ
١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا
قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ١٦﴾.

- تذكير بعاقبة البطر وعدم أداء حق النعم تحذيرًا أيضاً من هذه الصفة:

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ
نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ٢٢ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ
يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ٢٤ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦ بَلْ نَحْنُ

مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

- جدل بسيط يتحدى الكفار ويتهددهم بالعقوبة في الدنيا والآخرة:

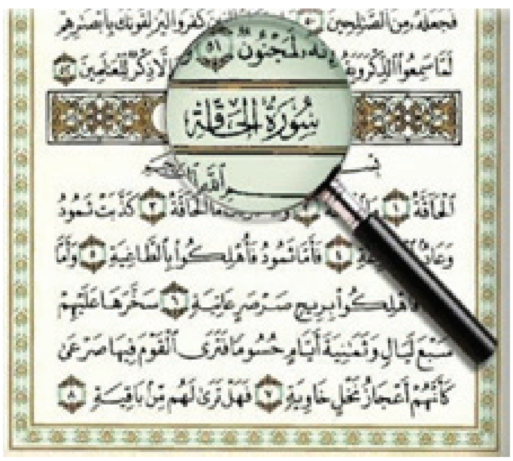
﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ
تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ
أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى
ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن
يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

- أمر للنبي ﷺ بالصبر والثبات على الدعوة حتى تعم العالمين بأمر الله:

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ
مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ
إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

سـورة الحاقة

محور السورة وموضوعها الأساسي:



التذكرة بالآخرة هي وسيلة مهمة للداعية.

وفيه بيان الصفات **الوعظية** للداعية.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- التذكرة بالآخرة وسيلة وعظية مهمة للداعية:

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣﴾.

والتذكرة بالآخرة هي وسيلة مهمة للداعية، وهي من أهم ما يجب أن يستخدمه الداعية في دعوته لأن التذكرة بالآخرة ترقق القلوب القاسية. وقد احتوت السورة على مشاهد عظيمة من يوم القيامة يوم يظهر الحق الكامل ويعلم الناس إذا كانوا في الجنة أو النار.

- عرض مصارع المكذبين في الدنيا ومآلهم الرهيب في الآخرة مقابل مآل المؤمنين:

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ٤﴾ [آية (٤)- (٣٧)].

- التهديد الجازم والأخذ القاصم لكل من يتلاعب في أمر هذا الدين أو يبدل كائناً من كان ولو كان هو الرسول محمد ﷺ نفسه وذلك لبيان مدى جدية هذا الدين وما يمثله من الحق والاستقرار:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١
وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ
٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم
مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾.

سورة المعارج

محور السورة وموضوعها الأساسي:

التحلي بالصفات والأخلاق العبادية للداعية.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- **تتحدث آيات السورة عن صفات المؤمنين؛** لأن الداعية عليه أن يتحلّى بالصفات العبادية التي وردت في سورة المؤمنون وكذلك بالصفات الأخلاقية للمؤمن التي وردت في هذه السورة أيضاً. عرض لحقائق الآخرة وما فيها من جزاء وأهوال وعذاب ومهانة للنفس الكافرة:

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ
قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ
يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

- **عرض لصفات كل من النفس المؤمنة والنفس الكافرة أمام ابتلاءات الدنيا والتي أوجبت لكل منهما هذا المآل في الآخرة مع عرض الصفات العبادية للدعاة (مثل سورة المؤمنون):**

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ
هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ
﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾

وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰٓئِكَ
فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ (٣٥)﴾.

- عرض لمشهد من مشاهد الدعوة في مكة فيه تعجب وتهكم وسخرية، وردع وتحقير للكافرين المكذبين، وتوعد لهم بالذل والانكسار والمهانة يوم البعث والحساب:

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ (٣٦) عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ
نَعِيمٖ (٣٨) كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ (٣٩) فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا
مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ (٤١) فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا
كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ (٤٣) خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ (٤٤)﴾.

سورة نوح

محور السورة وموضوعها الأساسي:

تقرير ميداني لداعية رباني.

سورة نوح سورة مركزية في وسط الجزء، وفيها عرض نموذج للداعية الرباني (٩٥٠ سنة دعوة) وهو نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والذي تظهر تجربته مدى الجهد والعناء والصبر والإصرار من الداعية حيث لا مكافأة له إلا رضوان الله عَزَّوَجَلَّ وما في هذه التجربة من تثبيت للنبي ﷺ والصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن يأتي من بعدهم للقيام بواجب الدعوة والصبر عليها.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- **التركيز على حقيقة الدعوة وأصلها وجوهرها (التوحيد والرسالة والبعث):**

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ① قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ② أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ④﴾.

- **التفاني في الدعوة حتى ليلاً:**

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ⑤ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ⑥ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ⑦ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ⑧ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ⑨﴾.

- **البدء بأسلوب الترغيب:**

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ⑩﴾.

- **أسلوب التبشير**: المؤمن المطيع يرزق بكل ما يحبه في الدنيا:

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾.

- **التذكير بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعظمته وقدرته في الكون (سورة الملك) وكذلك التذكير بالآخرة (سورة الحاقة):**

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ
ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا
﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

- **التحذير من فتنة المال والولد:**

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾.

- **الدعاء من أساسيات الدعوة:**

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ
إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

وسوف نتناول بالتفصيل هذه السورة ونرسم لها خريطة ذهنية، وذلك بعد الانتهاء من هذا الجزء.

سورة الجن

محور السورة وموضوعها الأساسي:

دعاة إلى الله من عالم آخر: المؤمنون بالله من الجن

نموذج آخر للدعاة: المؤمنون بالله من الجن وبيان أن الدعاة من الجن يستخدمون نفس الطرق في الدعوة إلى التوحيد والمذكورة في (سورة نوح) وأبرزها أسلوب الترهيب ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

فالجنّ تحولوا إلى دعاة إلى الله لما سمعوا كلام الله والقرآن. ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾.

وفيها أيضاً عرض لشهادة من عالم الجن تشهد بصدق النبي ﷺ في التوحيد والبعث والرسالة مع تصحيح الصورة عن عالم الجن في نفوس الناس.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- الجن خلق موجودون فعلاً، وهم قابلون للتأثر بالقرآن والهداية وللجزاء والثواب والعقاب.
- الجن لا يعلمون الغيب ولا ينفعون الإنس إذا لاذوا بهم، أي أن البشر يزيدون الجن رهقاً (كبراً) إذا استعاذوا بهم [آية (١)- (١٩).
- دعوة البشر للإيمان بما آمن به الجن: التوحيد والرسالة والبعث [آية (٢٠)- (٢٨)].
- وفيه تحذير من خطورة الاستعانة بالجنّ واتخاذهم ملجأ من دون الله لأن هذا سيؤدي إلى تعاستهم.
- ثم تأتي ختام السورة ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ فيها تركيز على الدعوة.

سورة المزمل

محور السورة وموضوعها الأساسي:

زاد الداعية لتحمل أمانة الدعوة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:



- **نداء علوي كريم بتكليف عظيم** إعداداً لتحمل أمانة الدعوة فالداعية يحتاج إلى زاد روحي ليعينه على الدعوة ويقويه. فقيام الليل يقوي القلب ويقرب إلى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ويعطي من القوة الإيمانية ما يعين على مواجهة مصاعب الدعوة والصبر عليها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ
أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ
تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ
نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ
فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ
إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾.

- **ذكر قصة (فرعون) هذا العنيد الجبار المتكبر** لأن دعوة هذه النوعية تحتاج إلى معونة من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وصبر عظيم من الدعاة إلى أن يأخذ الله عَزَّوَجَلَّ هؤلاء الجبارين المتكبرين أخذاً وبيلاً:

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾.

- بالرغم من أن السورة مكية لكن ذكر فيها القتال ليعلم الصحابة أنهم أمة مجاهدة ستجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ وقيام الليل سيعين على ذلك:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾.

سورة المدثر

محور السورة وموضوعها الأساسي:

تكليف بالحركة والنهوض بالدعوة إلى الله.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- **تكليف بالحركة والنهوض بالدعوة والإنذار:** بعد أن عرفت قدر من ستدعو إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعرفت صفات الداعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن من أهم وسائل الدعوة العلم والأخلاق وذكر الآخرة، وبعد أن عرفت نماذج من الدعاة وعرفت أن قيام الليل هو الزاد القلبي والروحي للداعية: الآن تستطيع أن تنذر قومك وتدعوهم ذاكرًا دائماً أن تعظم قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في نفسك فهو مصلح أمورك وناصرك:



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦
وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠﴾.

- **مشهد من مشاهد العناد والمكابرة والمكر السيئ من الكافرين المكذبين للدعوة** ووعيد شديد لهم جزاء مكرهم واستكبارهم وفشلهم في اختبار الله لهم: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾ .... إلى آية (٣١)].
- **تهديد ووعيد للمكذبين** بحرب مباشرة من الله عَزَّوَجَلَّ وعذاب النار في الآخرة، وتعجب من فرارهم من الحق إلى جحيم الدنيا والآخرة مقابل أصحاب اليمين أهل الجنة: [آية (٣٢)-(٥٦)].
- وبالمقارنة بين سورتي المزمل والمدثر نلاحظ سياق الآيات يسير ببطء في سورة المزمل مقارنة بالسياق السريع في سورة المدثر، وهذه السرعة أو البطء مناسب لهدف السورتين. وختمت سورة المدثر بالتشبيه بفرار الحمار الوحشي من الأسد ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ٥١﴾ آية ٥٠ و ٥١ وهذا كله يفيد الحركة والسرعة.

سورة القيامة

محور السورة وموضوعها الأساسي:

أيها الداعية: استمر بدعوة الناس والفاصل يوم القيامة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- تذكير بالقيامة والبعث والحشر ولقاء الله عَزَّوَجَلَّ والحساب والثواب والعقاب:



﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ
(١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ
ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحۡسَبُ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ
(٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن
نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلۡ
يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ
(٥) يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ
(٦) فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ (٧)
وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا
قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ (١٤) وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (١٥)﴾.

- إن لم يستجيبوا للدعوة فاعلم أنهم ميتون وأنك ميت فاستمر في الدعوة فالأمر إلى الله، والقرآن الكريم موكول حفظه وبيانه إليه عَزَّوَجَلَّ والحساب عليه ففريق في الجنة وفريق في السعير:

﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ

﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾
تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

- تذكير بالموت والنهاية وعرض لحقائق صارمة حازمة عن الموت وما بعده، والكل تحت هيمنة القادر المحيي المميت:

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ
﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ
﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾.

سورة الإنسان

محور السورة وموضوعها الأساسي:

أيها الداعية: ادعُ واترك الهداية لله عَزَّوَجَلَّ.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

- دعوة للإنسان للتفكر في أصله ونشأته ومصيره مع دعوته أيضاً لتدبر حكمة الله من خلق الإنسان وهدايته ومنحه حرية الاختيار، فالإنسان يختار مصيره ويتحمل نتيجة اختياره ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ إما طريق الأبرار وإما طريق الكفار، مع عرض لصفات ومصير كل منهم: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾.



- توجيه للنبي ﷺ والدعاة للثبات على الدعوة: عليك الدعوة وعلينا الهداية، فعلى الداعية الصبر على الدعوة في وجه الكفار أهل العاجلة، وعلى الداعية أن ينتظر حكم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ صاحب المشيئة المطلقة والعلم الشامل والحكمة البالغة والقدرة والرحمة المحيطة: [آية (٢٣)-(٣١)].

سورة الإنسان

محور السورة وموضوعها الأساسي:

تحذير لمن يكذب بالدعوة

وقفة محاكمة رهيبة للقلب البشري تواجهه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات العاصفة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

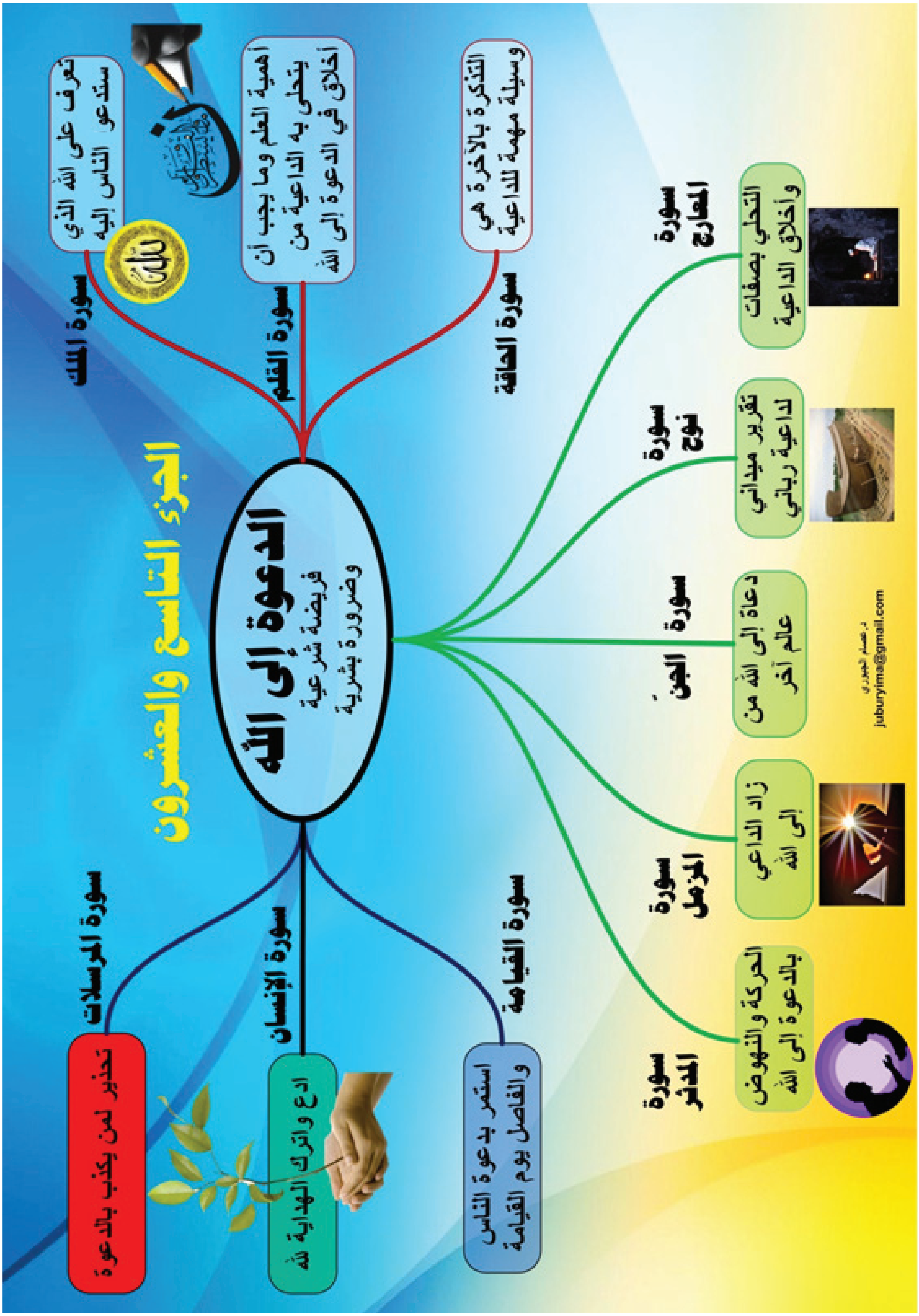


- جولات مع القيامة: آية [(١)- (١٥)].
- ومصارع الغابرين: آية [(١٦)- (١٩)].
- والنشأة الأولى: آية [(٢٠)- (٢٤)].
- وخلق الأرض: آية: [(٢٥)- (٢٨)].
- ومصير المكذبين ومصير المتقين: آية [(٢٩)- (٥٠)].

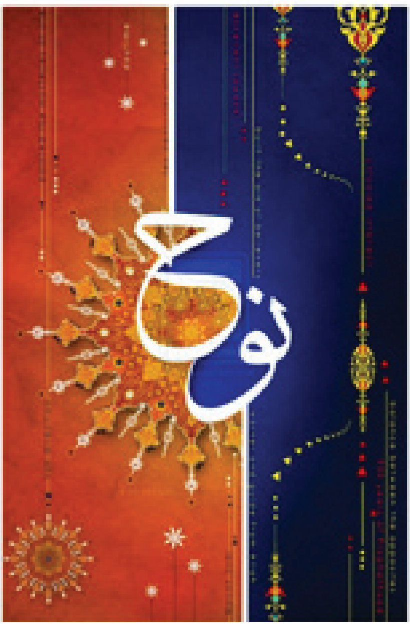
في هذه السورة آية متكررة هي هدف السورة ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾فكأن سورة القيامة والإنسان تقول للداعية ادعُ واترك الهداية لله وسورة المرسلات تقول يا من كذبتم الدعوة عقابكم (ويل يومئذ للمكذبين) هذا عذابكم في الآخرة.

الخلاصة:

إن الدعوة إلى الله فريضة شرعية وضرورة على كل مسلم ومسلمة حتى تتحقق فيهم آية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وقد لخصت هذا الجزء في خريطة ذهنية تصف محور كل سورة من سوره لكي نصل إلى المحور الرئيس للجزء كله، وكما هو مبين في الشكل.


الجزء التاسع والعشرون
الدعوة إلى الله
فريضة شرعية وضرورة بشرية
سورة الملك
تعرف على الله الذي ستدعو الناس إليه
سورة القلم
أهمية العلم وما يجب أن يتحلى به الداعية من أخلاق في الدعوة إلى الله
سورة الحاقة
التذكرة بالآخرة هي وسيلة مهمة للداعية
سورة المعارج
التحلي بصفات وأخلاق الداعية
سورة نوح
تقرير ميداني لداعية رباني
سورة الجن
دعاة إلى الله من عالم آخر
سورة المزمل
زاد الداعي إلى الله
سورة المدثر
الحركة والنهوض بالدعوة إلى الله
سورة المرسلات
تحذير لمن يكذب بالدعوة
سورة الإنسان
ادع واترك الهداية لله
سورة القيامة
استمر بدعوة الناس والفاصل يوم القيامة
juburyima@gmail.com

خريطة ذهنية لسورة نوح (تقرير ميداني..لداعية رباني)



من أبرز السور في الجزء التاسع والعشرون هي سورة نوح، هذه السورة كلها تقص قصة نوح ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض.

تتحدث السورة عن دعوة نبي من أولي العزم من الرسل، أرسله الله إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان وإخلاص العبادة لله وحده. تعرض السورة صورة من صور الجهد المضني، والعناء المرهق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ لهداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصية الجامحة، وهم لا مصلحة لهم في القضية، ولا أجر يتقاضونه من المهتدين على الهداية.

سورة نوح هي أصدق تقرير رباني كُتب في وصف هِمَّة الداعية وأصول الدعوة ومعناها، وأقربها إلى الدقة، وأعلاها عاطفة، لأنها تتحدث عن يوميات وأمور صغيرة من سيرة الدعاة والدعوة، وتكشف عن الحقيقة الكبيرة والهوية الفذة المستقلة للداعية الرباني.

فمن خلال استعراضنا لسورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ستتضح لنا المعالم الدعوية البارزة في هذه السورة، والتي تبرز فيما يتعلق بشخصية الداعية في جوانبها المتعددة، وكذا في أساليب الدعوة، وفي طبيعة المكذبين، وتوضح السورة النتيجة النهائية لهذه التجربة الدعوية التي استمرت زمناً طويلاً، ألا وهي نجاة المؤمنين في السفينة، وهلاك الكافرين بالطوفان في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

يقدم سيدنا نوح تقريره الميداني الأخير بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً قضاها في هذا الجهد المضني، والعناء المرهق، مع قومه المعاندين، الذاهبين وراء قيادة ضالة مضللة ذات سلطان ومال وعزوة. وهذا التقرير الميداني يعطي للداعية الركائز الأساسية للدعوات وكيف

تبدأ والمراحل التي تمر بها، وما يلاقي في هذا الطريق، ثم ختام أي دعوة أتت لتدعو الناس وتخرجهم من الظلمات إلى النور. وفي نهاية التقرير يقدم سيدنا نوح توصيات ومقترحات بخصوص قومه.

وقد أردت أن أضع خريطة ذهنية عن معالم الدعوة في هذه السورة، ليستنير بها الدعاة في طريقهم ودعوتهم إلى الله تعالى، ولإبراز المنهج الرباني الذي سار عليه الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ في دعوة أقوامهم، وكيف ضحوا وتعبوا من أجل الدعوة، وإقامة الحجة، وبيان حرصهم على هداية أقوامهم، واتخاذ الوسائل والأساليب المناسبة التي يمكن من خلالها تحقيق مصلحة الدعوة، وما يجب على الداعية تجاه المتغيرات المتعددة.

سورةُ نوح رغم قصرها إلا أنها تحوي (أصول الدعوة إلى الله) وتتمثل في عبادة الله وحده دون شريك له في الملك والحكم والسلطان، ودعوة نوح إلى الله وجهاده الطويل ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية وهذا بمثابة العمود الفقري للسورة والموضوع الرئيس فيها، وأن كل آياتها ترتبط بهذا المحور، مما جعل السورة وحدة موضوعية واحدة من خلال تطرق السورة إلى موضوع الدعوة، والداعي وموقف الناس من هذه الدعوة التي استخدمت الأساليب المتنوعة والوسائل المتعددة في هداية الناس، لتكون تجربة رائدة للأنبياء والمرسلين وللدعاة إلى يوم الدين[1].



(١) أصول الدعوة الإسلامية في سورة نوح ـ د. عصام زهد ـ الجامعة الإسلامية بغزة ـ مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر (٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٦-١٧ أبريل ٢٠٠٥م).

يتضح من خلال الدراسة المستفيضة للسورة، أنها على قصرها إلا أنها تُعتبر تجربة رائدة للدعاة إلى يوم الدين ؛ لأنها تحوي العبر والعظات الجليلة، وتذكر أصول الدعوة إلى الله وأن جميع آياتها ترتبط بمحورها الرئيسي مما جعل السورة مترابطة في وحدة موضوعية.

بين يدي السورة

أولاً ـ تسميتها:

سميت سورة نوح باسم نبي الله نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ لأنها تعرض دعوة نوح لقومه من بداية السورة حتى مجيء الطوفان، ولأنها تذكر نوح في مطلعها وخاتمتها، وتسمية السور توقيفي بما ثبت من الأحاديث والآثار.

ثانياً ـ عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

آياتها ثمان وعشرون آية، وكلماتها مائتان وأربع وعشرون كلمة وعدد حروفها تسعمائة وخمسون حرفاً وهو عدد السنين التي دعا نوح قومه، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت].

٩٥٠

يتضح من ذلك أن كل حرف من حروف السورة يمثل عاماً من دعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه، وكل آيات السورة تتحدث عن موضوع الدعوة. أن العام والسنة يطلقان على زمن واحد من حيث عدد الشهور، غير أن العرب تستعمل كلمة **(العام)** إذا كان عام رخاء في الحياة، وأما السنة فإنهم يستعملونها في زمن القحط والمجاعة.

وعلى هذا إذا تأملت الحالين اللذين عاشهما نوح ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وهي زمن اللبث في قومه والزمن الآخر وجدت التمييز بلفظ سنة في حال الإنذار مناسباً لذلك المعنى، لأن نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لقي من قومه الإيذاء والعناد والصلابة والسخرية، وصادف قلوباً ميتة قاسية لم يؤثر بها وابل الوحي ولم تحي بالإيمان، فكان كالأرض الهامدة الميتة التي أصابتها سنة بسبب انقطاع الغيث.

ثالثاً ـ مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

إن ترتيب السور القرآنية في المصحف العثماني على خلاف بين العلماء، فمنهم من قال بوقفها على النبي ﷺ، وقال جمهور العلماء باجتهاد الصحابة، ومع ذلك فإن الوحدة الموضوعية متوفرة بين السور وكأنها لحمة واحدة، وهذا ما نشاهده بين سورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والسورة التي قبلها والتي بعدها.

السورة	رقمها	الصفحة	نزولها
الحشر	٥٩	٥٤٥	مدنية
الممتحنة	٦٠	٥٤٩	مدنية
الصف	٦١	٥٥١	مدنية
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مدنية
المنافقون	٦٣	٥٥٤	مدنية
التغابن	٦٤	٥٥٦	مدنية
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مدنية
التحريم	٦٦	٥٦٠	مدنية
الملك	٦٧	٥٦٢	مكية
القلم	٦٨	٥٦٤	مكية
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مكية
المعارج	٧٠	٥٦٨	مكية
نوح	٧١	٥٧٠	مكية
الجن	٧٢	٥٧٢	مكية
المزمل	٧٣	٥٧٤	مكية
المدثر	٧٤	٥٧٥	مكية
القيامة	٧٥	٥٧٧	مكية
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مدنية
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مكية
النبأ	٧٨	٥٨٢	مكية
النازعات	٧٩	٥٨٣	مكية
عبس	٨٠	٥٨٥	مكية
التكوير	٨١	٥٨٦	مكية
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مكية
المطففين	٨٣	٥٨٧	مكية
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مكية
البروج	٨٥	٥٩٠	مكية
الطارق	٨٦	٥٩١	مكية

السورة	رقمها	الصفحة	نزولها
الأعلى	٨٧	٥٩١	مكية
الغاشية	٨٨	٥٩٢	مكية
الفجر	٨٩	٥٩٣	مكية
البلد	٩٠	٥٩٤	مكية
الشمس	٩١	٥٩٥	مكية
الليل	٩٢	٥٩٥	مكية
الضحى	٩٣	٥٩٦	مكية
الشرح	٩٤	٥٩٦	مكية
التين	٩٥	٥٩٧	مكية
العلق	٩٦	٥٩٧	مكية
القدر	٩٧	٥٩٨	مكية
البينة	٩٨	٥٩٨	مدنية
الزلزلة	٩٩	٥٩٩	مدنية
العاديات	١٠٠	٥٩٩	مكية
القارعة	١٠١	٦٠٠	مكية
التكاثر	١٠٢	٦٠٠	مكية
العصر	١٠٣	٦٠١	مكية
الهمزة	١٠٤	٦٠١	مكية
الفيل	١٠٥	٦٠١	مكية
قريش	١٠٦	٦٠٢	مكية
الماعون	١٠٧	٦٠٢	مكية
الكوثر	١٠٨	٦٠٢	مكية
الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مكية
النصر	١١٠	٦٠٣	مدنية
المسد	١١١	٦٠٣	مكية
الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مكية
الفلق	١١٣	٦٠٤	مكية
الناس	١١٤	٦٠٤	مكية

١ – مناسبتها لما قبلها:

هناك وجهان لاتصال هذه السورة مع سورة المعارج حيث تقدمها مباشرة في ترتيب المصحف العثماني وهما:

أ ـ التشابه في مطلع السورتين، فقد ذكر العذاب الواقع بالكافرين من قوم محمد ﷺ في سورة المعارج، وذكر ذلك العذاب الواقع بقوم نوح في مطلع هذه السورة.

ب ـ لقد أوضح الحق تبارك وتعالى عظيم قدرته في الخلق أجمعين في نهاية سورة المعارج فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ ۝٤١﴾ [المعارج]،

ثم أعقب ذلك بقصة قوم نوح المشتملة على عظيم قدرة الله في إغراقهم إلا من قد آمن وإبدالهم بمن هم خير منهم، فوقعت موقع الاستدلال وإثبات تلك الدعوى.

٢- مناسبتها لما بعدها:

يوجد تناسب وترابط بين هذه السورة والتي بعدها سورة الجن فهي تعتبر مكملة لسورة نوح في الدعوة إلى الله، فسورة نوح كانت نموذجاً لأمة أعرضت عن نبيها ولم ينفع بها الإنذار والتبليغ، وسورة الجن تعرض علينا نموذجاً في الدعوة لخلق من خلق الله قبلوا الإنذار بمجرد سماعهم لآيات القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن]، والحكمة في ذلك تهييج لمشاعر المكلفين بأن يقبلوا دعوة الله عَزَّوَجَلَّ وخاصة أن رسولهم من أنفسهم ويحدثهم بلسانهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

رابعاً ـ مناسبتها لما قبلها في النزول:

نزلت سورة نوح بعد سورة النحل التي تتحدث في الآيات الأخيرة منها عن موضوع دعوة النبي محمد ﷺ لأهل مكة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادلهم بالتي هي أحسن وأن يصبر على أذاهم وأن الله لمع المحسنين، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، ثم أكمل موضوع الدعوة إلى الله في هذه السورة من خلال بيانها لقصة نبي دعا قومه زمناً طويلاً وبكل الوسائل والأساليب الدعوية المختلفة ليتخذ محمد ﷺ العبر والعظات من تجربة هذا النبي الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴿١﴾﴾ [نوح] وبذلك تتضح الوحدة الموضوعية بين هذه السورة وسورة النحل التي تسبقها في النزول وكأن السورتان موضوعٌ واحدٌ ينير الطريق لأصحاب الدعوة إلى الله عبر السنين والعصور[1].

(١) معالم الدعوة في سورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ د. صالح يحيى صواب ـ قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية الآداب،، جامعة صنعاء.

خامساً ـ الأفكار الرئيسة السورة:

لقد امتازت سورة نوح بخمسة أفكار رئيسة وهي:

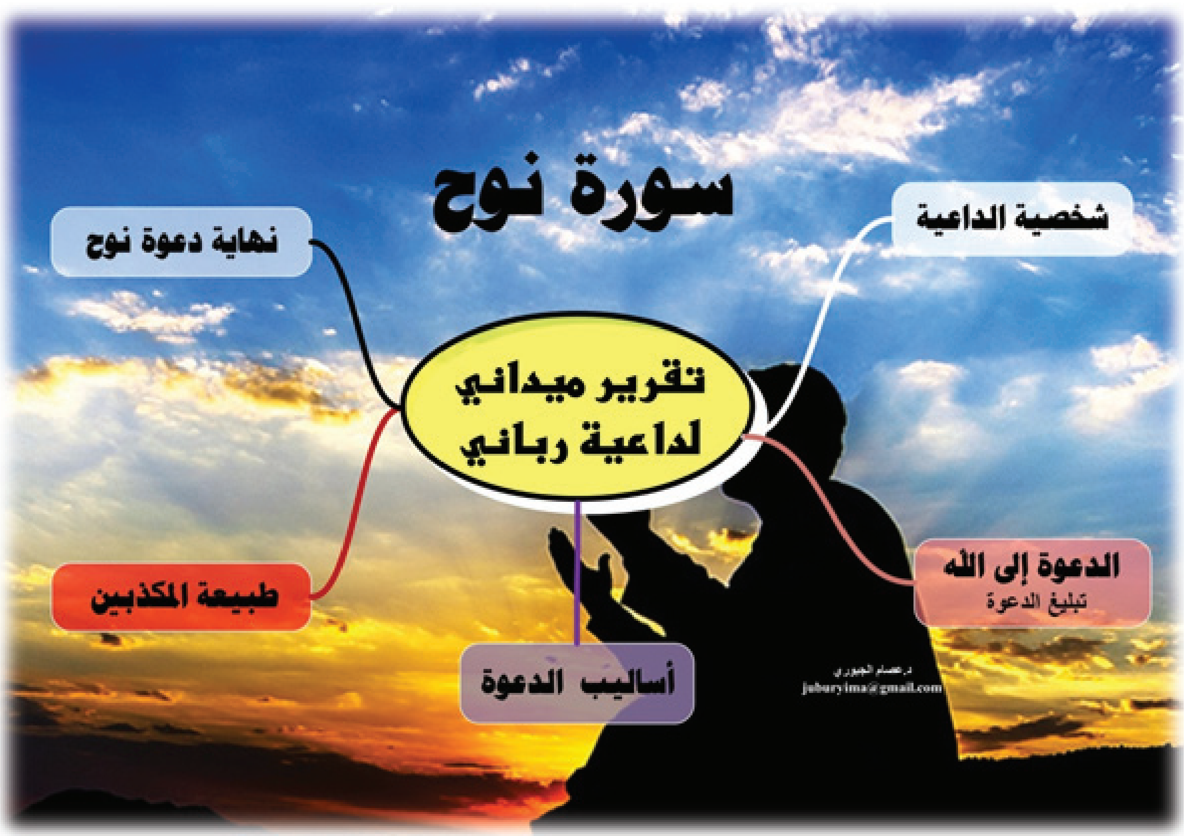
١ ـ شخصية الداعية.

٢ ـ الدعوة إلى الله (تبليغ الدعوة).

٣ ـ أساليب الدعوة.

٤ ـ طبيعة المكذبين ونهايتهم.

٥ ـ نهاية دعوة نوح.



١ـ شخصية الداعية[١]

لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذه السورة بإنذار قومه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾، واستجاب نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ لأمر ربه عَزَّوَجَلَّ، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾.

أ) التكليف للقيام بالدعوة والتبليغ:

يتضح من قول الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ أن الرسول إنما يبلغ بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، فنوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ إنما أرسله الله تعالى، فليس الأمر اجتهاداً من الرسل، وإنما هم مكلفون بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهكذا الداعية، فهو إنما يدعو بأمر الله عَزَّوَجَلَّ. وعلى الداعية دوماً أن يذكر أنه إنما يأمر بما أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وينهى عما نهى الله عنه، فليس في الأمر ارتجال أو اتِّباع هوى، وإنما هو تبليغ عن الله عَزَّوَجَلَّ.

ب) وجوب المسارعة لتنفيذ أمر الله:

من واجب المسلم المسارعة لتنفيذ أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والرسل قدوة في ذلك، فمنهجهم وطريقتهم سرعة الاستجابة لأمر الله تعالى مهما كانت هذه الأوامر. وقال سيد قطب: «﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾ مفصح عن نذارته، مبين عن حجته، لا يتمتم ولا يجمجم، ولا يتلعثم في دعوته، ولا يدع لبساً ولا غموضاً في حقيقة ما يدعو إليه، وفي حقيقة ما ينتظر المكذبين بدعوته»[٢].

وهكذا يجب على الدعاة والمصلحين المسارعة لتنفيذ أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الدعوة إليه، وعدم التأخير في البيان والنصح للأمة، ودلالتهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

ت) إفصاح الداعية عن شخصيته ووظيفته (تحديد المهمة):

على الداعية أن يفصح عن رسالته التي يدعو إليها، ويبينها للناس، وهذا ما قام به نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد أخبر قومه بالمهمة التي جاء من أجلها، وأبلغهم بأنه منذر لهم، بل وأكّد ذلك

(١) قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّباً وَوَضَعَتْ طَيِّباً وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِر ولم تُفْسِدْ» صححه الشيخ أحمد شاكر والشيخ الألباني. لذلك استخدمت صورة النحلة عند وجود فائدة.

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧١١.

لهم، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾. ثم يوجههم إلى عبادة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾.ومن هذا نستفيد أنه يجب على الداعية أن يفصح عن هدفه ومقصده، ويعلن وظيفته ودعوته، اقتداء بالنبي ﷺ، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف].



فائـدة

يجب أن يحدد الداعية هدفه من دعوته ويوضح المهمة التي يريدها بلا لبس ولا تشويش وأن تكون لديه القدرة على البلاغ المبين.

ولذلك فإن من الواجب على الداعية أن يكون واضحاً في مطالبه التي يريدها من قومه، وأن يبين لهم ما يريد منهم فعله أو تركه، وأن تتضح معالم دعوته التي يدعو إليها، وأن تكون بارزة يعرفها كل من وصلتهم الدعوة، حتى لا يدع مجالاً للمبطلين أن يكيدوا له، وأن يتقولوا عليه ما لم يقل، ويتهموه بالدعوة إلى ما لا يريده.

ث) حرص الداعية على حماية الأجيال جميعاً من الضلال:

يهدف الداعية إلى تطويع الناس وتعبيدهم لله عَزَّوَجَلَّ وحده، ويسعى إلى أن يخضع العباد لحكم الله عَزَّوَجَلَّ، وأن تسير البشرية وفق منهج الله تعالى، ويتصدى لأعداء الدعوة الذين يسعون لإفساد العباد حاضراً كان ذلك أو مستقبلاً، ولذلك فالداعية يهتم بجميع الأجيال سواء كانوا من المعاصرين له في زمنه أو من يأتي بعدهم، ويبعد عنهم كل ما فيه احتمال الإضرار بهم وصرفهم عن دينهم؛ لأن هدفه إقامة دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهداية الناس إليه.



فائدة

أن على الداعية حماية الأجيال من الشرك وأهله من أعداء الدين.

وفي هذه السورة نجد حرص نوح ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ على الأجيال القادمة، واهتمامه بمصلحتهم وهدايتهم، وحمايتهم من تأثيرات الضالين المفسدين، فكان من بواعث دعوته على قومه خوفه ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ من توارث الضلال في الأجيال القادمة، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ۝٢٧﴾.



٢ ـ الدعوة إلى اللّه (تبليغ الدعوة):

أ) تفاني الداعية:

لا يمكن لكل من حمل هم الدعوة أن يقرأ سورة نوح ولا يجد لآياتها وعظاتها أثراً في حياته. تعرض السورة صورة من صور الجهد المضني، والعناء المرهق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب سيدنا نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ وتفانيه في دعوته، وتحمله أعباء الدعوة لسنوات طوال، استمرت ألف سنة إلا خمسين عاماً.

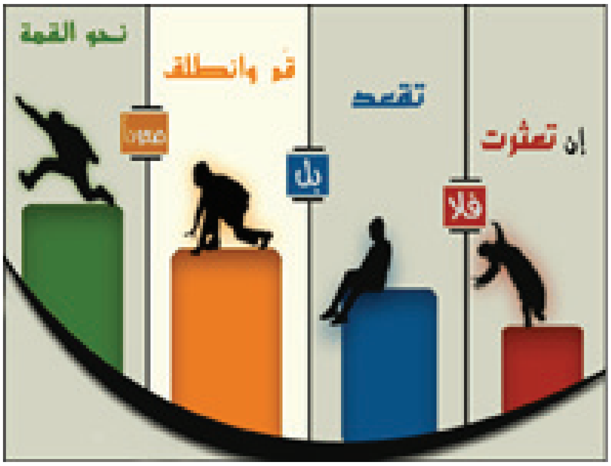
هذا ما صنع نوح وهذا ما قال: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ وهو يصور الجهد الدائب الذي لا ينقطع ولا يمل ولا يفتر ولا ييئس أمام الإعراض والإصرار، وهي صورة لإصرار الداعية على تفانيه من أجل دعوته وتحين كل فرصة ليبلغهم إياها.

> **فائدة**
> يجب أن يستغل الداعية كافة الأوقات والمناسبات لعرض دعوته بدون ملل ولا سأم، مضحياً بوقته، وجهده، وماله، وجاهه.

ب) المداومة والاستمرار:

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾.

تُبيّن هذه الآيات الجهد الكبير الذي بذله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دعوة قومه من غير فتور أو كلل ومع ذلك فلم يستجيبوا لدعوته، بل زادوا في الإعراض والتباعد عن الحق، لقد مضى سيدنا

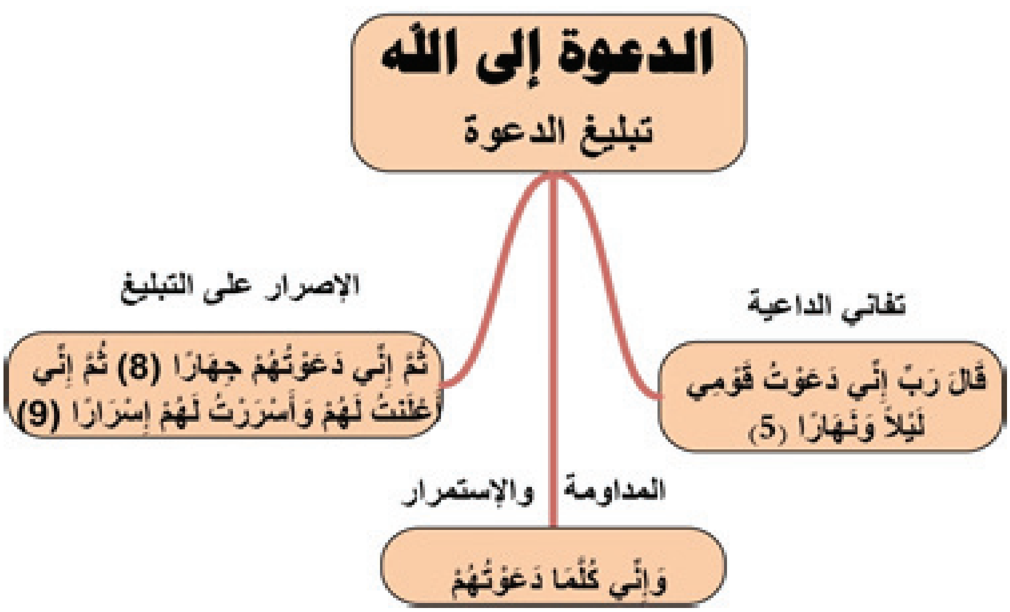


نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قدماً في طريق الدعوة حتى حكم الله بينه وبينهم وهو خير الحاكمين.

أخي الداعية الهمام: إن تعثرت يوماً في طريق دعوتك فلا تقعد وتتكاسل فهي ليست نهاية المطاف، بل قم واثقاً وانطلق متوكلاً ثم واصل الدعوة إلى الله صعوداً نحو القمة، لأنك تبغي المعالي.

ت) الإصرار على التبليغ:

لم يكتف نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بدعوة قومه مرة أو مرتين، وإنما كانت الدعوة همه وشغله ليلاً ونهاراً في كل وقت وحين. ونفهم من هذا أن الإصرار على تبليغ الدعوة والمداومة عليها دون كلل ولا ملل ولا تذمر ولا تبرم تسكب في فؤاد الداعي أملاً لا ينقطع، فيكون أبعد الناس عن اليأس والإحباط، والدعاة وهم يرون الحق في قوته وظهوره وعلوه يستمدون من الله يقيناً فوق يقينهم؛ فإذا هم ماضون في الدعوة بعزيمة نافذة وكما قالت الرسل، وقد نالت منهم طوائف المكذبين الجاحدين فقالوا: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة إبراهيم].



٣ ـ أساليب الدعوة:

وهي عبارة عن الطرق التي يتم بها توصيل الدعوة إلى الناس ومخاطبتهم بها، وإزالة الموانع التي تحول بين الناس والإيمان بالفكرة التي تقوم عليها الدعوة، والسورة غنية بمثل هذه الأساليب الدعويّة المتنوعة التي سنوضحها في هذا البحث.

دعا نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قومه تارة جهاراً وتارة أسر لهم إسراراً، وفي هذا إشارة إلى أهمية تنويع أساليب الدعوة وتعددها وشمولها.

يجب أن يسلك الداعية أسلوب التدرج مع القوم ومراعاة حال المدعو زماناً ومكاناً.



والدرس هنا للدعاة والمربين أننا في بعض الأحيان نجمد على وسائلنا بلا تغيير ولا تجديد في وقت تتجدد فيه طرق أعداء الدين في كل وقت، ثم إذا لم نحقق القبول المرجو حملنا المدعوين مسؤولية عدم القبول والحقيقة أننا نتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية في عدم قبولهم، وإن شئت فقُلْ: تنفيرهم.

لقد سلك نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ في دعوة قومه للتوحيد سبلاً عدة، واتخذ وسائل شتى فمن ذلك:

فقه التدرج والمراحل:

في دعوة نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قومه سراً وجهاراً إشارة لطيفة لفقه المراحل في الدعوة.

لابد أن نعلم أن لكل عمل مراحل ولكل مرحلة أهدافاً فلا نتخطى هدفاً إلى هدف ونتجاوز مرحلة إلى أخرى لابد أن نعرف من نحن وماذا نستطيع أن نعمل الآن، ونضع أهدافاً ثم ننتقل إلى مرحلة أخرى بأهداف أخرى.

لا يمكن تحقيق كل الأهداف من أول مرحلة في الدعوة بل لابد من الانتقال من مرحلة إلى أخرى.

وهنا إشارة إلى أمر آخر ألا وهو «**فقه الممكن**» والمقصود به أننا لا بد أن نعرف ما الذي يمكن تحقيقه من مكاسب للدعوة فنعمل على تحقيقها في ظل الظروف الراهنة، فلا نطالب

بآمال وأحلام لا يمكن أن تتحقق، وفي نفس الوقت لا نتنازل ونتخلى عن أصول الدين وقواعده مداهنة ومداراة.

تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦﴾. «وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده..» [قطعة من حديث رواه البخاري].

الأسلوب الأول: أسلوب الترغيب.

رغَّب نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ قومه، وأطمعهم في خيري الدنيا والآخرة رجاء أن يستجيبوا، وكان الترغيب على نوعين:

أولاً ـ الترغيب في ثواب الآخرة:

وهو المقصد الأهم، وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [نوح: ٤]، ولا شك أن أهم ثمرات الاستجابة لله تعالى ما وعد الله عَزَّوَجَلَّ به المؤمنين في الآخرة من مغفرة الذنوب ودخول الجنة.

فائـدة

يجب أن يكون الداعية شفيقاً على أتباعه متواضعاً لهم ينشد لهم العيش الطيب في الدنيا، والكمال في الآخرة.

ثانياً ـ الترغيب في خير الدنيا:

فقد وعد نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ قومه بتحصيل المنافع العاجلة في الحياة الدنيا، بعد أن وعدهم بمغفرة الذنوب، فوعدهم بخير كثير؛ ترغيباً لهم في الإيمان والاستقامة، وذلك في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [١٠ـ١٢]، يقول الفخر الرازي: «والأشياء التي وعدهم من منافع الدنيا في هذه الآية خمسة:

أولها قوله: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾.

وثانيها قوله: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ أَنْهَٰرًا أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾، وهذا لا يختص بنوع واحد من المال، بل يعم الكل.

وثالثها قوله: ﴿وَبَنِينَ﴾ ولا شك أن ذلك مما يميل الطبع إليه.

ورابعها قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ أي: بساتين.

وخامسها قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾.

وهناك وعد دنيوي سادس ذكره الله تعالى بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ وهو الوعد بتأخير الأجل ودفع العذاب، يقول الطاهر بن عاشور: «وأما قوله: ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ فهو وعد بخير دنيوي، يستوي الناس في رغبته، وهو طول البقاء، فإنه من النعم العظيمة؛ لأن من جبلة الإنسان حب البقاء في الحياة مع ما فيها من عوارض ومكدرات، وهذا ناموس جعله الله تعالى في جبلة الإنسان؛ لتجري أعمال الناس على ما يعين على حفظ النوع».

يحب أن يتخذ الداعية شتى الأساليب للإقناع للوصول إلى قلوب المدعوين في تلطف ولين، وترغيب وترهيب، وتذكير ونصح وجدال.. وغيرها من الأساليب التي تخدم الهدف.

الأسلوب الثاني: الترهيب



وكما استخدم نوح ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله، استخدم نظيره وهو الترهيب، فقد حذَّر قومه عذاب الله، وتوعَّدهم نقمته، وقد ورد ذلك الأسلوب في عدة آيات من الكتاب العزيز، منها قوله جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [نوح].

كما ورد الترهيب من العذاب في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [نوح]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات».

ـ التفكر في الخلق ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ ...﴾

يقول سيد قطب: «ونمضي مع نوح في جهاده النبيل الطويل، فنجده يأخذ بقومه إلى آيات الله في أنفسهم، وفي الكون من حولهم، وهو يعجب من استهتارهم وسوء أدبهم مع الله، وينكر عليهم ذلك الاستهتار:

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾».

إشارة قوية جلية في هذه الآيات وأمثالها كثير، وهي الدعوة للتفكر والتدبر...قد نهتم كثيراً بالعبادات العملية... لكن مع هذا كله لابد لنا من ساعة تفكر... نتفكر فيها بما أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نتفكر فيه.

في هذه الآيات نجد أن نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخاطب قومه ليدعوهم إلى الدين القويم وترك ما هم عليه من الكفر والشرك بطريقة تخاطب العقول بخطاب جميل قريب للنفس (أَلَمْ تَرَوْا؟).

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾.

وقد لفت نوح ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ أنظار قومه إلى آيات كثيرة دالة على وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ وربوبيته، وهي كالآتي:

١ ـ النفس:

قال سبحانه: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾، فأشار إلى خلقهم وتكوينهم في مراحل متعددة، وحفظ الله تعالى لهم في تلك المراحل، ليرجو من وراء تذكيرهم به أن يكون له في نفوسهم وقع مؤثر، يقودهم إلى الاستجابة.

٢ ـ الكون:

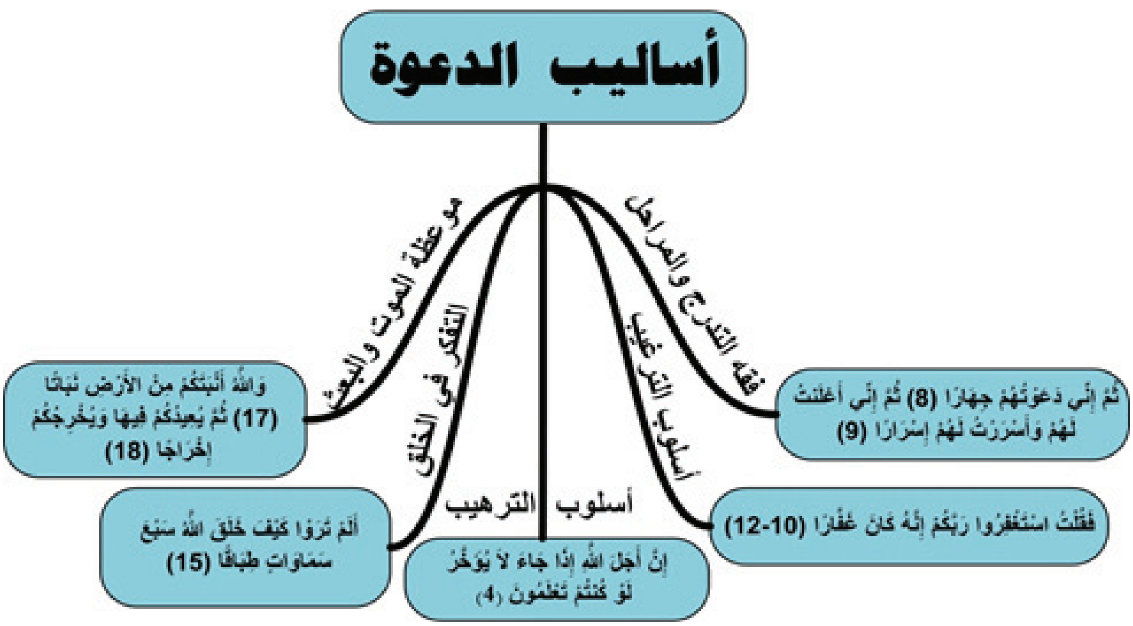
ثم لفت أنظارهم إلى السموات وما فيها من آيات ظاهرة، وأبرزها: الشمس والقمر، وجعل السموات سبعاً، بعضها فوق بعض، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾.

٣ ـ بدء خلق الإنسان ونهايته:

ومن أبرز الآيات: بدء خلق الإنسان ونشأته من التراب، وإعادته إليه بعد الموت، وبعثه بعد الموت وخروجه من الأرض، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

٤ ـ بسط الأرض:

ومن نعم الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ الدالة على ربوبيته: بسط الأرض لعباده وتمهيدها لهم، لطلب المنافع في شتى نواحيها، وقد أشارت إليها السورة في قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.



طبيعة المكذبين[(١)]

تتشابه طبائع المكذبين ومواقفهم في كل زمان ومكان من الدعوة والدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك نجد موقفهم من الدعوة واحداً، في طرح الشبهات المتماثلة والمتقاربة، كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات].

لذلك تجد المعادين لدعوة الله يشككون في مبادئ وأفكار الدعوة، ويسيئون الظن بالدعاة وينظرون إلى إليهم بمنظار أسود، ولا يتحدثون عن الدعوة إلا بلسان المتشكك المرتاب، وهؤلاء أطلق عليهم القرآن الملأ بمعنى أشراف المجتمع وسادته، قاوموا دعوة الرسل، قال تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الأعراف] وهم من قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تصدوا للدعوة، وهم الذين نسبوا نبيهم إلى الضلال الواضح، وهذا من أعظم الظلم والصد عن سبيل الله، فقد وصفوا الحق الذي دعا إليه نوح بالضلال.

وعند تأمل هذه السورة نجد فيها وصف طبيعة المكذبين لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وما واجهوا به نوحاً ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ من تصرفات، أوجزها الفخر الرازي في قوله: «واعلم أنه ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ لما دعاهم عاملوه بأشياء:

- ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ والمعنى: أنهم بلغوا في التقليد إلى حيث جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا الحجة والبينة.

﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: تغطوا بها، إما لأجل أن لا يبصروا وجهه، كأنهم لم يجوزوا أن يسمعوا كلامه ولا أن يروا وجهه، وإما لأجل المبالغة في أن لا يسمعوا، فإنهم إذا جعلوا أصابعهم في آذانهم، ثم استغشوا ثيابهم مع ذلك صار المانع من السماع أقوى.

- ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ والمعنى: أنهم أصروا على مذهبهم، أو على إعراضهم عن سماع دعوة الحق.
- ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ أي: عظيما بالغاً إلى النهاية القصوى»[(٢)].

---

(١) معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام ـ د. صالح يحيى صواب ـ قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية الآداب ـ جامعة صنعاء.

(٢) التفسير الكبير ٣٠/ ١٢١.

١ ـ الفرار من الدعوة:

◆ لقد أوضحت سورة نوح المشاق الكبيرة التي تعرض لها نبي الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما صاح بأعلى صوته بشيراً ونذيراً في قومه، واستخدم حججاً قوية دامغة، وأساليب دعوية متنوعة،ومع ذلك فلم تؤثر هذه الدعوة، بل ازدادوا بعداً بعد سماع الحق، وكان تأثير الدعوة عليهم تأثيراً سلبياً، لا لخفاء الحق، ولا لضعف الحجة، بل للعناد والاستكبار، فلم يجد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً ووجوهاً مغطاة بالثياب، فقال مناجياً ربه: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾.

وهذا يدل على خذلان الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لهم، وعدم توفيقه إياهم.

◆ ومعنى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ أن دعائي لهم بأن يعبدوا الله وبطاعتهم لي لم يزدهم ما دعوتهم إليه إلا بعدا منه، فالفرار مستعار لقوة الإعراض، أي: لم يزدهم دعائي إياهم قرباً مما أدعوهم إليه.

٢ ـ زيادة العناد عند سماع الدعوة..

ولا يقتصر المكذبون على الإعراض عن الدعوة فحسب، بل يزدادون عناداً وإصراراً على كفرهم؛ ويحاولون بكل ما يستطيعون الإعراض عن الدعوة، وصدها لكي لا تصل إلى مسامعهم، ويظهرون من الأساليب ما يدل على إعراضهم وإصرارهم، كما قال سبحانه عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾.

وهذا يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراهتهم لدعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فائــدة

معرفة طبيعة المكذبين يجعل الداعية حريصاً على حماية الدعوة وحماية نفسه، بالاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ أولاً، والتوكل عليه سبحانه، ثم بالحذر وأخذ الحيطة والأسباب، والله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مبطل كيد الكافرين، وهو خير الماكرين، يرد مكر الكفار عليهم، وينجي عباده المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ [النمل].

وهكذا يفعل المجرمون في كل زمان ومكان، يعرضون عن الدعوة دون الاستماع إليها، بل ويحذرون الآخرين من سماعها؛ لكي لا تؤثر في نفوس سامعيها، كما قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن مشركي مكة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت]، وكما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا ...﴾ [الحج: ٧٢].

وكان بإمكان هؤلاء أن يبتعدوا عن الدعوة وأن ينصرفوا عنها دون حاجة لمثل هذا التصرف، لكنه إمعان في الضلال؛ وزيادة في العناد، وتيئيس لمن يدعوهم من قبول دعوته.

وإضافة إلى ما ذكر ففي هذه الآية لطيفتان جميلتان في وصف حال هؤلاء المكذبين:

الأولى: في قوله سبحانه: ﴿دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ فلم يقل: دعوتهم ليتوبوا أو ليوحدوا فتغفر لهم، وإنما ذكر المسبب وهو مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يذكر السبب وهو الإيمان والتوبة، وفي هذا بيان قبح إعراضهم، حيث أعرضوا عن الشيء الذي يؤدي إلى مصلحتهم ومغفرة ذنوبهم، ويُظهر شدة حرصه على إيصال الخير إليهم.

الثانية: في قوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ﴾ حيث لم يجعلوا أصابعهم في آذانهم ويستغشوا ثيابهم مرة واحدة، أو في بعض الأحيان، وإنما كان ذلك عند كل دعوة من دعواته لهم.

٣ ـ اتِّباع السادة والكبراء والتآمر على الدعوة والدعاة:

ومن طبيعة المكذبين أنهم تبع للسادة والكبراء؛ جامعون بين التقليد، والبحث عن المصلحة العاجلة، بصرف النظر عن كون هؤلاء الكبراء على الحق أو على الباطل.

وقد بين الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أثر الكبراء في إضلال الضعفاء، وحكى سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن قوم نوح ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ في اتباعهم الكبراء والوجهاء، فلم يكونوا يبحثون عن الحق، ولا يطلبونه، وإنما يقلدون في ذلك، ويجاملون، ويتبعون الهوى والمصلحة الدنيوية العاجلة، دون النظر فيما فيه فلاحهم أو خسارتهم، والمهم لديهم أن يكون المتبوع ذا مال وولد وجاه وسلطان، كما قال سبحانه: ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١﴾.

ولغيظ المكذبين من الدعوة والدعاة إلى الله تعالى، فإنهم يمكرون بهم، ويسعون إلى إيذائهم، وقد مكر قوم نوح مكراً كبيراً شديداً، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾.

ومكر المكذبين يشمل أمرين

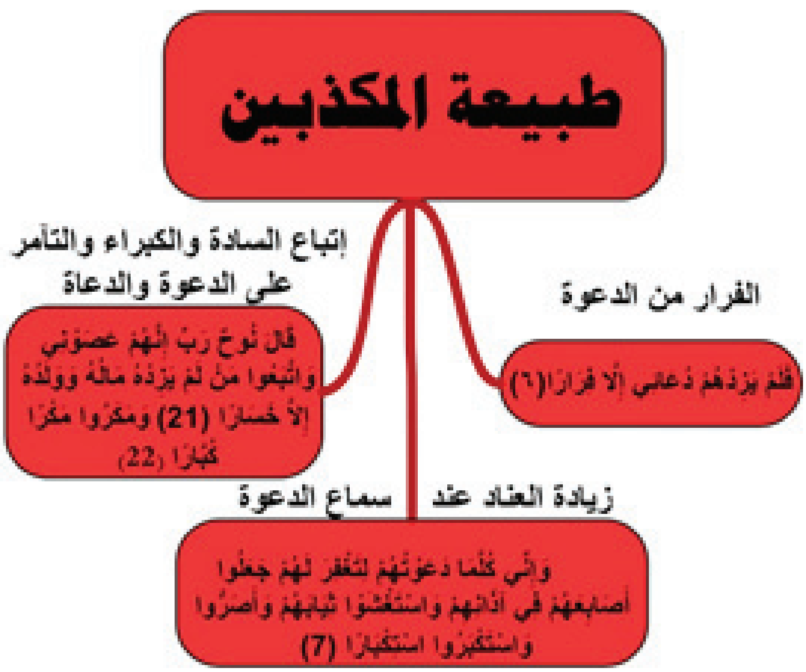
الأول: التآمر على الدعوة، والصد عنها، والتواصي بالاستمرار على الشرك والكفر.

والثاني: التآمر على الدعاة والمصلحين، والسعي في إيذائهم.

ولا شك أن قوم نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ قد جمعوا بين الأمرين..

فأما التآمر على الدعوة فقد ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾.

وأما إيذاء نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ فقد جاء في قوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء]، وقوله سبحانه: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون].



نهاية دعوة نوح

لقد كان نوح ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ داعية ناجحاً قام بالدعوة على أكمل وجه ودافع عنها وأحسن في عرضها على قومه، وبذل كل ما في وسعه من ترغيب وترهيب ولم ينفع ذلك مع الظالمين وزادوا في العناد والضلال فطلبوا من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إيقاع العذاب بهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود].

وبسبب هذا التعنت والإعراض عن الإيمان وإصرارهم على الكفر أغرقهم الله بالطوفان، وقد بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ما أصابهم إنما هو بسبب خطاياهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾.

وهذا عذاب في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فهو عذاب الغرق، بإرسال الطوفان، كما قال سبحانه: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر].

ثم نجاة نوح ومَن آمن معه، ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ... ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف]. ﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ... ﴿١٤﴾﴾ [القمر].

وكما قال سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الشعراء].

١ ـ التوجه إلى الله بالشكوى

نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يشكو أمرَه إلى الله ويلجأُ لمولاه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾.

لقد استمر نوحٌ في شكواه إلى الله من قومه المستكبرين. فبعد أن أوضح أنّه سلك أساليب دعوية متنوعة في تعامله مع قومه، اتّجه إلى السماء شاكياً إليها تمرّد القوم، و جهالتَهم، ومكرَهم، وإصرارَهم على عبادة الأوثان.

أنها صفحاتٌ من الابتلاء والصبر معروضةٌ للبشرية، لتسجل أن لا اعتماد إلا على الله، وأن لا فارجَ للهمِ ولا كاشفَ للبلوى إلا الله.

هذا هو طريق الاستعلاء أن تنظرَ إلى السماء، وأن نلحُ بالدعاء، لأن الشكوى إلى الله تشعرك بالقوةِ والسعادة، وأنك تأوي إلى ركنٍ شديد. أما الشكوى إلى الناس، والنظرِ إلى ما في أيدي الناس فيشعرك بالضعف والذل والإهانةِ والتبعية.

٢ ـ الدعاء للنفس والوالدين:

وبعد أن دعا على الكافرين الظالمين، دعا لنفسه ولأبويه لأنهما كانا مؤمِنَيْن وللمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والهداية والثبات على الحق في طريق الدعوة والإيمان فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

٣ ـ الدعاء للمؤمنين والمؤمنات:

سيدنا نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ ما نسي نفسه وأهله ومن آمن معه فيقول:

يا ربّ استرني واغفر لي ذنوبي ولوالدي الذين كانا سبباً في وجودي، ولمن دخل منزلي ومسجدي أو سفينتي مؤمناً مصدقاً بدعوتي وللمؤمنين والمؤمنات، ويظهر من ذلك حبُّ وبرُّ المؤمن بالمؤمن وحب الخير لأخيه كما يحب لنفسه، وبالمقابل يكون الكره للظالمين المستبدين فقال: ﴿... وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ أي هلاكاً وخساراً ودماراً في الدنيا والآخرة:

ثم ختم التقرير بطلب المغفرة والدعاء لأوسع مجموعة لم يذكر مثلها في القرآن الكريم ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... ﴿٢٨﴾﴾ أوسع دعاء لم يرد مثله في القرآن.

٤ ـ الدعاء على المكذبين

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

نوح ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ اقترح مقترحاً ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ وربنا وافق على المقترح وبيّن سبب الإجابة.

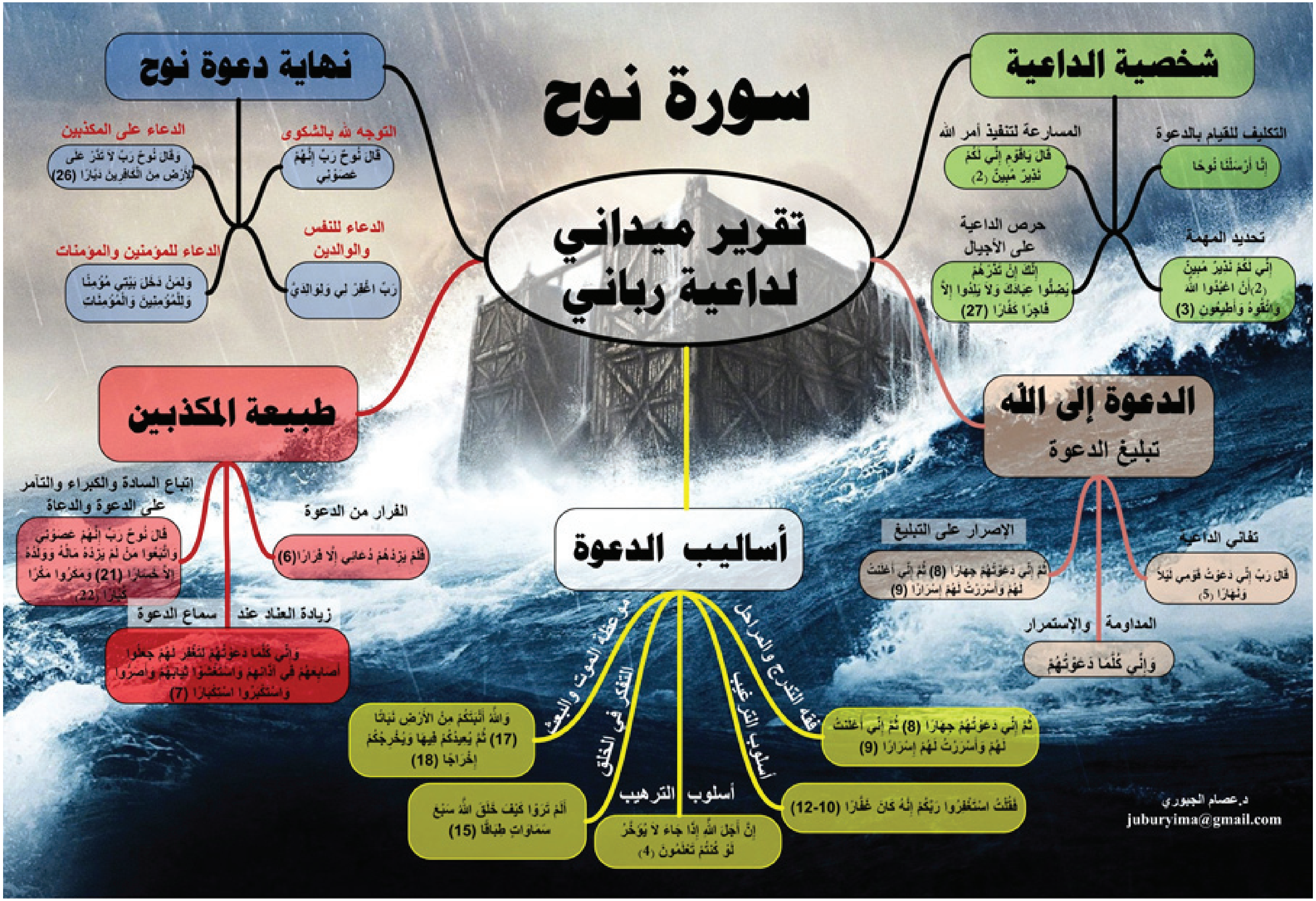
قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ... ﴿٢٥﴾﴾ وافق على الطلب بسبب الخطيئات، لاحظ التقرير الميداني العجيب: صورة الحدث كله، الصورة النهائية لكل تاريخ الدعوة وذيّل التقرير بمقترح ﴿نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ وعلل سبب المقترح ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

خاتمة التقرير

إن خاتمة السورة **(التقرير الميداني)** لتوضح لنا الصورة الوضيئة لهذا النبي المجاهد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي استمر في دعوته ألف عام إلا خمسين، كما توضح معالم نهاية طريق التوحيد وهو النجاة والاستغفار والغفران للمؤمنين والهلاك والدمار والخسران للظالمين الكافرين الملحدين، وحينما طلب المغفرة من ربه فهذا يعبر عن حسن الأدب مع الخالق، ودعاؤه لوالديه وللمؤمنين يدل على بره بوالديه ومحبته للمؤمنين، حيث كان بالمؤمنين رحيماً.

«إن نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ بذل أقصى جهده في سبيل دعوة قومه وهدايتهم وإصلاحهم ولكنهم صمّوا آذانهم عن سماع الحق وتحجرت قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، فكانوا طغاة ظالمين، حينئذ دعا نوح ربه أن يُطهر الأرض من الظالمين ورجسهم حتى لا يكون هؤلاء الطغاة عقبة في وجه إيمان الجيل الجديد، فقال: يا رب لا تترك أحداً من الكافرين يدور ويتحرك في الأرض، فاستجاب الله سبحانه لهذه الدعوة الساحقة الماحقة، فغسل الأرض وطهرها من الشرك والكافرين بعد أن أعقم الله أرحام نسائهم، وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين سنة، ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب. والشكل يمثل خريطة ذهنية لمحور السورة وأفكارها الرئيسة والفرعية»(١).

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ ج٢٩/ تفسير سورة نوح.



سورة نوح
تقرير ميداني لداعية رباني
شخصية الداعية
التكليف للقيام بالدعوة
إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا
المسارعة لتنفيذ أمر الله
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2)
تحديد المهمة
إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3)
حرص الداعية على الأجيال
إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27)
نهاية دعوة نوح
التوجه لله بالشكوى
قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي
الدعاء على المكذبين
وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26)
الدعاء للنفس والوالدين
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
الدعاء للمؤمنين والمؤمنات
وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
الدعوة إلى الله
تبليغ الدعوة
تفاني الداعية
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5)
الإصرار على التبليغ
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9)
المداومة والإستمرار
وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ
طبيعة المكذبين
اتباع السادة والكبراء والتآمر على الدعوة والدعاة
قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22)
الفرار من الدعوة
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6)
زيادة العناد عند سماع الدعوة
وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7)
أساليب الدعوة
فقه التدرج والمراحل
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9)
أسلوب الترغيب
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10-12)
أسلوب الترهيب
إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4)
التفكر في الخلق
أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (15)
موعظة الموت والبعث
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18)
د.عصام الجبوري
juburyima@gmail.com

أفكار أخرى
ممكن الاستفادة منها لرسم خريطة ذهنية لسورة نوح.

الإصرار على الباطل:

من طبيعة المجرمين التكذيب بما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لكن عندما يكون التكذيب في بدايته يبقى الأمل في استجابتهم، وعودتهم إلى الحق وتفهمهم له.

وعندما يطبع الله على القلوب فإنها تعمى، وبدلاً من الرجوع إلى الحق تزداد إصراراً على الباطل، وهذا ما كان من شأن قوم نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ حيث وصفهم بالإصرار على الباطل، في قوله سبحانه عنهم: ﴿وَأَصَرُّواْ ﴾.

الاستكبار عن الحق:

أسوأ ما يكون في حال المدعو: أن يعرف الحق، وتقوم عليه الحجة، ثم يمنعه الكبر عن قبول الحق والاستجابة إليه، وهذا ما كان من شأن قوم نوح ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ فقد عصوا نوحا، وكذبوه، وكان الباعث على ذلك الكبر، كما قال سبحانه: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارًا ﴾.

الدعوة إلى التمسك بالباطل:

وهكذا منهج الكفر في كل زمان ومكان، فهم لا يفتؤون يحثون أتباعهم على التمسك بدينهم الباطل، دون النظر إلى ما جاء به الداعية وإعمال العقل؛ ليعرفوا صحة ما جاء به أو بطلانه.

إن من تزيين الشيطان لأتباعه أن جعلهم يدعون إلى الباطل، ويحثون قومهم على البقاء على الشرك والكفر، فلا يكتفون بكفرهم وشركهم وبعدهم عن الحق، ولكنهم يدعون غيرهم إلى التمسك بالكفر والضلال، قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾﴾.

يقول سيد قطب: «﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بهذه الإضافة: (آلهتكم) لإثارة النخوة الكاذبة، والحمية الآثمة في قلوبهم، وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأناً، فخصوها بالذكر؛ ليهيج ذكرها في قلوب العامة المضللة الحمية والاعتزاز».

«وهكذا تلك القيادات الضالة المضللة، تقيم أصناماً، تختلف أسماؤها وأشكالها، وفق النعرة السائدة في كل جاهلية، وتجمع حواليها الأتباع، وتهيج في قلوبهم الحمية لهذه الأصنام، كي توجههم من هذا الخطام إلى حيث تشاء، وتبقيهم على الضلال الذي يكفل لها الطاعة والانقياد: (وقد أضلوا كثيراً) ككل قيادة ضالة تجمع الناس حول الأصنام.. أصنام الحجار، وأصنام الأشخاص، وأصنام الأفكار.. سواء!! للصد عن دعوة الله وتوجيه القلوب بعيدا عن الدعاة، بالمكر الكبّار، والكيد والإصرار!»[1].

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧١٦.

الجزء ٣٠

محور الجزء: يوم القيامة الحساب والجزاء على تطبيق منهج الله



يتكون هذا الجزء: من سورة النبأ إلى سورة الناس.

أنَّ أول ما نُحَفِّظه لأولادنا من القرآن سورة الفاتحة وجزء عَمَّ وذلك لأن سوره قصيرة وسهلة الحفظ. وهذا أمر صحيح لأنَّ التعليم والحفظ في وقت الطفولة أسرع وأكثر رسوخاً من أي وقت آخر من عمر الطفل. والطفل يمتلك ذاكرة بيضاء نقية لم تحمل مشاغل ولا هموماً مثل الكبار.

فنحن أمام هذه الجوهرة التي يمتلكها أبناؤنا في المراحل الباكرة من أعمارهم، علينا مسؤولية حُسن استغلالها وتوظيفها لصالح الطفل في دينه ودنياه. ولأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، فإن أفضل مراحل تعلم القرآن وحفظه هو سن الطفولة المبكرة من (٣ ـ ٦) سنوات؛ حيث يكون عقل الطفل يقظاً، وملكات الحفظ لديه نقية، ورغبته

في المحاكاة والتقليد قوية. ومن الضروري جداً أن نربي أطفالنا على الأشياء التي تنفعهم ولا شيء أعظم نفعاً من حفظ الطفل للقرآن الكريم خصوصاً. فالأجدر أن ندرس قرآننا لأبنائنا وأن نحفظه لهم عن ظهر قلب لأن المعرفة الإسلامية التي تكمن في مصدرها الأول ألا وهو القرآن الكريم في أمس الحاجة إلى عقول فتية صغيرة من أجل أن تشكل في دواخلها أساساً دينياً وعقائدياً حتى يسهل بناء ما فوق ذلك.

لكن هل فكرنا يوماً أن نتدبر المعاني العميقة لهذا الجزء ونَفهمها، ثم نحاول أن نُفهمها لأطفالنا بدل الحفظ فقط! وهل حاولنا شرح معاني الكلمات ومحور كل سورة بطريقة شيقة، وأساليب تشبيه واستعمال خرائط وصور ملونة، تُيسر على الطفل الفهم، فالفهم السليم يجعل الحفظ أسهل، وعلى الوالدين والمحفظين ألا يستهينوا بعقل الطفل، فلديه قدرة كبيرة على تخزين المعلومات. ولقد أثبتت الدراسات أن التعلم من خلال الحواس يوفر الوقت ويعمق الفكرة، فكلما تعددت الحواس في الموقف التعليمي زاد من استيعاب المتعلم واكتسابه المهارات والخبرات الجديدة.

كما تؤكد الدراسات أن حاسة البصر هي الأكثر تأثيراً من بين بقية الحواس؛ لذلك ينصح عند تحفيظ الطفل سور القرآن استخدام أكثر عدد من حواسه؛ لأن الطفل إذا كان يستخدم حاسة السمع والبصر واللمس فإنه سيتمكن من حفظ ٧٥٪ مما يتلى عليه لأن حاسة السمع تعتمد عليها ١١٪ من قدرات الحفظ، وكذلك حاسة اللمس، أما الأهم على الإطلاق فهي حاسة البصر لأن ٧٥ ـ ٨٣٪ من قدرات الحفظ تعتمد عليها؛ لذا ننبه إلى تحفيظ سور القرآن الكريم عن طريق اللوحات على الحائط والخرائط الملونة وحركات اليد والإشارات.

لقد استخدم القرآن الحواس وعالم الشهادة بكل ما فيه كوسائل تعليمية معرفية معينة على وعي عالم الغيب البعيد عن تناول الحواس، ومصدره الوحيد معرفة الوحي، إضافة إلى أنه استخدم ابتداءً كل مكونات عالم الشهادة كشواهد ووسائل معينة للتعلم وتنمية العقل وتوسيع الخيال وبناء الإدراك.

ولا شك أن الرسول الذي بُعث معلماً، انطلق من معين الوحي ومنهجه معلماً لأصحابه، ومستخدماً لكل الوسائل والأساليب التي عرض لها القرآن، وحاول استخدام الأدوات والوسائل المتاحة في البيئة، وتوظيفها لصالح تعميق المعاني والمعارف. والحقيقة أنه لا يمكن استقصاء الأساليب اللغوية والوسائل المادية التي استخدمها عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما توافر

في البيئة كوسائل سمعية بصرية لحشد كل الإمكانات لتحقيق المعرفة التي يريد إيصالها.. ولم يقتصر في ذلك على بناء المعاني المجردة، بل كان هذا الاستخدام يهدف إلى التدريب وتحقيق المهارات، كما يهدف إلى بناء السلوك القويم، وإلى تحقيق التراكم المعرفي، فكان واضحاً في سيرته التعليمية تحقيق الأهداف السلوكية والمهارية والمعرفية، واكتشاف المواهب، وإشاعة التخصصات في ضوء الحاجات القائمة.

وبالإمكان القول أنَّ رسولنا الكريم ﷺ باعتباره المعلم الأول لنا: شرع نهجاً، ووضح وجهة، وأكد على أهمية الوسيلة المعينة على إيضاح المعنى وتثبيته بما يشكل منطلقات كبرى لمشروعية الوسائل المعينة في العملية التعليمية، وأهميتها، وضرورة الامتداد والابتكار والتطوير لها لتحقيق كسب معرفي أكبر للمتعلم حسب قدراته، وكان واضحاً في منهجه التعليمي ربط المعرفة أو العلم بهدفه المعرفي والسلوكي والعملي أو المهاري.

ولو نظرنا لحالنا اليوم ونحن نقرأ جزء عَمَّ بل نَحفظه ونُحفظه لأولادنا الصغار...وهو ملئ بأهوال يوم القيامة أكثر من غيره وترانا نردد ولا نبالي، وكأن هذا المشهد سيعيشه غيرنا، وربما سورة من هذا الجزء أو آية واحدة نقرأها، ونفهمها، ونتدبرها، ونطبقها خير من ختمة جوفاء. لأن العبرة بالتطبيق العملي في واقع الحياة، ثم ليكون القرآن منهجاً وهادياً لنا ولأولادنا، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يصف القرآن الكريم بأنه: ﴿يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾.

ماذا يُريد اللّه من المُسلم إذا حفظ القرآن؟

لقد كنت ممّن عايشوا دورات تحفيظ القرآن الكريم وعملوا في أفنيتها المباركة لعدة سنوات، ومن خلال تجربتي المتواضعة واستقراءً لنتائج الواقع الملموس في هذه الدورات نجد أنفسنا أمام واقع اقتصر فيه الاهتمام بالقرآن على إتقان تلاوته وتجويده، وضبطه وحفظه، وأُهمل فيه فهم الآيات وتدبّرها والعمل بها، لذلك نشأ جيل يتسابق على حفظ القرآن، ولكنه يتراخى عن الاستجابة والعمل بأوامره ونواهيه والوقوف عند حدوده.

إن الاقتصار على متابعة الطلبة في المدارس ودور التحفيظ في حفظهم ودقة تجويدهم لن يخرج لنا جيلاً خلقه القرآن، ولن يبني لنا أمّةً صالحةً، ونحن هنا لا نقلل من قيمة الحفظ ومناهج وأهمية علم التجويد والقراءات، لأنها تشكل الأساس الذي يقوم عليه البناء، لكننا

نرى أنه على أهمية ذلك وقيمته الكبيرة فإنه يفتقد هذه القيمة عملياً إذا لم يوظف في بناء الأمة والارتقاء بها وحمل الخير للعالمين.

لقد كان من وظائف النبي ﷺ تعليم العلم، والتزكية، وتلاوة الكتاب على أصحابه ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران]. وهكذا صنع الرسول ﷺ ـ بما أُنْزِلَ عليه من القرآن ـ نمَاذِجَ حوَّلَتْ مَجْرَى التاريخ!

ولقد أجمع السابقون واللاحقون على أن المنهج إنما هو ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من أمر القرآن. حتى صار القرآن في قلوبهم المؤمنة نَفَساً طبيعيا، لا يتصرفون إلا من خلاله، ولا ينطقون إلا بحكمته!

ولم يكن ﷺ يُخرج أقواماً يحفظون فقط، بل ربَّى أصحابه تربية علمية، وتربية جهادية، وقيادية، وإدارية، وقبل ذلك كله تربية إيمانية. ففي تربيته العلمية لأصحابه لم يكن صلى الله عليه وسلّم يقتصر على تعليم أصحابه مسائل علمية فقط، بل ربَّى علماء ومجتهدين، وحملة العلم للبشرية. لقد واجه أصحاب النبي ﷺ دولة ممتدة الأطراف، متنامية النواحي، وتعاملوا مع أصناف أخرى من الشعوب، وأنماط جديدة من المعيشة والسلوك، واستطاعوا أن يستوعبوا ذلك كله. كل ذلك كان نتاج التربية العلمية العملية التي ربَّاهم عليها ﷺ.

فلم تكن للنبي ﷺ وسائل تعليم متطورة ولا أجهزة إلكترونية ذكية! وإنما هي شِعَابٌ بين الجبال، أو بيوتٌ بسيطة، ثم مساجدُ آمنة مطمئنة! برامجها: تلاوةٌ وتزكية وتعلمٌ بالقرآن! بدءا بشعاب مكة، ودار الأرقم بن أبي الأرقم، وانتهاءً بمسجد المدينة المنورة، عاصمة الإسلام الأولى، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام! كانت البساطة هي طابع كل شيء، وإنما العظمة كانت في القرآن، ولمن تَشَرَّبَ ـ بعد ذلك ـ روحَ القرآن!

«ولعل محور عملية البعث الحضاري الإسلامي، الذي تجسد في حياة الرسول القدوة، وسيرته العملية، حدده في قوله: «إن الله لم يبعثني مُعَنِّتاً ولا مُتَعَنّتاً ولكنْ بعثني معلماً مُيَسّراً» [أخرجه مسلم]، فالتعليم والتعلم هو منهج النبوة وعطاؤها وسيرتها وحضارتها ودعوتها، وهو منهج بعث الأمم ورقيها وتحقيق إنسانيتها، بكل أبعاد العملية التعليمية من القراءة والكتابة والتفكير والحوار والمشافهة والتجربة والاستنتاج والاستقراء والقياس والملاحظة الاختبار

والاستدلال والبرهان. ولعل جماع ذلك كله قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة].

كان البعث الأول في الأميين.. ثم كثمرةٍ للتعليم والتزكية تحقق بعث الأميين للعالم.

والتفكير اليوم يجب أن يتمحور حول إعادة بناء سبيل البعث الحضاري من جديد، وذلك بالعودة إلى تلاوة آيات الكتاب، وتدبرها، وتعليمها، والتزكي بعطائها، فالرسول الذي بُعث بالكتاب وبعث الأميين به، والكتاب نفسه ما يزال موجوداً محفوظاً يمكن أن يبعث الأمة من جديد إذا أدركت كيف تتعلمه وكيف تتعامل معه، وكيف ترتقي به: «اقرأ وارتق ورتل... فإن منزلتك يوم القيامة عند آخر آية تقرؤها».

وعلى الرغم من التقدم الهائل في التقنيات التعليمية والتربوية، كماً وكيفاً، إضافة إلى تطور الكتاب المدرسي أسلوباً ولغة وألواناً، وخلاصات ومناقشات ومحاولات تقويم وقياس، مع ذلك فإن التعليم في العالم الإسلامي في عملية تراجع مخيف، بل تردٍ ينذر بسوء العواقب واتساع فجوة التخلف».

والأسئلة المطروحة الآن:

- **ألم يئن الأوان بعد لتجديد رسالة القرآن؟ ألم يئن الأوان بعد لتجديد عهد القرآن؟**
- **لماذا لم نُرَكِّز اهتماماتنا على تطوير وسائل تساعد على حفظ وتَّدبر سور القرآن الكريم؟**
- **ولماذا لا تُركز وسائلنا في تعليم القرآن وتحفيظه على بناء النفس المؤمنة في هذا العصر الجديد، وإعادة تشكيلها تربيةً وتزكيةً، ثم بناء النسيج الاجتماعي الإسلامي حضارةً وعمرانا! والانطلاق في مشروع (من القرآن إلى العمران)؟**
- **وماذا يُريد الله عَزَّوَجَلَّ منا ـ على سبيل المثال ـ إذا حفظنا جزء عَمَّ أو إذا حفظنا سورة النَّبأ أو النازعات أو الطارق...الخ؟**
- **وما عذرنا أمام الله تعالى عن تلك الجموع التي التحقت بدورات ومدارس التحفيظ، وتخرجت منها،وهم لا يفقهون كثيراً مما يقرؤونه؟**
- **ما عذرنا عندما نُسأل عن القرآن علماً وعملاً وهل عملنا بما علمنا؟ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ؟**[1]

---

(١) د. خالد اللحام ـ الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الجيل ـ ص٦٣.

لا بد لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه أن تؤدي دورها في بناء الجيل القرآني، الجيل الذي يحمل كتاب الله في صدره، ويتدبره ويعمل به في واقع حياته اليومية، ويدعو الآخرين من حوله بخلقه وقوله وعمله.

إن عنايتنا بطلبة دورات تحفيظ القرآن هو نقطة البدء ومنطلق الإصلاح الشامل، فمواطن تعليم كتاب الله تعالى هي أخصب أرض للعملية الإصلاحية وأكثرها قابلية للإنتاج، فهناك تسري في النشء روح القرآن وتتشرب قلوبهم العلمَ به، في تواصل مستمر مع ترداد آياته وطول النظر فيها وفهم معانيها، وذلك على نهج النبي ﷺ وصحابته في تعلم القرآن وتدبره والعمل به، لكي يعمّ الخير الأمة كلها، وهناك إشراقات تبشّر بأن الخير سيعم أرضنا، وأن جيل التحفيظ هو الجيل الذي سيعيد مجدنا متى ما كانت خططنا لإقامة كتاب الله علماً وتدبراً وعملاً كعنايتنا بحفظه وتجويده. ومن خلال التطبيق العملي ستصبح ـ بإذن الله تعالى ـ مساجدنا ومدارسنا وبيوتنا التي يُتعلم فيها القرآن ـ محاضن تربوية، تبني نفوس أبنائها، وترسّخ إيمانهم، وتقوّم أخلاقهم، وتؤثّر في واقع أجيالها ومستقبلهم، حتى يكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس.

ماذا يُريد اللّه عَزَّوَجَلَّ من المُسلم إذا حفظ جزء عَمَّ؟

إنَّ سور هذا الجزء القصيرة في لفظها والعظيمة في معانيها، هي ما يحفظه أغلب المسلمين ويقرؤونه في صلواتهم، وهي ذات طابع خاص، مما يجعلها وحدة متكاملة في موضوعاتها واتجاهاتها وأسلوبها العام. فهي على وجازة ألفاظها وقصرها، بديعة المعاني، رائقة الألفاظ، حاوية من دقائق الإعجاز ما يبهر العقول، ويأخذ بالألباب. وإنك لتشعر بانشراح وأنس عند الوقوف على هذه الآيات وتدبر معانيها، وتكرار النظر فيها، وسوف تجد لذلك لذة ليست لغيرها.

إنَّ عامة سور هذا الجزء هي أول ما خوطبت به البشرية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وقضايا هذه السور هي قضايا الوجود الإنساني كله[1].

تدور سور جزء عَمَّ في فلك نقطة واحدة وهي يوم الفصل في اليوم الآخر! فتعرض له من زوايا عدة، لتجيب الأسئلة المتعلقة بهذا اليوم وتوضح ما يكون فيه! ويمكن القول إن عناصر هذا الموضوع هي: عرض الاختلاف حوله، التدليل عليه، ذكر مآل الناس فيه، الإنذار بوقوعه، وكلها تدور في فلك النقطة نفسها!

(١) إشراقات قرآنية ـ دكتور سلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، مؤسسة الإسلام اليوم.

«يُخَيل إليك وأنت تقرأ هذا الجزء، تركيزه على حقائق معينة قليلة العدد، عظيمة القدر، ثقيلة الوزن. وعلى مشاهد معينة في الكون والنفس. وعلى أحداث معينة في يوم الفصل.

يُخَيل إليك طرقات متوالية على الحس. طرقات عنيفة قوية عالية. وصيحات. صيحات بنوم غارقين في النوم! نومهم ثقيل! تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله بإيقاع واحد ونذير واحد:

اِصحوا... اِستيقظوا... انظروا... تلفتوا... تفكروا... تدبروا...

إن هنالك إلهاً. وإن هنالك تدبيراً. وإن هنالك تقديراً. وإن هنالك ابتلاء. وإن هنالك تبعة. وإن هنالك حساباً. وإن هنالك جزاء. وإن هنالك عذاباً شديداً. ونعيما كبيراً.

اِصحوا... اِستيقظوا... انظروا... تلفتوا... تفكروا... تدبروا...

وهكذا مرة أخرى وثالثة ورابعة وخامسة وعاشرة، ومع الطرقات والصيحات يد قوية تهز النائمين المخمورين السادرين هزاً عنيفاً.. وهم كأنما يفتحون أعينهم ينظرون، ثم يعودون لما كانوا فيه! فتعود اليد القوية تهزهم هزاً عنيفاً ؛ ويعود الصوت العالي يصيح بهم من جديد ؛ وتعود الطرقات العنيفة على الأسماع والقلوب»[(١)].

إننا جميعاً نحتاج بين الفترة والأخرى أن نتذكر ونعيش صور ومشاهد هذا الجزء بصورة جيدة وبتفاصيلها التي ذكرت بالقرآن الكريم لنزيد في طاعتنا وتقربنا لله والعمل للآخرة.

إنَّ الجزء الثلاثين من القرآن الكريم كأنما ينادي فينا قائلاً لنا:

أيها المسلمون:

إنّ تطبيق منهج الله ﷻ فريضة عليكم...

وإنكم سوف تحاسبون يوم القيامة على مدى التزامكم بهذا المنهج...

وما طبقتم من تعاليم هذا الدين وتشريعاته وأخلاقياته في حياتكم وتعاملاتكم...

وسوف تقفون بين يدي الله ﷻ يوم القيامة للحساب والجزاء على ما قدمتم لهذا الدين ونصرته...

وما عملتم من أعمال في حياتكم الدنيا ...

مع تذكرة بالآخرة وبلقاء الله تعالى...

حتى لا ينس أحد أنّ الأخرة هي خيرٌ وأبقى وأن الدنيا مهما طالت فهي زائلة.

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

الأفكار الرئيسة للجزء تركز على:

١	أهوال وأحداث يوم القيامة (الطامة الصاخة القارعة الغاشية)	• يوم البعث وإحياء الموتى والحشر • الصراط المستقيم ومرورنا فيه • وقوفنا أمام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ومشاهد الحساب والجزاء • نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار.
٢	الإيمان بالله تعالى صفات الله جل وعلا الواحد الأحد.	• الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى. • قدرته في الكون والخلق البديع. • التوحيد والبراءة من الشرك والضلال. • المفاصلة الحاسمة بين منهج الله ومناهج البشر.
٣	النشأة الأولى	• الإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان. • النفس البشرية ووجوب العناية بها وتقويمها وتزكيتها. • آيات الله في الكون المفتوح وفي الآفاق المحيطة.
٤	التأريخ ومصارع المكذبين	• التعريف بسنة الله تعالى فى التدافع المستمر بين الإيمان والكفر على مدار التاريخ. • تعزيز قدرة المؤمنين على الثبات في هذا التدافع واستعراض نماذج تاريخية لإخوانهم المؤمنين. • التسرية على قلوب المؤمنين بتأييد الله تعالى لهم. • التأكيد بهلاك الكافرين المكذبين.
٥	الدعوة إلى الله	• قيم العمل الدعوي وسياساته. • التعريف بطبيعة طريق الدعوة إلى الله وكيفية التعاطي معه. • العناصر الأساسية لإعداد وتأهيل الدعاة. • صورة من حياة الدعوة والداعية.

متخذاً ذلك دليلاً على: التوحيد والرسالة والبعث.



ملاحظة

لكي تحفظ ترتيب سور جزء عم، فقد وجدت لكم هذه الطريقة في أحد مواقع الشبكة العنكبوتية، وهي فكرة سهلة وطريقة تجعلكم تحفظون ترتيب سور جزء عمّ بسهولة ودون عناء:

فقط احفظ هذه العبارة:

(أيها الناس قد جاءكم النبأ عن النازعات فلا تعبسوا واذكروا إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت ولا تكونوا كالمطففين، سيأتي زمان السماء تنشق وهي ذات البروج وفيها الطارق أفلا تسبحون باسم ربكم الأعلى حتى تسلموا من الغاشية، وتكونوا من أهل الفجر فقد أقسم الله بالبلد والشمس والليل والضحى فلينشرح صدركم واذكروا التين والزيتون وخالق الإنسان من علق وليلة قدر، كل ذلك فيه بينة، واحذروا الزلزلة واذكروا العاديات والقارعة والتكاثر ولا تكونوا من أهل عصر الهمزة ألا تعتبروا بقصة الفيل وكفرة قريش الذين يمنعون الماعون فحرموا الكوثر فكانوا من الكافرين، سيأتي النصر، خابت صاحبة المسد التي لم تؤمن بالإخلاص والفلق والناس).

محور كل سورة وموضوعها الأساسي:

جزء عمّ هو الجزء الثلاثون والأخير في القرآن الكريم يحتوي على ٣٧ سورة هي من السور القصيرة. وفيما يلي نتعرض للمواضيع والأهداف التي وردت في كل سورة من سور هذا الجزء والتي قد تعيننا في إيجاد محور السورة.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
١	النبأ	تعميق الإيمان بالله تعالى	١. الإيمان بالله تعالى والتأمل في الآيات الكونية ٢. معالم اليوم الآخر ٣. اعتماد منهج الحوار في معاملاتنا مع الآخرين ٤. مصير الطغاة وجزاء التُّقاة.
٢	النازعات	بناء شخصية المؤمن الداعية المصلح	١. مداومة التدبر في خلق الله تعالى. ٢. التسليم والتصديق والإيمان بخبر القرآن عن يوم القيامة. ٣. الإيجابية والشجاعة في دعوة الطغاة مهما بلغ طغيانهم لإقامة الحجة عليهم وتبليغهم رسالات الله. ٤. الدعوة إلى الله وحمل رسالة الإصلاح ٥. الموضوعية والمنهجية العلمية في الحوار والنقاش ٦. اتخاذ أسلوب اللين والترغيب في مستهل الدعوة.
٣	عبس	دعوة الناس وهدايتهم لدين الإسلام	١. إعلاء قيمة النفس الإنسانية واكتساب قيم وسياسات العمل الدعوي. ٥. تعميق الإيمان بالله تعالى وتعظيم القرآن الكريم. ٦. مداومة النظر والتدبر في خلق ونعم الله تعالى. ٧. التفكر والتدبر في يوم القيامة.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
٤	التكوير	القيامة رأي العين	١. معايشة آيات يوم القيامة. ٢. حقيقة الوحي. ٣. القرآن هدى لمن يريد الاستقامة والهداية. ٤. التبرؤ التام من الحول والقوة البشرية الخاصة المحدودة إلى حول الله وقوته المطلقة.
٥	الانفطار	يا أيها الإنسان	١. مشاهد القيامة في الطبيعة. ٢. محاسبة النفس بشكل دوري، تمهيداً وتخفيفاً للمحاسبة الكبرى أمام الله عَزَّوَجَلَّ. ٣. الشكر والامتنان لله عَزَّوَجَلَّ ودوام المراقبة والإحسان. ٤. الرقابة على الإنسان. ٥. افتراق الأبرار عن الفجار. ٦. الهول يوم الدين وعجز الناس والأمر لله.
٦	المطففين	إعلان حالة حرب	١. ذم المطففين ومظاهر التطفف. ٢. الاستعداد ليوم الحساب الأعظم. ٣. المراقبة والإحصاء والتسجيل الإلهي لأعمال البشر. ٤. التعاون والتنافس الإيجابي مع أهل الصلاح والتنافس معهم على فعل الخيرات. ٥. طبيعة طريق الدعوة إلى الله: الصبر الجميل على أذى الجاهلين. ٦. الثقة والاعتزاز بالله تعالى وبالإسلام والإيمان.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
٧	الانشقاق	اعملْ قبل أن تندم	١. الإيمان بيوم القيامة وما سيحدث فيه من تغيرات كونية هائلة. ٢. بيان وتأكيد سنة الله تعالى في الإنسان وهو في طريقه إلى لقاء ربه بالموت. ٣. الإنسان سيلاقي نتائج أعماله يوم القيامة ومصيره إما إلى النعيم وإما إلى السعير. ٤. لوم وعذاب الكافرين لعدم إيمانهم وثواب المؤمنين الصالحين
٨	البروج	استعلاء الإيمان والثبات على الحق	١. التعريف بسنة الله تعالى في التدافع المستمر بين الإيمان والكفر على مدار التاريخ. ٢. تعزيز قدرة المؤمنين على الثبات في هذا التدافع. ٣. الأثر الذي يحدثه الإيمان في العلاقات بين البشر وبيان منزلة المؤمنين عند ربهم. ٤. التسرية على قلوب المؤمنين.
٩	الطارق	المستقبل لهذا الدين والله فوق كيد الكاذبين	١. القسم بالسماء والطارق. ٢. خلق الإنسان من الماء الدافق. ٣. الله يبعث الإنسان يوم القيامة (ساعة الحقيقة). ٤. القسم بالأرض والسماء على جدية حقيقة البعث. ٥. المبشرات القرآنية ووعد الله بإحباط كيد الكافرين ومكرهم بالإسلام وأهله.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
١٠	الأعلى	تسبيح الله تعالى.. طمأنينة في الدنيا وسعادة في الآخرة	١. تسبيح الله والإرشاد إلى بعض أفعاله. ٢. البشرى بحفظ القرآن الكريم. ٣. بين التيسير والتذكير. ٤. الآخِرة خيرٌ وأبقى. ٥. عَراقة الدعوة ووحدة الرسالة.
١١	الغاشية	مهمة الداعية إلى الله	١. الإيمان بيوم القيامة وأهواله وعذابه ونعيمه. ٢. أحوال أهل النار وأحوال أهل الجنة. ٣. كثرة التفكر والتأمل في الكون. ٤. صفات الداعية إلى الله. ٥. لا تشق على نفسك في دعوة الناس..ولا تحزن إن أعرضوا.. فما أنت إلا مذكر. ٦. إثبات قدرة الله تعالى على البعث، والتذكير برجوع الناس جميعاً إلى الله سبحانه للحساب والجزاء.
١٢	الفجر	دعاة ضد الفساد والطغاة	١ ـ الاستفادة من سير وتجارب الأمم السابقة. ٢ ـ بيان سنة الله تعالى في تنوع ابتلاء الناس في الحياة الدنيا. ٣. منهجية التعامل مع الابتلاء. ٤ ـ صور من ظلم الطغاة. ٥. مصير الطغاة والتُّقاة يوم القيامة.
١٣	البلد	بناء الإنسان... لتعمير الأوطان	١. الجهد والكبد في الحياة الدنيا. ٢. اغترار الظالمين بقوتهم وبيان سنة الله تعالى في هلاكهم. ٣. اقتحام العقبة وإزالتها لتحرير الإنسان. ٤. حَرِّر نفسك أولاً وقَوِّها بالإيمان والعمل الجماعي. ٥. المفاصلة والتمايز بين أهل الكفر وأهل الإيمان.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
١٤	الشمس	طريق المعالي.. تزكية الأنفس	١. القسم بمشاهد كونية على طبيعة النفس الإنسانية. ٢. استعلاء النفس بالإيمان. ٣. الانزلاق في طريق الخسران. ٤. المسئولية الجماعية وراء الطغيان والهلاك.
١٥	الليل	أي الغادين أنت؟	١ ـ بيان سنة الله تعالى في تعدد وتنوع سعى بني آدم في الدنيا. ٢. صفات السعداء الإيجابية والأشقياء السلبية. ٣. قانون التيسير والتعسير. ٤. الإنسان بين الجبر والاختيار. ٥. بيان مصير السعداء والأشقياء في الدنيا والآخرة.
١٦	الضحى	كن إيجابياً.. وثق بالله	١. قيمة وأهمية الوقت في حياة المسلم. ٢. مصدر التلقي النَّبْعَين الصافيين: الكتاب والسنة. ٣. البدايات المـُحرِقة تؤدي لنهايات مُشرِقة. ٤. فتّش في ماضيك الجميل. عملك اليوم تاريخك غداً.
١٧	الشرح	هموم داعية	١. الهداية للإسلام والتأهيل لحِمْل أمانة الدعوة إلى الله. ٢. الورع والتخفف من الآفات والذنوب. ٣. بشرى ووعد وبث الأمل والتفاؤل وبعث الهمم في النفوس. ٤. قاعدةٌ وسُنَّة كونية. ٥. ترتيب الواجبات بحسب الأوقات وأهميته في إعداد الدعاة والمصلحين.
١٨	التين	الإنسان... بين التكريم والخذلان	١. الفطرة بين الثبات والتغيير. ٢. ترابط الشرائع السماوية. ٣. احترام قيمة الإنسان. ٤. قيمة الإيمان في حياة الإنسان. ٥. إثبات حكم الله، وحكمته.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
١٩	العلق	دعوة للعلم والتواضع	١. أهمية العلم في حياة الإنسان. ٢. دعوة للتواضع. ٣. طغيان الإنسان. ٤. العقوبة المنتظرة. ٥. الفرار إلى الله والثبات على الدين مهما عظمت المحن.
٢٠	القدر	دعوة للإيمان... والعمل بالقرآن	١. سُنَّة الاصطفاء ومكانة القرآن عند الله تعالى. ٢. طول العمر وحُسْن العمل. ٣. السلام برعاية منهج الإسلام. ٤. مكانة وفضل وخصوصية ليلة القدر والعمل بمقتضياتها.
٢١	البيّنة	القرآن...بينة الدنيا وحجة الله على عباده	١. موقف أهل الكتاب من رسالة محمد ﷺ. ٢. التفرق والاختلاف في الدين واتباع الهوى والإعراض عن الحق. ٣. إخلاص العبادة لله جل وعلا. ٤. مصير كل من السعداء والأشقياء في الآخرة.
٢٢	الزلزلة	يوم الحساب... حديث الأرض وشهادتها	١. أهوال وشدائد يوم القيامة. ٢. حديث الأرض عن أخبارها. ٣. انقسام الخلائق إلى فريقين شقي وسعيد.
٢٣	العاديات	المسارعة والمسابقة في فعل الخيرات	١. إظهار فضل وشرف خيل المجاهدين في سبيل الله. ٢. كفران الإنسان وجحوده بنعم الله تعالى. ٣. الآخرة لله ومردّ الناس لرب العالمين الذي سيحاسبهم على أعمالهم في الدنيا.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
٢٤	القارعة	الميزان الدقيق والحقيقي للأعمال	١. القيامة وأهوالها، والآخرة وشدائدها، وما يكون فيها من أحداث عظام. ٢. حال الناس والجبال في ذلك اليوم العصيب. ٣. الميزان الدقيق. ٤. مصير المؤمنين الطائعين والكافرين المكذبين.
٢٥	التكاثر	التوازن... بين المادة والروح	١. تحذير الناس من التلهي بالتكاثر (من الأموال والأولاد والزينة) عن عبادة الله. ٢. التوازن بين متطلبات الجسد المادية ومتطلبات الروح. ٣. الجحيم عين اليقين ٤. السؤال عن النعيم
٢٦	العصر	الأمة المسلمة... حقيقتها ووظيفتها	١. الاهتمام بالوقت والحرص على اغتنامه بالعمل الصالح ٢. الإعراض عن المنهج...خسارة ٣. الإيمان حركة وعمل وبناء ٤. النهوض بالأمانة الكبرى (التواصي بالحق والصبر على نصرة الدين).
٢٧	الهمزة	لا تستهزئ بالناس ولا تغتر بالمال	١. معاملة الناس والاستهانة بأقدارهم وكراماتهم ولمزهم وهمزهم. ٢. هوس جمع المال وما ينتج عنه من أخلاق تؤول بالإنسان إلى الخسارة. ٣. طول الأمل. ٤. جزاء المتعالي الساخر المستقوي بالمال.
٢٨	الفيل	الله ناصر عباده وراد كيد أعدائه	١. انتقام الله من أعدائه والانتصار لأوليائه عبرة لكل طاغية متكبر. ٢. الثقة في نصر الله. ٣. الإعداد لأسباب النصر والتمكين. ٤. هلاك الظالمين والمفسدين .

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
٢٩	قريش	التغيير بأيدينا... إن رجعنا إلى الله	١. الألفة والمحبة بين الناس ٢. مقومات الدولة القوية ٣. الدعاة والتغيير. ٤. كيف نقابل النعمة.
٣٠	الماعون	احذر مساوئ الأخلاق... واطلب معالي الشيم	١. التكذيب بالدين. ٢. حقُّ اليتيم. ٣. حثِّ الغير على فعل الخير. ٤. السهو عن الصلاة. ٥. احذر الرياء. ٦. النهي عن المعروف.
٣١	الكوثر	صورة من حياة الدعوة والداعية	١. نعم الله تعالى على رسوله ﷺ وفضله العظيم وعطائه الكثير له في الدنيا والآخرة. ٢. رعاية الله لعباده المؤمنين. ٣. لا تنس ذكر الله. ٤. تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه ومرهوب ووعيده لشانئه.
٣٢	الكافرون	منهجان متضادان... لا يلتقيان	١. التوحيد والبراءة من الشرك والضلال. ٢. المفاصلة الحاسمة بين منهج الله ومناهج البشر. ٣. الالتزام بالمنهج. ٤. التميز لا التميع. ٥. منهج الإسلام في الحوار.

ت	السورة	محور السورة	الأهداف العامة للسورة
٣٣	النصر	نصر الله لا يمنح لمن حاد عن منهجه	١. صور النصر في الإسلام. ٢. شروط النصر. ٣. الحذر من اليأس من نصر الله. ٤. الثقة بنصر الله ووعده الحق. ٥. النصر والاستغفار. ٦. لا نصر إلا بتوبة.
٣٤	المسد	خطر الإعلام الكاذب على دين الله ودعوته	١. لا تقف ضد الإسلام ودعوته. ٢. سيطرة الإعلام الفاسد على المال والسلطة. ٣. أثر الإعلام الكاذب في الصد عن سبيل الله. ٤. مصير من يحارب دين الله ودعوته.
٣٥	الإخلاص	لا إله إلا الله... عقيدة وشريعة ومنهج حياة	١. لنتعرف على الله. ٢. توحيدٌ، ودعوةٌ إلى التوحيد. ٣. الحرية الحقيقية. ٤. منهج التحرك والتلقي.
٣٦	الفلق	منهج الله... سبيلنا للطمأنينة والسلام	١. اللجوء إلى حمى الرحمن. ٢. الفرار إلى الله. ٣. الليل أخفى للويل. ٤. العُقَد الواهية. ٥. لا تحرق نفسك وتخسر حسناتك.
٣٧	الناس	عدة المؤمن في المعركة	١. محبة الله لعباده. ٢. اعرف صفات عدوك. ٣. الوسوسة... طاقة السلبية. ٤. النَّصر على عدوّ الإنسان.

سورة النبأ



يذكر الله عَزَّوَجَلَّ في هذه السورة البعث والحساب والجزاء، ويعدد فيها بعض نعمه وآلائه، وأنه الخالق المنعم المستحق للعبادة، الذي أوجد من العدم، وخلق الخلق لعبادته وطاعته، وفيها من البيان ما يقول للعباد: تفكروا تدبروا... إن هنالك إلهاً. وإن هنالك تدبيراً. وإن هنالك تقديراً. وإن هنالك ابتلاء. وإن هنالك بعث ونشور وحساب وأجور، وعقاب، وحسرات.

«وهذه السورة تتكون من أربعة فصول متميزة:

الأول : وصف الكون والناس إلى قوله جل شأنه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

والثاني: وصف موجز ليوم الحساب ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾. وإكثار القرآن من ذكر القيامة لمقاومة حب العاجلة الذي يغلب على الطباع.

والثالث: وصف للعقاب الذي ينتظر المجرمين ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

والرابع: وصف للنعيم الذي ينتظر المؤمنين الصالحين ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾. إن الجزاء المعنوي حق وستتنضر وجوه المؤمنين وهم مع جماهير الملائكة

يسبحون بحمد الله ويهتفون بمجده. ومن تمام المتعة أن يكون ذلك في حدائق زاهرة ومع لدات مؤنسات وبعد هذا الوصف الشائق يقال لأولى الألباب: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾. فمن تزود بالتقوى أفلح. ومن عاش مذهولا هنا، وقدم على الله صفر اليدين ندم بعد فوات الأوان ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾»[١].

محور السورة:

تعميق الإيمان بالله تعالى (**يوم القيامة، والبعث والنشور والجنة والنار**). واكتساب قيم الإيمان والتقوى والاستقامة كأسباب للنجاة والفوز بالجنة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١ـ الإيمان بالله تعالى والتأمل في الآيات الكونية.

٢ ـ معالم اليوم الآخر.

٣ ـ اعتماد منهج الحوار في معاملاتنا مع الآخرين.

٤ ـ مصير الطغاة وجزاء التُّقاة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ الإيمان بالله تعالى والتأمل في الآيات الكونية:

في هذه السورة العظيمة ـ شأنها في ذلك شأن السور المكية ـ يظلُّ محور النقاش وفصول الحوار ـ دائرة حول القضية الكبرى، والمسألة المثيرة.. قضية البعث والنشور، وما يتبع ذلك من الحساب والجزاء. ولذا كان من المناسب إطالة الحديث، وتكريره وتنويعه، أملاً في حدوث الاستجابة، وتحقق الإيمان ولو لطائفة من الناس ممّن كتبت له السعادة والنجاة.

(١) محمد الغزالي ـ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن.

لقد كان المشركون بعد بعثة النبي ﷺ في حيرة وتردد واضطراب وتساؤل دائم فيما بينهم تُرى ما هذا الذي يدعو إليه محمد ﷺ؟

وما هذا الكتاب الذي جاء به؟ وما حقيقة ما يزعمه من إعادة الأجساد بعد الفناء، والحياة بعد الموت... إلى نحو ذلك من التساؤلات السقيمة والشكوك الساذجة، التي يقذفها الشيطان في نفوسهم.. فلذا يقول الله:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾.

لفظة «كَلَّا» فيها نبرة حادة، وإجابة زاجرة تدحض هاتيك التُّرَّهات العالقة، والأباطيل الراسخة، والسخافات السائدة!!.

«إن الإيمان بالله من دون إيمانٍ باليوم الآخر لا قيمة له، لأن أساس الاستقامة أنْ تؤمن بأن هناك يوماً تسوّى فيه الحسابات، وأن هناك يوماً يؤخذ الحقُّ من القويّ ويُعطى للضعيف، وأن كل خللٍ في الأرض يسوّى يوم القيامة»(١).

٢ ـ معالم اليوم الآخر والنفخ في الصور:

ويا له من مَشْهَدٍ مَهُول، تُجتمعُ فيه الخلائقُ كُلُّها من لدن آدم وحتى آخر مولود تضعه أنثى!! مشهد مهيب، رهيب، فإن البعث أمره عجيب: كل من دب على وجه الأرض، ثم مات، وتحلل فيها، يجمع الله خلقه يوم القيامة، فيُبعث الناس حفاةً، عراةً، غرلاً، بهماً، ويقومون لرب العالمين، يساقون على هيئة أفواج؛ زمراً زمراً! وتخيل هذا الحشد العظيم؛ من لدن آدم، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، في موكبٍ واحد، على صعيد واحد، على تفاوت أحجامه، وأطواله، وألوانه! وقوله تعالى: (أَفْوَاجاً) أي: فوجاً إثر فوج.

ثم قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ۝١٩﴾: فهذه السماء التي لا ترى فيها الآن ثقباً، ولا قدر رأس الإبرة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك]، فإذا بهذه السماء المحكمة، المتماسكة، المبنية، تنشق يوم القيامة، وتنفتح فيها فرج، وطرائق؛

(١) فتح القدير في روائع التفسير ـ رياض بن محمد المسيميري ـ www. almosimiry.islamlight.net.

ليهبط منها الملائكة، فتنشق كل سماء، ويهبط ملائكتها، فيحيطون بأهل الأرض إحاطة السوار بالمعصم.

٣ ـ قيمة الحوار: استخدام أدلة علمية كونية في الحوار:

بعد ذلك شرع ـ تعالى ـ في سرد آيات قدرته، وعجائب صنعته فلئن كان البعث أمراً غيبياً تحجرت العقول عن استيعابه، فها هي الأرض الممهدة، والجبال الراسية، والأزواج المتنوعة، ماثلة شاخصة، تُدرك بالحواس الخمس فما الذي يمنع من الرضوح والتسليم؟!

لا ريب إنه الجهل المركب، والكبرُ والغرور، وتأجير العقول للآخرين بأبخس الأثمان يصرفونها وفق أهوائهم وأمزجتهم!!

وهنا تبرز أهمية الحوار الذي يقوم على الحجج والبراهين وإيراد الأدلة: وهذا الأصل ورد في هذه الآيات الكريمة. لذلك يعد الحوار في الزمن المعاصر من أهم وسائل التواصل بين الأفراد والمجتمعات؛ لما له من أهمية في تنمية قدرات الداعية المسلم على التفكير وطرق الإقناع، بهدف الحصول على الحقائق وإقامة الحجة على الآخر، ودفع الشبهة والخطأ، وإتِّباع الحق، وترك الشبهة.

أرأيتَ هذه السلسلة المتلاحقة من الآيات الكونية العظيمة، التي فيها استعراض مدهش لعجيب صُنع الله، وبديع خلقه في الآفاق والأنفس، فابتدأ الله تعالى بالآيات الأرضية، ثم ثنّى بالآيات السماوية، ولاحظ كيف أنها تُلامس شِغاف القلب؟ ثم ألا تعجب مِن أن هذه المظاهر تُقابلُنا صباح مساء، صيفاً وشتاءً، ثم لا ننتبه لهذا المعاني العظيمة التي أودعها الله تعالى فيها!

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

إنَّ الكون هو مادة الحوار في هذه الآيات، وهو الشيء الثابت الذي لا يستطيع أحد أن ينكره، هذا الكون في إعجاز، في عظمته، في روعته، يمكن أن تستنبط من هذا الكون: أن له خالقاً عظيماً، رباً حكيماً، إلهاً مسيراً، واحداً، كاملاً.

الفوائد المستنبطة من هذه الفكرة الرئيسة:

أولاً: العناية ببيان أدلة الربوبية، وشواهدها في النفس، والآفاق.

ثانياً: إيقاظ العقول البليدة، للتفكر في المشاهد المتكررة: فكما وُوجه به المشركون، فينبغي أن نعظ أنفسنا به، وألا تتحول هذه المشاهد حولنا إلى جُثث هامدة.

ثالثاً: الاستدلال بالسهل المشاهد، قبل الصعب الخفي: فهذه الآيات المبثوثة في الكون سهلة، مشاهدة، لا نحتاج إلى المحاضرات لإقامة الدليل عليها، فيُدركها الكبير، والصغير، والعالم، والجاهل، والحضري، والبدوي، وكل أطباق الناس. فلا نذهب لإقامة العقيدة، على الطرق الكلامية، والأدلة الفلسفية الغامضة.

رابعاً: استعمال أسلوب الاستفهام، والتنويع، والتكثير، في الأدلة: فأسلوب الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾، وأسلوب التنويع لأنه لم يقتصر على نوع واحد؛ لأن القلوب لها مفاتيح، فقد يتأثر الإنسان بمعنى من المعاني، أو مشهد من المشاهد، ويتأثر غيره بغيره، لأسباب وزّعها الله على بني آدم. وأسلوب التكثير في الأدلة؛ لأن توالي الأدلة، وكثرتها تؤثر في النفس، كتتابع الطّرْق، ومن أدمن الطّرْق أوشك أن يُفتح له. فكل هذه الأساليب التربوية، الإيمانية، ينبغي أن يستفيد منها الداعية إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في إقناع غيره، وفي التأثير، والموعظة»[1].

٤ ـ مصير الطغاة وجزاء التقاة:

أن ذكر ما رصده الله تعالى للطاغين والكافرين هو بسبب كفرهم وجحودهم ليوم المعاد، والحساب والجزاء، ولِما قد عشعش في عقولهم من المعتقدات الفاسدة، والخرافات الباطلة، والتقليد الأعمى لما عليه الآباء والأجداد.

إنَّ جهنم هي مآل هؤلاء الطُغاة العُتاة، لتحرق كبريائهم وتسحق غرورهم وتفحم جلودهم وأجسادهم. وهذا العذاب الأليم، والعقاب الرادع هو الجزاء العادل لأولئك الطاغين الباغين ولا يظلم ربك أحداً.

فما أحرى بمن أحب النجاة أن يُصلح ما بينه وبين الله ما دام في الأمر فسحة لعل الله أن

١ . د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي– التفسير العقدي لجزء عمَّ.

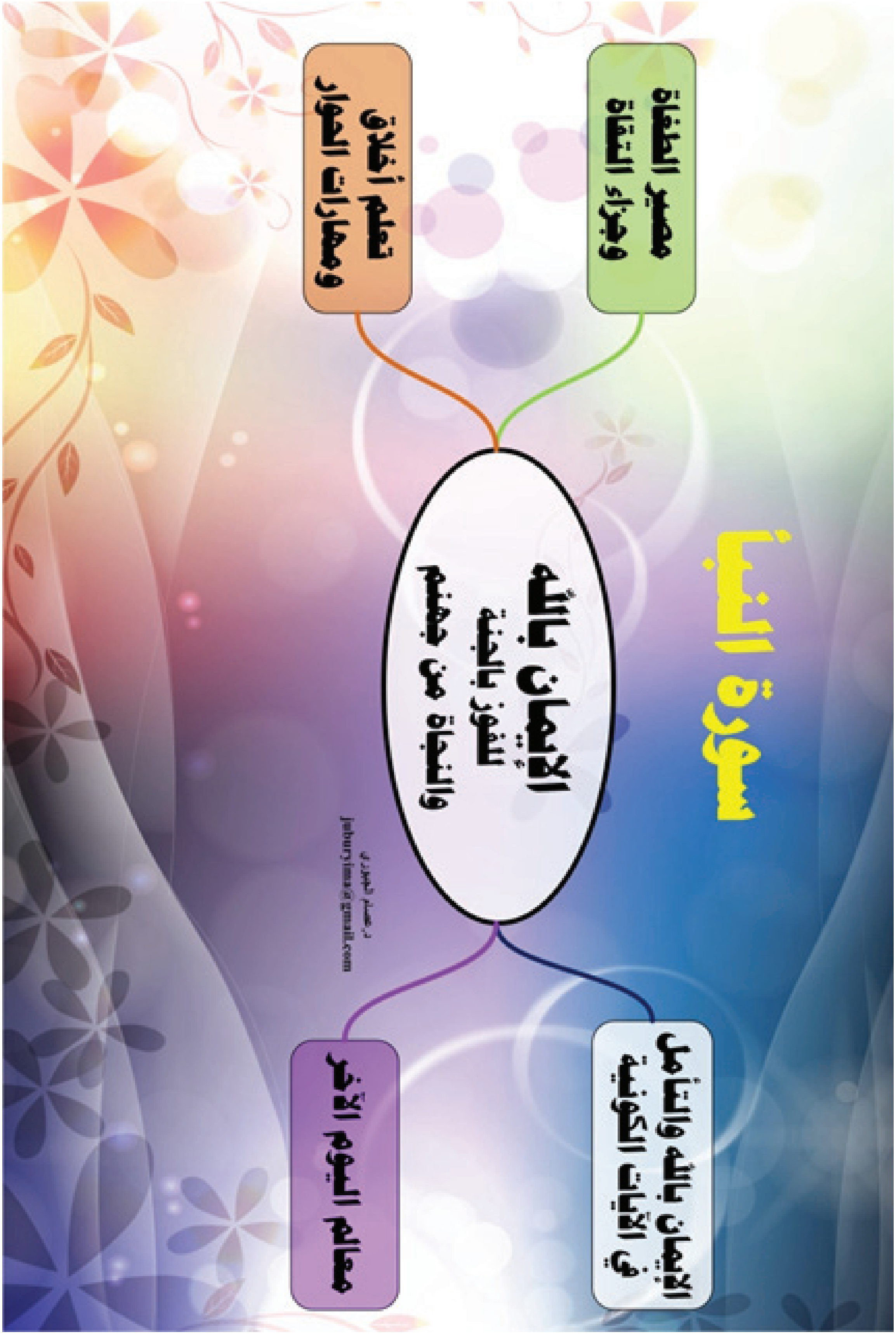
يثبت قلبه في ذلك الموقف العصيب!! ويُنصح بتكرار قراءة وتخيل صورة هذا المشهد من يوم القيامة والتعوذ من هول وعذاب جهنم.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

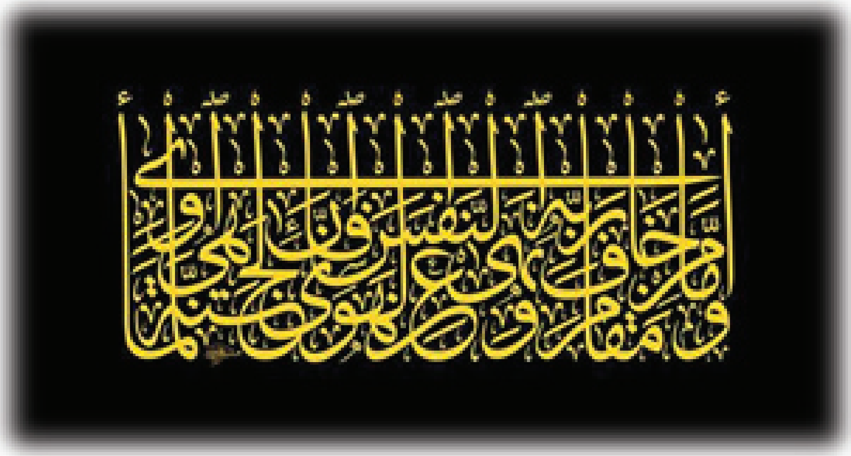
ثم يأتي بعدها جزاء المتقين الطائعين وهذا هو أسلوب القرآني في الجمع بين الترغيب والترهيب حتى لا ييأس مُذنب ولا يغتر مطيع. وتحث هذه الآيات المسلم على خشية الله تعالى في كل وقت وحين، والتدبر في ألوان نعيم الجنة، والتزام صراط الله المستقيم في كل فكر وقول وعمل،والدعاء بالثبات عليه

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة النبأ
الإيمان بالله للفوز بالجنة والنجاة من جهنم
مصير الطغاة وجزاء التقاة
تعلم أخلاق ومهارات الحوار
الإيمان بالله والتأمل في الآيات الكونية
معالم اليوم الآخر

سورة النازعات



يقدم لنا ربنا سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في هذه السورة تجربة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكيف بعثه لدعوة فرعون بأدب الداعية المشفق، ومنطق الناصح الأمين أملاً في تخليصه من غروره المتجاوز كلّ حدّ، وهدايته للطريق الوحيد المنجي من عذاب الله وسخطه.

إنَّ عرض القرآن الكريم لقصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع فرعون في هذه السورة لتكون درساً للدعاة وحملة الحق حين يواجهون نماذج متنوعة من الفراعنة ممّن تنكبوا الصراط، وعلا قلوبهم الران، واستولى عليهم الكفر والفجور والإلحاد.!

ولابد أن يدرك كلُّ داعية مصلح أنّ استجابة المعاندين غير مضمونة الحصول بل ربما قابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء، والتحدي والمقاومة، وربما البطش والتنكيل فلا تلين له قناة، ولا يتزعزع له مبدأ بل يظل صامداً رابط الجأش، ثابت القدمين حتى الرمق الأخير.

فكم كان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رفيقاً في دعوته، ليناً في مقالته بيد أنّ فرعون والطغاة في كل زمان تأخذهم العزة بالإثم دائماً ويقابلون دعاة الحق بالجحود والتحدي، والبغي.!!

ومهما كان لدى الداعية من الحجج الظاهرة، والبراهين الواضحة، فإن ثمة حُجبٍ من الكبر والغرور تحول بين الطواغيت والاستجابة، بل حتى لو كانت الحجة عصا صماء تتقلب

حية فاغرة الفم والأنياب مادام الإصرار على الرفض والإعراض راسخاً في هاجس الطاغية وأعماق ضميره البائس.!

وليتذكر الدعاة إلى الله أنّ مسؤوليتهم لا تتجاوز التبليغ، وتقديم الحق خالصاً من كل شائبة، وأما ما فوق ذلك من الإيمان والتصديق والقبول، والاقتناع فتلك أمور لا يسأل عنها أحد[١].

فإذا لم يستطيع الدعاة النصر فإن «عليهم أن يؤدوا واجبهم، ثم يذهبوا، وواجبهم أن يختاروا الله، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة، وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة وأن يصدقوا الله في العمل والنية. ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم، كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء. إنهم أجراء عند الله. أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا، عملوا وقبضوا الأجر المعلوم! وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى أي مصير، فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير[٢]!

محور السورة:

بناء شخصية المؤمن الداعية المصلح.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. مداومة التدبر في خلق الله تعالى

٢. التسليم والتصديق والإيمان بخبر القرآن عن يوم القيامة

٣. الإيجابية والشجاعة في دعوة الطغاة مهما بلغ طغيانهم لإقامة الحجة عليهم وتبليغهم رسالات الله.

٤. الدعوة إلى الله وحمل رسالة الإصلاح

٥. الموضوعية والمنهجية العلمية في الحوار والنقاش

٦. اتخاذ أسلوب اللين والترغيب في مستهل الدعوة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ـ مداومة التدبر في خلق الله تعالى وخاصة بهذه المخلوقات الخمسة سواء في صفحات الكون، والتأكيد على:

(١) رياض محمد المسيميري ـ تأملات في سورة النازعات ـ موقع المختار الإسلامي.

(٢) سيد قطب ـ معالم في الطريق.

- حضور العقل والقلب مع كل قسم يأتي في القرآن لعظم وخطورة ما بعده من القيم والأوامر والنواهي
- التسليم والتصديق والإيمان بخبر القرآن عن يوم القيامة.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

أن الله تعالى أقسم بطوائف من الملائكة منها النازعات التي تنزع أرواح الكفار بشدة، والناشطات التي تنشط أرواح المؤمنين بيسر وسهولة، والسابحات التي تسبح في أجواء الفضاء صعوداً وهبوطاً، والسابقات التي تتسابق في إنفاذ أمر ربها، والمدبرات التي تدبر ما أمرها الله تعالى بتدبيره مما يقع في الكون، أقسم الله تعالى بهذه الطوائف من الملائكة على أمر عظيم جليل، عليه مدار الحياة، وإقامة الحق، وهو البعث بعد الموت، الذي كان ينكره مشركو العرب، ولا ريب أن هذه القضية قضية عظيمة ثقيلة يتأثر بها مسار الحياة؛ فإن من امتلأ قلبه بالإيمان باليوم الآخر، انضبط، وصار عنده حس يقظ، وصار عنده تخطيط، وشعور بالمسؤولية لما هو مقبل عليه.

٢ ـ استحضار ومداومة تذكر مشهد البعث السريع والمفاجئ المرعب للكفار لتكذيبهم واستهزاؤهم بالبعث والنشور من بعد الموت.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾.

٣ ـ الإيجابية والشجاعة في الدعوة إلى الله، وحمل رسالة الإصلاح لكل الناس، ثم الاهتمام بدعوة الصفوة وأصحاب التأثير في المجتمع والأمة، والأخذ بأسباب وأدوات الإقناع والتأثير.

إنَّ الإيجابية تعني أن يكون المسلم فيضاً من العطاء قوياً في البناء، ثابتاً حين تدلهم الخطوب، لا ييأس حين يقنط الناس، ولا يتراخى عن العمل حين يفتر العاملون، يصنع من الشمعة نوراً، ومن الحزن سروراً، متفائل في حياته، شاكر في نعمائه، صابر في ضرائه، قانع بعطاء ربه له، مؤمن بأن لهذا الكون إلهاً قدر مقاديره قبل أن يخلق السماوات والأرض.

إنَّ الدعوة إلى الله تحتاج الشخص الإيجابي صاحب المبادرة الذاتية ونفسية التملص من الحصار والقيود، نفسية التمرد علي الواقع المؤلم، يأبى الخضوع للقيود، يرفض حياة العبيد، «فهو لا ينتظر التكليف في عمل الطاعات، بل يطلق لنفسه أشرعتها البيضاء، دون الالتفات إلى عمل فلان أو قول فلان، ولا يجب أن تقعده نشوة الطاعة، ولا تثبطه أثقال المعصية، ولا ينتظر الإذن بالعمل من شخص ما، إلا ما كان جزءاً من خطة، بل يفكر الداعية بنفسه أنه سيحاسب يوم القيامة عن أعماله، وعما قدم، ولا يسأل عن الآخرين، كما أن عليه أن لا يرنو ببصره إلى غيره، فقد يكون لهم من الأعذار ما يمنعهم عن شيء ما، أو ليس لهم من الهمة والطاقة ما يمكنهم من أداء عمل ما، و يستطيع هو أداءه، فلا يثبطه الشيطان، أو تقعد به ثقلة الحياة الدنيا، والداعية ـ بالوقت نفسه ـ عليه أن ينصب رسول الله ﷺ قدوة عملية أمام عينيه، ولا يجعل الأشخاص الآخرين ـ أياً كانوا مثالاً له، فقد يفتح الله عليه من الهمة أكثر من الآخرين، أو يوفقه الله تعالى إلى عمل يتفرد به، أو إلى فضل يؤثره فيه، فلله في خلقه شؤون، وهو المتفضل على عباده، وقد يختص برحمته من يشاء وكيفما يشاء»[(١)].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

إنَّ أهم ما يميز المسلم الإيجابي جملة من الأمور:

أولاً: أنه ذو همة عالية، يرمق أعلى الجنة وهو يعمل، ويتطلع إلى موافقة النبي ﷺ فيما أمر ونهى، ويطمع فوق ذلك كله إلى ذلك اليوم الذي يرى فيه وجه الخالق جل جلاله، حين يكشف الستر عن عباده، (نسأل الله أن نكون منهم).

ثانياً: أنه في زمن الفتن، يمسك زمام نفسه ويلجم لسانه عن الإشاعة ويتحرى الصدق، يتأمل حكمة الله فيما قدره وكتبه على عباده من الفتن المزلزلة، التي قدرها لحكمة وكتبها لعلم يعلمه سبحانه.

ثالثاً: يفوض أمره كله لله، فلا تقعده المصيبة عن العمل، ولا تقعده الهموم عن بذل الجهد،

(١) عادل الشويخ ـ الإيجابية في حياة الداعية.

لعلمه ويقينه أنها قدرت عليه قبل خلق السماوات والأرض، ومادام الله تعالى قد كتبها وقدرها فهي حبيبة لنفسه لأن الله هو الذي كتبها عليه.

رابعاً: وأهم ما يميز المسلم الإيجابي أنه يتعامل مع الأحداث والمواقف بحذر، فهو لا يتعجل الأحكام ولا يقدم رأيه إلا بعد تأن ولا يصدر عن رأي العلماء، بل يزن الأمور بميزان الشرع، فما وافقها أخذ وما خالفها ترك.

٤ ـ مداومة التدبر في الآيات الكونية العظيمة الدالة على قدرته وعظمة وجلاله.

مهمة الداعية إلى الله هي دعوة الناس جميعاً إلى الإيمان بالله وحُسن طاعته،والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، وهذا يتطلب حُسن إقناع من الداعية لمن يدعوه، ولا يتحقق الإقناع إلا بأدلة قاطعة وبراهين ساطعة تَقْوَى بها حجة الداعية أمام من يدعوهم. ولا شك أن التفسير العلمي للقرآن الكريم أحد أفضل السبل لتحقيق ذلك، لما له من مؤثرات إيجابية على المدعوين. فالداعية إلى الله لا بد من تسلُّحه بالعُدّة الكافية وأهمها الثقافة الواسعة، والعميقة، ومن أهم جوانبها ثقافته أو علمه بمسائل العلوم الفلكية والمدنية والطبيعية والجغرافية والطبية وغيرها من علوم الكون ـ

فإذا كانت الدعوة إلى الله تعالى مدعومة ببراهين من التفسير العلمي اليقيني للقرآن الكريم الذي يربط بين كتاب الله مسطوراً منظوراً ومفاهيم علمية حديثة ثبتت صحتها والتي لا تقبل النقض، كان للدعوة قوي الأثر في حياة الناس الروحية والعقائدية.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

لذا على الداعية الإيجابي المصلح حسن توظيف واستخدام الحجج والبراهين العلمية والعقلية الموضوعية المذكورة في هذه الآيات في الحوار والإقناع لأن لها دوراً فعالاً في حياة المدعوين (عَقَدياً وأخلاقياً وثقافياً).

٥ ـ التذكر المستمر ليوم القيامة: والحرص على:

- تربية وترويض النفس وامتلاك زمامها:

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾.

٦ ـ اليقظة والحكمة وترك المراء والجدال:

إنَّ للوقت أهمية عظيمة، فالمسلم إذا أدرك قيمة وقته وأهميته، كان أكثر حرصاً على حفظه واغتنامه فيما يُقَرِّبه مِن ربِّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والاستفادة من وقته واغتنامه ليعودُ عليه بالنفع، وقد حضت هذه الآيات على المبادرة بالعمل الصالح، وعدم ضياع أي لحظة من لحظات العمر في غير فائدة، والعاقل من يحرص على المسارعة إلى استغلال وقته فيما ينفع ويفيد وعدم الاستدراج إلى المراء والجدال والمعارك الجانبية المهلكة للوقت والمضيعة للطاقة، والانشغال بالدعوة إلى الله.

فالسَّاعات أغلَى من أن تُنفَق في أحاديثَ فارغة من جدال ومراء، أو مجالس غيبة لا يتحرى فيها المسلمُ الصِّدق، ولا يأمر فيها بالمعروف، وكما قيل الأيَّامُ ثلاثةٌ: (الأمسُ قد مضى بما فيه، وغدًا لَعَلكَ تُدركه، وإنَّما هو يومكَ هذا، فاجتهد فيه). قال يحيى بن معاذ: (إضاعةُ الوقت أشدُّ منَ الموت؛ لأنَّ إضاعةَ الوقت انقطاعٌ عن الحقّ، والموتُ انقطاعٌ عن الخلق).

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة النازعات
بناء شخصية المؤمن
الداعية المصلح
مداومة التدبر
في خلق الله
الإيجابية والشجاعة
في الدعوة إلى الله
التذكر المستمر ليوم القيامة
ومشهد البعث والنشور
اليقظة والحكمة
وترك المراء والجدال
استخدام الحجج العلمية
في الحوار والإقناع
jubaryina@gmail.com

سورة عبس



الدعوة الإسلامية جاءت لتنقذ الإنسان مهما كان هذا الإنسان وضيعاً أو شريفاً، كريماً أو حقيراً ـ الأمر لا يختلف ـ فليس أهل الغنى والجاه بأحق من أهل الفقر والعاهات والاحتياجات الخاصة، لاستماع الحق والاستئثار بالداعية وجهده وهمه ووقته، فالمراد إنقاذ الناس جميعاً من النار وهدايتهم لعبادة الواحد القهار، وهذا هو الهدف الأسمى والحقيقي، وتلك هي حقوق الإنسان في الإسلام، حق الإنسان أن ينال سعادة الدنيا وثواب الآخرة، حقه أن تصل إليه الكلمة الباقية وأن تغرس في نفسه الشجرة الطيبة، وأن يتعرف إلى خالقه حق المعرفة بلا شوائب ولا عوائق.

«سيظل الموقف المسجّل بدقة قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ليدرك حملة الرسالات، وأرباب الدعوات، وأهل العلم أنّ وظيفتهم لا تتجاوز حدود تبليغ رسالات الله إلى العالمين، مع إعطاء الجميع فرصاً متساوية في تلقي شريعة الله، لا فرق بين كبير وصغير، وسيد ومملوك.!

وأن أولئك الكبراء والسادة، وعليةّ القوم، ورؤسائهم أحوج إلى نور الإسلام، وشريعة الرحمن من غيرهم وأن الإسلام ليس بحاجة إليهم ولا إلى غيرهم.!

لقد عبس نبينا الكريم ﷺ في وجه الأعمى، وما كان له أن يعبس وأعرض عنه، وما كان له أن يعرض، لأنّ حاجة الأعمى للإسلام وللفقه في شريعة الله لا تقل عن حاجة أبي جهل وعتبة بن ربيعة وغيرهما من سادة المشركين، فالكل محتاجون إلى الهداية والاستنارة بهدي القرآن والسُنّة سواء بسواء»[(1)].!.

محور السورة:

دعوة الناس وهدايتهم لدين الإسلام.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. إعلاء قيمة النفس الإنسانية واكتساب قيم وسياسات العمل الدعوي.
٢. تعميق الإيمان بالله تعالى وتعظيم القرآن الكريم.
٣. مداومة النظر والتدبر في خلق ونعم الله تعالى.
٤. التفكر والتدبر في يوم القيامة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ـ إعلاء قيمة النفس الإنسانية، وتشمل:

- **احترام وتقدير الجميع بغض النظر عن حالته أو مكانته أو سنه أو مهنته.**
- **الاهتمام والوفاء بحق الإنسان في التعليم والإرشاد والنصح والتوجيه والدعوة إلى الله خاصة المقبلين عليها وأصحاب الاستعداد لقبولها، والمؤمن الفقير خير من الكافر الغني**

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ
﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾.

«أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عاتب نبيه ﷺ في أمر اجتهد فيه، فأخطأ؛ حينما كان مشتغلاً بدعوة صناديد قريش، رغبة في دخولهم الإسلام، حيث أعرض عمن جاءه مسترشداً، مستهدياً، مقبلاً غير مدبر، راغباً غير معرض، فكلح وجهه، وقطب جبينه، هذا والرجل لا يراه، ولم يفه بكلمة واحدة، ومع

(١) رياض محمد المسيميري ـ تأملات في سورة عبس ـ موقع المختار الإسلامي.

ذلك عاتبه ربه هذا العتاب البليغ المؤثر. وهذا دليل على أننا يجب أن ننظر بنور الله عَزَّوَجَلَّ، وأن نقوِّم الناس، والأشخاص، بحسب منزلتهم في ميزان الله لا في ميزان البشر؛ فنعظم، ونكرم من يستحق التعظيم والتكريم. فالمؤمن أحق بالكرامة، والإجلال، وإن كان فقيراً ضعيفاً، صعلوكاً، مملوكاً. هذه القيمة الأساسية مما أرساه هذا الدين، وكان به إعلاءً لقيمة الإنسان، فالإنسان ليس قدره بماله، وجاهه، وشرفه، ونسبه، وإنما قدره بما يختزن في قلبه من إيمان، وتقوى. وقد فقه نبينا ﷺ، هذا الدرس البليغ، فاستخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين في سفراته»[(١)].

٢ ـ تعميق الإيمان بالله تعالى وتعظيم القرآن الكريم:

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ (١٣) مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ (١٤) بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥) كِرَامِۭ بَرَرَةٖ (١٦)
قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ (١٧) مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ (٢١)
ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣)﴾.

٣ ـ مداومة النظر والتدبر في خلق ونعم الله تعالى وكيفية تكفل الله تعالى بتوفير الرعاية الكاملة للإنسان:

دعوة من الله عَزَّوَجَلَّ للإنسان ليتعظ، ويتدبر. والإنسان بطبعه يتبلد حسه بالنسبة للأمور المألوفة، فلا يلقي لها بالاً، ولا يعتبر دوماً، ولا يتبصر بما يتكرر عليه ليل نهار، صباح مساء. فالله تعالى يصرف فكر الإنسان إلى أقرب الأشياء إليه، وهو هذا الطعام الذي يتناوله يومياً، ولم تحدثه نفسه أن يفكر في مصدره، وكيف سيق إليه؟

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا (٢٥) ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا (٢٦) فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا (٢٧) وَعِنَبٗا
وَقَضۡبٗا (٢٨) وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا (٣٠) وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا (٣١) مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٢)﴾.

٤ ـ التفكر والتدبر في يوم القيامة، ذلك المشهد الرهيب الذي تتخلى فيه النفس البشرية عن فطرتها العادية لهول ما تطالع:

وصف لتفاصيل يوم القيامة، ذلك المشهد المرعب، المفزع، وتبرؤ الإنسان من أقرب الناس، فلا أحد ينعطف على أحد، ولا أحد يلتفت على أحد. حتى أخيه الذي درج معه في مراتع الصبا، لا يباليه يوم القيامة، ولا يلتفت إليه.

(١) د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي– التفسير العقدي لجزء عمَّ.

لا ريب أن هذا يدل على هول المطلع، وعظم الموقف، وأن الإنسان ما كان ليبدر منه هذا التنصل من أقرب الناس إليه، إلا لشدة الحال. ولو تأملت في حياتك الدنيا، لوجدت أنك لو رأيت بعض هؤلاء الأحبة يغرق لألقيت نفسك عليه، لتستنقذه، وربما تهلك معه، وإذا فقدته لحقك حزن عظيم، وهم، واكتئاب. لكن تأمل! يوم القيامة، لا مكان لهذه المشاعر، لأن المرء يدرك أن أمامه مصير مستديم، وهول عظيم، يريد أن ينجو بنفسه، يريد أن ينقذ ذاته، لا يلوي على أحد.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾.

في ذلك الموقف العصيب يتمايز الناس؛ فمن خافه في الدنيا، أمنه في الآخرة، ومن أمنه في الدنيا، أخافه في الآخرة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة عبس
دعوة الناس وهدايتهم لدين الإسلام
التفكر والتدبر في يوم القيامة
النظر والتدبر في خلق ونعم الله تعالى
إعلاء قيمة النفس الإنسانية
تعميق الإيمان بالله تعالى وبالقرآن الكريم

سورة التكوير



سورة التكوير تتحدث عن أجواء يوم القيامة وما يجري فيه من أحداث كونية تكون بمثابة علامات وآيات تدل عليه، وعن بعض الأحداث المصاحبة ليوم القيامة، كتكوّر الشمس، وانكدار النجوم، وتسيير الجبال، وتعطل العشار، وحَشْر الوحوش، وتسجّر البحار، وتزوج النفوس، عندها تسأل الموؤدة: لماذا قُتلت؟ وتنشر الصحف، وتكشط السماء، وتسعّر الجحيم، وتقرّب الجنة. ثم تدعو إلى الإيمان بالله ورسوله والقرآن وتحذر المكذبين من عذاب شديد.

ونلاحظ في هذه السورة مشاهد لأخطر انقلاب في الكون، كل شيء ترونه؛ الشمس والقمر والنجوم والجبال والأنهار والحيوانات والبشر، هذا كله سيتبدَّل، هناك انقلاب كوني كبير جداً، وما دام كل متوَّقع آتٍ، وكل آتٍ قريب، فكل هؤلاء البشر من آدم إلى يوم القيامة سوف يقفون للحساب في هذا اليوم[١].

كل هذه الأجواء الهائلة المرعبة تشكل الممهّدات الكونية، أو الإطار الكوني لحدث مصيرّي آخر، هو مواجهة الإنسان نفسه لأعماله بخيرها وشرّها معاً.

ثم تتحدث عن القرآن الذي يشكّك فيه هؤلاء، ليؤكد أنه لَقول رسول كريم وليس قول مجنون، وتتابع الحديث عن صفة الملك الذي جاء بالوحي، الذي يريد الله من الناس أن يعتبروه (الوحي) ذكراً يدفعهم إلى الاستقامة التي تتحرّك بها فطرة الإنسان الخاضعة لمشيئة الله.

(١) http: //www.nabulsi.com موسوعة النابلسي.

محور السورة:

القيامة رأي العين.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. معايشة آيات يوم القيامة.

٢. حقيقة الوحي.

٣. القرآن هدى لمن يريد الاستقامة والهداية.

٤. التبرؤ التام من الحول والقوة البشرية الخاصة المحدودة إلى حول الله وقوته المطلقة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ معايشة آيات يوم القيامة:

مشهد الانقلاب التام لكل موجود. الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش النافرة والأنعام الأليفة، ونفوس البشر. حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول، وتقف النفوس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب. وكل شيء من حولها عاصف،وكل شيء من حولها مقلوب!

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾
وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ
ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾
عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾.

«وهذه الأحداث الكونية الضخام تشير بجملتها إلى أن هذا الكون الذي نعهده. الكون المنسق الجميل، الموزون الحركة، المضبوط النسبة، المتين الصنعة، المبني بأيد وإحكام. أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه، وتتناثر أجزاؤه، وتذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها؛ وينتهي إلى أجله المقدر، حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ما عهدت نهائياً من هذا الكون المعهود.

وهكذا تتمثل صورة التغيير الكوني الهائل الذي تتبدّل فيه الصور والأوضاع والمقاييس، لتدخل عالماً جديداً يختلف عن عالم الدنيا اختلافاً كثيراً. ويقف الإنسان أمام ذلك كله، ليفكر في نفسه، وفي دوره، وفي موقعه من كل هذا الواقع الجديد، فيخرج من واقع الغفلة إلى عالم اليقظة والوعي العميق، ليصل إلى النتيجة الحاسمة، وهي أن قيمة الإنسان في هذا اليوم تساوي عمله، فلا بد من أن يتعرف إلى حجم عمله ليعرف حجم مصيره.

آنذاك ستعلم كل نفس ما لها وما عليها من إيجابيات الماضي العملي وسلبياته، لأنها تواجه النتائج في مستوى الأعمال ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ وبذلك تقف وجهاً لوجه أمام الحقيقة الصارخة التي تحدّد له موقعه في الجنة أو في النار، من خلال التزامه بمنهج الله أو في إتباعه سبيل الشيطان»[١].

٢ ـ حقيقة الوحي:

إن هذا القرآن، وهذا الوصف لليوم الآخر.. لقول رسول كريم.. وهو جبريل الذي حمل هذا القول وأبلغه، وفي هذه الآيات إشارة إلى:

- **صفة المَلك الذي يحمل الوحي.**
- **صفة النبي الذي يتلقاه.**
- **موقف الناس المخاطبين بهذا الوحي.**

لقد جاء القرآن ليحدثهم في هذا المقطع من السورة عن جمال الكون البديع، وحيوية مشاهده الجميلة ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾.

ليوحي إلى قلوبهم بأن القرآن صادر عن تلك القدرة المبدعة، التي أنشأت ذلك الجمال. على غير مثال. وليحدثهم بصفة الرسول الذي حمله، والرسول الذي بلغه. وهو صاحبهم الذي عرفوه. غير مجنون. والذي رأى الرسول الكريم ـ جبريل ـ حق الرؤية، بالأفق المبين الواضح الذي تتم فيه الرؤية عن يقين. وأنه ﷺ لمؤتمن على الغيب، لا تظن به الظنون في خبره الذي يرويه عنه، فما عرفوا عنه إلا الصدق واليقين ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥﴾.

(١) سيد قطب في ظلال القرآن.

٣ ـ القرآن هدى لمن يريد الاستقامة والهداية:

يذكرهم القرآن أن طريق الهداية ميسر لمن يريد. وأنهم إذن مسؤولون عن أنفسهم، وقد منحهم الله هذا التيسير: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾.

أن يستقيم على هدى الله، في الطريق إليه، بعد هذا البيان، الذي يكشف كل شبهة، وينفي كل ريبة، ويسقط كل عذر. ويوحي إلى القلب السليم بالطريق المستقيم. فمن لم يستقم فهو مسؤول عن انحرافه. فقد كان أمامه أن يستقيم.

والواقع أن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق من القوة والعمق والثقل بحيث يصعب على القلب التفلت من ضغطها إلا بجهد متعمد. وبخاصة حين يسمع التوجيه إليها بأسلوب القرآن الموحي الموقظ. وما ينحرف عن طريق الله ـ بعد ذلك ـ إلا من يريد أن ينحرف. في غير عذر ولا مبرر!

٤ ـ التبرؤ التام من الحول والقوة البشرية الخاصة المحدودة إلى حول الله وقوته المطلقة:

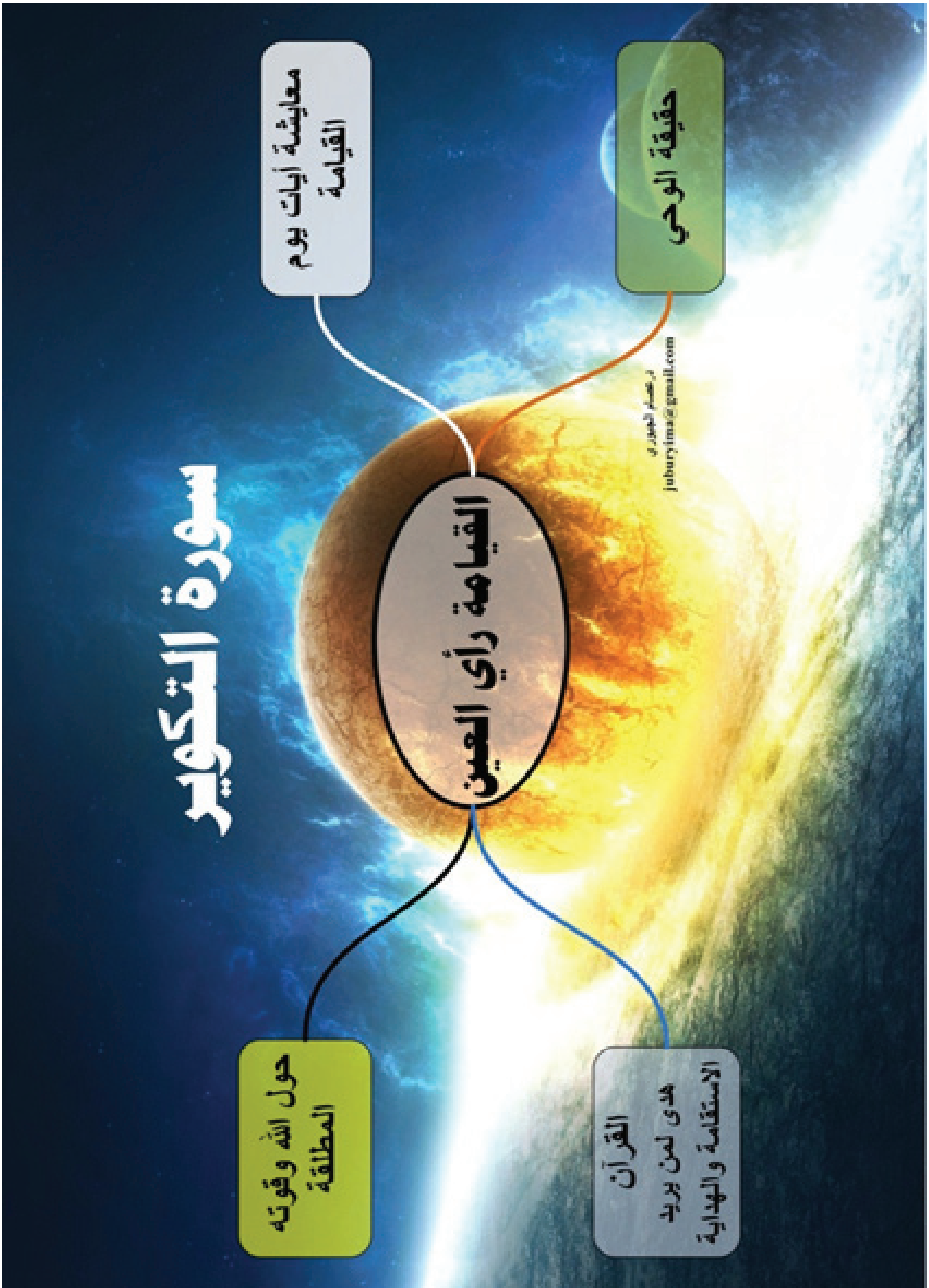
«وهذه النصوص التي يعقب بها القرآن الكريم عند ذكر مشيئة الخلائق، يراد بها تصحيح التصور الإيماني وشموله للحقيقة الكبيرة: حقيقة أن كل شيء في هذا الوجود مرده إلى مشيئة الله. وأن ما يأذن به للناس من قدرة على الاختيار هو طرف من مشيئته ككل تقدير آخر وتدبير ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾. شأنه شأن ما يأذن به للملائكة من الطاعة المطلقة لما يؤمرون، والقدرة الكاملة على أداء ما يؤمرون. فهو طرف من مشيئته كإعطاء الناس القدرة على اختيار أحد الطريقين بعد التعليم والبيان.

ولا بد من إقرار هذه الحقيقة في تصور المؤمنين، ليدركوا ما هو الحق لذاته. وليلتجئوا إلى المشيئة الكبرى يطلبون عندها العون والتوفيق، ويرتبطون بها في كل ما يأخذون وما يدعون في الطريق»[(١)]!

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.


سورة التكوير
القيامة رأي العين
معايشة آيات يوم القيامة
حقيقة الوحي
حول الله وقوته المطلقة
القرآن هدى لمن يريد الاستقامة و الهداية
juburyima@gmail.com

سـورة الانفطار



إنَّ سورة الانفطار تصوِّر لنا بعضاً من مشاهد يوم القيامة حتَّى يصيب القلب خوفٌ من الله تعالى، ذلك أنَّها تحث الذين يبالغون في إحسان الظَّنِّ بالله تعالى ألا يكون إحسان هذا الظَّنِّ سبباً للاغترار به سبحانه. فتجد نداء من الله تعالى للإنسان: ما الذي غره بربه الكريم خالقه ومسويه ومصوره وصاحب الفضل عليه، والإحسان إليه.

فكما أنَّ الله تعالى كريم ورحمته واسعة، بيْدَ أنَّ عذابه شديد وحسابه أليم ولا شفعة فيه، وليس بمستبعَدٍ أن يشقى العبدُ في جزء من مائة جزء، ويفوته تسعة وتسعون جزءاً من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بسبب هذا الاغترار؛ لذا كان حُسْن الظَّنّ بالله تعالى على الوجْه المشروع أن يجمع العبد بين الخوف والرَّجاء في قلبه، ولا ينفرد بأحدهما عن الآخر.(١)

تشعر وأنت تقرأ هذه السورة بلمسة العتاب المبطنة بالوعيد، لهذا الإنسان الذي يتلقى من ربه فيوض النعمة في ذاته وخلقته، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها، ولا يعرف لربه قدره، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة.ثم ندد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالمكذبين بالآخرة، وما فيها من

(١) د. أحمد مصطفى نصير – دلالات تربوية على سورة الانفطار.

الجزاء والحساب، مع أن كل شيء مسجل عليهم، ومدون في صحفهم، التي كتبها الملائكة الذين يحفظونهم، ويكتبون ما يفعلون[1].

محور السورة:

يا أيها الإنسان: تحذير الإنسان من مغبة الغرور بحلم الله عليه، وإمهاله له.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١ . مشاهد القيامة في الطبيعة.

٢ . محاسبة النفس بشكل دوري، تمهيداً وتخفيفاً للمحاسبة الكبرى أمام الله عَزَّوَجَلَّ.

٣ . الشكر والامتنان لله عَزَّوَجَلَّ **ودوام المراقبة والإحسان.**

٤ . الرقابة على الإنسان .

٥ . افتراق الأبرار عن الفجار.

٦ . أهول يوم الدين وعجز الناس والأمر لله.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ـ مشاهد القيامة في الطبيعة:

وصف المولى ـ سبحانه ـ حالَ السماء، وانفراط عقد الكون وقت قيام الساعة بعدَّة أوصاف لترسخ في أذهان العباد تنبيهاً لهم وترقيقاً لقلوبهم، فذكر أنَّها تتشقق وتنفطر، ذلك أنَّ السَّماء هي المشهد الذي لا يغيب أبداً عن أنظار العباد، وأي اضطراب يحدث لها يؤثر بلا شكّ على أهل الأرض، بل إنهم يترقبون يوميّاً أحداث الطقس وأحوالها؛ لما في ذلك من تأْثير مباشر على حياة الناس، بيْدَ أنَّه وقت قيام الساعة تختلف صورة السماء؛ إذ يأتي هذا اليوم والسَّماء ليست كطبيعتها، إذ قد آن وقتُ فنائها.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ .

لا شك أنَّها صورة تقذف الرُّعب في قلوب الناظرين، فماذا يكون وقْع انفطار السَّماء وتشقُّقها وبداية انهيارِها عليه؟ إنَّه حقَّاً مشهد يملأ الكون رعباً وفزعاً، ويصاحب انهيار السماء

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

تفكُّك الكواكب والنجوم، إنَّه إيذان بانهيار منظومة السَّماء بأكملها، بل إنَّه ترقّب لسقوط أحد هذه الكواكب على الأرض فيدمِّرها، إنَّه يوم فزع يوم ترقّب لإنهاء حياة الكون.

ثم تنقل السورة القارئ إلى لحظة البعث بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ ومشهد بعثرة القبور يعْني إحياء مَن فيها، إذْ يخرجون من الأجداث كما يخرج النَّبات من الأرض، إذ يخرجون فزِعين بلا نظام ولا هوادة، إذ قد صدق وعْد الله وبُعِثوا بعد أن كانوا تراباً، كما أنَّهم يخرجون من القبور على ما كانوا عليه في الدنيا، فمَن مات على الشرك بعث مشركاً، ومن مات على الإيمان بعث مؤْمِناً.

٢ ـ محاسبة النفس بشكل دوري، تمهيداً وتخفيفاً للمحاسبة الكبرى أمام اللّٰه عَزَّوَجَلَّ:

وهكذا يتذكر الإنسان ما قدمتْه يداه في الدنيا ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ .

نعم يتذكَّر الإنسان وأنَّى له الذكرى، إذ بعث على ما كان عليه، يتذكَّر ما قدَّم من خير أو شرّ، وما ترك أو أخَّر ولم يفعل، سواءٌ أكان حقّاً عليه أن يقدم أو يؤخر، فهو محاسب على أفعاله الإيجابيَّة وتلك السلبية على وجه سواء، فكما أنَّه محاسب على ما قدَّمه من أمور الطَّاعة أو المعصية، فإنَّ كلَّ ما انتهى عنْه من المحرَّمات أو قصَّر فيه من الطَّاعات فهو محاسب عليه أيضاً.

٣ ـ الشكر والامتنان للّٰه عَزَّوَجَلَّ ودوام المراقبة والإحسان:

يُعاتب المولى ـ سبحانه ـ الإنسان لتمنِّيه على ربِّه دون أن يكلِّل تلك الأماني بالعمَل، فكم من أمنيَّة غرَّت صاحبها فظلَّ متمنِّياً أن يطول به الأمل حتَّى يدرك التَّوبة والإنابة إلى الله، دون الإسراع في الطَّاعات، ففضَّل العمل لدار الدُّنيا ونسِي العمل لدار الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ .

إنَّ الذي يقطع على الإنسان اغتراره بالدنيا وانهماكه فيها، ويقطع عليه كثرة الأماني ويجعله يعتدل على الصراط المستقيم ـ هو تذكُّره بأنَّه مخلوق خلَقه الله تعالى وأحْسنَ في خلقه، ومنحَه من النعم والهِبات ما يقدر به على تنفيذ ما كلَّفه الله به من الطَّاعات.

أخي الإنسان انظر في بديع صنع الله تعالى فيك، وكم من نعمة أنعم الله بها عليك، فما

عليك أن تكتشف ذاتك ومواهبك وقدراتك حتَّى تسخرها في طاعة الله تعالى، إنَّها دعوة من الله تعالى لابن آدم لكي ينظر في نفسه، ويستخرِج منها الكنوز التي منحَهُ الله إيَّاها؛ ليستخدمها فيما أمره الله به. فنِعَم الله تعالى كنوز لا بدَّ من استخراجها واستخدامها في الطاعات، لا الاغترار بها والافتتان.

٤ ـ الرقابة على الإنسان:

هنالك دوماً أُناس يستهزئون بالدين ويستغلُّون ما أعطاهم الله من نِعَم ـ كالتَّمكين ـ لكي يُسيئوا للإسلام والمسلمين، ويبدلوا ويغيروا ما لا يجوز تغْييره ولا تبديله من دين الله تعالى.

فتذكر أيها الإنسان... أن عين الله عليك... تراقبك وتحصي عليك كل قول وفعل، فكل صغيرةٍ وكبيرة مسجَّلةٍ عليك.

ولا تنس أنَّ الله تعالى سيعاقب المكذبين بالدين في دار الآخِرة على كلِّ ما أحصَتْه الملائكة الكرام الكاتبون عليهم، من جرائم اقترفوها في حق دين الله تعالى. ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

فيا أيها الإنسان أكرم ملائكة الرحمن الذين وكلهم الله بحفظ عملك، وإياك أن تؤذيهم، فما يستحقون منك إلا أن يروا كل عمل صالح.

٥ ـ افتراق الأبرار عن الفجار:

يؤكِّد المولى سبحانه أنَّ الجزاء في الآخرة، فالأمر إمَّا إلى جنَّة أو إلى نار، لا ثالثَ لهما، الأمر جِدٌّ خطير، فيخبرنا تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم القائمون بحقوق الله عَزَّوَجَلَّ المنقادون لأوامر الله، وأوامر رسوله ﷺ ولم يقابلوه بالمعاصي ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

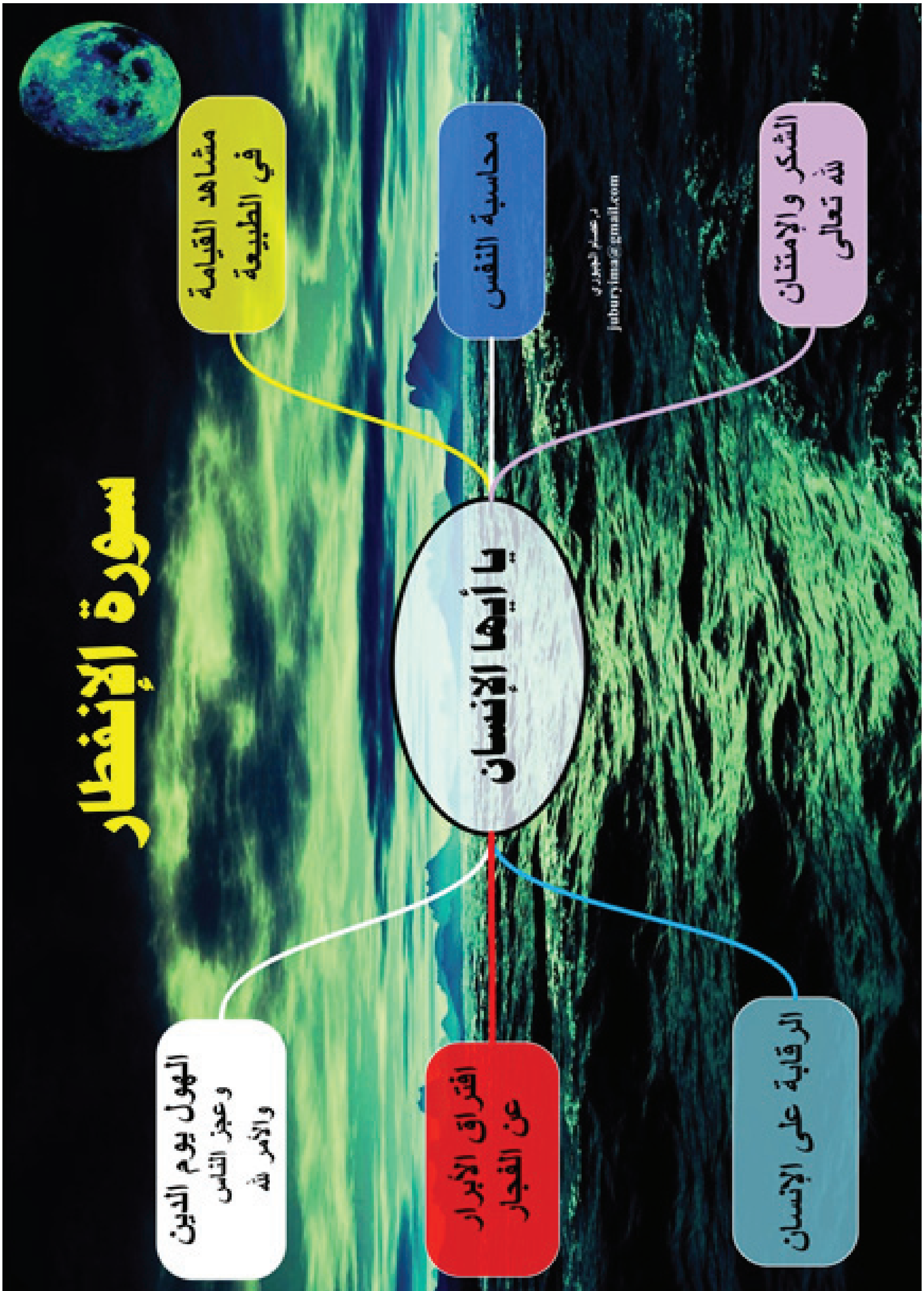
إنَّ المولى ـ سبحانه ـ يحذِّرُنا من الجحيم مؤكِّداً أنَّه حقيقة لا مبالغة فيها، سوف يصلى الفجَّار هذا الجحيم يدخلون النار حتماً، ومهْما وصفت النار فلن ندرك ماهيَّتها ولا حرَّها ولا عذابها، إنَّ أسلوب القرآن في التَّحذير من هذا العذاب توقظ القلب الغافل، الَّذي اغترَّ بالدنيا واغترَّ بكرم الله تعالى ناسياً الحساب والجزاء.

٦ ـ الهول يوم الدين وعجز الناس والأمر لله:

في هذا اليوم ينصب المولى سبحانه ميزان العدل، فلا شفاعةَ ولا وساطة إلاَّ بإذنه، فقد أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للصيام والقرآن أن يشفعا، وأذن لنبيه محمَّد ﷺ أن يشفع لأمَّته التي سارت على دربه ومنهجه، ولا شفاعة في غير ذلك.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الإنفطار
يا أيها الإنسان
مشاهد القيامة في الطبيعة
محاسبة النفس
الشكر والامتنان لله تعالى
الهول يوم الدين وعجز الناس والأمر لله
افتراق الأبرار عن الفجار
الرقابة على الإنسان
juburyima@gmail.com

سورة المطففين



السورة في عمومها تمثل جانباً من أسلوب الدعوة الإسلامية في مواجهة الواقع العملي لبيئة الدعوة، وتكشف عن طبيعة هذا الدين، وشمول منهجه للحياة الواقعية وشؤونها العملية، وإقامتها على الأساس الأخلاقي العميق الأصيل في طبيعة هذا المنهج الإلهي القويم، فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والانحراف الأخلاقي في التعامل، ومن ثم أعلن الحرب عليها.

إن المطففين الذين يتهددهم الله بالويل، ويعلن عليهم هذه الحرب، كانوا طبقة الكبراء ذوي النفوذ، الذين يملكون إكراه الناس على ما يريدون. إنهم يحصلون بالقسر على أكثر من حقهم، ويستوفون ما يريدون إجباراً.

فالسورة توجه اهتمامها إلى أصول العقيدة الكلية (**تقرير وحدانية الله**، **حقيقة الوحي والنبوة، حقيقة الآخرة والحساب والجزاء**)، مع العناية بتصحيح الانحرافات الأخلاقية في المعاملات، وربطها بأصول العقيدة، ليُعيد التوازن ويقيم العدل والقسط في المعاملات المادية والمعنوية، وفق المنهج الإسلامي، لتنظيم حياة المجتمع في ظل الدولة الإسلامية.

محور السورة:

إعلان حالة حرب على كلِّ مَن خان غيرَه وبخَسَه حقَّه أو انتقصَ ممَّا وجب عليْه.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. ذم المطففين ومظاهر التطفف.

٢. الاستعداد ليوم الحساب الأعظم.

٣. المراقبة والإحصاء والتسجيل الإلهي لأعمال البشر.

٤. التعاون والتنافس الإيجابي مع أهل الصلاح والتأسي بهم والتنافس معهم على فعل الخيرات.

٥. طبيعة طريق الدعوة إلى الله: الصبر الجميل على أذى الجاهلين.

٦. الثقة والاعتزاز بالله تعالى وبالإسلام والإيمان.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ ذم المطففين ومظاهر التطفف، والأمر بالعدل والقسط في جميع أنواع المعاملات:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

التطْفيف هو سرقة البائع للمشتري بالتلاعب في الميزان أو المكيال. فالمطفف يعمد إلى إنقاص الوزن والمكيال، لكيلا يتلقى المشتري من السلعة القدر المساوي للمال الذي دفعه. ويخبرنا القرآن الكريم، أن نفس هذا المطفف الذي يُخسر الميزان، حين يبيع إلى الآخرين، يحرص كل الحرص، حين يكون هو الشاري، على أن يستوفي حقه في الكيل والميزان، كاملاً غير منقوص!

فالتطفيف إذن ضرب من ضروب ازدواجية المعايير. وبطبيعة الحال فإن التطفيف المعْنِي هنا، إنما هو التطفيف الذي يرتكبه الأفراد. والتَّطفيف ليس خاصّاً بالكيْل والوزْن والذَّرع، بل هو عامٌّ يدخلُ فيه كلُّ بخس، سواء كان بخساً حسيّاً أو معنويّاً،،وله صورٌ شتى، ومثال ذلك:

- التطْفيف في الصلاة، فمن ذلك أن لا يتمَّ شروطَها أو أركانها أو واجباتها.
- تطْفيف الأب مع أولادِه ـ ذكوراً وإناثاً ـ فيجِب على الأب أن يعدِل بين أولادِه في كلِّ ما يستطيعه.

- تطْفيف الموظف في حقوق العمل.
- تطْفيف الولد مع أبيه وأمه.

بل يمكن سحب مفهوم التطفيف الوارد في القرآن، من إطار مسلك الأفراد، إلى إطار مسلك الحكومات. فالحكومات تطفف، بل ما أكثر الحكومات المطففة!! وتطفيف الحكومات لأشد ضرراً بمصالح الناس من تطفيف الأفراد. والحكومات الأكثر تطفيفاً إنما هي الحكومات الشمولية. فانعدام الديمقراطية، وانعدام الشفافية، وقفل الأبواب على الرقابة الشعبية، ودمج السلطات في بعضها بعضاً، واستتباع القضاء للسلطة التنفيذية، حتى يصبح خاضعاً لها، وليس رقيباً عليها، أمور تخلق، في جملتها، أفضل المناخات لممارسة أفعال التطفيف.

٢ ـ الاستعداد ليوم الحساب الأعظم:

- التدقيق المستمر مع الذات.
- التخفف من المظالم قبل يوم الحساب الأعظم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

٣ ـ المراقبة والإحصاء والتسجيل الإلهي لأعمال البشر:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

٤ ـ التعاون والتنافس الإيجابي مع أهل الصلاح والتأسي بهم والتنافس معهم على فعل الخيرات:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ
ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

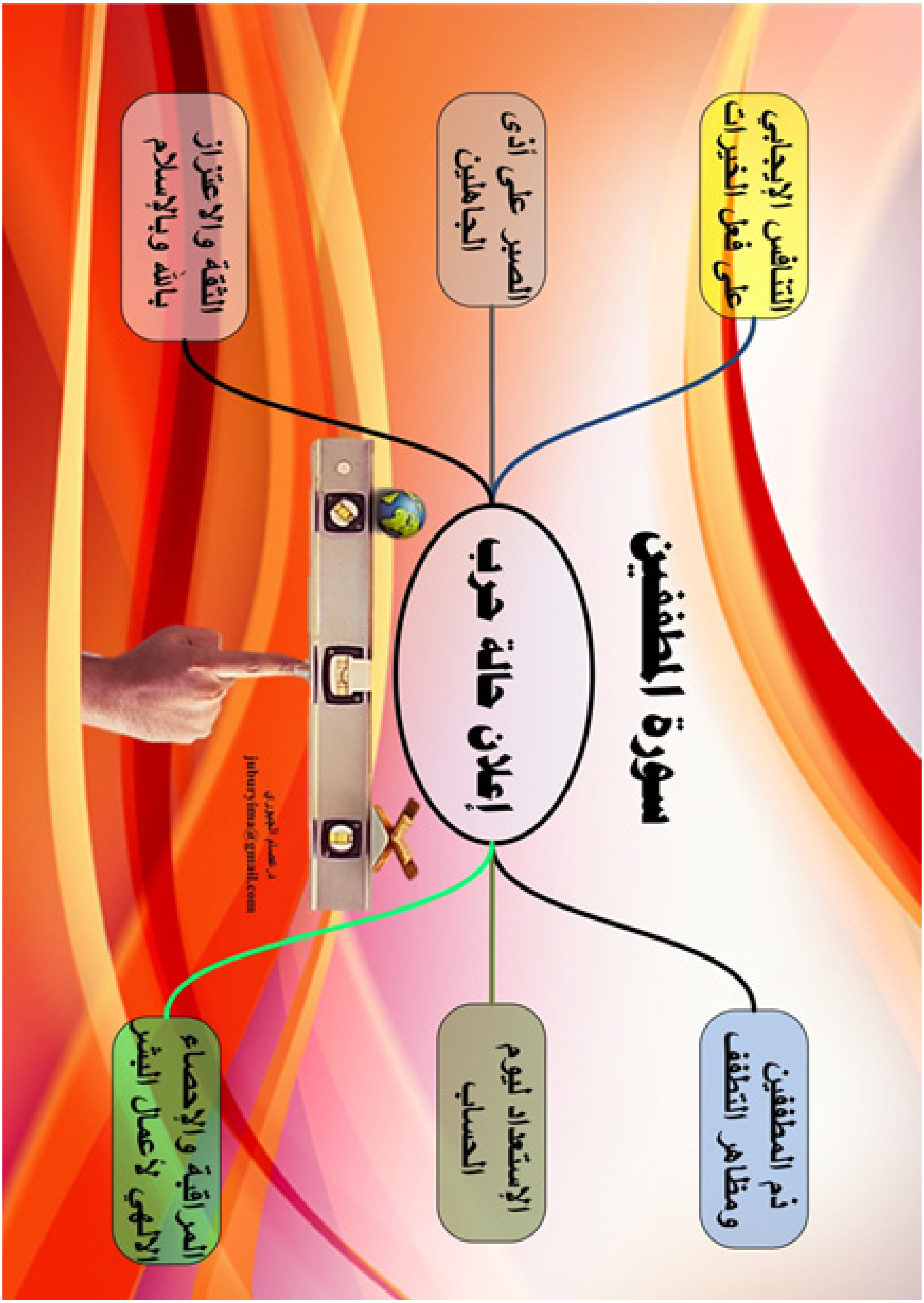
٥ ـ طبيعة طريق الدعوة إلى الله: الصبر الجميل على أذى الجاهلين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

٦ ـ الثقة والاعتزاز بالله تعالى وبالإسلام والإيمان:

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة المطففين
إعلان حالة حرب
التنافس الإيجابي على فعل الخيرات
الصبر على أذى الجاهلين
الثقة والاعتزاز بالله وبالإسلام
ذم المطففين ومظاهر التطفف
الإستعداد ليوم الحساب
المراقبة والإحصاء الإلهي لأعمال البشر
د.عصام الجبوري
juburyisma@gmail.com

سورة الانشقاق



خطوة فخطوة لبعض مشاهد الكون في الآخرة، فتبدأ السورة ببعض مشاهد الانقلاب الكوني التي عرضت في سورة النبأ وفي سورة التكوير، ثم في سورة الانفطار. ولكنها هنا يهيمن عليها طابع الاستسلام لله. استسلام السماء واستسلام الأرض، في طواعية وخشوع ويسر. وتبدو السماء والأرض ذواتي روح. وتستمعان للأمر، وتطيعان وتلبيان للفور.

الأرض كائن حي، تلقي ما فيها وتتخلى عنه وما فيها كثير.

السماء هي الأخرى أذنت لربها وحقت، واستجابت لأمر ربها مستسلمة مذعنة، معترفة أن هذا حق عليها، وأنها طائعة لربها.

ثم تنتقل الآيات إلى لمسة لقلب «الإنسان». وإلى مشهد الحساب والجزاء. ثم إلى مشهد الكون الحاضر وظواهره الموحية. وإلى لمسة للقلب البشري أخرى. وبعدها التعجب من حال الذين لا يؤمنون بعد ذلك كله. وتنتهي إلى التهديد بالعذاب الأليم واستثناء المؤمنين بأجر غير ممنون.

محور السورة:

يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه. فاعمل قبل أن تندم.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. الإيمان بيوم القيامة وما سيحدث فيه من تغيرات كونية هائلة.

٢. بيان وتأكيد سنة الله تعالى في الإنسان وهو في طريقه إلى لقاء ربه بالموت.

٣. الإنسان سيلاقي نتائج أعماله يوم القيامة ومصيره إما إلى النعيم وإما إلى السعير.

٤. لوم وعذاب الكافرين لعدم إيمانهم وثواب المؤمنين الصالحين.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ بعض مشاهد الكون في الآخرة، ويستفاد منها:

- المداومة على مشاهدة أحداث يوم القيامة بمعايشة هذه الآيات تلاوة وتعلماً وتدبراً.
- التجاوب مع الكون من حولنا والمسارعة إلى الطاعة والإذعان الكامل لأوامر ونواهي الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا
وَحُقَّتۡ ٥﴾.

٢ ـ سنة كدح الإنسان وملاقاته له (من يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذه وراء ظهره):

- توظيف الكدح الإنساني في الدنيا لخدمة الآخرة (استحضار النية لله تعالى وموافقة الشرع ومجانبة الابتداع).
- الجدُّ والاجتهاد في الطاعة، وكافة أبواب الخير.
- المسارعة في الإقلاع عن الذنوب والانصراف عنها.
- الاهتمام بإدارة الوقت وحسن استثماره لخدمة الدنيا والدين.
- التفكير المستقبلي الاستشرافي للمستقبل القادم في الآخرة والتعلق به والعيش له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ
حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

هذه الآية تضع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ غاية وهدفاً أعلى للإنسان، والإنسان هنا بمعنى الإنسانية ككل، فالإنسانية بمجموعها تكدح نحو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والكدح هنا كدح الإنسانية ككل، نحو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، يعني السير المستمر بالمعاناة والجهد والمجاهدة، لان هذا السير ليس سيراً اعتيادياً، بل هو سير ارتقائي، هو تصاعد وتكامل، هو سير تسلق، فهؤلاء الذين يتسلقون الجبال ليصلوا إلى القمم يكدحون نحو هذه القمم، يسيرون سير معاناة وجهد. كذلك الإنسانية حينما تكدح نحو الله فإنما هي تتسلق إلى قمم كمالها وتكاملها وتطورها إلى الأفضل. لغة الآية لغة التحدث عن واقع ثابت وحقيقة قائمة، وهي: أن كل سير وكل تقدم للإنسان في مسيرته التاريخية الطويلة الأمد، فهو تقدم نحو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وسير نحو الله.

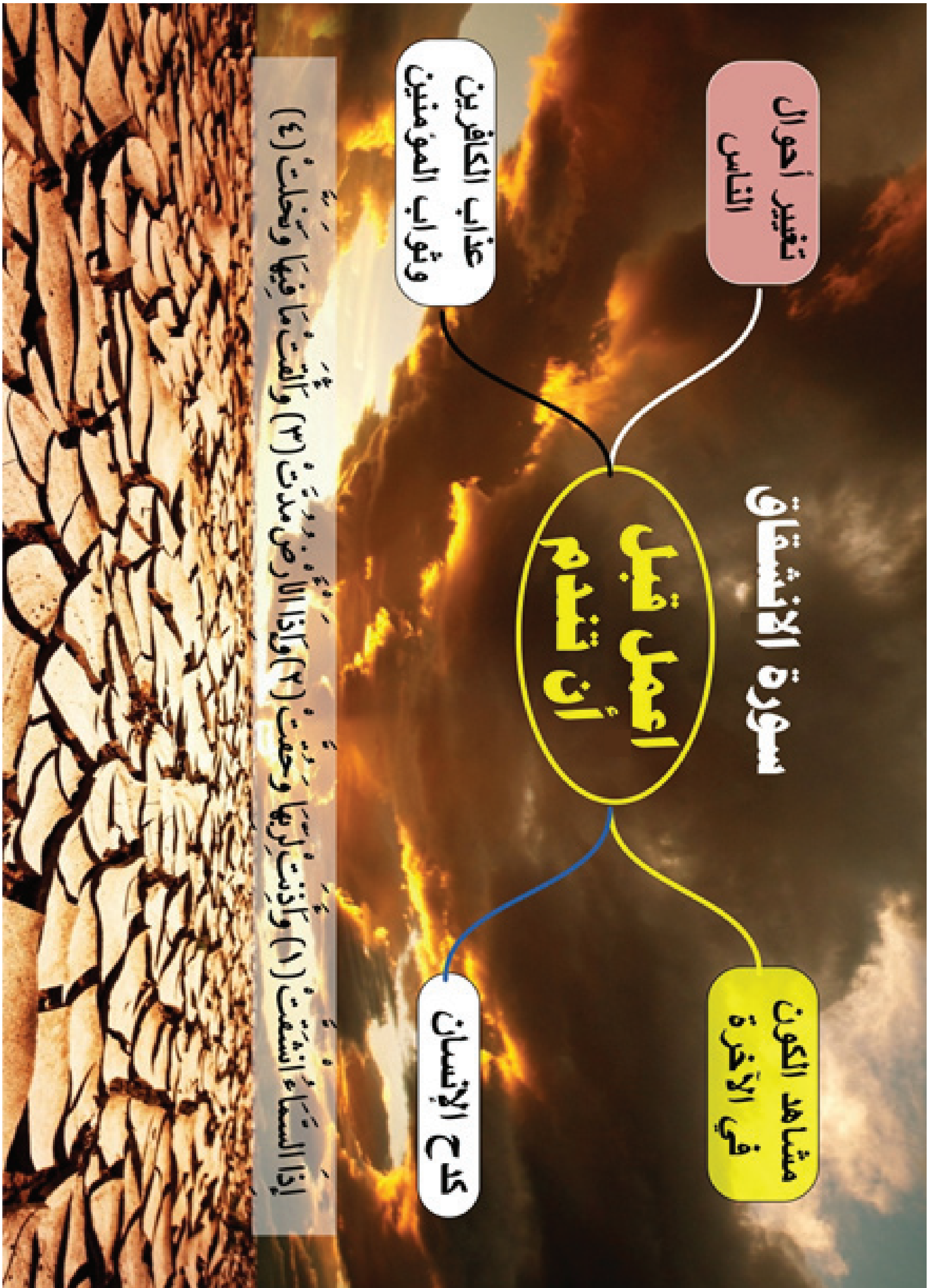
٣ ـ القسم بمشاهد الكون على تغيير أحوال الناس:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾﴾.

٤ ـ لوم وعذاب الكافرين لعدم إيمانهم وثواب المؤمنين الصالحين:

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ
﴿٢٥﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الانشقاق
اعمل قبل أن تندم
تغيير أحوال الناس
مشاهد الكون في الآخرة
عذاب الكافرين وثواب المؤمنين
كدح الإنسان
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤)

سورة البروج



كم مرة قرأت سورة البروج؟

تبدو سورة عادية؟ أليس كذلك؟ صدقني لا..

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فيها أن هذه الدنيا سجال بين أهل الحق وأهل الباطل، وذكر سبحانه أحوال بعض الأمم السابقة.

إنها معجزة!إنها تحكي ثلاث معارك متفقة في المقدمة.. مختلفة في النهاية..

الأولى في قوله تعالى: قُتل أصحاب الأخدود..

والثانية في قوله تعالى: هل أتاك حديث الجنود؟ فرعون..

والثالثة في قوله تعالى: وثمود..

ففي المشاهد الثلاثة: قلة مستضعفة تحمل الحق.. يصارعها باطل قادر قوي مهيمن قاهر..

وفي المشاهد الثلاثة: يتجمع أهل الحق في كفة.. وأهل الباطل في كفة..ولكن النهايات مختلفة تماماً!!

فأصحاب الأخدود احترقوا في الخندق وفنوا عن بكرة أبيهم. وأصحاب موسى انتصروا لكن بعد أن تصاعدت الأحداث تصاعداً منطقياً..وأصحاب صالح انتصروا لكن بعد معجزة غيرت سير الأحداث في لحظة كانت متوقعة ومنتظرة..الشاهد من الأمر أن النهايات هذه

يختارها الله..لسنا نحن من يختار..المهم أن نبقى ثابتين على الحق..ثم إنا لله.. فليقض فينا ما يشاء..

محور السورة:

استعلاء الإيمان والثبات على المنهج الحق.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. التعريف بسنة الله تعالى في التدافع المستمر بين الإيمان والكفر على مدار التاريخ الإنساني.
٢. تعزيز قدرة المؤمنين على الثبات في هذا التدافع.
٣. الأثر الذي يحدثه الإيمان في العلاقات بين البشر، وبيان منزلة المؤمنين عند ربهم.
٤. التسرية على قلوب المؤمنين بـ (تأييد الله تعالى لهم ـ هلاك الكافرين، استعراض نماذج تاريخية لإخوانهم المؤمنين، بالعاقبة والجزاء للمؤمنين الصادقين).

شرح الأفكار الرئيسة:

١. القسم تحذيراً للظلمة من اليوم الموعود، وفيه إشارة إلى:

- دمار المجرمين واستمرار التدافع بين الحق والباطل.
- المعركة هي معركة عقيدة في المقام الأول.
- التضحية في سبيل الله، حتى لو أدى ذلك إلى ذهاب النفس.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾.

٢. المفاصلة في المصير بين أهل الأيمان وأهل الكفر:

- العداء العلني لأهل الكفر للمؤمنين بالله تعالى.
- الاعتزاز بالله تعالى واستلهام القوة والعزة من قوته وجبروته عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

٣. طبيعة الدعوة إلى الله وموقف الداعية:

- إن النصر في أعلى صوره هو انتصار العقيدة على الألم، وانتصار الإيمان على الفتنة.
- إيثار العقيدة على الحياة والاستعلاء بالإيمان على الفتنة والصدق مع الله في العمل والنية ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدعوته ودينه ما شاء.
- ليس من الضروري أن يشهد المؤمن ثمرة انتصاره في الدنيا، يكفيه أن يؤدي واجبه ويذهب، فواجبه أن يستعلي بالإيمان على الفتنة، وأن يصدق الله في النية والعمل، ثم يفعل الله به وبأعدائه ما يشاء، كما يفعل بدينه ودعوته ما يشاء.
- أن أمر الدعوة والعقيدة يتولاه الله، فلربما لا يشهد الدعاة النصر، فأنت عليك أن تزرع الخير، والله عليه النتائج.

٤.الحسابات الأرضية مؤلمة، والحسابات الحقيقية الأخروية مفرحة:

قد يتبادر إلى ذهن قارئ هذه السورة، لأنه لم ير في القصة أن الله قد أخذ الفئة الباغية، كما أخذ فرعون وجنوده، وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، فيظن وهو يقرأ القصة ويتصور: أن الفئة الباغية الآن تقر في ملكها فرحة بنصرها الوهمي، ولكن أنى ذلك؟ لقد انتهى كل شيء فالقصة لها مئات وربما آلاف السنين، والطغاة منذ نهاية حياتهم مشغولون في عذابهم، ويوم القيامة أدخلوا الطغاة أشد العذاب.

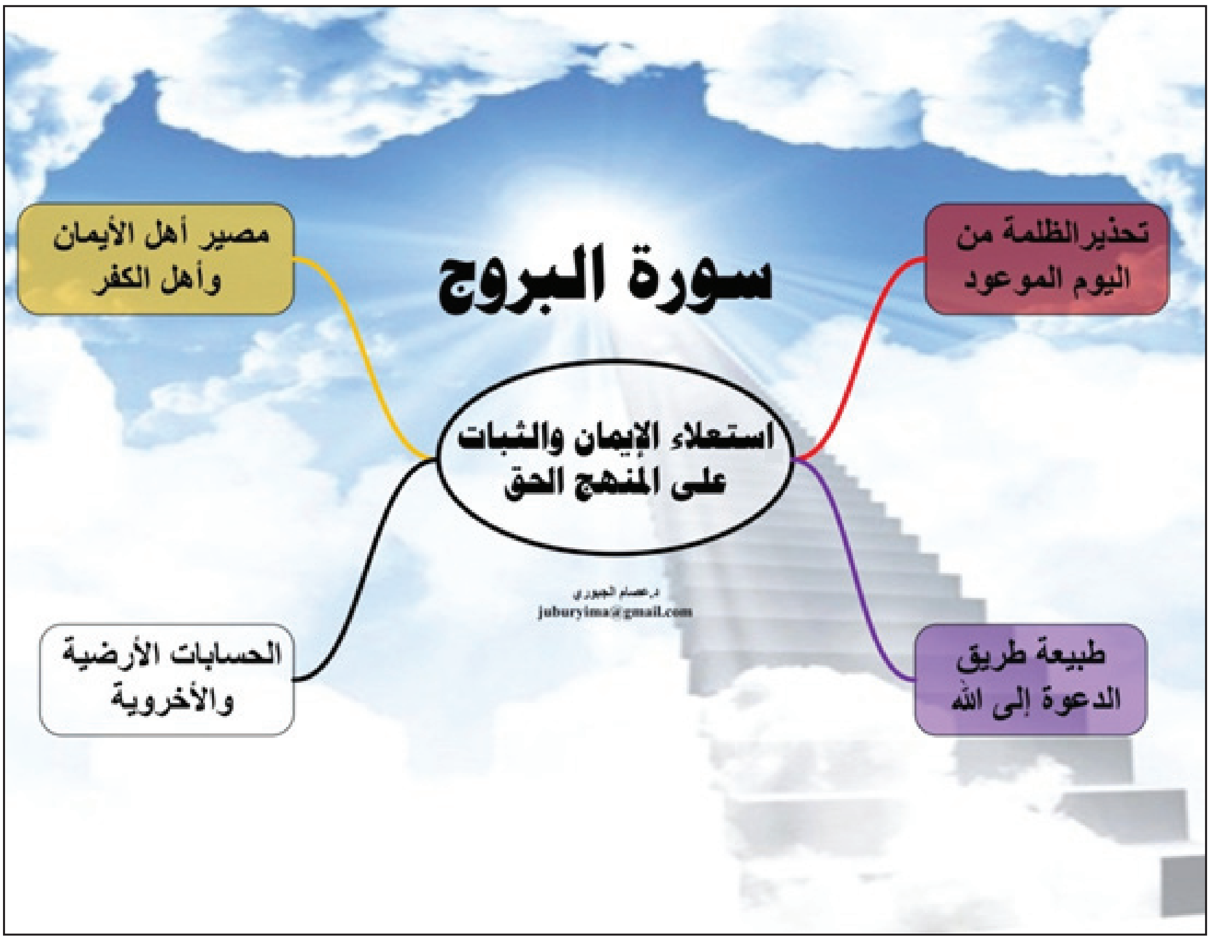
وأما أهل الإيمان فلم يجدوا من مس القتل إلا كما يجد أحدنا من مس القرصة، وهم يتمتعون برضوان الله وجنته.

فالحياة الدنيا ليست هي الميزان، إنما الميزان الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة. ويمكن ملاحظة ما يلي:

- قدرة وبطش وانتقام الله عَزَّوَجَلَّ.
- غفران وود الله عَزَّوَجَلَّ للعائدين للإيمان.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ
هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكلين:




سورة البروج
استعلاء الإيمان والثبات على النهج الحق
تحذير الظلمة من اليوم الموعود
طبيعة طريق الدعوة الى الله
مصير أهل الإيمان وأهل الكفر
الحسابات الأرضية والأخروية
د.عصام الجبوري
juburyimsa@gmail.com

سورة الطارق



لقد حرص أعداء الإسلام حديثاً كما حرص أسلافهم قديماً على الكيد والتخطيط لمحاربة الإسلام والدعاة إلى دين الله، وهذه سُنة من سُنَن الله الثابتة في هذه الحياة، ومَعلَم من معالم الصراع بين الحق والباطل، فسلكوا كل السبل لصد المسلمين عن دينهم، وإبعادهم عن معينه الصافي وتشريعه الحكيم.

إنَّ أعداء الإسلام يتحركون بكل وسائلهم الخبيثة المتعدّدة، ليخطّطوا، وليكيدوا لدعوة الإسلام وللدعاة، فلا تخافوا منهم، ولا تتراجعوا أمامهم، لأنهم لا يملكون الامتداد بهذا الكيد، فهم لا يملكون شيئاً من القوة أمام قوة الله الرّبّ القادر القاهر الذي يملك أمر الحياة والموت، وأمر النفع والضرر، ويعلم سرّهم وعلانيتهم، ويعلم حقيقة الأشياء الخفية التي يستخدمونها ضدّكم. فالله هو الذي يكيد لأعداء الإسلام، فيبطل كيدهم وتآمرهم، وهو عَزَّوَجَلَّ الذي يخطط الخطط للمؤمنين والدعاة الصادقين من أجل الوصول إلى النتائج الكبيرة التي تحقّق لهم النصر النهائي.

إنَّ الدعاة إلى الله والعاملين في سبيل الإسلام، لا بدّ لهم من أن لا يتعبوا من خلال طول الزمن وامتداد المرحلة التي يتحرّكون فيها، وأن لا ييأسوا من المؤامرات المتنوّعة التي يدبّرها أعداؤهم ضدّهم بوسائلهم المختلفة، وأن لا يستعجلوا النصر قبل توفّر شروطه.

قد يحتاج المؤمنون أن يعيشوا تجربة الصراع ليتألّموا في مواقع الإيمان، وليضطهدوا في مواقف الدعوة، وليعانوا الكثير من الآلام في سبيل دعوتهم، ليشتدَّ عودهم، وتتعمق تجربتهم، وتتّسع ذهنيتهم، وتتصلّب مواقفهم، ويعلو شأنهم، من أجل أن ينتفعوا بذلك في تجربة الحركة المستقبلية في خط الدعوة والجهاد، لأن المؤمنين الصادقين إذا لم يعيشوا التجربة القاسية في مواقع الابتلاء، فلن يستطيعوا أن يملكوا النتائج الكبيرة في ساحات الانتصار.

لقد أراد الله عَزَّوَجَلَّ من رسوله الكريم ﷺ ومن يأتي من بعده من الدعاة الربانيين أن يستوعب طبيعة المرحلة، ليكون انتظارهم انتظار الخطة لا انتظار العجز. وعلى ضوء ذلك، فقد يكون من الضروريّ للدعاة الربانيين أن يدخلوا في الحسابات الدقيقة للمواقف، وأن يدرسوا طبيعة الكيد وظروفه وأوضاعه، وأن يتابعوا تطورات الساحة الإسلامية ومشاكلها ومواقفها، وأن يثقوا بالله في نصره للمؤمنين إذا أخذوا بأسباب النصر وتوكلوا على الله في ما لا يملكون أمره، لأنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ، وقَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، فعليهم أن يأخذوا بتقدير الله للأمور، في ما تعبر عنه السنن الكونية للمجتمع وللحياة، ويضعوا في وعيهم أن الكافرين إذا كانوا (يَكِيدُونَ كَيْداً)، فإن الله يكيد لهم كيداً مماثلاً أو أعظم منه بما يبطل خططهم، ويهزم جمعهم، وليثقوا بأن كيد الله فوق كيد الكائدين، وإرادته فوق بغي الكافرين، ويجعل الخير للمؤمنين في كل حال، ومهما بلغ الكيد لهذا الدين ولهذه الدعوة فإن الله جاعل لأهله فرجاً ومخرجاً.

يقسم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: **(والسماء والطارق)**، **(والسماء ذات الرجع)**، **(والأرض ذات الصدع)**، بأن هذا القرآن الذي يقرر الرجعة والابتلاء، بأن هذا القرآن ـ هو القول الفصل الذي لا يلتبس به الهزل، القول الفصل الذي ينهي كل قول، وكل جدل، وكل ريب، القول الذي ليس بعده قول، تشهد بهذا السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.

أن المعركة بيده هو سبحانه، وقيادته، فليصبر الدعاة إلى الله كما صبر الرسول ﷺ والمؤمنون معه، وليطمئنوا، وليعلموا الحقيقة التي يغفل عنها الكثير من المؤمنين في ظل الكرب والهم والشدة والعناء... أنَّ المستقبل لهذا الدين.

محور السورة:

المستقبل لهذا الدين والله فوق كيد الكائدين ومؤامراتهم.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. القسم بالسماء والطارق.

٢. خلق الإنسان من الماء الدافق.

٣. الله يبعث الإنسان يوم القيامة (ساعة الحقيقة).

٤. القسم بالأرض والسماء على جدية حقيقة البعث.

٥. المبشرات القرآنية ووعد الله بإحباط كيد الكافرين ومكرهم بالإسلام وأهله.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ القسم بالسماء والطارق:

- التدبر والتفكر في أسرار السموات ونجومها الثاقبة.
- الرقابة والمتابعة والإحصاء الدقيق المباشر على كل نفس لأنها مستودع الأسرار والأفكار. وهي التي يناط بها العمل بمنهج الله في الأرض ثم الجزاء، والحساب يوم القيامة.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾﴾.

٢ ـ خلق الإنسان من الماء الدافق:

- الإيمان والتدبر العميق بقدرة الله تعالى على الخلق(في الأولى من العدم وفي الثانية بعد الممات).

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾﴾.

٣ ـ اللّه يبعث الإنسان يوم القيامة (ساعة الحقيقة):

- اكتشاف جميع الحقائق وتجرد الإنسان من كل قوة ومن كل ناصر.
- فقدان الإنسان سيطرته على جوارحه ساعة الحساب يوم القيامة.

● حسن استغلال وتوظيف الجوارح، قبل أن تصبح خصماً وشاهداً وعدواً أمام الله تعالى.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾.

٤ ـ القسم بالأرض والسماء على جدية حقيقة البعث:

● القول الفصل الذي ينهي كل قول وكل جدل وكل شك وكل ريب. القول الذي ليس بعده قول. تشهد بهذا السماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع!

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾.

٥ ـ المبشرات القرآنية ووعد الله بإحباط كيد الكافرين ومكرهم بالإسلام وأهله.

إنَّ أعداء الإسلام يدبِّرون ما يدبِّرون من خطط وجهود دائبة لإطفاء نور الإسلام، وليردُّوا الخلق ويحولوا دون نشر الحق. والله يدبِّر ما يحبط مسعاهم ويبطل كيدهم.

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الطارق
المستقبل لهذا الدين والله فوق كيد الكائدين
البشرات القرآنية
حقيقة البعث والقول الفصل
يوم القيامة واكتشاف الحقائق
القسم بالسماء والطارق
خلق الإنسان

سورة الأعلى

في القرآن الكريم دروسٌ عدَّة، لها أهداف سامِيَة عالِيَة المقاصد نبيلة الغاية والوسيلة، بخِلاف القوانين والمناهج الأرضيَّة، وهي بهذا تَرسُم الطريق المستقيم الموصِل للسعادة الأبديَّة في الآخِرة، والراحة والطمأنينة في الدنيا أيضاً، وفي هذه السورة الكريمة خمسةُ دروس سنَقِف على مَرامِيها التربويَّة والإيمانيَّة، لنَصِل إلى فكرة رئيسة مفادُها ضرورة تسبيح الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يريد الله تعالى في هذه السورة الكريمة أن يبيِّن للإنسان أنه إذا لم تحصل له الخشية من الله تعالى فلا يتذكَّر ولا تنفعه الذكرى، ثم لا يُفلح ولا ينال ما أعدَّ الله له من الخير، بل تراه يؤثر الحياة الدنيا غير مُبالٍ بما سيحلُّ به بعدها.

إنَّ سورة الأعلى هي تبيانٌ للمعاني الجليلة التي يَحتاجُها كلُّ مسلم ومسلمة؛ ليفهم وظيفته في هذه الدنيا، والملخَّصة في التزكية والابتِعاد عن الأعمال المسبِّبة للشقاوة؛ لأنها مصدر العناء في الدنيا والآخِرَة، وهذا دستورٌ رباني بيَّنَه ربُّنا في الكتب السابقة منذ عهد إبراهيم وسيدنا موسى (عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ)[1].

محور السورة:

تسبيح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الطريق المستقيم الموصِل للطمأنينة في الدنيا والسعادة الأبديَّة في الآخِرة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. تسبيح الله والإرشاد إلى بعض أفعاله.

٢. البشرى بحفظ القرآن الكريم.

(١) د. بن يحيى الطاهر ناعوس ـ روائع البيان في سورة الأعلى من تفسير ظلال القرآن.
http://www.alukah.net/sharia/0/23110/#ixzz2qqW402Cc.

٣. بين التيسير والتذكير.

٤. الآخِرة خيرٌ وأبقى.

٥. عَراقة الدعوة ووحدة الرسالة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ تسبيح الله والإرشاد إلى بعض أفعاله:

كلُّ ما نَراه في هذا الوجود أمامَنا مَن الذي أوجده؟ جبال، بحار، سماء، أنجم، أقمار، زوجة، أولاد، أنعام.. مخلوقاتٌ كثيرة لا يستَطِيع أيُّ مخلوقٍ أن يُحصِيها مجرَّد الإحصاء فقط، فما بالك بأن يفهم حقيقتها وسرَّ وجودها؟ لهذا جاء السياق مبدوءًا بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ فالتسبيح والتنزيه، والتعظيم والتمجيد، والثناء الأعظم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنَّه الخالق، فلا تملك أيُّها الإنسان إلا أن تُعظِّم خالِقَك وخالق كلِّ شيء.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾.

٢ ـ البشرى بحفظ القرآن الكريم:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾.

بشرى للنبي ﷺ، تُريحه وتُطمئِنه على هذا القرآن العظيم الجميل الحبيب إلى قلبه، الذي كان يندَفِع بعاطفة الحبِّ له، وبشُعُورِ الحرص عليه، وبإحساس التَّبِعَة العُظمَى فيه... إلى تَردِيدِه آيةً آيةً، وجبريل ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ يحمله إليه، وتحريك لسانه به خيفةَ أن يَنسَى حرفًا منه، حتى جاءَتْه هذه البشائر المطمئنة بأنَّ ربَّه سيتكفَّل بهذا الأمر عنه.

وهي بشرى خاصَّة وعامَّة؛ خاصَّة لكونها بشرى للنبي ﷺ، وعامَّة لكونها بشرى لأمَّته من بعدِه إلى يوم الدين، وهذا إشارةٌ إلى صلاحية هذا القرآن الكريم لكلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ أي: عالميَّة الإسلام وديمومته عبرَ العصور والأحقاب، تطمئِنُّ الأمَّة بها إلى أصل هذه العقيدة، فهي من الله، والله كافلها وحافظها في قلب نبيِّها، وهذا من رعايته ـ سبحانه ـ ومن كرامة هذا الدين عنده، وعظمة هذا الأمر في ميزانه.

٣ ـ بين التيسير والتذكير:

طبيعة هذه العقيدة وهذا الدين، وطبيعة الرسول الذي يبلغها والأمة التي تحملها.. طبيعة اليسر والسماحة.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾.

٤ ـ الآخِرة خيرٌ وأبقى: إيثار الدنيا على الآخرة حماقة وسوء تقدير، لا يقدم عليهما عاقل بصير:

وفي ظلِّ هذا المشهَد البياني القرآني مشهدُ النار الكبرى للأشقى، والنَّجاة والفَلاح لِمَن تزكَّى، يَعُود بالمُخاطَبين إلى عِلَّة شقائهم، ومَنشَأ غفلتهم، وما يصرفهم عن التذكُّر والتطهُّر، والنجاة والفلاح، ويذهَب بهم إلى النار الكبرى والشقوة العظمى. فالتحذير من إيثار الدنيا على الآخرة ليس موجوداً في شرعنا فحسب، بل هو على لسان الأنبياء عموماً.

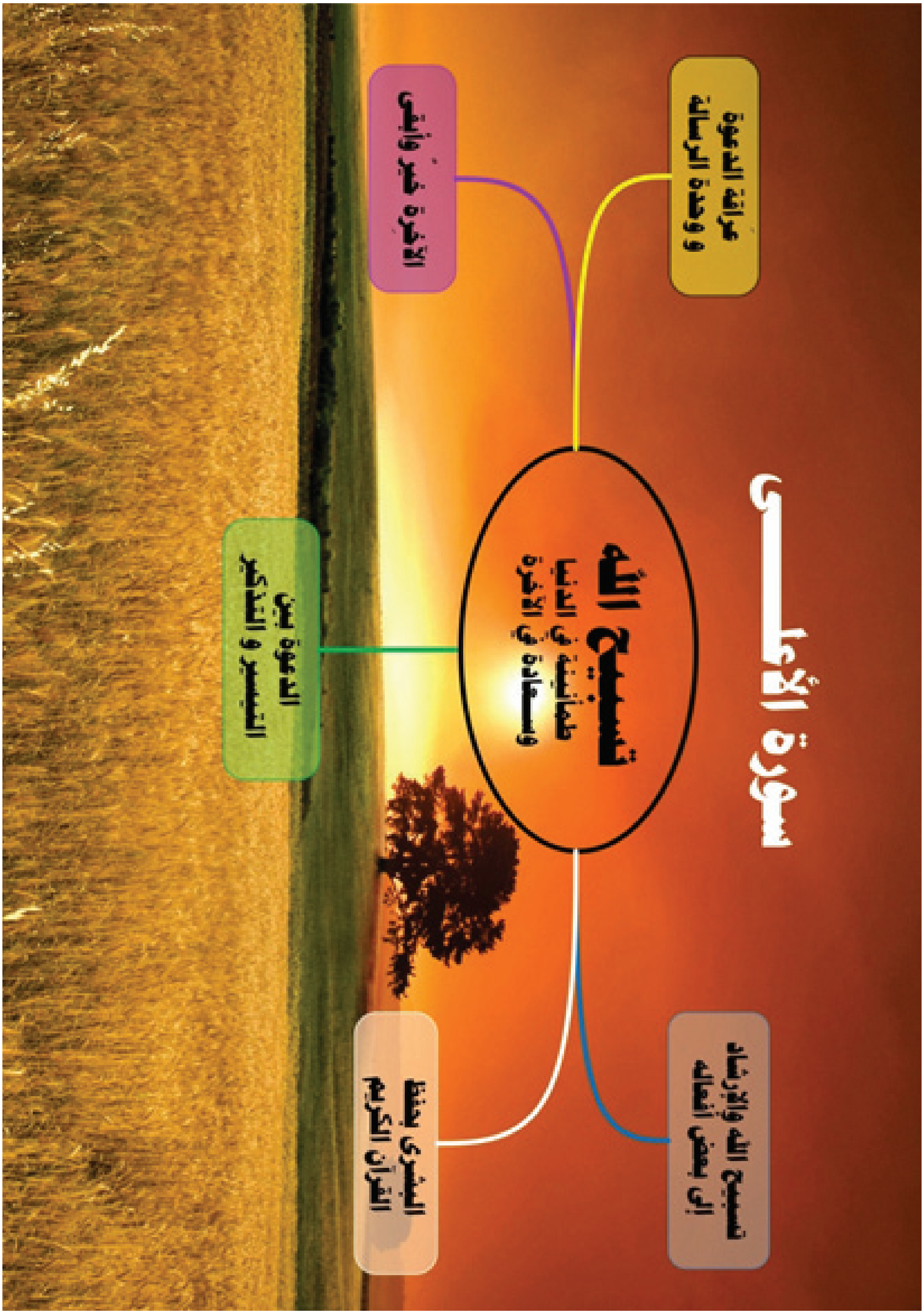
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾.

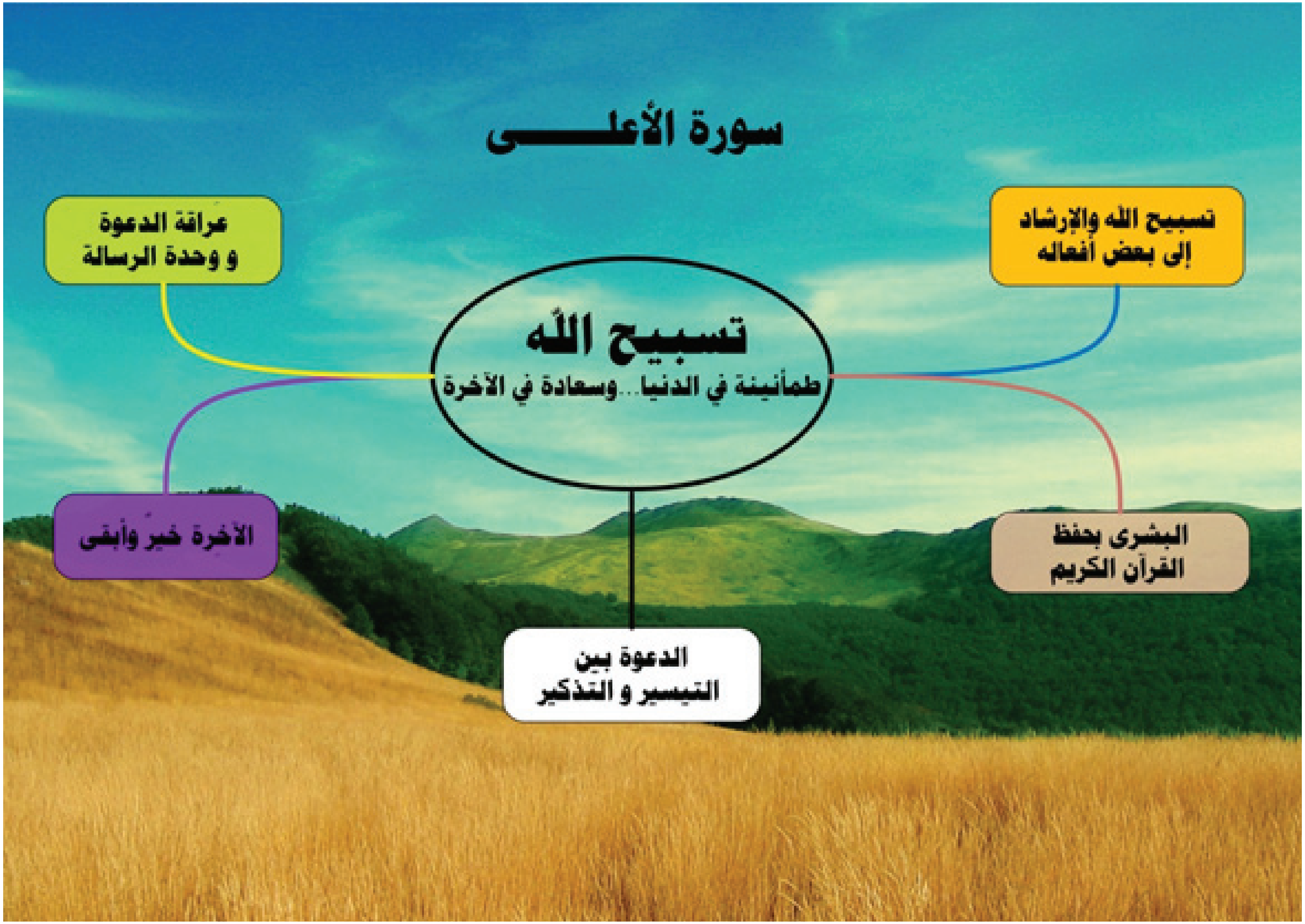
٥ ـ عَراقة الدعوة ووحدة الرسالة:

وفي الختام تَجيء الإشارةُ إلى قِدَم هذه الدعوة، وعَراقة منبتها، وامتِداد جذورها في شِعاب الزمن، وتوحُّد أصولها من وراء الزمان والمكان تمدُّ يداً إلى إبراهيم ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وتمدُّ أخرى إلى سيِّدنا محمد ﷺ مُرُوراً بسيِّدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكلين:


سورة الأعلـــــى
تسبيح الله
طمأنينة في الدنيا
وسعادة في الآخرة
تسبيح الله والإرشاد
إلى بعض أفعاله
البشرى بحفظ
القرآن الكريم
الدعوة بين
التيسير و التذكير
الآخِرة خيرٌ وأبقى
عَراقة الدعوة
و وحدة الرسالة


سورة الأعلـــــى
تسبيح اللّه
طمأنينة في الدنيا...وسعادة في الآخرة
تسبيح الله والإرشاد
إلى بعض أفعاله
عراقة الدعوة
و وحدة الرسالة
البشرى بحفظ
القرآن الكريم
الآخرة خيرٌ وأبقى
الدعوة بين
التيسير و التذكير

سورة الغاشية

رسالة من المولى عَزَّوَجَلَّ لكل إنسان يريد أن يكون داعية ناجحاً، عليه الالتزام بالدعوة على منهج الحكمة والموعظة الحسنة، فحري بالداعية إلى الله أن يتصف بالأخلاق الحسنة حتى يقبل الناس دعوته، ويسمعون لِما يقول.

محور السورة:

مهمة الداعية إلى الله الاجتهاد في دعوة الناس وتذكيرهم وطلب أسباب هدايتهم، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. الإيمان بيوم القيامة وأهواله وعذابه ونعيمه.
٢. أحوال أهل النار وأحوال أهل الجنة.
٣. كثرة التفكر والتأمل في الكون.
٤. صفات الداعية إلى الله.
٥. لا تشق على نفسك في دعوة الناس....ولا تحزن إن أعرضوا...فما أنت إلا مذكر.
٦. إثبات قدرة الله تعالى على البعث، والتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه للحساب والجزاء.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ كثرة ذكر الآخرة وأحوال الناس فيها:

والمداومة على تذكر يوم القيامة الذي يغشى الناس جميعاً بالأهوال والشدائد من الأولين والآخرين، ويشملهم بشدائده، ويكتنفهم بأهواله.ثم معايشة هذه الآيات تلاوةً وتعلماً وتدبراً وصلاة بالليل خاصة، للترغيب والترهيب الدائم للنفس..فلا تغفل، واتعب وانصب لله في هذه الحياة الدنيا قبل أن يصبح التعب والنصب عذاباً في الآخرة. إن كثرة ذكر الآخرة وأحوال الناس فيها للترغيب والترهيب الدائم للنفس فلا تغفل. ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾

٢ ـ المفاصلة المطلقة بين أهل الجنة والنار:

- وجوه خاشعة متعبة مرهقة ذليلة مخبتة من الخجل والفضيحة والخوف والحسرة التي لا تنفع في مثل هذا الوقت؛ عملت ونصبت فلم تحمد العمل ولم ترض العاقبة، ولم تجد إلا الوبال والخسارة، فزادت مضضاً وإرهاقاً وتعباً، فهي: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ عملت لغير الله، ونصبت في غير سبيله. عملت وتعبت لدنياها ولأطماعها. ثم وجدت عاقبة العمل والكد. وجدته في الدنيا شقوة لغير زاد. ووجدته في الآخرة سواداً يؤدي إلى العذاب. وهي تواجه النهاية مواجهة الذليل المرهق المتعوس الخائب الرجاء!

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾.

- وجوه يبدو فيها النعيم. ويفيض منها الرضا. لأن هؤلاء أتبعوا أنفسهم في الدنيا من العمل الذي هو امتثال لما أمر الله به ورسوله ﷺ، وصبروا في سبيل الله، فوجدوا عقباه خيراً. شعور الرضى عن عملهم حين يرون رضى الله عنهم. وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته، ثم يراها ممثلة في رضا الله الكريم. وفي النعيم.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

فكلما زاد ذكر الآخرة في قلبك....كلما زاد عملك، وزال نصبك.

وكلما زاد الحب والتعلق به سبحانه...صار النصب في الطاعة..لذة ونعيم.

فكن سريع الاستجابة والرضا في سعيك إلى الله تعالى.......تكن...ساعياً راضياً إلى جنات الخلد.

٣ ـ التفكر والتأمل في خلق الله :

مشاهد معروضة لنظر الإنسان حيثما كان.. السماء والأرض والجبال والحيوان. إن هذه المشاهد لتوحي إلى القلب شيئاً. بمجرد النظر الواعي والتأمل الصاحي. وهذا القدر يكفي لاستجابة الوجدان واستحياء القلب. وتحرك الروح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق. وإن

كثرة التفكر والتأمل في الكون تزيد من تعلق العبد بخالقه ومبدعه، فيجد في السير والطلب لإرضاء من يحب.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

وهذا يستدعي إعمال الأدوات الحسية؛ من البصر، والسمع وغيرها، واستعمال العقل في الاستنباط. ولهذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يستعملوا هذه الطريقة (التفكر والتأمل في خلق الله)، وأن يحركوا العقول والأذهان لتصبح صالحة لاستقبال دعوة الله.

٤ ـ صفات الداعية إلى الله:

وردت في هذه الآيات جملة من الصفات التي ينبغي للداعية أن يتصف بها بعد الإخلاص لله، وهي: الصبر وعلو الهمة والثبات والتواضع. وكما هي مبينة في الجدول:

	صفة الداعية الناجح	شرح الصفة	﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾
١	الصبر	فخذ من الإبل الصبر والقوة وشدة تحمل المشاق في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.	﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾
٢	علو الهمة	فخذ من السماء علو الهمة، وعزة النفس عن سفاسف الأمور فلا يكون هدفه من الدعوة شهرة أو مال.	﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾
٣	الثبات واليقين	أمامك عراقيل ومشاكل ويجب عليك أن تثبت كالجبال.	﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾
٤	التواضع واللين	فيكون الداعية متواضعاً كالأرض في بساطتها وتواضعها، ولابد أن يكون قوياً في غير كبر، متواضعاً في غير ذل.	﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾

٥ ـ لا تشق على نفسك في دعوة الناس....ولا تحزن إن أعرضوا...فما أنت إلا مذكر:

فإذا كان لدى الإنسان هذه الصفات الأربع فيجب عليه أن يذكر الناس، فإذا لم يسمعوا دعوته فيجب ألا يتهمهم بالكفر أو الإلحاد، ولكن يتهم نفسه بالتقصير، فربما لم يخلص لله في

دعوته، وربما يكون مخلصاً ولكنه غير مقنع. ذكر بهذا وذاك. ذكرهم بالآخرة وما فيها. وذكرهم بالكون وما فيه. إنما أنت مذكر. هذه وظيفتك على وجه التحديد. وهذا دورك في هذه الدعوة، ليس لك ولا عليك شيء وراءه. عليك أن تذكر. فإنك ميسر لهذا ومكلف إياه.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾.

«إن الداعية لا يملك إلا البيان، وإنما الهدى بيد الله: وأثر هذا على نفس الداعية ألا يشعر بالإحباط والخذلان، فينبغي للداعية أن يجتهد في دعوته، وإبلاغها، وألا يشغل باله في النتائج، فذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولو شاء الله لآمن من في الأرض كلهم جميعاً.

فأنت أيها الداعية لا تملك من أمر قلوبهم شيئاً. حتى تقهرها وتقسرها على الإيمان. فالقلوب بين أصابع الرحمن، لا يقدر عليها إنسان، غير أنه ينبغي أن نفهم أن من التذكير إزالة العقبات من وجه الدعوة لتبلغ إلى الناس وليتم التذكير. فأما الجهاد الذي كتب بعد ذلك فلم يكن لحمل الناس على الإيمان، إنما كان لإزالة العقبات من وجه الدعوة لتبلغ إلى الناس. فلا يمنعوا من سماعها. ولا يفتنوا عن دينهم إذا سمعوها. وظيفة الجهاد كان لإزالة العقبات من طريق التذكير،كما تفهم من القرآن ومن سيرة الرسول ﷺ سواء، بلا تقصير فيها ولا اعتداء»[(١)].

٦ ـ قدرة الله تعالى على البعث:

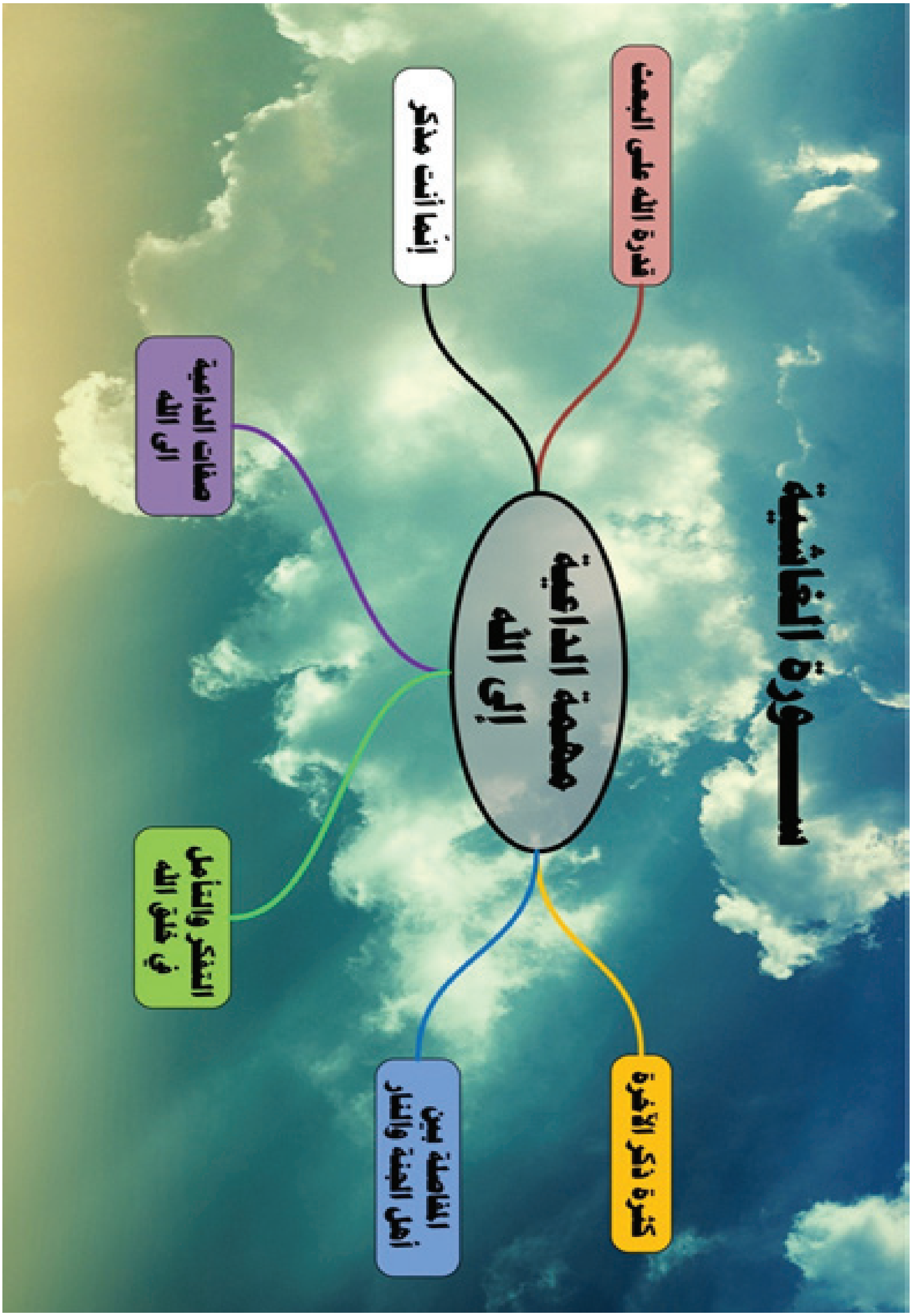
دور كل داعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ.. تذكير الناس وحسابهم بعد ذلك على الله. ولا مفر لهم من العودة إليه، كل هذه الخلائق تؤوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لا يخرجون من سلطان الله، ولا ينفذون من ملكه، ولا محيد لهم من حسابه وجزائه.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ تفسير سورة الغاشية.


سورة الغاشية
مهمة الداعية إلى الله
قدرة الله على البعث
إنما أنت مذكر
صفات الداعية إلى الله
التفكر والتأمل في خلق الله
المفاصلة بين أهل الجنة والنار
كثرة ذكر الآخرة

سورة الفجر



في هذه السورة الكريمة يُريد الله تعالى أن ينبّه الإنسان إلى عواقب سيره ونتائج أعماله، وأن يبيِّن له أنه إن لم يثب إلى رشده ولم ينته عن غيِّه فنصيبه الهلاك والشقاء، كما حلَّ بمن ضرب الله تعالى بهم الأمثال. وإن هو استفاق من غفلته وتلافي أمره قبل موته عاش في راحة واطمئنان، ورجعت نفسه عند فراقها هذه الحياة إلى ربها فرحة مغتبطة بما قدَّمت من أعمال[١].

فقد اشتملت سورة الفجر على ذكر طوائف من الطغاة: عاد وثمود وفرعون الذين هم من الأشقياء، وطوائف من المؤمنين المهتدين الشاكرين نعم الله، الذين هم في عداد السعداء، كما أن سورة الفجر اشتملت على الوعد والوعيد، فعلى ضوء ذلك ننظر إلى أعمالنا لنقيس أنفسنا بأي الفريقين[٢].

إن موضوع السورة يتحدث عن الدول الفاسدة والحضارات المادية البعيدة عن منهج الله تعالى وهي دولة عاد وثمود وفرعون، لأنها اهتمت بتشييد أعظم حضارات مادية في التاريخ البشري،

(١) محمد أمين شيخو http://rchss.com/ar/article.php؟id=٤١٧

(٢) لوحة للخطاط الأمريكي أفرت باربي *everitte.org* .

وكانت من القوة العسكرية والجسدية ما يجعلها تبطش بمن حولها. وقد أجمل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ صور الظلم والطغيان والاستبداد التي صدرت عن هذه الدول الظالمة في أمرين أساسيين هما (الطغيان) و(الفساد)، وفي ذلك دلالة على انهيار دولة القانون أو الأخلاق، فلا يحكم هذه الدولة مبادئ متعارف عليها أو مستمدة من شرع، وإنما يحكمها شريعة الغاب، فالأقوى هو الأقدر على أن يكتسب حقّاً، ويحافظ عليه، وله أن يظلم غيره فيهضم حقوقه، ولا مكان فيها للأضعف إلا الاختفاء أو الاختباء. ولكن الله تعالى بطش بها وانتقم منها، ليكونوا عبرة لغيرهم من الأقوام التي تخلفها. ومن ثم تفجرت سورة الفجر غضباً على هؤلاء الطغاة الذي صب الله عليهم عذابه فكان لهم بالمرصاد.

إن الدول والحضارات التي سارت على هذا النهج لم تستمر طويلاً، فمهما بلغت من القوة العسكرية كقوة الدولة الفرعونية، والضخامة في البنيان كقوم عاد والروعة في المعمار كقوم ثمود، فلا بد وأن يكون مصيرها مثل مصير الأمم التي سبقتها وبلغت أكثر مما بلغت من القوة والشدة والبطش، وقد ضرب لنا التاريخ أمثلة بعاد وثمود وفرعون، ولا تزال هذه الأمم عبرة لما يليها من الأمم، تلك الدول أو الحضارات ظلمت العباد، فعشعش الظلم في جنباتها، وأضحت كالليل الطويل يملأ الكون بالظلمات، وبلغت درجة الطغيان في الفساد، لكن الله كان بها لبالمرصاد.

فمهما بلغت من القوة المادية فإنها إذا لم تبلغ ذات القوة الاجتماعية بتقديم الإعانات والرعاية اللازمة للضعفاء، ولا ترأف لحال المسكين، بل على العكس من ذلك تهضم حقوق الضعفاء، لتأكل ميراث اليتامى أكلاً لمّاً، وتؤمن بفلسفة مادية تقوم على تقديس المال تقديسا جما، فملكها زائل لا محالة، ولذلك تسطر السورة في خاتمتها مشاهد من يوم القيامة يوم العرض على الجليل الكبير؛ حيث يأتي الناس إلى الله تعالى بعد أن انهارت الأرض ودكت حضاراتهم المادية دكّاً دكّاً؛ حيث لا ينفعهم من ذلك غير ما قدموا من عمل صالح تخاذلوا عن فعله في الحياة الدنيا، فيكون المصير إلى جهنم، لتختتم السورة بنداء إلى النفس التي اطمأنت بذكر الله تعالى ولم تأبه إلى مفاتن هذه الدنيا، ولا إلى شواغل هذه الحضارات، فلم يؤثر فيها شيء من نغص الدنيا، ولا تتذكر شيئاً من تعب أو نَصَبٍ، ولا تحزن على شيء فاتها، ولا تعبأ

لبؤس عانت منه، فاطمأنت بذكر الله، واستشعرت فضله، لترجع إلى ربها راضية مرضية، فقد عوضها الله تعالى بخير مما فاتها، لتدخل الجنة وتسكن دولة الرضا في دار النعيم.

فاستبشروا يا أنصار الله، يا أنصار الرسل والأنبياء، يا أصحاب دعوة الحق، فنصر الله آت لا محالة، ومهما طال الليل فلا بد من طلوع الفجر، فاستمسكوا بشعائر دينكم، وادفعوا الباطل دفعا، واعلموا أن الحق في نصرة الضعفاء، والظلم في الجور عليهم، ولا يستقيم أن يجتمع حق وظلم، والله يفصل بين الأهلين يوم القيامة، فاطمئنوا بما أعده الله لكم، ولا تحفلوا بشيء من هذه الدنيا، فالنصر آت[١].

محور السورة:

دعاة... ضد الفساد والطغاة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١ . الاستفادة من سير وتجارب الأمم السابقة.

٢. بيان سنة الله تعالى في تنوع ابتلاء الناس في الحياة الدنيا.

٣. منهجية التعامل مع الابتلاء.

٤ ـ صور من ظلم الطغاة.

٥. مصير الطغاة والتقاة يوم القيامة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ الله يقسم بمخلوقاته:

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾.

إن هذا التمهيد في السورة ذي الأقسام المترابطة ليؤكد حقيقة ظهور هذا الدين وزهوق الباطل أمامه، فالمقسم عليه دلالة تلك الآيات الكونية والشعائر الإسلامية على سنة الله الكونية أنه ناصر دينه لا محالة، شريطة أن ينصره المسلمون، فإذا نصروه في صلاة الفجر فكانوا فيها كما

(١) مقالة بعنوان (سنة الله تعالى في الحضارات المادية ـ سورة الفجر) د. أحمد مصطفى نصير.

رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/1002/65281/#ixzz30Tshh6m7

في الجمعة والجماعات، وحافظوا على بقية الصلوات في المساجد وأحيوا رمضان صيامه وقيامه وحافظوا على شعيرة الحج، فيتبقى لهم عبادة رابعة حتى يقيموا شعائر الإسلام، ألا وهي الزكاة.

لذا فإن أصحاب العقول الذي ينتهون عما نهى الله عنه ويقفون عند حدوده غير متجاوزين ولا معتدين، أولئك هم المؤمنون حقًّا، وهم الذين يفقهون قسم المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمنتظرون لنصره لهم، والمؤمنون به، والواثقون في وعده لهم ووعيده للظالمين.

٢. هلاك الله للأمم الطاغية الكافرة، رغم قوتهم وجبروتهم:

تنتقل السورة بعد هذا التمهيد الرائع إلى ضرب الأمثلة من التاريخ لأشد صور التكبر والطغيان والفساد في الأرض، فيضرب المثال بثلاثة أقوام أقاموا ثلاث دول مثلت نماذج بشرية للدول الفاسدة الظالمة، هم قوم عاد وثمود وفرعون؛ حيث كانوا آية من آيات الله تعالى في إهلاك الظالمين، فلم ينفع عاد شدة خلقهم وطول عمادهم، ولم ينفع ثمود قوة بنيانهم ورفاهة مساكنهم، ولم يغن فرعون كثرة جنده ولا شدة سطوته، فكلٌّ أُخذ بذنبه لما أراد الله تعالى إهلاكهم، فاندثرت دولتهم وهدمت بيوتهم، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾.

والدلالة المستنبطة من السياق أن عذاب الله تعالى لا يأتي الظالمين في الدنيا إلا بعد أن يصلوا إلى مرحلة الطغيان، تلك المرحلة التي يستشعر فيها الظالم أنه قهر الضعفاء من حوله، وأنه وحده الذي يسود، ولا أحد يبارزه في ملكه إلا وقد عصف به، فإذا استشعر ذلك ونسي أن الله قادر عليه، يأتيه عذابه سبحانه. وهذه هي سنة الله تعالى في الطغاة الظالمين المفسدين، يرصد أفعالهم ولا يتركهم هملا، وإنما يؤاخذهم بها ويحاسبهم عليها بعد أن يمهلهم، فإذا أخذهم كان أخذه أليماً شديداً.

وهذا الأمر الذي يعطي دروساً هامة للشعوب الثائرة على الظلم، أنها إذا أرادت أن تبني دولة عادلة على أنقاض دولة ظالمة، فلا يسعها أن تعيد ما فعلته تلك الدولة الظالمة مرة أخرى، وإنما عليها أن تبني الشعوب ليكونوا قادرين على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وتعمير الأوطان بالعلم والإيمان.

٣. منهجية التعامل مع الابتلاء:

لا بد للابتلاء أن يتضمن خيراً وشرّاً، فلا يبتلى المرء بالخير فحسب ولا بالشر فحسب، فقد يُختبر الإنسان بالمحنة والشدة لعلها تحمله إلى الرجوع إلى الله تعالى، والإقبال على التوبة، بعد أن انهمك في الخير والنعمة، فهما ابتلاءان الشدة والنعمة، وكلاهما من الله تعالى. وقد كشف الله تعالى الحقيقة النفسية لبعض العباد، ذلك أنهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى سبحانه لكنهم قد يعترضون على تدبيره للأمور وقضائه وقدره، فهم يقرون لله تعالى بالفضل في الرخاء، ولا يصبرون على الشدة، فهل يقبل منهم مثل هذا الإيمان؟ بالطبع لا يكتمل إلا بعد الإقرار بالقضاء والقدر بالكلية دون أدنى اعتراض.

فهنا يوضح المولى عَزَّوَجَلَّ حقيقة اختباره لعباده بالعطاء والمنع، ويُبيِّن شاكلة أولئك الظالمين المستكبرين كيف أنهم لا يقابلون النعمة بالشكر لله تعالى صاحب الفضل والمن[1].

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾.

٤. صور من ظلم الطغاة:

اختار الله تعالى من صور الظلم التي يفعلها الطغاة والمفسدون أربعاً:

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

يفسرهن منهجهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في إدارة دولتهم الظالمة، هن أسس نظام دولتهم القمعية والاستبدادية؛ حيث تقوم على أربعة مبادئ:

المبدأ الأول: عدم احترام حقوق الإنسان ما لم يكن له مكانة اجتماعية بين قومه، وذلك ثابت في قوله تعالى ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾، فهم يهضمون حقوق الضعفاء.

المبدأ الثاني: عدم الاهتمام بالعمل الخيري، بل وإفشاله ومحاربة القائمين عليه؛ وذلك بيّن في قوله تعالى ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾.

(١) مقالة بعنوان: (نفحات.. بين يدي سورة الفجر) صلاح الدين سلطان، موقع المختار الإسلامي.

المبدأ الثالث: البقاء للأقوى، ولا مكان للضعفاء؛ وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ فتراهم أسرع الناس في أكل أموال اليتامى، كناية عن أكل حقوق الضعفاء قياساً على اليتامى، فيظلمونهم ويأكلون ميراثهم متى سنحت الفرصة لذلك فلا يسمحون وفقاً لقوانينهم أن تشيد مؤسسات خيرية لإطعام المسكين أو فعل الخير للضعفاء، اللهم إلا وفقاً لإجراءات تكفل تقويضها وقتما يشاؤون لأجل المصلحة التي يريدون.

المبدأ الرابع: تعظيم المال، وجعله هدفا يُسعى وراءه، وتعظيم الاكتناز؛ بحيث يكون للمال في ذاته قيمة لا لأجل ما يمكن شراؤه به، ومن ثم الاعتماد على الربا لتحقيق ذلك، ويترتب على ذلك تعظيم الاستثمار المالي على الاستثمار الحقيقي، والاهتمام بالربا على حساب الإنتاج والعمل، ويمكن الاستدلال على ذلك من قوله سبحانه ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾، فحبهم للمال وحسدهم لأهل الإيمان وحقدهم على الضعفاء أعمى أبصارهم عن فعل الخيرات وإعطاء الحقوق لأصحابها، فهم قوم ماديون يعبدون المال ويحفون وراءه.

المبدأ الأول	عدم احترام حقوق الإنسان	﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾
المبدأ الثاني	عدم الاهتمام بالعمل الخيري	﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾
المبدأ الثالث	البقاء للأقوى، ولا مكان للضعفاء	﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾
المبدأ الرابع	تعظيم المال، وجعله هدفا يُسعى وراءه، وتعظيم الاكتناز	﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

٥ ـ مصير الطغاة يوم القيامة:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

قال الشوكاني (كرّر سبحانه الردع لهم والزجر فقال: [كَلاَّ] أي: ما هكذا ينبغي أن يكون عملكم)، والظرف الذي اقترن بالآية هو وقت دك الجبال، والدلالة المستفادة من هذه الآية أن الطغيان والفساد لا يزال وأهل الحق يتصارعان حتى تأتي القيامة، ويأذن الله تعالى لهذه الدنيا

أن تزول، فلا يظن أهل الحق أنهم سوف ينعمون في هذه الدنيا بالعيش في مجتمع يهنأ بمكارم الأخلاق، ويسعد بشيم العادات، وينتصر على الأعداء، إذ لو كان ذلك بحاصل لكان مجتمع النبي ﷺ أولى به منا، وقد عانى في أحد والأحزاب وحنين وتبوك ما عانى.

وهكذا لا يزال الصراع بين أهل الحق والباطل قائماً إلى يوم القيامة، فلو نعم أهل الحق بفترة من الطمأنينة والسلم فإن الوقت يمضي سريعاً ليجابهوا الباطل مرة أخرى، فإذا أهلك الله طائفة من الطغاة والمفسدين خلفهم طائفة أخرى على شاكلتهم يفسدون في الأرض ليجدوا أهل الحق فيدفعونهم

٦ ـ مصير التقاة يوم القيامة:

وضحت الآيات منهجية التعامل مع الابتلاء بسعة الرزق أو قلته، حتى نصل إلى نفس مطمئنة راضية مرضية، ولا يتحقق ذلك إلا بالرضا بالله ربّاً أولاً، ثم الرضا عن الله في قضائه وقدره، خيره وشره، وهو يعني الشكر عند النعمة الأولى واستمرار الشكر مع طول العطاء، والصبر عند الصدمة الأولى واستمرار الصبر مع طول البلاء.

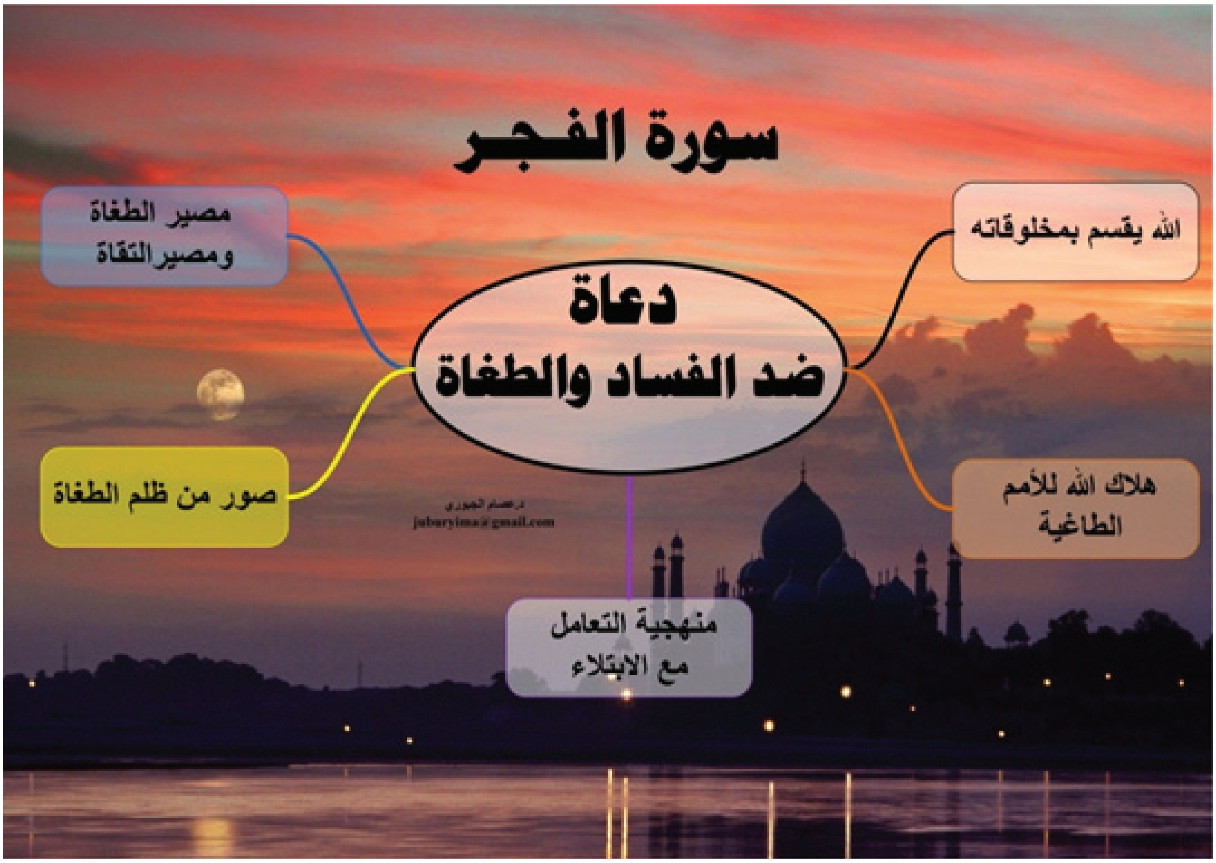
والقرآن كعادته يبين مصير المؤمنين في الآخرة بعدما أبان مصير المستكبرين، إذ يخاطب المولى سبحانه تلك النفس التي اطمأنت بذكر الله تعالى

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾.

تلك النفس التي لاقت من المشقة والتعب والنصب والظلم في الدنيا وفي سبيل الله تعالى ما تحملته وصبرت عليه، ولم يفارقها الإيمان بالله تعالى والرضا عنه، فتعود إلى خالقها وبارئها، وترجع إليه بالرضا التي كانت عليه في الدنيا، وتدخل في الجسد ـ لحظة البعث ـ مرة أخرى، لتجد ما ادَّخره الله لها من نعيم.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكلين:


سورة الفجر
دعاة
ضد الفساد والطغاة
الله يقسم بمخلوقاته
هلاك الله للأمم
الطاغية
منهجية التعامل
مع الابتلاء
صور من ظلم الطغاة
مصير الطغاة
ومصير التقاة


سورة الفجر
دعاة
ضد الفساد والطغاة
الله يقسم بمخلوقاته
هلاك الله للأمم
الطاغية
منهجية التعامل
مع الابتلاء
صور من ظلم الطغاة
مصير الطغاة
ومصير التقاة

سورة البلد

تناقش هذه السورة قضية من أهم القضايا الإنسانية، وهي قضية الحلم بامتلاك القوة والعزة لدى الإنسان، فتبين أن حلم القوة الخارقة لا وجود له في دنيانا هذه، وإنما هي أوهام في أذهان الناس، وليست في العدة والعتاد والتنافس في البنيان، وتبين كيف أن عامة البشر يفشلون في الوصول إلى مصدر القوة الحقيقي، ويقعون في فخ القوة الزائفة المهلكة!

وتقدم له المصدر الحقيقي للقوة الهائلة النافعة وهو «**بناء الإنسان**» وفق منهج الله عَزَّوَجَلَّ.

إن سورة البلد ترشد الإنسان إلى مصدر القوة الحقيقي وإلى ما فيه الفلاح وتجنب العذاب، وهو المجتمع المؤمن الصالح، الذي يكون تجمعه وترابطه على أساس الإيمان بالله ورسالاته والعمل وفق محبته ورضوانه فتكون بذلك علاقة أفراده قائمة على أساس الأخوة في الله، يساند القوي فيه الضعيف!

تبدأ سورة البلد بنفي القسم بمكة (أعظم بلد احتوت أعظم بنيان من الناحية الروحية وهو الكعبة)، لأن أعظم نفس محمد ﷺ مستباحة وغير مطمئنة فيها، فليست العبرة بالمباني والمشيدات وإنما العبرة بالإنسان، وكيف يُقدس المكان وفيه يهان الإنسان؟ فليس للبناء مهما عظم مكانة عند الله إذا أهين الإنسان، فحرمة الإنسان عند الله أعظم من حرمة الكعبة، فهذا أول عنصر في هلاك المجتمع في الدنيا والآخرة.

محور السورة:

بناء الإنسان لتعمير الأوطان.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. الجهد والكبد في الحياة الدنيا.

٢. اغترار الظالمين بقوتهم وبيان سنة الله تعالى في هلاكهم.

٣. اقتحام العقبة وإزالتها لتحرير الإنسان.

٤. حَرِّر نفسك أولاً وقَوِّها بالإيمان والعمل الجماعي.

٥. المفاصلة والتمايز بين أهل الكفر وأهل الإيمان.

شرح الأفكار الرئيسة:

١. الجهد والكبد في الحياة الدنيا:

إن الكبد والعناء طبيعة الحياة الدنيا. تختلف أشكاله وأسبابه، هذا يكدح بعضلاته. وهذا يكدح بفكرة. وهذا يكدح بروحه. وهذا يكدح للقمة العيش وخرقة الكساء. وهذا يكدح ليجعل الألف ألفين وعشرة آلاف. وهذا يكدح لملك أو جاه، وهذا يكدح في سبيل الله. وهذا يكدح لشهوة ونزوة. وهذا يكدح لعقيدة ودعوة. وهذا يكدح إلى النار. وهذا يكدح إلى الجنة.

أن في الأرض ذاتها بعض الجزاء على ألوان الكدح والعناء. إن الذي يكدح للأمر الجليل ليس كالذي يكدح للأمر الحقير. ليس مثله طمأنينة بال وارتياحاً للبذل، واستروا حا بالتضحية، فالذي يكدح وهو طليق من أثقال الطين، أو للانطلاق من هذه الأثقال، ليس كالذي يكدح ليغوص في الوحل ويلصق بالأرض كالحشرات والديدان! والذي يموت في سبيل دعوة ليس كالذي يموت في سبيل نزوة.. ليس مثله في خاصة شعوره بالجهد والكبد الذي يلقاه.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾

والكل يحمل حمله ويصعد الطريق كادحاً إلى ربه فيلقاه! وهناك يكون الكبد الأكبر للأشقياء. وتكون الراحة الكبرى للسعداء(١).

٢. الإنسان المغتر بقوته:

تفند السورة مظانّ الإنسان المغتر بقوته الحقيرة، وتبين له أنه محاط بالعجز والحاجة إلى غيره في جميع مراحل حياته. فينفض الله عنه هذا الوهم نفضاً ويذكره أنه إنسان ضعيف يسري عليه كل ما يسري على باقي إخوانه ممن استضعفهم واستباحهم، فيذكره بأنه إنسان طبيعي يحتاج إلى نعم الله عليه والتي تعينه على المكابدة مثل العين واللسان، وقديماً احتاج إلى ثدي أمه من أجل بناء جسده:

---

(١) سيد قطب ـ تفسير سورة البلد ـ بتصرف.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ
عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾.

٣. اقتحام العقبة وإزالتها لتحرير الإنسان:

ثم تعرض السورة المصدر الحقيقي للقوة وهو المجتمع، وتدعو الإنسان المؤمن لاستغلال كل ذلك في اقتحام العقبة وإزالتها من أمام من لا يستطيع إزالتها، بأن يحرر أخيه الإنسان من ذل العبودية (سواء كانت كلية أو جزئية كعبودية الطعام)، فيخرج للمجتمع إنساناً حراً (نفساً وجسداً) يستطيع أن يخدم ويساعد في بناء المجتمع المؤمن المتماسك، الذي يحمل القوي فيه الضعيف، حتى يزيل عنه ضعفه ويصبح عضواً فاعلاً في البلد، وبذلك تقوى وحدة بناء المجتمع عن طريق تحرر عامة أفراده.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا
مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾.

ونلحظ أن السورة خصت بالذكر: اليتيم والمسكين، وهما من ذكرا في سورة الفجر. وليس هذا فقط هو سبيل القوة والفلاح وإنما التواصي بالصبر وبالمرحمة لازم حتمي، لأن الإنسان مخلوق في كبد!

٤. حَرِّر نفسك أولاً:

قبل أن يُحَرِّر الإنسان غيره، يجب أن يكون ممن حرر نفسه أولاً وقواها بالإيمان والعمل الجماعي، عن طريق التواصي بالصبر وبالمرحمة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾.

وبهذا يحصل الإنسان على مصدر القوة الحقيقي وهو العائلة الكبيرة المتعاضدة المترابطة التي يساند القوي فيها الضعيف، ويحمله إلى أن يصل إلى ما وصل إليه، لا أن يستعبده. فهذه هي العائلة التي تبني البلد الطيب التي يستحق أن يقسم الله عَزَّوَجَلَّ به، كائناً أين كان هذا البلد،

فالعبرة بالإنسان لا بالبنيان![1]

إن الأمة الصالحة، والمجتمع الصالح في ميزان الله، ليسا هي الأمة والدولة التي تعيش في بيوت جميلة وشوارع واسعة، وحدائق غناء، وملاعب حديثة.. وبل قد يكون هذا كله موجوداً وتكون هذه الأمة ملعونة في ميزان الله موصوفة بالظلم والطغيان، والكفر والعصيان.

وكذلك الحال أيضاً في الأفراد، فليس الفرد الصالح أو الإنسان الصالح هو الغني المترف المنعم، العليم بشؤون دنياه، الظريف المنمق، الجميل المتأنق، بل قد يكون الإنسان موصوفاً بهذه الصفات جميعها، وهو لا يزن عند الله جناح بعوضة، كما قال ﷺ: «يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة »[متفق عليه].

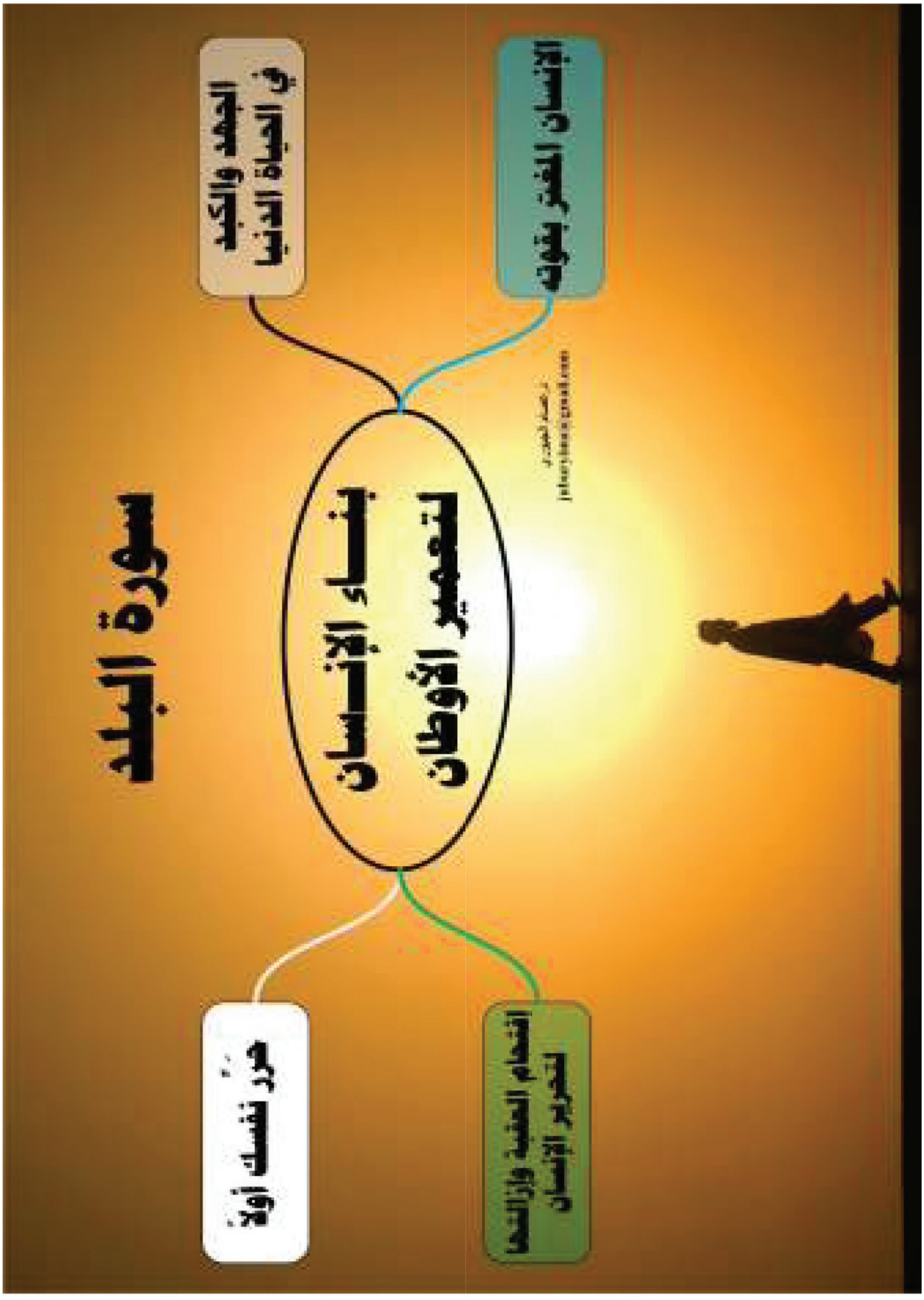
إن الأمة الإسلامية الصالحة هي الأمة التي يكون تجمعها والتئامها وترابطها على أساس الإيمان بالله ورسالاته والعمل وفق محبته ورضوانه فتكون بذلك علاقة أفرادها قائمة على أساس الأخوة في الله، وما تقتضيه هذه الأخوة من التراحم والتعاطف والتعاون والنصرة والموالاة، ويكون تعاملها مع غيرها من أمم الأرض قائماً على أساس من هذه العقيدة أيضاً. فهي داعية للناس جميعاً أن يكونوا إخوة في رحاب الإسلام. وهي تعادي في سبيل عقيدتها وتحارب في سبيلها، وتسالم وتصالح وتعاهد وتهادن وفق هذه العقيدة أيضاً، ومصالحها الدنيوية لإيمانها ودينها[2].

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

---

(١) مقالة بعنوان (سورة البلد، مصدر القوة!) للأستاذ عمرو الشاعر بتصرف http://www.amrallah.com.

(٢) مقالة للأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق.


سورة البلد
بناء الإنسان
لتعمير الأوطان
الجهد والكبد
في الحياة الدنيا
الإنسان المغتر بقوته
حرر نفسك أولاً
لتحرير الإنسان

سورة الشمس



تناولت آيات هذه السورة نظرة الإسلام إلى الإنسان، ثم بينت حقيقة وأهمية النفس البشرية ووجوب العناية بها وتقويمها وتزكيتها، لترقى بصاحبها إلى جنات النعيم. لأن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه. ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال. فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر. كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء. وأن هذه القدرة كامنة في كيانه[1].

إن هذه السورة تتحدث عن ربط ظواهر كونية ببعضها من الشمس والقمر إلى الليل والنهار والسماء والأرض وتمر الآيات سريعة في وصف هذه الظواهر الكونية ثم تأتي الآيات تتحدث عن الإنسان، يعبر عنها القرآن: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ وكأنها تريد أن تعلمنا أن الإنسان هو أهم شيء في الكون كله وأن كل المخلوقات في الكون الفسيح إنما سخّرت لأجل الإنسان فكأنما الإنسان هو المميز بين مخلوقات الله تعالى كلها.

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ سورة الشمس ـ بتصرف.

محور السورة:

طريق المعالي... تزكية النفس[1].

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. القسم بمشاهد كونية على طبيعة النفس الإنسانية.

٢. استعلاء النفس بالإيمان.

٣. الانزلاق في طريق الخسران.

٤. المسئولية الجماعية وراء الطغيان والهلاك.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ـ القسم بمشاهد كونية على طبيعة النفس الإنسانية:

يبدأ الله تعالى في الثماني آيات الأولى بالقسم سبع مرات! قَسَم وراء قَسَم، بكائناته السماوية و ظواهرها. والقَسَم في القرآن له عدة أسباب و تفاصيل، وهنا كان القسم للتوكيد على ما يليه. فالقلب الخاشع يفهم بالتلميح، أما القلب الضعيف فقد يحتاج للتوكيد واستحضار الخشية قبل تلقّي الأوامر. وهذا ليس قَسَم واحد بل سبعة!

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾.

٢ ـ استعلاء النفس بالإيمان:

وبعد القَسَم تبين لنا الآيات أن بذور الفجور والتقوى موجودة ابتداءً داخل الإنسان، وللإنسان والمجتمع الدور في التوجيه والسيطرة والإظهار. ثم ترسم طريق الفوز وطريق الحسرة، فمن نقّى نفسه من المعاصي فقد أفلح، ومن أغرق نفسه في المعاصي فقد خاب وخسر.

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

---

(١) للمزيد أنصح بقراءة: النفس في تحريكها الحياة ـ محمد أحمد الراشد ـ مكتبة الأمة دار ابن حزم ـ الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ.

إن مَدار حركات هذه الحياة متصل بمحور النفس المترددة بين التقوى و الفجور، إن صلحت: كان لها ظل وارف يهب الأمن لصاحبها، و مُتسعاً للآخرين، في امتداد بمقدار هذا الصلاح. وإن فسدت: كان ثَمّ اضطراب، و جحيم من القلق.

إن في النفوس ركوناً إلى اللذيذ والهين، ونفوراً عن المكره والشاق، فارفع نفسك ما استطعت إلى النافع الشاق، ورضها وسسها على المكروه الأحسن، حتى تألف جلائل الأمور وتطمح إلى معاليها، وحتى تنفر عن كل دنية و تربأ عن كل صغيرة.

علمها التحليق: تكره الإسفاف. عرّفها العز: تنفر من الذل.

وأذقها اللذات الروحية العظيمة: تحقر اللذات الحسية الصغيرة.

ولكن لن يتمكن المسلم من أن يذوق هذا الاستعلاء على من في الأرض من القوى الباطلة، والتصورات الباطلة، والقوانين الباطلة، حتى يعلو هو عن الأرض نفسها وقيودها، وشهواتها، وندائها، لذائذها الموهومة.

إنه علو عن الأرض، اسمه في قاموسنا: العزة الإيمانية.

والعزة الصحيحة حقيقة تستقر في القلب قبل أن يكون لها في مظهر دنيا الناس حقيقة تستقر في القلب، فيستعلي بها على كل أسباب الذلة والانحناء لغير الله.

حقيقة يستعلي بها على نفسه أول ما يستعلي، يستعلي بها على شهواته المذلة، ورغائبه القاهرة، ومخاوفه ومطامعه من الناس ومن غير الناس ومتى استعلى على هذه فإن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه، فإنما تذل الناس شهواتهم ورغباتهم، ومخاوفهم ومطامعهم ومن استعلى عليها فقد استعلى على كل وضع وعلى كل شيء وعلى كل إنسان، وهذه هي العزة الحقيقية ذات القوة والاستعلاء والسلطان!

إن العزة ليست عناداً جامحاً يستكبر على الحق ويتشامخ بالباطل، وليست طغياناً فاجراً يضرب في عتو وتجبر وإصرار، وليست اندفاعاً باغياً يخضع للنزوة ويذل الشهوة، وليست قوة عمياء تبطش بلا حق ولا عدل ولا إصلاح كلا! إنما العزة استعلاء على شهوة النفس، واستعلاء على القيد والذل، واستعلاء على الخضوع الخانع لغير الله، ثم هي خضوع لله وخشوع، وخشية

لله وتقوى، ومراقبة لله في السراء والضراء، ومن هذا الخضوع لله ترتفع الجباه، ومن هذه الخشية لله تصمد ما يأباه، ومن هذه المراقبة لله لا تعني إلا برضاه»[1].

٣ ـ الانزلاق في طريق الخسران:

لقد زاد قوم ثمود في طغيانهم حتى كذّبوا بدعوة نبيهم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، و أنكروا عظمة معجزة الناقة. فكان طغيانهم سبباً في وقوعهم في الجريمة الأكبر ثم هلاكهم. و هذا هو التدرّج في الانزلاق في طريق الخسران، إلا من رحم ربي.

فعندما وصل الأمر إلى تحديهم لرسول الله ومعجزته خرج منهم أكثرهم شقاء و طغياناً، أو كما ذكر الطبري في تفسيره: «انبعث لها رجل عزيز عارم، منيع في رهطه». فالذي خرج هو ممثل الطغيان، رجل كبير الشأن له مكانة وقوة في قومه. ورغم إعادة تذكير صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بشرط الله المرتبط بالناقة إلا أنهم قد حسموا أمرهم. ثم تأتي لحظة العذاب التي تستحق التأمل بعناية وحرص.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾.

٤ ـ المسؤولية الجماعية وراء الطغيان والهلاك:

رغم أن الطاغية الكبير في قومه هو من ذبح الناقة، إلا أن القرآن جاء بصيغة الجمع [فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا]. فكان رضاهم بما فعل وسكوتهم عليه مشاركة في الإثم. فكان العذاب الجامع الذي أخذهم دون أن يترك أحداً. فكان إهلاك الإنسان لنفسه، لا بإتيان المعاصي بيده، ولكن بالرضا بالظلم ومباركته، فهو ظلم النفس من خلال اجتماع الأنفس على أمر ما، حينها لا فرق بين من ارتكب الإثم ومن وقف للتهليل.

إن الذي عقر الناقة هو هذا الأشقى. ولكنهم جميعاً حملوا التبعة وعدوا أنهم عقروها، لأنهم لم يضربوا على يده، بل استحسنوا فعلته، وهذا مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في التكافل في التبعة الاجتماعية في الحياة الدنيا. لا يتعارض مع التبعة الفردية في الجزاء الأخروي حيث لا تزر وازرة وزر أخرى. على أنه من الوزر إهمال التناصح والتكافل والحض على البر والأخذ على يد البغي والشر.

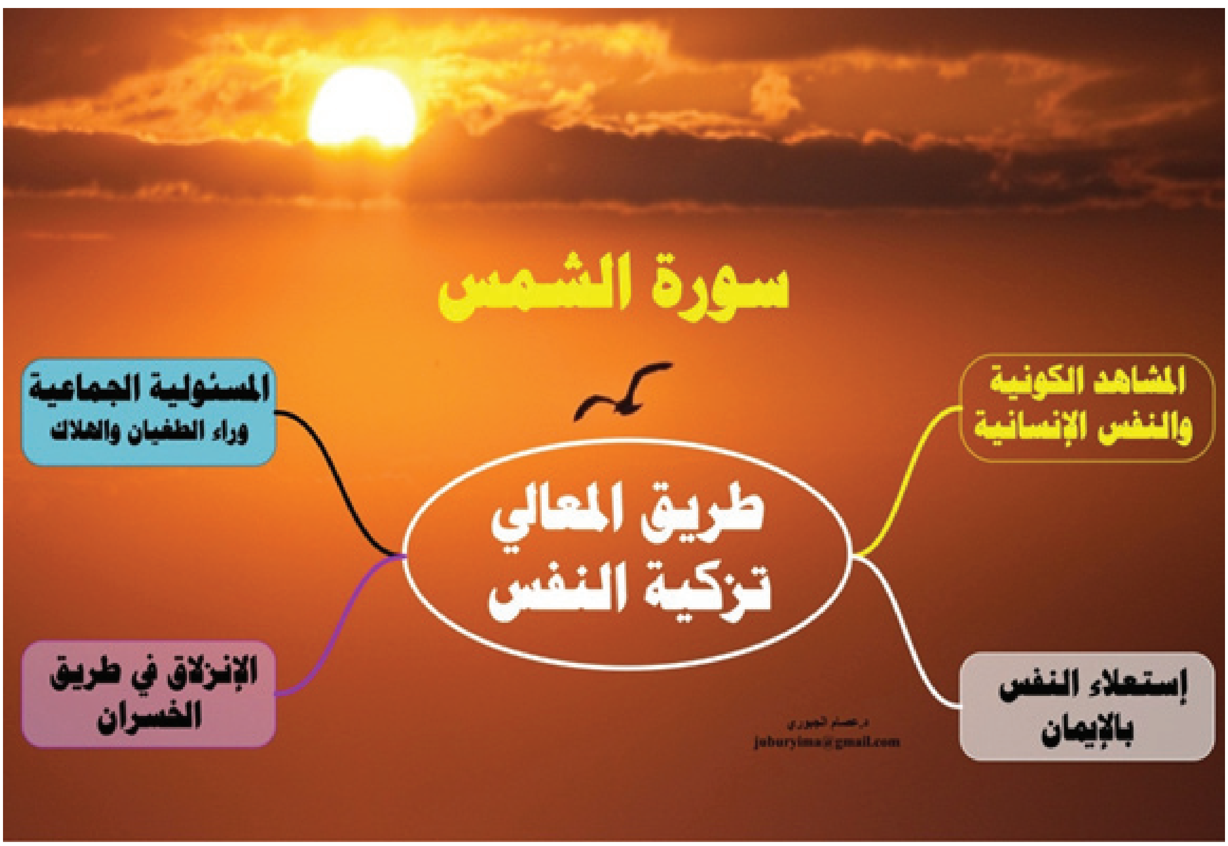
(١) الرقائق ـ محمد أحمد الراشد.

عندئذ تُختم سورة الشمس بذكر نموذج للشؤم الذي حاق بالمكذبين الأقوياء، وهم قوم ثمود، الذين كذبوا الرسول وعقروا الناقة:

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

وإذا كانت السورة السابقة قد ناقشت خاطرة حمقاء، تجول بأذهان كثير من المتجبرين وترسخ في نفوسهم وهي محرك أفعالهم، وهي: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾، فإن هذه السورة تُختم بالقول أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يفعل الفعل ولا يخاف عقباه، لأن كل ما في الكون عبيده وخلقه، وهو وحده القادر على كل شيء.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:




سورة الشمس
طريق العالي
تزكية النفس
المشاهد الكونية
والنفس الإنسانية
استعلاء النفس
بالإيمان
المسئولية الجماعية
وراء الطغيان والهلاك
الانزلاق في طريق
الخسران
jaburyisma@gmail.com

سورة الليل

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل في الأرض خليفةً ليعمرها، ويقوم بالوظيفة التي من أجلها خُلق، ويُؤدِّي الأمانة التي تحمَّلها، وكان لا بدَّ من طريق يسلكه هذا الخليفة حتى يصل إلى مقصوده، ليظفر بمطلوبه، وينجو من مرهوبه.. وفي هذا الطريق عقبات ومُنغِّصات وعراقيل لا بدَّ من تجاوزها، ولن يكون ذلك إلا بالسعي الجاد والعمل المثمر والتجارة الرابحة التي تحتاج إلى الصبر والمجاهدة(١).

إن سورة الليل تتحدث عن سعي الإنسان، ومسألة الاختيار والتكليف، فأثبت الله تعالى تخييره الإنسان بين طريق الخير المؤدي لرضاه وبين طريق الشر المؤدي لمقت الله واستحقاق غضبه، فانقسم الناس إلى قسمين؛ قسم من أهل السعادة وقسم من أهل الشقاء، قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد كتِب مقعدُه من النار ومقعده من الجنة». قالوا: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: «اعملوا فكل مُيَسَّر لما خُلِق له. أما من كان من أهل السعادة: فسيصير لعمل أهل السعادة. وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير لعمل أهل الشقاء». ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾(٢).

فكان الناس في سعيهم شتى وكانت العاقبة في يوم القيامة العظيم.

محور السورة:

أيُّ الغادينَ أنت...؟ من أهل السعادة...أم من أهل الشقاء...؟

(١) إن سعيكم لشتى ـ سعد بن سعيد الحجري ـ دار الوطن للنشر.
(٢) المنذري ـ الترغيب والترهيب ــ الصفحة أو الرقم.٣/ ٢٠٣.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. بيان سنة الله تعالى في تعدد وتنوع سعى بني آدم في الدنيا.

٢. صفات السعداء الإيجابية والأشقياء السلبية.

٣. قانون التيسير والتعسير.

٤. الإنسان بين الجبر والاختيار.

٥. بيان مصير السعداء والأشقياء في الدنيا والآخرة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١. القسم بالليل والنهار والذكر والأنثى:

الليل والنهار إشارة كونية إلى تبدل الأيام ومرور الوقت والزمان ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾وغشاوة الليل تضفي على الكون سكوناً، وجلاء نور النهار يضفي على الكون حركة وسعيا، وبالحركة والسكون يعيش الإنسان على هذه الأرض.

والإشارة إلى خلق الذكر والأنثى كناية إلى فاعلية السعي الذي يسعاه الإنسان ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾، فمبتغى سعي الإنسان في الدنيا إنجاب الذرية التي تخلفه، فإذا ما رأت عينه هذه الذرية ثم تبعتها ذريتها وقر في قلبه شعور باكتمال سعيه، فماذا عليه أن يسعى بعد ذلك!

فإذا كان ذلك بقضاء الله وقدره، ولا دخل له فيه، ولا أحد يقدر أن يزعم غير ذلك، فإن كل سعي يسعاه الإنسان دون ذلك يكون كذلك بقضاء الله وقدره، فلا يشقى إنسان ولا يسعد بسعيه دون أن يكون قدر الله سابق على سعيه، فكان سعي الإنسان من قدر الله وكان قدر الله تعالى هو إطلاق الإنسان من الجبر ليعمل ما يختار.

٢. سعي الناس شتى مختلف:

يقسم الله بهذه الظواهر والحقائق المتقابلة في الكون وفي الناس، على أن سعي الناس مختلف وطرقهم مختلفة ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾، فلا يخرج سعي الإنسان عن أحد طريقين لا ثالث لهما، كما قال ﷺ: «النَّاس غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسه فَمُعْتِقهَا، وَبَائِعٌ نَفْسه فَمُوبِقهَا». وسعي المرء لإدراك رزقه ومصيره الذي كتبه الله تعالى قبل ولادته وقضاه قبل خلقه ضرب من التصديق

بقضاء الله تعالى وقدره، فعليه أن يسعى وهو مدرك أن سعيه لا يستعجل له رزقاً ولا يدفع عنه سوء إلا ما كتبه الله تعالى له أو عليه، وإنما يكون السعي لأجل تحقيق معنى العبادة والتوكل على الله تعالى، أخذاً بالأسباب الشرعية مع كمال اعتماد القلب على الله تعالى[1].

٣. صفات السعداء الإيجابية:

المؤمن الإيجابي هو الذي يعطي ويتقي ويصدق بالحسنى، ويكون قد بذل أقصى ما في وسعه ليزكي نفسه ويهديها. عندئذ يستحق عون الله وتوفيقه الذي أوجبه عَزَّوَجَلَّ على نفسه بإرادته ومشيئته. والذي بدونه لا يكون شيء، ولا يقدر الإنسان على شيء ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾.

وكأن في هذه الآيات قانوناً يُبَيِّن فيه ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سعادة الإنسان أو شقاوته.

وأهل العلم قالوا: إذا عرفت القانون أمكنك أن تتنبَّأ بالنتيجة، ومن فوائد القانون القدرة على التنبّؤ، أيْ أنك إذا رأيت إنساناً مستقيماً، مُقْبلاً، منيباً، طائعاً، مخلصاً، تَتَنبَّأ له الفَوْز، وليس هذا من علم الغيب، ولكن تطبيق هذه الآية يحمِلك على ذلك، تَتَنبَّأ له بالتوفيق، تَتَنبَّأ له بالتفوّق، تَتَنبَّأ له بالحِفظ، تَتَنبَّأ له بالتأييد، تَتَنبَّأ له بكل خير.

فإذا أردت أن تحمل إنساناً على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ بيِّن له، وضِّح له طريق الخير، وضِّح له طريق الشر، وضِّح له نتائج الأول، ثم وضِّح له نتائج الثاني. في ضَوْء هذه الآية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾.

يمكن أن نسمي هذه الآية (قانون التيسير)، إذا كان للتيسر في الحياة الدنيا قانوناً، فيمكن أن تكون هذه الآية قانوناً للتيسير، فإمكانكم أن تتنبَّؤوا للمستقيم بالفوز، وللطائع بالحفظ، وللمحسن بالتوفيق.

إعطاء + تقوى + تصديق بالحسنى = التيسير لليسرى

فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً، إذا كان هذا العبد مُطَبِّقاً لقانون التيسير؛ مِن إيمانٍ بالله، واستقامةٍ على أمره، وعملٍ للصالحات، يأتي المَلَكُ فيُلْهِم العبد أن يفعل كذا وكذا، وكل

(١) مقالة بعنوان: دلالات تربوية على سورة الليل ـ د. أحمد مصطفى نصير ـ شبكة الألوكة.

هذا الإلهامات لصالحه.[1]

ومن يسره الله لليسرى فقد وصل.. وصل في يسر وفي رفق وفي هوادة.. وصل وهو بعد في هذه الأرض. وعاش في يسر. يفيض اليسر من نفسه على كل ما حوله وعلى كل من حوله. اليسر في خطوه. واليسر في طريقه. واليسر في تناوله للأمور كلها. والتوفيق الهادئ المطمئن في كلياتها وجزئياتها. وهي درجة تتضمن كل شيء في طياتها.

أن الإسلام ليس مجرد شعارات ولا شعائر مجردة من الخير المادي الموصول للناس بالعطاء والبذل والتضحية، وإنما ترتهن التقوى به، ولا تتحقق إلا بتحقيق هذا البذل وذلك العطاء والسعي لإدراك مصالح الناس وقضاء حوائجهم

٤ ـ صفات الأشقياء السلبية:

الذي يبخل بنفسه وماله، ويستغني عن ربه وهداه، ويكذب بدعوته ودينه.. يبلغ أقصى ما يبلغه إنسان بنفسه من تعريضها للفساد. ويستحق أن يعسر الله عليه كل شيء، فييسره للعسرى! وإلى كل وعورة! ويحرمه كل تيسير!

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾.

ثم يجعل الله في كل خطوة من خطاه مشقة وحرجاً، ينحرف به عن طريق الرشاد، ويصعد به في طريق الشقاوة وإن حسب أنه سائر في طريق الفلاح. وإنما هو يعثر فيتقي العثار بعثرة أخرى تبعده عن طريق الله، وتنأى به عن رضاه، فتأتي الشياطين فتوسْوِس له، وتوقعه في شر أعماله، فيصبح تدمير الإنسان في تدبيره، وينطبق عليه قانون التعسير.

بُخل + إستغناء +تكذيب بالحسنى = تيسير للعسرى

٥. الإنسان بين الجبر والاختيار:

لقد كتب الله على نفسه ـ فضلاً منه بعباده ورحمة ـ أن يبين الهدى لفطرة الناس ووعيهم. وأن يبينه لهم كذلك بالرسل والرسالات والآيات، فلا تكون هناك حجة لأحد، ولا يكون هناك ظلم لأحد: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾.

(١) خطبة الجمعة ـ تفسير سورة الليل (قانون التيسير والتعسير)، لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٦-٠٧-١٩٩١.

إذن المسألة ليست إلى جبرية محضة وليست إلى اختيار محض، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوجب على نفسه الهدى فقال ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ ومعنى ذلك أنه إذا بيَّن لنا طريق الخير وطريق الشر، فإن ذلك ينفي عنه ـ سبحانه ـ أن يكون قد ساقنا لأيهما رغماً عنّا، لذلك رد رسول الله ﷺ على من فهم هذا الفهم.. إلخ، وقال: (أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل)، فقال له النبي ﷺ: «اعملوا» أي أن العمل له تأثير على جزاء الإنسان الأُخروي، وإلا لما أمر به النبي ﷺ وأمر به القرآن، لكن المعنى المقصود والذي تشير له الآية أن قصد العمل الصالح لابد وأن يقترن معه التوفيق للعمل الصالح، وهذا لا يكون إلا باستعانة العبد بربه.

وهذا هو الهدى الثاني الذي هدى الله به المؤمنين، إذ كان هديه الأول كان للنجدين، والهدي الثاني بتوفيق المؤمن للعمل الصالح، ثم يكون الهدى الثالث بالتوفيق للجزاء الذي انتهى إليه عمل المؤمن الصالح بعد أن يتقبله الله تعالى.

كذلك العكس صحيح حينما يختار المرء طريق الشر فإنه ييسر لعمل الشر فلا يمنعه المولى ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ عنه، وإنما يمده في طغيانه، فيكون ذلك بمثابة الاختيار الحر الكامل، ومن ثم يكون الجزاء من جنس العمل سواء في دار الآخرة أو في دار الدنيا.(١)

٦ ـ مصير الأشقياء:

أن الله كتب على نفسه بيان الهدى للعباد، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعذب أحداً إلا بعد أن يبلغه النذير، وأن له الآخرة والأولى داري الجزاء والعمل. ثم يذكرهم أنه أنذرهم وحذرهم وبين لهم: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾.. وتستعر.. هذه النار المسعرة ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥﴾.. أشقى العباد جميعاً.وهو الأمر الذي يطرح سؤالاً، من هو الأشقى؟ فتجيب الآيات بوصفه بأمرين متلازمين فيه: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ كذب بالدعوة وتولى عنها. تولى عن الهدى وعن دعوة ربه له ليهديه كما وعد كل من يأتي إليه راغباً.

(١) مقالة بعنوان: دلالات تربوية على سورة الليل ـ د. أحمد مصطفى نصير ـ شبكة الألوكة.

٧ ـ مصير السعداء:

هذه الآيات تحض على المعروف شريطة التجرد من حظ النفس، إذ يتعين بذل الخير لمجرد الخير. لأن التقوى مرهونة بخدمة المجتمع لوجه الله تعالى، ودون انتظار لأجر أو شكر، فإن كانت العبادات أحد الوسائل الموصلة لهذا الهدف، فإنها لا تقبل إلا إذا انعكست على سلوك المسلم ليكون نافعاً لغيره، بمعنى أن هذا الخير يتعدى المسلم إلى غير المسلم، ويتعدى الإنسان إلى الحيوان والطير.

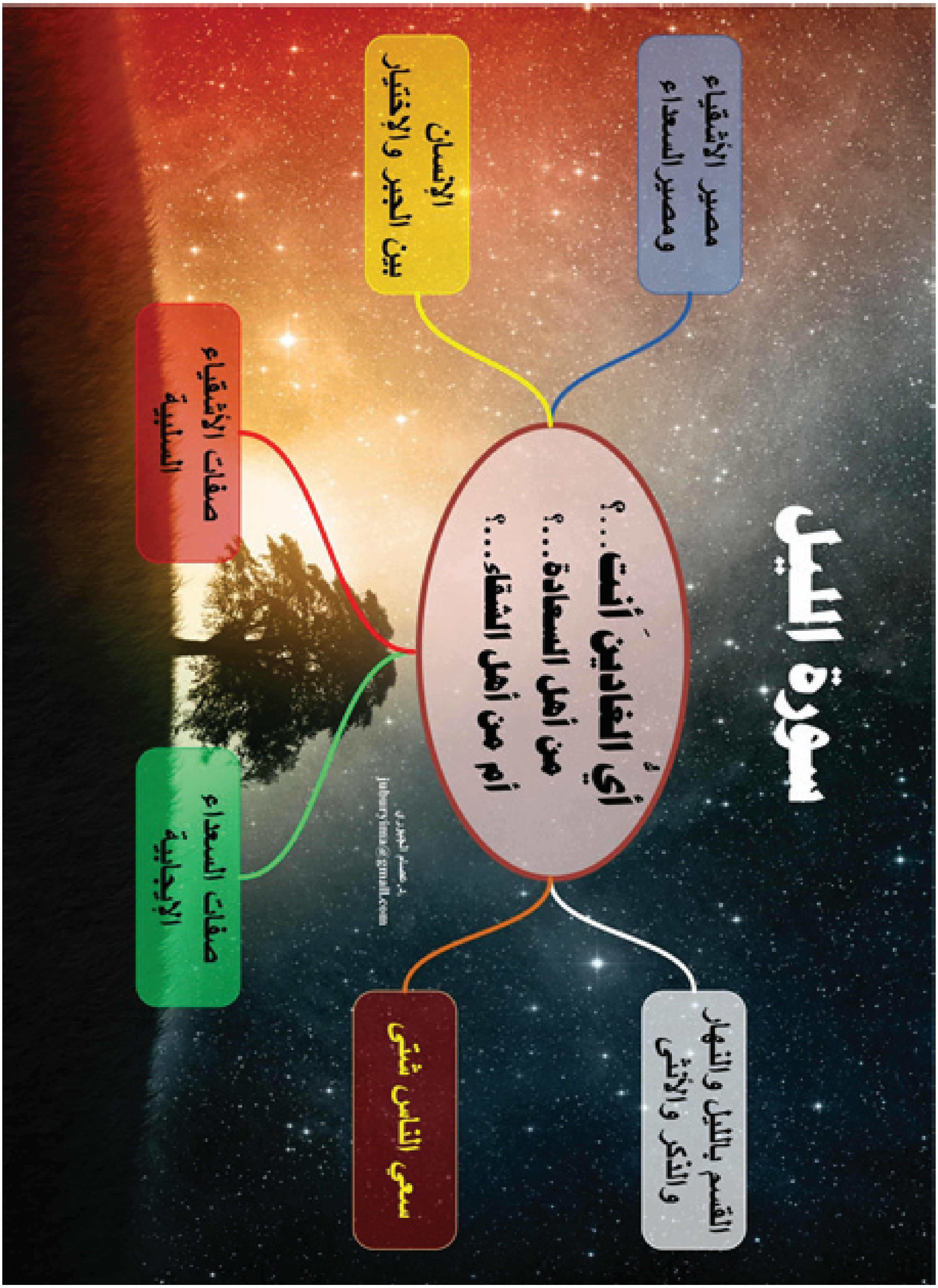
ثم يبين من هو الأتقى: الذي ينفق ماله ليتطهر بإنفاقه، لا ليرائي به ويستعلي. ينفقه تطوعاً لا رداً لجميل أحد، ولا طلباً لشكران أحد، وإنما ابتغاء وجه ربه خالصاً.. ربه الأعلى..

ثم ماذا؟ ماذا ينتظر هذا الأتقى، الذي يؤتي ماله تطهراً، وابتغاء وجه ربه الأعلى؟ إن الجزاء الذي يطالع القرآن به الأرواح المؤمنة هنا عجيب. ومفاجئ. وعلى غير المألوف. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

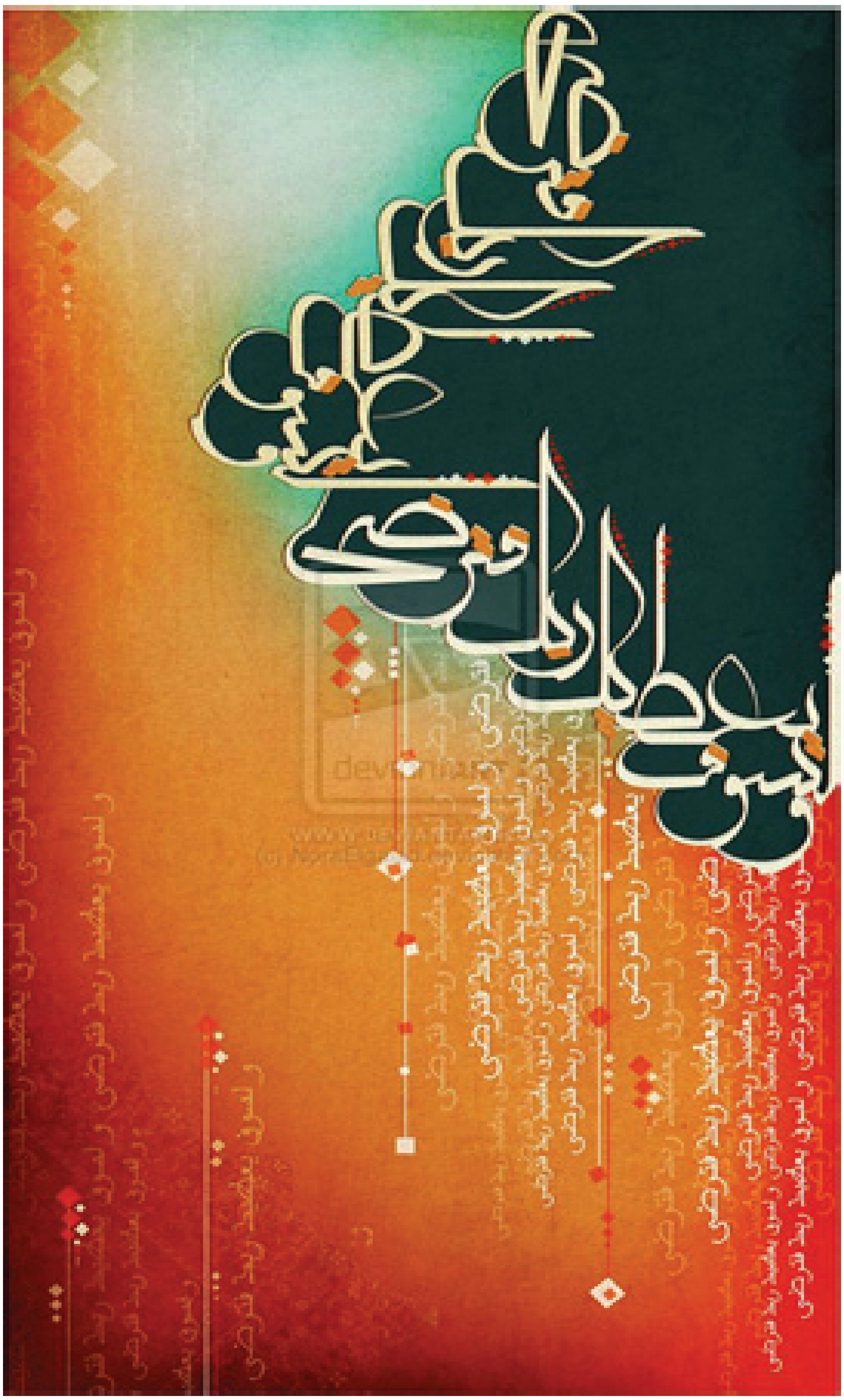
إنه الرضى ينسكب في قلب هذا الأتقى. إنه الرضى يغمر روحه. إنه الرضى يفيض على جوارحه. إنه الرضى يشيع في كيانه. إنه الرضى يندي حياته[١]..

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

(١) سيد قطب ـ في ظلال القران ـ تفسير سورة الليل.


سورة الليل
أيُّ الفاديين أنتَ...؟
من أهل السعادة...؟
أم من أهل الشقاء...؟
مصير الأشقياء ومصير السعداء
بين الجبر والاختيار الإنسان
صفات الأشقياء السلبية
صفات السعداء الإيجابية
سعي الناس شتى
القسم بالليل والنهار والذكر والأنثى

سورة الضحى



في أثناء مكابدة الناس ومعاناتهم يعاني الداعية شر الناس وحديثهم، ويحتاج صلة بالله تؤنسه إذا حزن، وتنير له الطريق إذا أظلم، وتبعث فيها الأمل إذا يئس، وفي هذا السياق جاءت صورة الضحى، تؤنس النبي ﷺ، وتذكر المؤمن الذي نذَر نفسه لله داعياً ولدينه مناصراً، وعلى منهجه سائراً، وتخبره:

قد تَضيقُ عليك الدنيا، وربما يزدريك أهلُها، ويَحصُل لك من الشقاء والجفاء والعناء، فاستشعر معيَّة الله معك، ونُصرته لك، وخيريَّته فيما أختار الله لك. واعلم أن التمكين من لوازمه البلاء والضُّر، فلا تَسخَط وتشكو، بل صَبْر وتفاؤل، وثقة ورجاء.

ثم أبشر يا مغموم! لا تظن أن ما أصابك من هموم هو من غضب مولاك! كلا، إنها لطمات الرحمة تؤدّبك و ترقيك وتنقيك! فأحسن الظن بمولاك!و إذا بالسورة تُعيد الداعية إلى رشده، وتُذكره بنعم الله عليه، وتَفتح له باب الأمل على مصراعيه، وتَؤنسه حال وحدته في الطريق، ففيها أنس للسالك، ورحمة بالداعية، وأمل بنصر الله وتمكينه لدينه ودعوته...

عند قراءة هذه السورة تشعر بأن الآيات تستعرض شريط حياتك بأفراحها و أتراحها! إنها تقلبات الزمان من فقر وغنى وضلال و هدى، إنها تخاطبك وتطمئنك غاية الاطمئنان فتسعد وترتاح روحك، وتتيقن بأن الله لا يضيعك وأنه معك، فلا تجد نفسك إلا مستقبلاً الحياة بالتوكل على الله مع حسن الظن به مستحضراً أن كل النعم التي أنت فيها هي من فضل الله وكرمه عليك. إنها سورة تفيض على الوجدان بالأنس و الطمأنينة! و كأنها نسمة من ريح عليل تهبّ على النفس فتُلَطّف وجدانها.

إنَّ سورة الضحى نزلت لتكون للرسول ﷺ بلسماً، وللدعاة والماضين على طريقته عزاءً، ولا شك أن الخَلْق برمَّتهم لو تركوك وقَلوك، لم يكن ذلك عندك شيء مع معيَّة الله لك، وتأييده الحق الذي معك، أفلا يعي أعيانُ الجيل هذا المعنى العظيمَ في طريقهم إلى الله، فلا يحزنوا ولا ييأسوا ولا يَنكُصوا ولا يَخذُلوا ولا يَرجُفوا ولا يَعسَروا ولا يَهِنوا ولا يحزنوا، بل تَجدهم أوَّابين في شدة المِحَن، دعاة في شدة الفتن، متفائلين في شدة اليأس،مجاهدين في شدة البأس، البِشارة تعلو منطقَهم، والمدد من السماء يُصَب عليهم صبّاً؛ لأن الله معهم ولن يَتِرَهم أعمالَهم[١].

(١) سعيد بن محمد آل ثابت ـ هدايات سورة الضحى- http://www.saaid.net

محور السورة:

كُن إيجابياً... وثق بالله... تهدئة لقلب مكلوم.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. قيمة وأهمية الوقت في حياة المسلم.

٢. مصدر التلقي النَّبْعَين الصافيين: الكتاب والسنة.

٣. البدايات المـُحرِقة تؤدي لنهايات مُشرِقة.

٤. فتّش في ماضيك الجميل.

٥. عملك اليوم تاريخك غداً.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ الوقت في حياة المسلم:

الوقت هو رأس مال العبد الذي يتاجر فيه مع الله، ويطلب به سعادة الدنيا والآخرة، وبقدر ما يفوت من هذا الوقت في غير طاعة وقربة بقدر ما يضيع على العبد من السعادة في الآخرة، وهذا الوقت لا يشترى بمال ولا يسترجع بالآمال.

لقد أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بالضحى بشارةً للحزين الذي أظلمتْ الدنيا في عينيه، يريد الله أن يقول له: الإشراق والنور هو نِهاية المتوكلين على ربهم..ومن جعل السهر رفيقَه.. وظلام الليل أنيسَه، دون أن يعمرَه بالذكر والدعاء والصلاة.. فإنّ شيئاً من الظلام سيبقى في قلبه.!! ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

٢ ـ مصدر التلقي النَّبْعَين الصافيين: الكتاب والسنة:

لا شكَّ أن الله ـ تعالى ـ وليُّ المؤمنين، وهذه الولاية تجدُ معانيَها في النصرة والرعاية، والهداية والإرشاد... إلخ، بَيْدَ أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يختبرُ عباده المؤمنين فيضعهم في مواطن الابتلاء؛ لينظر ماذا يفعلون؟ فإنه رغم ابتلاء الله ـ تعالى ـ للعبد، فهو لا يخرج عن موطن ولاية الله ـ تعالى ـ له، وقد تكلَّمت سورة الضحى عن مثالٍ عملي لهذا الابتلاء.

لكن أحياناً يجد الداعية أن المنبع الذي يستمد منه ما يروي ظمأه قد بَعُد عنه، وذلك حينما تكون المسألة التي يبحث عنها قد استعصتْ عليه فلا يجد حكمَها في الكتاب أو السنة؛ وذلك لقصورِ بحثه، أو أن ثَمَّة حُجُباً لا تزال تَحُول بينه وبين الوصول إلى حكم الشارع ـ سبحانه ـ في تلك المسألة، وهنا يثار التساؤل:

ماذا عليه أن يفعل؟ هنا تجيب سورة الضحى على هذا التساؤل؛ لتؤكد أن المسلم لا بدَّ وأن يستقي أحكام دينه من النَّبْعَين الصافيين: الكتاب والسنة، وأن يقفَ عندهما فلا يأخذ من غيرهما، ولا يحاول أن يجتهد برأيه في مسألة قطع فيها الكتاب أو السنة بحكم غاب عنه، ولم يصل هو إليه.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

عندما انقطع عن النبي ﷺ مصدر التلقي عن الله ـ تعالى ـ (حيث فتر عنه الوحي)، لم يؤلِّف آية أو يخترع سورةً؛ وإنما ظلَّ ساكتاً منتظراً الوحي، رغم استهزاء المشركين به، واتهامهم له بأن شيطانه قد انقطع عنه، إنه كان من الممكن أن يدحضَ افتراءهم عليه بسورة يؤلِّفها أو يخترعها، لكنه لم يفعل، أو أن يتكلَّم بكلام لا يخرج عن إطار ما سبق أن فَهِمه من القرآن من مبادئ، وإنما ظل ساكتاً ليعلِّم البشرية كلها أنه لا ينطق عن الهوى، وإنما هو وحي يوحى، وحتى يَقتَدِي به الدعاة إلى الله في هذا السلوك بأن يسكتَ حينما لا يعلم حكم الله ـ تعالى ـ في مسألة.

٣ ـ البدايات المُحرِقة تؤدي لنهايات مُشرِقة

إن عادة البدايات تكون إرهاصاً للنهايات، والبدايات المـحرِقة تؤدي لنهايات مُشرِقة، فأنت أيها الداعية تَمضي في حياتك مُستبسِلاً تروم حولك الدنيا وشهواتها والآخرة ومكارهها، فتتردَّد في الاختيار وتتجاذُبك الغرائز، فيستمع قلبُك لنداء الإيمان ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾، فلا تَقبل الدنيَّةَ في دينك، ولا تقبل الضيم في مبادئك، ولا تُقدِّم أحداً على قيمك، ودائماً ما يَعترِض شيء في بدايات الدعوات من ضيق وبلاء، فتروم النفسُ مباشرة لتصور الغاية الموعودة بها، فترضى وتستأنِف طاقتَها وقواها في بذْل الخير ودعْم الفضيلة، ونشْر الحق.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾.

قال سيد: «وإنه ليدَّخِر لك ما يُرضيك من التوفيق في دعوتك، وإزاحة العقبات من طريقك، وغَلَبة منهجك، وظهور حقك، وهي الأمور التي كانت تَشغَل باله ﷺ وهو يُواجِه العنادَ والتكذيب والأذى والكيد، والشماتة».

نعم، لقد كانت الآخرة الدنيوية والأخروية خيراً للنبي ﷺ ففي الأولى بدأ حياةَ العناء والمشقة والظلم، ثم هاجر للمدينة فأقام دولة الإسلام فيها، وربَّى الجيلَ الأول، وخرَّج العظماءَ ليتسلَّموا قيادةَ الشرق والغرب، والأخروية فله من الكرامات العظيمة والمقامات الرفيعة والأعطيات الجزيلة يوم القيامة ما ليس يخفى ويُجهَل، ومن ذلك الخير الكثير في نهر الكوثر والشفاعة، وفتح باب الجنة.[1]

٤ ـ فَتِّش في ماضيك الجميل.

تعرض السورة صور فضل الله ـ تعالى ـ على نبيِّه ﷺ. ففيها إشارة للرسول الكريم بأن الله تعالى لا يمكن أن ينساك أو يقلاك، وقد أنعم عليك بكل هذه النعم التي ذكرها من الإيواء والهداية والاستغناء. ذكَّرته بما كان عليه في الصغر، من اليتم، والفقر، والفاقة، والضياع، فآواه ربه وأغناه، وأحاطه بكلئه وعنايته

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

وهنا منهج رباني لكل من لمَس في نفسه اعتراضاً أو جزعاً، فليُعدِّد تلك النِّعم التي لا تُحصى، والهبات التي لا تُعَد، ثم يَنسِبها لربه، ويَشكُره ويَحمَده عليها. فيحسن للإنسان تذكر أيام العسر والضيق لأنه مدعاة للشكر ومدعاة لمعاونة المبتلى أيضاً، لذا يجب التذكير بالماضي وما يتقلب فيه المرء من نعم ليشكر الله تعالى عليها مهما كان في ماضيه من أذى أو حرج أو ضيق، فلا بأس أن يتذكر أو يُذَّكر به حتى يشكر الله تعالى على نعمه فيكون من الشاكرين لله تعالى.

وكأن هذه الآيات تناديك وتقول لك: انظر في واقع حالك، وماضي حياتك. فتش في ماضيك القديم فهو مليء بمِنَنِ الله عليك ورحمته بك وإحسانُه إليك.

---

(١) د. أحمد مصطفى نصير ـ مقالة بعنوان: (دلالات تربوية على سورة الضحى)–http://www.alukah.net

٥. عملك اليوم تاريخك غداً

لقد ختمت السورة بوصية الله لنبيه ﷺ والسائرين على دربه بثلاث وصايا، مقابل تلك النعم الثلاث، ليعطف على اليتيم، ويرحم المحتاج، ويمسح دمعة البائس المسكين:

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾.

جاءت هذه الآيات وكأنها تدلل على صدق موعودات المستقبل بصدق عناية ورعاية الماضي.

إن هذه الوصايا تدل بجلاءٍ أن ما أصابه من فضل الله عَزَّوَجَلَّ حال يُتْمه وفقره وضلاله، لم يكن محضَ صدفة؛ وإنما هو تدبيرُ الله له حتى ينفِّذ تلك الوصايا الثلاث بعد أن مرَّ بتجربتها، فيكون وصاية الله له بحقوق اليتامى والمحتاجين قد وقعت فيمَن يحمل همَّهم؛ لأنه كان من قبلُ يتيماً ومحتاجاً:

- **فأما يتمه، فذلك داعٍ إلى أن يرفقَ باليتيم ويرعاه، ويهتم بأمره فلا يقهره ويظلمه.**
- **وأما فقره، فذلك داعٍ لأن يرفقَ كذلك بالسائل والمسكين، فلا يَنْهَره ويغلظ في معاملته، وبهذين الأمرين ينهض المجتمع على أفراد تم العناية بهم في إطار الأسرة الكبيرة، ألا وهي المجتمع المسلم.**

٦. المظهر العملي للشكر:

التحدث بنعمة الله ـ وبخاصة نعمة الهدى والإيمان ـ هو صورة من صور الشكر للمنعم. يكملها البر بعباده، وهو المظهر العملي للشكر، والحديث الصامت النافع الكريم.

ولما كان الفضل قد زاد على العدل، وكان الله قد أراد لنبيه ﷺ أن يكون من خير إلى خير ومن فضل إلى فضل، أرشده لأن يقابل النعم المتجددة الزائدة على ما تعالج بطاعات مناسبة لها، فختمت السورة بتوصيته r بوصايا ثلاث، مقابل تلك النعم الثلاث، ليعطف على اليتيم، ويرحم المحتاج، ويمسح دمعة البائس المسكين،كما مبين بالجدول:

الآية	النعمة	مقابلة النعمة بالطاعة
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾	تذكير بالنعمة المعنوية، المتعلقة بإيواء النبي ﷺ وهو يتيم الأبوين، وما يقتضيه ذلك من عطف ورحمة وشفقة، بثهما الله في قلب عبد المطلب، وقلب أبي طالب من بعده على النبي ﷺ، وما بث من حب له في قلب حليمة من قبل...	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾
﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾	تذكير بالنعمة العقلية، والهداية من التيه الفكري الذي يتيهه أهل الجاهلية. لقد نشأت في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد، منحرفة السلوك والأوضاع، فلم تطمئن روحك إليها، فهداك الله بالأمر الذي أوحي به إليك إلى أقوم الطرق وأفضل الشرائع.	﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾
﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾	المنة المادية المتعلقة بإخراجه ﷺ من طور العيلة إلى طور الغنى، فأغناك الله، وسدَّ حاجةَ عيالك.	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

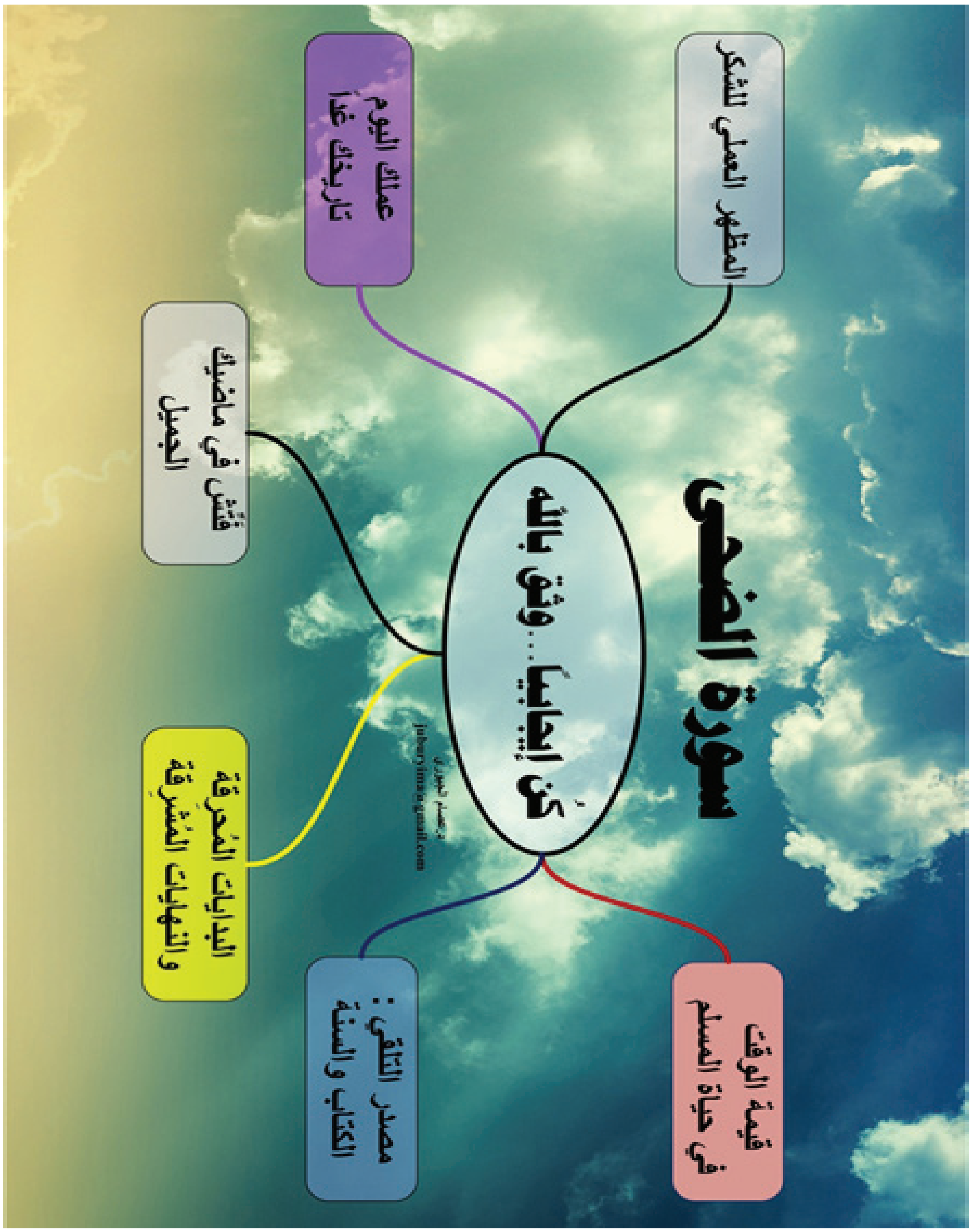
المقصود بالنعمة كل ما أصاب الإنسان من خير في الدنيا فلا يمكن أن نتحدث عن النعمة إلا بعد وقوعها وليس قبل ذلك. والآيات السابقة تذكر نعم الله على الرسول فاقتضى السياق أن يكون التحدث بالنعمة آخراً؛ أي بعد حدوث كل النعم على الرسول ﷺ.

وإذا كان المقصود بالنعمة الدين، فيجب أن يكون التحديث في المرحلة الأخيرة لأن على الداعية أن يتحلى بالخلق الكريم، وفيه إشارة أن الإنسان إذا أتاه سائل عليه أن يتصف بهذه الصفات قبل أن يبلغ الناس عن النعمة (الدين) فعليه أن لا يقهر يتيماً ولا ينهر سائلاً ولا يرد عائلاً، وقد جاءت هذه الآية بعد إسباغ النعم وهو توجيه للدعاة قبل أن يتحدثوا أن يكونوا هينين لينين، فعلى الداعية أن يتحلى بالخلق الحسن ولا ينهر سائلاً.

إنَّ كل داعية يتعرض لأسئلة محرجة أحياناً تكون لغاية الفهم وقد تكون لنوايا مختلفة فعليه أن يتسع صدره للسائل مهما كانت نية السائل أو قصده من السؤال وعلى الداعية أن لا يُستثار

وإلا فشل في دعوته وقد يكون هذا هو قصد السائل أصلاً[١].

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:



(١) د. فاضل صالح السامرائي ـ لمسات بيانية من سورة الضحى.

سورة الشرح



يعيش المؤمنون اليوم في كثير من البقاع ظروفاً ظروف من الشدّة والعسر، وقد يصاب المسلم بالخمول والكسل والاكتئاب، ومن ثَمَّ التخاذل عن القيام بأبسط أمور الحياة.

هذه السورة نزلت في ظروف الشّدة والعسر في مكة (الفترة الصعبة التي كان رسول الله ﷺ والصحابة يَلقون فيها ألوان الاضطهاد والأذى على أيدي عتاة قريش). وهي توحي بأن هناك ضائقة كانت في روح الرسول ﷺ لأمر من أمور هذه الدعوة التي كلف بها، ومن العقبات الوعرة في طريقها ؛ ومن الكيد والمكر المضروب حولها. وتوحي أيضاً بأن صدره ﷺ كان مثقلاً بهموم هذه الدعوة الثقيلة، وأنه كان يحس العبءَ فادحاً على كاهله.وأنه كان في حاجة إلى عون ومدد وزاد ورصيد.

والداعية المسلم لا يصيبه ضيق الصدر إلا إذا خاف على غيرِه المهلكة، فهو دائم الانشغال بقومه وعشيرته وأهله، ويريد أن يأخذ بأيديهم إلى شاطئ السلامة، وطالما لم يَصِل بعد إلى

البَر، فلا يزال مشفقاً عليهم مشغولاً بهم، ويضيق صدره ألا يبذل كل ما في وُسْعه للسباحة بهم إلى الشاطئ، فإذا ما وصل بفضل الله ـ تعالى ـ فنجا مَن نجا وغرِق مَن غرق، فإنه يعود بعد ذلك لانشراح الصدر مرَّة أخرى؛ لأنه قد بذل ما في وُسْعه ولم يدَّخِر شيئاً لأجل هذه الدعوة.

لكنه يحتاج أثناءَ إبحاره في بحر الظلمات، وملاطمةِ الأمواج العاتيات، أن يتقوَّى على السباحة أو المجازفة بشيء من الثقة والأمل في نصر الله ـ تعالى ـ ويحتاج كذلك إلى أن يرى اقتراب الشاطئ منه؛ حتى لا يتكاسل عن السباحة أو التجديف ـ بحسب الأحوال ـ وهو ما قرَّره القرآن بقاعدة: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

وهنا إذا نجا المرءُ من هذه المهالك، فإنه لا بد وأن يستريح، ولكنه إذا استراح جسده، فإن عليه أن يريح روحه بالقيام لله ـ تعالى ـ مصلِّياً، وتلاوة كتابه ـ عَزَّوَجَلَّ ـ متهجداً، ومستيقظاً في آخر الليل بالأسحار مستغفراً، وعندئذٍ يتحقَّق الانشراح في الصدر، ويذوق العبدُ حلاوةَ الإيمان(١).

محور السورة:

هموم الداعية وانشراح صدره بالثقة والأمل في نصر الله.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. الهداية للإسلام والتأهيل لحِمْل أمانة الدعوة إلى الله.

٢. الورع والتخفف من الآفات والذنوب.

٣. بشرى ووعد وبث الأمل والتفاؤل وبعث الهمم في النفوس.

٤. قاعدةٌ وسُنَّة كونية.

٥. ترتيب الواجبات بحسب الأوقات وأهميته في إعداد الدعاة والمصلحين.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ التأهيل لحِمْل أمانة الدعوة الى الله:

الحائر بين الضلالات لا يهتدي إلى أيٍّ منها، وإنما يجد في الإسلام بُغْيَته وهدفه المنشود، فإذا وجده انشرح به صدراً، فانشراح الصدر علامةُ دخول الإسلام قلبَ المؤمن، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ... ۝١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(١) د. أحمد مصطفى نصير ـ دلالات تربوية على سورة الشرح.

ولذلك تجد المؤمنَ منشرحَ الصدر، يعيش مسروراً بحلاوة الإيمان، فيجد في الإقبالِ على الطاعات واجتناب المحرمات حلاوةً لا يعرفها إلا مَن سار معه إلى الله ـ تعالى ـ في طريق الإسلام، فتُصبِحُ التكاليف التي أمر الله بها العبادَ غيرَ ثقيلةٍ على قلب المؤمن، وإنما بالتكليف يسعَدُ العبد وينشرح صدره، وكأن هذا الانشراح الذي يحسه العبد هو نورٌ يقذِفُه الله في قلبه ليثبّته على الطاعة.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾.

فالصدور الواسعة التي شرحها الله، لا تضيق بهموم العمل ومتاعبه، ومهما واجه صاحبها من المشاكل والمتاعب والهموم استوعبتها وتجاوزتها، وتتحول فيها إلى الصبر والثقة والأمل، والاستعانة باللّه.

بخلاف الصدور الضيّقة، التي تضيق بالقليل من الهموم والمتاعب، وتطفح عليها، فتجزع، وتتعب، وتيأس، والانهيار والتراجع والخذلان النتيجة الطبيعية لهذا الضيق، كما إنَّ الصبر، وذكر اللّه، والتوكل على الله هو النتيجة الطبيعية للصدور الواسعة إلى شرحها اللّه.

إن انشراح صدر الداعية إلى الله من المطالب المهمة، من أجل القيام بوظيفته السامية بثبات وحكمة وبصيرة، وبهمة عالية، وعزيمة قوية. فالناصح الأمين، والمرشد الحكيم، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، معرّض باستمرار للأذى الذي يحدِث الهم والحزن والضيق في الصدر، فهو بحاجة دائمة إلى نعمة انشراح الصدر لمتابعة وظيفته، والقيام بأعباء الدعوة إلى الله على بصيرة.

وأوّل ما يحتاجه الدعاة إلى الله في ساحة العمل هو شرح الصدر. أن الذي يحتاجه الدعاة إلى الله على طريق ذات الشوكة أمران: 1 ـ مضاعفة التحمّل. 2 ـ وتخفيف الحمل.

وكلاهما سأل الله تعالى موسى بن عمران في بداية المهمّة، ولكنّه يقدم السؤال الأول على السؤال الثاني، ويطلب من الله تعالى أن يضاعف تحمله أولاً، ثم يطلب من الله أن يخفف له الحمل (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري).

ولا يمكن للداعية أن يدخل ساحة العمل من غير شرح الصدر... وفي الوقت نفسه لا يُزود الله الإنسان بشرح الصدر إلا في ساحة العمل. فليس يكتسب الإنسان شرح الصدر في عُقر بيته، وفي أيام العافية واليسر، وإنما يكتسب شرح الصدر في ساحة المواجهة، وفي أيام الشدَّة والضيق. وبين شرح الصدر وساحة العمل علاقة تبادلية «جدليّة»، وهي واحدة من سنن الله تعالى في ساحات المواجهة وأيام العسر والشدّة.

٢ ـ حِمْل الدعوة إلى الله:

لا شك أن حِمْل الدعوة ثقيلٌ ويُنقِض الظهر، وينبغي على الدعاة في سبيل الله ـ تعالى ـ أن يُحِسُّوا بعِظَم هذه المسؤولية؛ لذا خفَّف الله عن نبيِّه ﷺ همومَ هذه الدعوة، فقد كان النبي ﷺ يستشعر أعباء هذه المسؤولية ووِزْرها، وكأنه يحمل أمَّتَه على ظهرِه الضعيف، الذي كاد ينقسم من هذا العبء، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾، وفي هذه الآية إشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ سوف يُخفِّف هذا الحمل كذلك عن عاتق الدعاة الذين يتَّبِعون سنة نبيهم ﷺ.

٣ ـ بشرى ووعد:

بث الأمل والتفاؤل وبعث الهمم في النفوس، بشارة من الله ـ تعالى ـ لنبيِّه ﷺ ولمَن اتَّبع هداه، بالنصر والتمكين. ومن نصرتِه لهم أن يرفع شأنَهم بين الناس بعد أن يصبروا على البلاء وإيذاءِ المُعرِضين، فلا يضرُّهم ما يصيبهم من إيذاءٍ طالما أن نصر الله كائن له لا محالة.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾.

إن هذه الآية في ظاهرها خاصة بالنبي ﷺ، وللمسلم من هذه الآية نصيب: يا أيها المؤمن إذا عرَّفت الناس بالله عَزَّوَجَلَّ، وكان همك تعريف الناس بالإسلام، وهدايتهم إلى الالتزام بتعاليمه والعمل بتشريعه، فلا بد أن يرفع الله ذكرك على قدر إيمانك، وعلى قدر كرامتك، وعلى قدر إخلاصك.

٤.. قاعدةٌ وسُنَّة كونية:

قاعدة اليسر الذي يأتي مع العسر قاعدةٌ وسُنَّة كونية من سنن الله في التاريخ، لا تتبدل إلى يوم القيامة ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

«العسر» و«اليسر» سُنَّتان إلهيتان حتميتان، ووعي هاتين السنتين يُمكّن الإنسان من الانتفاع بهما والإفادة منهما، فإن الناس، كل الناس، يخضعون لسنن اللّه، وعَوا هذه السنن أم لم يعوها، غير أن الذي يعي السُنَّة يتحملها وينتفع منها بشكل أفضل. والذي لا يعي السنة تشق عليه «إذا كانت ابتلاءً»، ويخسر كثيراً من مواقع الاستفادة من هذه السنن.

لا تغتمّ أيّها الداعي إلى الله، فالمشاكل والعقبات لا تبقى على هذه الحالة، ودسائس الأعداء لن تستمر، وشظف العيش وفقر المسلمين سوف لا يظلّ على هذا المنوال. إنَّ الذي يتحمل الصعاب، ويقاوم العواصف سوف ينال يوماً ثمار جهوده، وستخمد عربدة الأعداء، وتحبط دسائسهم، ويتمهّد طريق التقدم والتكامل ويتذلل طريق الحق.

إنَّ وعي هذه السُنَّة ينفع العاملين الدعاة إلى الله كثيراً. ومن يعرف أن من بعد العسر يسراً لا يستغرقه العسر، ولا يسقط في العسر. فكلّ معضلة ممزوجة بالانفراج، وكلّ صعوبة باليسر، والاقتران قائم بين الاثنين أبداً.

وهذا الوعد الإلهي يغمر القلب نوراً وصفاءً. ويبعث فيه الأمل بالنصر، ويزيل غبار اليأس عن روح الإنسان.

٥ ـ ترتيب الواجبات في حياة الدعاة:

هذهِ خُطَّةٌ لحياةِ المسلم، وُضِعت للنبيِّ ﷺ، وهي: فإذا فرغتَ من عملٍ ديني فانصب لعمل دنيوي، و إذا فرغت من عملٍ دنيوي فانصب لعملٍ ديني أخروي، فالمسلم يحيا حياةَ الجدِّ والتَّعب، فلا يعرفُ وقتاً للهوِ والبطالةِ قط. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

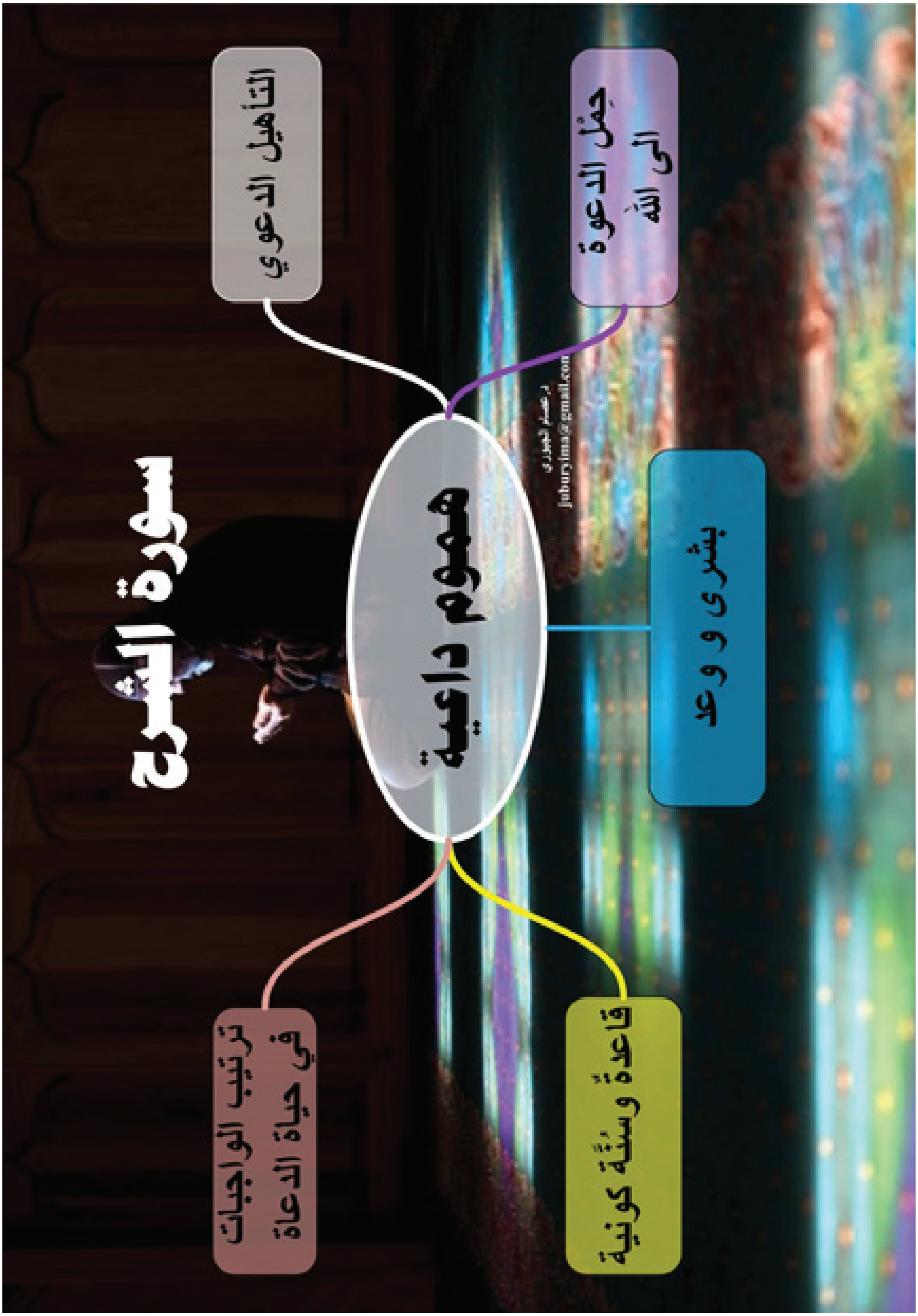
أيها الداعية: إذا انتهيت من أداء أمر مهم فابدأ بمهمّة أخرى، فلا مجال للبطالة والعطل. كن دائماً في سعي مستمر ومجاهدة دائمة، واجعل نهاية أية مهمّة بداية لمهمّة أخرى.

وما أعظم العطاء التربوي لهذا الحثّ في هذه الآية، وكم فيه من معاني التكامل والانتصار!!
البطالة والفراغ من عوامل الملل والخمول والتقاعس والاضمحلال. بل من عوامل الفساد والسقوط في أنواع الذنوب غالباً.

ولما كانت أحوال الداعية البصير تتنوع بتنوع الظروف المحيطة به، وتكاليف الدعوة هي أيضاً بحد ذاتها متنوعة، ولئلا يصاب الداعية بالملل أو الضجر جرّاء ما يلاقيه، ولكي يستمر قائماً بأعباء الدعوة مطمئناً، فلا بد من المعاودة طلباً للمجاهدة. وهنا يُبَصِّر الله عبدَه ونبيَّه وكل من سار على نهجه بواجب آخر خلاف مسؤولية الدعوة، وإنما هو أحد شرائط التأهيل لحمل مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى، وذلك بجملة شرطية (إذا فرغت)، وجوابها **(فانصب)**... **(فارغب)**.

فلا يفرغ الداعية المسلم من شوط من العمل الدعوي حتّى يدخل شوطاً آخر... ولا يسمح لحرارة العمل أن تبرد. فإن حرارة العمل إذا خفت في فترات الاسترخاء فليس من اليسير استعادة حرارة العمل من جديد... وللحرارة والبرودة في الحركة والعمل والنشاط قانون ونظام، كما أن لهما قانوناً في الفيزياء.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الشرح
هموم داعية
التأهيل الدعوي
حمل الدعوة الى الله
بشرى و وعد
ترتيب الواجبات في حياة الدعاة
قاعدة وسنّة كونية
juburyima@gmail.com

سورة التين

تعرض هذه السورة هي حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها، واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإيمان، والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها. وهبوط الإنسان وسفوله حين ينحرف عن سواء الفطرة واستقامة الإيمان. ثم تتحدث السورة عن نعم الله تعالى على خلقه كلهم، وكيف أنه أمدهم بالغذاء المادي والروحي، الذي يحتاجونه، وصورهم في أحسن صورة، وأنسب قامة، وزوده بالعقل والجوارح، والأحاسيس، والمشاعر، وبالقدرة على اكتساب المعارف والمهارات، كما زوده بالإرادة الحرة، وبغير ذلك من الصفات والمواهب والقدرات التي تعينه علي القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، وعلى الرغم من هذا كله، فقد انتكس الإنسان المتدسي وأضاع نفسه، أما المؤمنون فهم في نعيم مقيم. ثم تطرح السورة السؤال المنطقي: ما الدافع لتكذيبك أيها الإنسان بالدين؟ هل سيتركك الله، الذي خلقك في أي صورة ما شاء، وأعد لك كل هذا الكون، بدون أن يعرفك مراده منك؟

محور السورة:

مصير الإنسان بين التكريم والخذلان بفعل الإيمان.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. تكريم الله عَزَّوَجَلَّ لقيمة الإنسان وخلقه على أجمل وأبدع صورة.

2. بيان حقيقة الإيمان وصحته ودلالته بالعمل الصحيح.

3 . بيان أثر الإيمان في تحديد مصير الإنسان بين التكريم أو الخذلان.

شرح الأفكار الرئيسة:

١. الفطرة بين الثبات والتغيير:

حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها، واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإيمان،

والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها. وهبوط الإنسان وسفوله حين ينحرف عن سواء الفطرة واستقامة الإيمان.

رمز ثمرة التين إلى نوع من الفاكهة طيب وشهي ومفيد لكنه سرعان ما يفسد، وفي إشارة قرآنية لطيفة إلى الفطرة السليمة التي خلق الله تعالى الناس عليها فلا تتبدل ولا تتغير، ألا وهي الإسلام، بيد أن هذه الفطرة قد تظل ثابتة كما هي لا تتبدل أو تتغير، وقد يعتريها ما يعتري ثمرة التين من الفساد والعطن فتفسد، وهنا ترمز السورة للفطر السليمة والفطر التي تفسد بمرور الزمان:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾.

ويمكن أن نرمز لمن يبدل دينه أو أن ينتكث عن فطرته السليمة بتلك الفاكهة الطيبة، التي تتغير وتتبدل هيئتها من الطازجة إلى الفاسدة في وقت قصير. ومع أنه ينتفع به رطباً ويابساً، فهو مع ذلك في سرعة فساده وسوء تغيره أسفلها رتبة وأردؤها مغبة، فهو كالفطرة الأولى في مبدئه سهولة وحسناً وقبولاً لكل من الإصلاح والتغير، بحيث إنه لا ينتفع بشيء منه إذا تغير، وغيره من الفواكه إذا فسد جانب منه بقي آخر.

وفي المقابل نجد صورة الثبات على الحق في ثمرة الزيتون حيث يرمز الزيتون إلى ثبات الهيئة وعدم تغير الحال، فهو خير إدام ينتفع به الناس كمؤنة لفترات طويلة من الزمان، قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» [٧]، يقول الإمام البقاعي: «ولما كان الزيتون في عدم فساد يطرقه أو تغير يلحقه، وهو إدام ودواء مع تهيئه للنفع بكل حال.. وغير ذلك من المنافع... كالمؤمن»، ولذلك مدح المولى سبحانه شجرة الزيتون وضرب بها المثل على الهدى والنور، فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾ [النور].

٢. ترابط الشرائع السماوية:

أيضاً لو تأملنا في هذا النص ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾ وهذه الأقسام الأربعة، لوجدنا بينها ترابطاً عجيباً؛ إذ أنها تشير إلى مواطن الرسالات السماوية الكبرى:

- **فالتين والزيتون: تنبت في أرض الشام، وهي موطن أكثر أنبياء بني إسرائيل، ومنهم عيسى ابن مريم** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.
- **وأما طور سينين: فهو الموضع الذي أرسل منه موسى** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.
- **وأما البلد الأمين: فمكة، موطن أشرف الرسالات؛ رسالة محمد** ﷺ.

ففي هذا النص إشارة إلى:

أولاً	الترابط بين الملل والشرائع السماوية الكبرى، وهي: دين موسى ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ ، ودين عيسى ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ ، ودين محمد ـ صلى الله عليهم جميعاً وسلم ـ ودينهم جميعاً هو الإسلام. ولهذا لا نقول: اليهودية، والنصرانية، أديان سماوية ـ كما يقول بعض الناس ـ فإن موسى ـ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ لم يبعث باليهودية، وعيسى ـ عليه السلام ـ لم يبعث بالنصرانية، وإنما بعثوا جميعاً بالإسلام.
ثانياً	ذكر البلد الأمين في نهاية القَسَم إشارة إلى ترابط النبوات وأن الأنبياء إخوة كما قال ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» [رواه مسلم].
ثالثاً	تأكيد ختم الرسالات والنبوات لمحمد ﷺ حيث جاء ذكر البلد الأمين في نهاية القسم.
رابعاً	تأكيد معنى الوراثة أي وراثة النبي للأنبياء كلهم فقد جاء ليجدد شرائعهم وقد كان ﷺ يقول: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى» ولدعوة إبراهيم علاقة قوية بالبلد الأمين. فالقسم بالبلد الأمين ليس إشارة إلى محمد المبعوث في البلد الأمين فحسب وإنما إشارة إلى إبراهيم أيضاً وأن محمداً هو مجدد ملة إبراهيم ومحيي دينه.

خامساً	إن دين محمد ﷺ لما كان خاتماً وناسخاً للشرائع لا يدخله التبديل ولا التحريف ولا النسخ وبقي بصفائه ونقائه فقد جاء القسم المتعلق بهذه النبوة ومكانها بوضوح بعيداً عن اللبس وغموض المعنى. ولم يذكر (البلد) مطلقاً بغير قيد ولا تحديد كما في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ الذي يمكن أن يصدُق على أي بلد، ولم يقل: **(وهذا البلد)** فحسب لأنه يحتمل أن يقع من الناس نوع من التساؤل عن مرجع الإشارة ولم يقل: **(البلد الأمين)** فقط ولكنه أشار إليه وسمّاه ووصفه بما يزيل كل التباس. وإذا كان المفسرون اختلفوا في تحديد التين والزيتون وطور سينين فإنهم لم يختلفوا في أن البلد الأمين هو مكة.
سادساً	وأنت تقرأ السورة وفي مقدمتها هذا القسم أن هذه المواطن التي أقسم الله تعالى بها يجمعها خاصية ظاهرة وهي أنها أماكن تكاد تجتمع فيها أهم الحوادث والصراعات بين الأمم والطوائف الدينية. ولذلك يتقوى أن نربط بين ما أقسم الله به في هذه السورة وبين مشاهد الحوادث في هذه المنطقة لا سيما إذا استدعينا بعض النصوص النبوية التي يذكر فيها النبي ﷺ أرض الشام وأرض المحشر والمنشر وأرض الميعاد وأرض الطائفة المنصورة وأرض المجاهدين في سبيل الله إلى قيام الساعة حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال مما يعطي المؤمن شعوراً أن هذا القسم هنا له امتدادات ومعانٍ عميقة قد يُدرك الناس طرفاً منها بالتأمل[١].

٣. احترام قيمة الإنسان كإنسان بغض النظر عن معتقده أو مكانته:

الحقيقة الرئيسية البارزة في السورة هي: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

ومنها تبدو عناية الله بخلق هذا الإنسان ابتداء في أحسن تقويم. والله عَزَّوَجَلَّ أحسن كل شيء خلقه. فتخصيص الإنسان هنا وفي مواضع قرآنية أخرى بحسن التركيب، وحسن التقويم، وحسن التعديل.. فيه فضل عناية بهذا المخلوق.

وإن عناية الله بأمر هذا المخلوق ـ على ما به من ضعف وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد ـ لتشير إلى أن له شأناً عند الله، ووزناً في نظام هذا الوجود. وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق، سواء في تكوينه الجثماني البالغ الدقة والتعقيد، أم في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب.

(١) إشراقات قرآنية للشيخ سلمان العودة.

والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية. فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها. إذ أنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين.

وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنساني؛ فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين. كما تشهد بذلك قصة المعراج.

٤ ـ قيمة الإيمان في حياة الإنسان:

تتجلى قيمه الإيمان الكامل في حياه الإنسان المكرم الذي جعله الخالق سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ مخلوقاً ذا إرادة حرة، حتى يُؤجر على كل خير يفعله، ويجازى على كل خطا يقترفه، وهيأه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لذلك تهيئة كاملة بالروح والنفس، والعاطفة والعقل، وبمختلف الحواس، وجعل حرية الاختيار عنده من مناطات التكريم ووسائل التقييم لعمله، فكلما التزم الإنسان بالمنهج الذي وضعه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ له، واستقام عليه وصل إلى درجات من الكمال الإنساني الذي لا يقوى كثير من الخلق على الوصول إليه.

إن هذا الإنسان مهيأ حين ينتكس لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط، حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم لاستقامتها على فطرتها وإلهامها تسبيح ربها وأداء وظيفتها في الأرض على هدى.

إنَّ النفس إما أن تُزكى وتُدس، فإن استجابت لمتطلبات الجسد دون ضابط من الشرع فإنها بلا شك سوف تهبط إلى أسفل سافلين، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾.

وأما المؤمن الذي يعمل الصالحات فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد عصمه بإيمانه، وعمله الصالحات، فكافئه بالأجر غير الممنون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾.

فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال في دار الكمال. (فلهم أجر غير ممنون) دائم غير مقطوع.

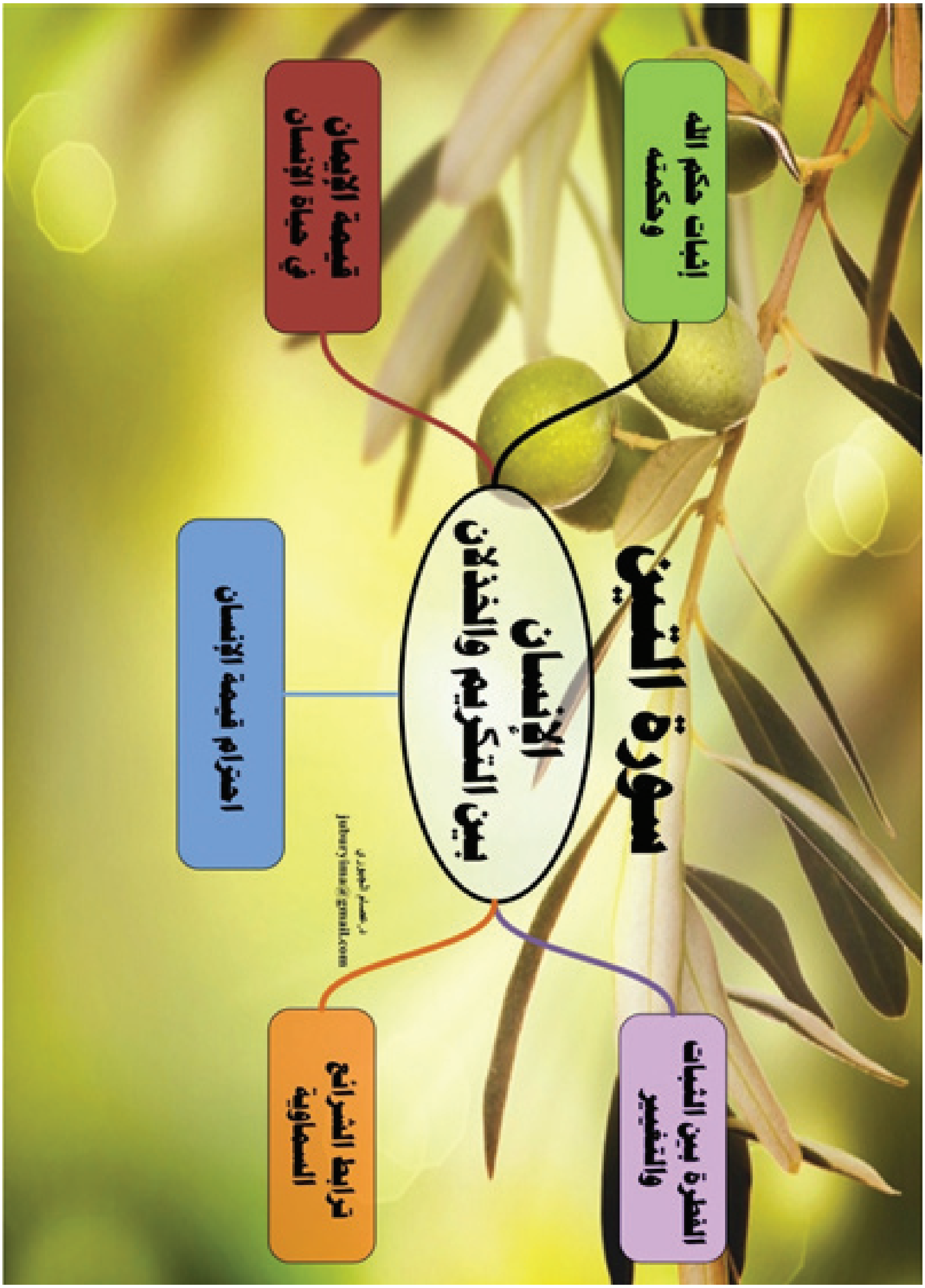
٥ ـ إثبات حكم اللّه، وحكمته:

إذا كان الإنسان يعلم بأن الكافر يرد إلى: (أسفل سافلين)، وأن المؤمن يؤتى أجراً غير ممنون، فكيف له أن يعصي الله عَزَّوَجَلَّ، بل يجب عليه أن يمتثل أمره، وأن يجتنب نهيه، وأن يصبر على قضائه؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو المثيب، وهو المعاقب، فإذا كان هو المثيب وهو المعاقب، فلابد أنه يأمر وينهى، ويقضي ويحكم. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾.

فأي شئ يضطرك أيها الإنسان إلى الكفر بالله أو الشرك به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعد ما تبينت لك شواهد قدرته المبدعة في الخلق، والدالة دلالة قاطعه على قدرته على البعث بعد الموت، وعلى الحساب والجزاء في الآخرة.

فإن كان الله أحسن الحاكمين وخيرهم وأحكمهم، فكيف يعرض المسلم عنه إلى غيره؟ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة التين
الإنسان بين التكريم والخذلان
إثبات حكم الله وحكمته
قيمة الإيمان في حياة الإنسان
احترام قيمة الإنسان
ترابط الشرائع السماوية
الفطرة بين الثبات والتغيير

سورة العلق



إنها السورة الأولى من هذا القرآن، فهي تبدأ باسم الله. وتوجه الرسول ﷺ أول ما توجه، في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى، وفي أول خطوة من خطواته في طريق الدعوة التي اختير لها.

تعبر السورة بكل تأملاتها في سياق آياتها عن مدى حب الله لعبده، وتتجلى معاني الحب من خلال تعليم الإنسان أهمية الارتباط بخالقه والالتصاق به حتى لا ينشغل عنه بحب من لا ينفعه حبه، يتجلى الحب من خلال تذكير الإنسان بحقيقة وجوده وبداية خلقه في هذا الكون والتي ستعرفه بمقدار نفسه أمام عظمة خالقه، وتبيان مدى تفضله عليه سبحانه منذ أن وجد في عالم اللاوجود، سورة أنارت آياتها بمعانيها الدالة على أهمية الإنسان في هذا الوجود وتفضيله على باقي خلقه سبحانه، وفتح الباب لسعادته الحقيقية من خلال العلم والتعلم واستخدام العقل فيما يحقق رفاهية الإنسان واستمراره في البقاء، وأهمية تثبيت وتوثيق ذلك العلم حتى تستمر الاستفادة منه للأجيال المتتالية عبر الزمان، كما صورت السورة صورة لحقيقة الإنسان الغافل عن ربه المتفضل عليه بكثير النعم وكيفية جحود الإنسان من خلال تسخير تلك النعم وخاصة قوته العلمية والفكرية للفساد في الأرض وصد المؤمنين عن دين الله.

إنَّ لسورة العلق أهمية تربوية عظيمة فهي تركز على الأسس العقدية والعلمية التي جاءت بها جميع الديانات السماوية، وإن الدين الإسلامي أعطى مفهوماً شاملاً وواسعاً عن الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والتصديق به يجعل العبد المؤمن يضبط تصرفاته ويسيطر عليها مع الابتعاد عن هوى النفس وملذاتها، فالتصديق ينمي عند الفرد الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم ويجعله حريصاً على القيام بالأعمال الحسنة في حياته اليومية ويبتعد عن الأعمال السيئة[1].

محور السورة:

دعوة للعلم والمعرفة والتواضع.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. أهمية العلم في حياة الإنسان.

٢. دعوة للتواضع.

٣. طغيان الإنسان.

٤. العقوبة المنتظرة.

٥. الفرار إلى الله والثبات على الدين مهما عظمت المحن.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ـ أهمية العلم في حياة الإنسان:

أمر الله لرسوله ﷺ وأمته من بعده بقراءة الكون وكل ما خلقه الله من حوله في هذا الوجود ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾.

اقرأ كل ما يُحتاج إليه من علم نافع فيكون أمراً لأمته ﷺ من بعده ودعوة إلى طلب العلم النافع في أمر الدين والدنيا.

هي دعوة لاستخدام العقل في التدبر والتفكر ورؤية آثار وجود الله وعظمته، والبحث والتعلم لاكتشاف ما سخره الله لعباده مما خلقه لهم لتطوير حياتهم ونموها في هذه الأرض.

---

(١) نوال محمد عبدالله ـ مبادئ تربوية مستنبطة من أوائل سورة العلق ـ رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى.

وهي دعوة لأبناء هذه الأمة أن يقرؤوا ويتعلموا ويفتحوا كنوز العلم ويتخلصوا من أمّيتهم، ويبدؤوا مسيرتهم العلمية المترقية في كل مجالات العلوم فليست هذه فضيلة لأحد بعد ﷺ فالأمة مأمورة بالقراءة والكتابة والتعلم والتعقل والتفكير[١].

فأن تبدأ السورة بأمر القراءة يبين أهمية العلم في حياة الإنسان، فهو فرض وواجب على كل مسلم، ويجب الاستزادة الدائمة منه من خلال الاطلاع والبحث والاستكشاف للمعرفة وعدم الظن بالاكتفاء منه، بل لا بد للإنسان أن يبقى طالباً للعلم، متزوداً به، راحلاً إليه، ما دامت أنفاسه ترتفع في هذه الحياة[٢].

ولتكرار لفظ (اقْرَأْ) مرتين وظيفته في الخطاب القرآن، وهو يدل هنا على أمرين اثنين:

أولاً	ارتباط القراءة والأمر بها بنعمة الخلق والوجود	﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾
ثانياً	ارتباط القراءة بنعمة الإمداد والإكرام	﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾

والمعنى وَفق هذا الارتباط المشار إليه: أن الذي خلق الإنسان يأمره بالقراءة؛ لأنها حق الخالق، إذ بها يُعرف؛ وإن ممارسة هذه القراءة هي صورة من صور الشكر للخالق، لأنها قراءة لاسمه، وباسمه، ومع اسمه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ إذ إن غاية القراءة معرفة الله تعالى، ووسيلتها النظر والتحري في آياته سبحانه المقروءة والمنشورة[٣].

٢ ـ دعوة للتواضع:

من طبيعة الإنسان الغفلة والنسيان والإنكار، فإن وصل للعلم والمعرفة ينسى أن من وهب له ذلك العلم هو الله، فيطغى ويظلم عندما يمتلك أدوات الفعل (القوة والمال)، فيبدأ برحلة الإفساد في الأرض بدل عمارتها، ويزيغ عن هدف وجوده ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾.

ويظهر ذلك عندما يفقد الإنسان التصاقه وعلاقته بخالقه، فيسخر ذلك العلم والمعرفة للقوى المادية، فينسى الله، وتطغى على عقله أفكار الكفر والضلال والإنكار فيظن نفسه أنه

(١) د.سلمان بن فهد العودة ـ إشراقات قرآنية.

(٢) آمال إبراهيم ـ تأملات في سورة العلق.

(٣) حسين عبد الفتاح ـ سورة العلق... دعوة للعلم والمعرفة.

مستغن عن الله ولا حاجه له بقوة تحميه وتحفظه وتزيده معرفة وفضلاً من نعمه.

وفي هذه الآية: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ تذكير لذلك الإنسان الذي طغى وكبرت عليه نفسه فقد ذكّره أولاً أنه خُلِق من علق ثم ذكّره آخراً أن إلى الله الرجعى فكأنها تقول إن الإنسان محصور بين بداية من علق ونهاية من تراب، ثم رجوع إلى رب الأرباب فكيف له أن يتمرّد أو يتكبّر أو يطغى فعليه أن يلغي كبرياءه وغروره ويعرف قدر نفسه. وهي دعوة للإنسان أن يتواضع لربه ويعرف قدره[(١)].

٣ ـ طغيان الإنسان:

أكثر ما يخيف أصحاب الفكر الفاسد القائم على دعوة الباطل هم من يدعون إلى الله ويحملون همَ هذا الدين ويريدون نشر الحق والإيمان وإدخال أثره في قلوب الصادقين وملء قلوبهم في طاعة الله وحب التعلق فيه، لذا يقوم أهل الباطل على محاربة كل من يدعو لذلك وإيقاف هذه الدعوة والتي ستخالف هوى قلوبهم وفساد نفوسهم ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

فهؤلاء الفاسدون تعلقت قلوبهم والتصقت بحب الشهوات والماديات والسلطان المزيف، بدلاً من التعلق بالله والالتصاق به، فلو تفكروا بنعم الله عليهم وتفضله بالعلم وحقيقة خلقهم وإيجادهم على هذه الأرض، وإحاطة النعيم بهم من كل جانب ما فعلوا ما فعلوه من الطغيان والفساد.

فمن تجرأ على منع الناس من عبادة ربهم والاتصال به من خلال صلاتهم، فذلك إنما أصاب قلبه الجهل وطمست بصيرته وانتفش بدعوة الكبر والاستعلاء على خالقه وخلقه، فمن ظن نفسه أنه صاحب علم وحكمة ومارس تلك السلوكيات الطاغية في حق ربه وعباده فهو في أخس درجات الجهالة والطغيان، ومن ظن أنه بثروته وسيادة سلطته يجب على العباد طاعته والانتهاء عن طاعة ربهم، هو واهم فالله قادر عل أن يأخذه ولا يبقي له أثرا، فدعوته لا تهدف إلا لمنع الهدى والإيمان وانتشاره في الأرض، فالصلاة أهم ركن وعنوان للدعوة إلى الله وهي من تميز أهل الإيمان عن أهل الكفر والضلال، وبها تمثلت دعوة توحيد الله في العبودية[(٢)].

---

(١) د. سلمان بن فهد العودة ـ إشراقات قرآنية.

(٢) آمال إبراهيم ـ تأملات في سورة العلق.

٤ ـ العقوبة المنتظرة

في كل شئ تجد رحمة الله تتجلى حتى مع أهل الطغيان والفساد، فانظر إلى أثار رحمته كيف يريد الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لهؤلاء الطاغين أن يعودوا إلى رشدهم وسلامة عقولهم بالانتهاء عما يفعلون من محاربة الحق والعودة إلى صفوف الإيمان.

يعطيهم الفرصة للتفكير والتغير وإلى العودة قبل فوات الأوان، وإلا ستكون العاقبة لهم بالعذاب الشديد والنسف لآثار وجودهم. فالله يتوعد هؤلاء الفاسدين الداعين لدعوة الباطل إن استمروا على كذبهم وعنادهم وباطلهم، بأن تكون عاقبتهم المذلة والخزي، فسوف يقبضهم الله من نواصيهم قبضة شديدة ليلقوا في العذاب الشديد في جهنم.

وأمام مشهد الطغيان الذي يقف في وجه الدعوة وفي وجه الإيمان، وفي وجه الطاعة، يجيء التهديد الحاسم الرادع الأخير، مكشوفاً في هذه المرة لا ملفوفاً: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾.

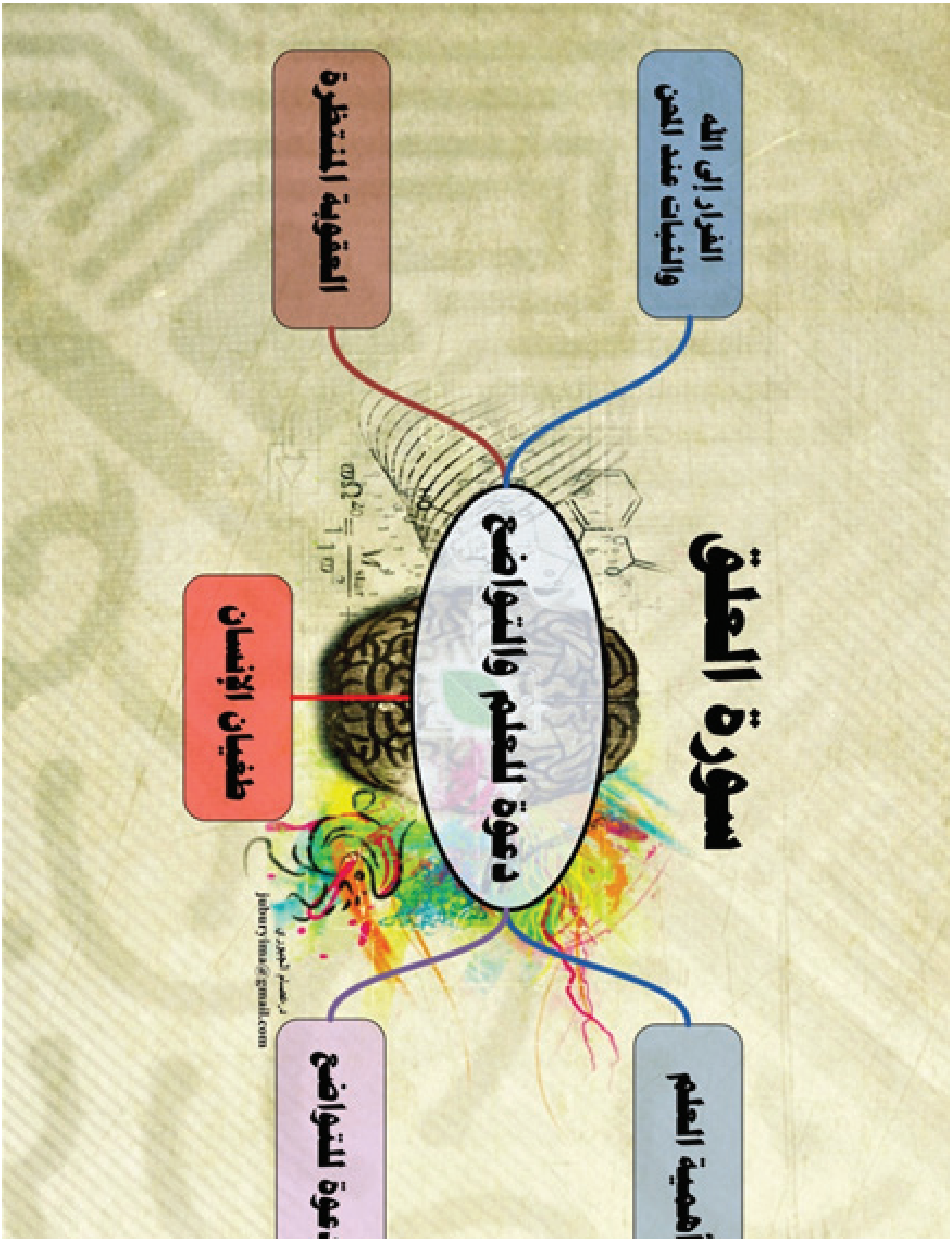
٥ ـ الفرار إلى الله والثبات على الدعوة إلى دينه ومنهجه مهما عظمت المحن:

تختم السورة بتوجيه المؤمن الطائع إلى الإصرار والثبات على إيمانه وطاعته ودعوته وعدم والاستجابة لهؤلاء المكذبين الطاغين، وعدم الالتفاف أو التأثر بالدعاية المضادة مهما جاؤوا بالدلائل الكاذبة التي يدعونها بالعلم، وأن لا يسمح المؤمن لنفسه للوقوع فريسة للفتن.. ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

هي دعوة من الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ للفرار من الفتن والتقرب إلى الله وكثرة السجود بين يديه والتعلق في رحمته وحبه.

كلا! أيها المؤمن مهما عظمت المحن وكثرت الفتن، فلا تطع هذا الطاغي الذي ينهى عن الصلاة والدعوة. واسجد لربك واقترب منه بالطاعة والعبادة. ودع هذا الطاغي. الناهي دعه للزبانية!

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة العلق
دعوة للعلم والتواضع
الفرار إلى الله والثبات عند الفتن
العقوبة المنتظرة
طغيان الإنسان
أهمية العلم
دعوة للتواضع

سورة القدر



«المنهج الإسلامي في التربية يربط بين العبادة وحقائق العقيدة في الضمير، ويجعل العبادة وسيلة لإيضاح هذه الحقائق وتثبيتها في صورة حية تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير. وقد ثبت أن هذا المنهج وحده هو أصلح المناهج لإحياء هذه الحقائق ومنحها الحركة في عالم الضمير وعالم السلوك. وأن الإدراك النظري وحده لهذه الحقائق بدون مساندة العبادة، وعن غير طريقها، لا يقر هذه الحقائق، ولا يحركها حركة دافعة في حياة الفرد ولا في حياة الأمة»(١).

وهذا الربط بين ذكرى ليلة القدر وبين القيام فيها إيماناً واحتساباً، هو طرف من هذا المنهج الإسلامي الناجح القويم.

وليلة القدر هي في حقيقتها فرصة لإطالة العمر، فألف شهر تعادل تقريباً اثنان وثمانون عاماً. ليلة القدر ولادة للإسلام على وجه الأرض فهي يجب أن تكون نقطة بداية في حياة المسلم لا نقطة عابرة، ويجب أن تكون نقطة تحول في حياته لا أن تكون مجرد ذكرى لها طقوس معينة.

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

إن كثيراً من الناس ليفهمون الحديث في قيام ليلة القدر فهما مجتزأً فليس معنى من قام ليلة القدر هي فقط العبادات المختلفة، ولكن معنى القيام يضاف له معنى آخر هو أن نعمل بمقتضيات ليلة القدر بعد انتهائها وهذا هو القيام الأمثل لليلة القدر.

محور السورة:

دعوة للإيمان والعمل بالقرآن.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. سُنَّة الاصطفاء ومكانة القرآن عند الله تعالى.
٢. طول العمر وحُسْن العمل .
٣. السلام برعاية منهج الإسلام.
٤. مكانة وفضل وخصوصية ليلة القدر والعمل بمقتضياتها.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ سُنَّة الاصطفاء ومكانة القرآن عند الله تعالى:

الاختصاص والاصطفاء بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو الذي فضل بعض النبيين عن بعض وفضل بعض الشهور عن بعض وفضل بعض الأوقات عن بعض وحتى فضل بعضل المأكولات عن بعض ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾.

٢ ـ طول العمر وحُسْن العمل:

ليست العبرة بطول الأعمار إنما بحسن الأعمال وموافقتها لمنهج الإسلام ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ فليس المهم أن تمتد الحياة ولكن المهم أن تمتلئ بالعمل الصالح، ورب لحظة واحدة في طاعة الله هي في جوهرها خير من الحياة كلها. فكم من آلاف الشهور وآلاف السنين قد انقضت دون أن نترك في الحياة بعض ما تركته هذه الليلة المباركة السعيدة من آثار وتحولات.

٣ ـ السلام برعاية منهج الإسلام:

كون ليلة القدر هي ليلة سلام وهي أول ليلة نزل فيها القرآن فالله يريد للعالم السلام والأمان، ويريد سلام المجتمع من الرذيلة وسلامة القلوب والنفوس من الأحقاد ويريد سلامة

العلاقات من الانحراف وغيرها من أنواع السلام في الأمة بل في العالم. فالسلام من أخص خصائص المسلم، أي يكون قلبه سليماً، ولسانه سليماً، ويده سليمة، ونفسه سليمة، وجوارحه كلها سليمة، ويعامل الناس بسلام، ويشعر الناس معه بالأمن والسلام، أفليس ذلك من أعظم الأمور التي تجعل الإنسان ذا قدر، فلا بد للإنسان أن يقتبس من ليلة القدر سر القدر.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾.

إنَّ السلام لا يمكن أن يتحقق في كل ذلك إذا لم يكن برعاية الإسلام بما تضمنه منهج القرآن من عقيدة وشريعة وآداب تشيع السلام في الأرض والضمير، ولكن عندما غفلت البشرية عن قدر ليلة القدر. وعن حقيقة ذلك الحدث، وعظمة هذا الأمر. وهي منذ أن جهلت هذا وأغفلته فقدت أسعد وأجمل آلاء الله عليها، وخسرت السعادة والسلام الحقيقي ـ سلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع ـ الذي وهبها إياه الإسلام. ولم يعوضها عما فقدت ما فتح عليها من أبواب كل شيء من المادة والحضارة والعمارة. فهي شقية، شقية على الرغم من فيض الإنتاج وتوافر وسائل المعاش[(١)]!

٤. العمل بمقتضيات ليلة القدر:

ليلة القدر ولادة للإسلام على وجه الأرض فهي يجب أن تكون نقطة بداية في حياة المسلم لا نقطة عابرة، ويجب أن تكون نقطة تحول في حياته لا أن تكون مجرد ذكر لها طقوس معينة. ونحن ـ المؤمنين ـ مأمورون أن لا ننسى ولا نغفل هذه الذكرى؛ وقد جعل لنا نبينا ﷺ سبيلاً هيناً ليناً لاستحياء هذه الذكرى في أرواحنا لتظل موصولة بها أبداً، موصولة كذلك بالحدث الكوني الذي كان فيها.. وذلك فيما حثنا عليه من قيام هذه الليلة من كل عام، ومن تحريها والتطلع إليها في الليالي العشر الأخيرة من رمضان.. في الصحيحين: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان..». وفي الصحيحين أيضاً: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

إن كثيراً من الناس ليفهمون الحديث في قيام ليلة القدر فهماً مجتزءاً، فليس معنى من قام ليلة القدر هي فقط العبادات المختلفة ولكن معنى القيام يضاف له معنى آخر هو أن نعمل بمقتضيات ليلة القدر بعد انتهائها وهذا هو القيام الأمثل لليلة القدر[(٢)].

(١) و(٢) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

وبالتأمل في منهج النبي ﷺ في ليلة القدر يمكن أن نلاحظ الأمور الآتية:

١- اهتمام النبي ﷺ وحرصه على إدراكها لشرفها وعظيم قدرها عند الله.

٢- كان يحرص على قضائها كلها في العبادة، ولهذا كان يعتكف لأنه يستغرق الوقت في العبادة وينقطع عن الشواغل.

٣- كان يحث أهله على اغتنامها والتعرض لها، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»[(١)]، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في طاعته لله، ورعايته لأهل بيته.

٤- كان يحث أصحابه على فعلها، وهذا منهج ينبغي أن يسير عليه الداعية المسلم في دعوة الناس وكل من يحب خاصة إلى الخير، ولا يستأثر بها لنفسه.

٥- كان إحياؤه لها منفرداً بنفسه، ولم يكن يحييها مع الصحابة جميعاً، ولا يخلوا هذا من الحكمة، فلكل حاجته التي يسألها ربه، وذنوبه التي يستغفر ربه منها.

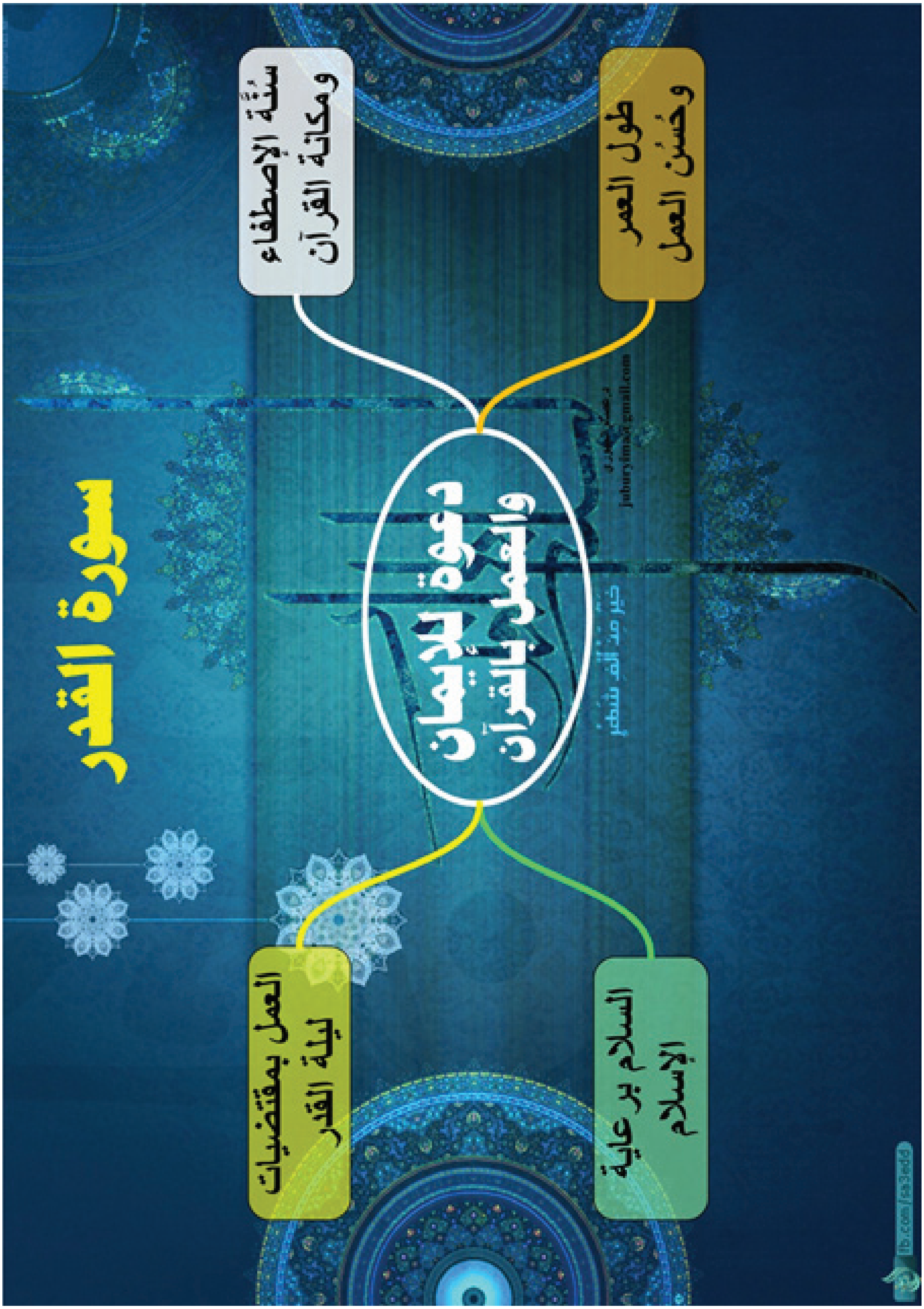
٦- كان إحياؤه لها بالدعاء والصلاة والذكر، وهذا هو سبيل المؤمنين، فعجباً لقوم يحيونها بالغناء والرقص.

ومن هنا فالمؤمن في ليلة القدر عليه أن يقتبس المعاني التي شرفت بها، ويتحقق بها في حياته، ليصبح إنساناً ذا قدر، والأمة عليها أن تقتبس هذه المعاني وتتحقق بها لتصبح أمة ذات قدر، وسبيل ذلك أن نأخذ من المعنى الأول وهو نزول القرآن الاهتمام بالقرآن، فعندما يكون الصدر وعاء لحروف القرآن، والقلب وعاء لمعاني القرآن، والنفس وعاء لمنهج القرآن، والسلوك مترجما ومؤولاً للقرآن، عندها يصبح المؤمن رجل القرآن بكل ما للكلمة من معنى، وعندها يصبح الرجل ذا القدر، وكذا الأمر مع الأمة[(٢)].

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٠).

(٢) مقالة بعنوان: ليلة القدر – http://almoslim.net .


سورة القدر
دعوة للإيمان والعمل بالقرآن
سنة الاصطفاء ومكانة القرآن
طول العمر وحسن العمل
العمل بمقتضيات ليلة القدر
السلام برعاية الإسلام

سورة البيّنة

لقد كانت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة، لأنَّ الفساد قد عم أرجاءها كلها بحيث لا يرتجى لها صلاح إلا برسالة جديدة، ومنهج جديد، وحركة جديدة. وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعاً سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرفوها، أو المشركون في الجزيرة العربية وفي خارجها سواء.

وما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه إلا بهذه الرسالة الجديدة، وإلا على يد رسول يكون هو ذاته بينة واضحة فارقة فاصلة، مطهرة من الشرك والكفر.

إن بعثة الرسول ﷺ كانت ضرورية لتحويل الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين عما كانوا قد انتهوا إليه من الضلال والاختلاف، وما كانوا ليتحولوا عنه بغير هذه البعثة[١].

ثم تحدثت السورة عن عنصر هام من عناصر الإيمان، وهو «**إخلاص العبادة**» لله عَزَّوَجَلَّ، الذي أمر به جميع أهل الأديان، لإفراده جل وعلا بالذكر، والقصد، والتوجه في جميع الأقوال والأفعال والأعمال، خالصة لوجهه الكريم.

كما تحدثت عن مصير أهل الإجرام ـ شر البرية ـ من كفرة أهل الكتاب والمشركين، وخلودهم في نار الجحيم، وعن مصير المؤمنين، أصحاب المنازل العالية ـ خير البرية ـ وخلودهم في جنات النعيم، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، جزاء طاعتهم وإخلاصهم لرب العالمين[٢].

محور السورة:

القرآن بَيِّنة الدنيا وحجة الله على عباده.

(١) سيد قطب في ظلال القرآن.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني ـ الجزء الثالث.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. موقف أهل الكتاب من رسالة محمد ﷺ.

٢. التفرق والاختلاف في الدين واتباع الهوى والإعراض عن الحق.

٣. إخلاص العبادة لله جل وعلا.

٤. مصير كلّ من السعداء والأشقياء في الآخرة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ موقف أهل الكتاب من رسالة محمد ﷺ:

اقتضت رحمة الله بالبشرية إرسال رسول من عنده يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة. وما كان الذين كفروا من المشركين ومن الذين أوتوا الكتاب ليتحولوا عن ذلك الشر والفساد إلا ببعثة هذا الرسول المنقذ الهادي المبين. ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾.

ومن ثم جاءت هذه الرسالة في إبانها، وجاء هذا الرسول ﷺ في وقته، وجاءت هذه الصحف وما فيها من كتب وحقائق وموضوعات لتحدث في الأرض كلها حدثاً لا تصلح الأرض إلا به.

٢ ـ التفرق والاختلاف في الدين واتباع الهوى والإعراض عن الحق:

أن أهل الكتاب خاصة لم يتفرقوا ويختلفوا في دينهم عن جهل أو عن غموض في الدين أو تعقيد. إنما هم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ومن بعد ما جاءتهم البينة من دينهم على أيدي رسلهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾.

وما اختلف اليهود والنصارى في شأن محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة، الدالة على صدق رسالته، وأنه الرسول الموعود به في كتبهم، والآية مسوقة لغاية التشنيع على أهل الكتاب خاصة، وتغليظ جناياتهم، ببيان أن تفرقهم لم يكن إلا بعد وضوح الحق. وكان هذا الخلاف كله بين أهل الكتاب جميعا (من بعد ما جاءتهم البينة).. فلم يكن ينقصهم العلم والبيان؛ إنما كان يجرفهم الهوى والانحراف.

٣ ـ إخلاص العبادة لله جَلَّ وَعَلَا:

عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة هو لبّ العقيدة والدين وهذا هدف أساسي من الأهداف التي وردت في السور السابقة من القرآن، هو دين الملة المستقيمة ـ دين الإسلام ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾.

عقيدة خالصة في الضمير، وعبادة لله، تترجم عن هذه العقيدة، وإنفاق للمال في سبيل الله، وهو الزكاة.. فمن حقق هذه القواعد، فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب، وكما هو في دين الله على الإطلاق. دين واحد. وعقيدة واحدة، تتوالى بها الرسالات، ويتوافى عليها الرسل.. دين لا غموض فيه ولا تعقيد. وعقيدة لا تدعو إلى تفرق ولا خلاف، وهي بهذه النصاعة، وبهذه البساطة، وبهذا التيسير.

٤ ـ مصير كل من السعداء والأشقياء في الآخرة:

حكم قاطع لا جدال فيه ولا محال. مهما يكن من صلاح بعض أعمالهم وآدابهم ونظمهم ما دامت تقوم على غير إيمان، بهذه الرسالة الأخيرة، وبهذا الرسول الأخير. لا نستريب في هذا الحكم لأي مظهر من مظاهر الصلاح، المقطوعة الاتصال بمنهج الله الثابت القويم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾.

وكذلك حكم قاطع لا جدال فيه ولا محال. ولكن شرطه كذلك واضح لا غموض فيه ولا احتيال. إنه الإيمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ... ٦﴾ لا مجرد مولد في أرض تدعى الإسلام، أو في بيت يقول: إنه من المسلمين. ولا بمجرد كلمات يتشدق بها الإنسان! إنه الإيمان الذي ينشئ آثاره في واقع الحياة ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وليس هو الكلام الذي لا يتعدى الشفاه! والصالحات هي كل ما أمر الله بفعله من عبادة وخلق وعمل وتعامل. وفي أولها إقامة شريعة الله في الأرض، والحكم بين الناس بما شرع الله. فمن كانوا كذلك فهم خير البرية.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة البينة
القرآن بيِّنة الدنيا
وحجة الله على عباده
موقف أهل الكتاب
من الرسالة
مصير السعداء
والأشقياء في الآخرة
التفرق والإختلاف
في الدين
إخلاص العبادة لله
د.عصام الجبوري
juburyima@gmail.com

سورة الزلزلة

إنه يوم القيامة، صيحة قوية مزلزلة حيث ترتجف الأرض الثابتة ومن عليها ارتجافاً، وتزلزل زلزالاً، وتنفض ما في جوفها نفضاً، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً. وكأنها تتخفف من هذه الأثقال، التي حملتها طويلاً! فما يكاد الناس يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء.

يومئذ تشهد الأرض على عمل بني آدم وينقسم الخلائق إلى فريقين شقي وسعيد.

إن الله جلت عظمته أمر الأرض بالشهادة، وأذن لها أن تنطق بكل ما حدث وجرى عليها، فهي تشكو العاصي وتشهد عليه، وتشكر المطيع وتثني عليه، ولا عجب في ذلك، فالله على كل شيء قدير.

محور السورة:

يوم الحساب... حديث الأرض وشهادتها.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. أهوال وشدائد يوم القيامة.

٢. حديث الأرض عن أخبارها.

٣. انقسام الخلائق إلى فريقين شقي وسعيد.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ أهوال وشدائد يوم القيامة:

لقد شهد الإنسان الزلازل والبراكين من قبل. وكان يصاب منها بالهلع والذعر، والهلاك والدمار، ولكنه حين يرى زلزال يوم القيامة لا يجد أن هناك شبهاً بينه وبين ما كان يقع من الزلازل والبراكين في الحياة الدنيا. فهذا أمر جديد لا عهد للإنسان به. أمر لا يعرف له سراً،

ولا يذكر له نظيراً. أمر هائل يقع للمرة الأولى! ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾.

ثم يبدأ الإنسان بالسؤال: ما للأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة، ولفظت ما في بطنها؟! وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها ؛ ويحاول أن يمسك بأي شيء يسنده ويثبته، وكل ما حوله يمور موراً شديداً!

٢ ـ حديث الأرض عن أخبارها:

يوم يقع هذا الزلزال ويشهده أمامه الإنسان ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ يومئذ تحدث هذه الأرض أخبارها، وتصف حالها وما جرى لها.. لقد كان ما كان لها ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾. وأمرها أن تمور موراً، وأن تزلزل زلزالها، وأن تخرج أثقالها! فأطاعت أمر ربها (وأذنت لربها وحقت)..

٣ ـ انقسام الخلائق إلى فريقين شقي وسعيد:

إنهم ذاهبون إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾ ليواجهوها، ويواجهوا جزاءها. ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحيانا أقسى من كل جزاء. في ذلك اليوم يرجع الخلائق من موقف الحساب، وينصرفون متفرفين فرقاً فرقاً، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

إنها عقوبة هائلة رهيبة.. مجرد أن يروا أعمالهم، وأن يواجهوا بما كان منهم!

ووراء رؤيتها الحساب الدقيق الذي لا يدع ذرة من خير أو من شر لا يزنها ولا يجازي عليها.

فكيف به وهو يواجه بعمله على رؤوس الأشهاد، في حضرة الجليل العظيم الجبار المتكبر؟!

إن هذا الميزان لم يوجد له نظير أو شبيه بعد في الأرض.. إلا في القلب المؤمن..

القلب الذي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر... وفي الأرض قلوب لا تتحرك للجبل من الذنوب والمعاصي.. ولا تتأثر وهي تسحق رواسي من الخير دونها رواسي الجبال..

إنها قلوب عتلة في الأرض، مسحوقة تحت أثقالها تلك في يوم الحساب[1]!!

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

---

(١) سيد قطب في ظلال القرآن.


سورة الزلزلة
يوم الحساب
حديث الأرض وشهادتها
انقسام الخلائق إلى فريقين شقي وسعيد
الميزان الدقيق
القيامة وأهوالها والآخرة وشدائدها

سورة العاديات



سورة تُعلمنا كيف نكون على حذر وترقب دائم مع المسابقة والمسارعة في البذل والعطاء والمجاهدة في سبيل الله، كفارس مغوار يستنير بنور الإيمان والعمل الصالح، قبل فوات الأوان وانقطاع الأنفاس الأخيرة بهذه الحياة. سورة فيها تنبيه وتحذير وزجر لسوء العاقبة والمصير وسرعته في المجيء لمن غفل ونام في سبات الشهوات والمعاصي وأنكر على ربه تفضله عليه بالنعم والخير الكثير.

تبين السورة أن الإنسان الذي أشغل نفسه بالعدو وراء الفوز بالآخرة والنجاة من نارها، فكان يسارع في فعل الخيرات، ويسابق غيره كي يفوز ويفلح عند ربه، فاستغل كل لحظة من عمره ووجوده في الحياة الدنيا، فعاش متفكراً بحقيقة الحياة وسرعة زوال نعيمها وأن ما عند الله خير وأبقى، كان متوقعاً لموته وانتهاء أجله في كل لحظة، فعاش مسابقاً للزمن، ساعياً وراء هدفه وهو النجاة من الدنيا والفوز بالآخرة، فكانت حركته لا تكون إلا مع الله، فهو متنقل من زاوية إلى أخرى ليعمر فيها أثراً إيمانياً يتركه لينبت نوراً وسعادة للآخرين.

أما الإنسان الآخر فقد أشغل عمره بالعدو وراء الشهوات والتعلق بطول الأمل وبُعد قدوم الموت والساعة، فعاش في أمن مع نفسه بجوار دنياه وجعل حركته لا تكون إلا بعيداً عما

يرضي الله، بل لإرضاء شهواته، فسارع وسابق لأجل أن يجمع ما يقدر من شهوات الدنيا وخيراتها. فباغته الموت في لحظة غفلة سباته، مغطى بغبار الغشاوة التي أطلقتها سرعة حركته بالعدو وراء شهوات الدنيا فمنعت عنه التدبر والتفكر وأخذ الحذر من تلك اللحظة المفاجئة التي لا يعلم موعدها إلا الله[1].

محور السورة:

المسارعة والمسابقة في فعل الخيرات لتحقيق دورك في الحياة وفق منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قبل فوات الأوان[2].

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. الحركة والنشاط في سبيل الله.
٢. الهمة العالية وعدم التكاسل والتغافل (مرحباً بالغبار في سبيل الله).
٣. كفران الإنسان وجحوده بنعم الله تعالى.
٤. الآخرة لله ومردّ الناس لرب العالمين الذي سيحاسبهم على أعمالهم في الدنيا.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ الحركة والنشاط في سبيل الله:

جو صاحب معفر بالتراب، تثيره خيل المجاهدين العادية في جريها، الصاخبة بأصواتها، القادحة بحوافرها، المغيرة فجاءة مع الصباح، المثيرة للنقع والغبار، الداخلة في وسط العدو على غير انتظار...

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾.

٢ ـ الهمة العالية وعدم التكاسل والتغافل (مرحباً بالغبار في سبيل الله):

يقسم الله سبحانه بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

(١) آمال إبراهيم أبو خديجة ـ تأملات في سورة العاديات ـ بتصرف.

(٢) اللوحة من رسم الفنان السعودي ضياء عزيز ضياء.

غبار المعركة على غير انتظار. وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب!

إنها خطوات المعركة على ما يألفه المخاطبون بالقرآن أول مرة... والقسم بالخيل في هذا الإطار فيه إيحاء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها (أي لها دور في الحياة)، ويقسم بها الله عَزَّوَجَلَّ على ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾.

أي جَحُود ينشغل بالنعمة عن المنعم، فينشغل بالوسيلة عن الغاية والهدف؛ فهو لا يحقق دوره في الحياة بعكس الخيل المقسم بها والتي تحقق دورها في الحياة، وهنا يظهر الارتباط بين القسم في أول السورة وبين موضوعها لذلك أفاض الله في خمس صفات لهذه الخيل، وهي صفات أساسية لكل من يريد أن يحقق دوره في الحياة:

١	الحركة والحيوية	﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾	العدو والجري السريع لا بد أن يكون لأجل تحقيق هدف يُراد أن يُوصل إليه بأقصر الأوقات وأنسبها، ليفوز دون أن يسبب لنفسه الأضرار التي من المتوقع أن تباغته لو أخر سرعته أو اختار زمناً لا يتناسب مع تلك السرعة.
٢	القوة والجدية	﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾	التي تضرب الأرض بحوافرها في قوة فتخرج منها النار
٣	المبادرة والبكور	﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾	لكي يحدث الفوز الأفضل لا بد أن يختار الوقت والزمان الأنسب لتحقيق الهدف، فذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقت الصباح لأنه بداية النهار ووقت مبارك.
٤	عدم الالتفات إلى دعاوى التثبيط أو التشكيك	﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾	الغبار المثار بسبب حركة الخيل ولكنها تتركه خلفها ولا تقف عنده بل ولا تلتفت إليه.
٥	مواجهة المشاكل وعدم الهروب	﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾	وهي عوامل لا غنى عنها لكل إنسان يريد أن يحقق دوره في الحياة (إني جاعل في الأرض خليفة).

٣ ـ كفران الإنسان وجحوده بنعم الله تعالى:

تنتقل السورة لمقطع جديد لا بد منه أن يتسلسل ويرتبط بالمشهد الأول، حيث التخصيص هنا للإنسان المكلف الذي أراد الله سبحانه أن يعلمه، ويوصل إليه العبرة من خلال المثل الواقعي الملموس في واقع الحياة.

فبدأ الحديث عن الصفات السلبية في طبيعة الإنسان والتي لا يمكن أن يُعدلها ويُحسنها إلا الإيمان والمسارعة في مجاهدة النفس والتخلص من أمراضها واضطراباتها فقال الله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ .

فحركة هذا الإنسان في سرعته لم تكن مع الحركة التي أرادها الله، بل وجهها للركض واللهث وراء شهوات الدنيا والانشغال بمتاعها الزائل حتى أنسته الهدف من وجوده في هذه الحياة.

٤ ـ الآخرة لله تبارك وتعالى:

بعثرة لما في القبور، وتحصيل لأسرار الصدور التي ضنت بها وخبأتها بعيداً عن العيون ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

إن الآخرة لله تعالى ومردّ الناس جميعاً لله رب العالمين الذي سيحاسبهم على أعمالهم في الدنيا ولن ينفعهم يومها إلا العمل الصالح.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة العاديات
المسارعة والمسابقة في فعل الخيرات
الهمة العالية
الحركة والنشاط في سبيل الله
كفران الإنسان وجحوده بنعم الله
الآخرة لله تبارك وتعالى
د. عصام الجبوري
juburyima@gmail.com

سورة القارعة

السورة تتمحور كما باقي سور هذا الجزء حول أهوال يوم القيامة وشدائدها، وما فيها من أحداث عظام حيث يهيم الناس على غير نظام من شدة حيرتهم وفزعهم وذهولهم للموقف الذي هم فيه.

فهي تقدم للمسلم زاداً في دعوته لإخوانه والناس من حوله... فالقارعة هو من أسماء يوم القيامة، والتذكير بهذا اليوم هو من أهم الوسائل التي يجب أن نستخدمها لترقيق قلوب الآخرين وإيقاظهم من غفلتهم... فترى فيها مشهداً تطير له القلوب شعاعاً، وترجف منه الأوصال ارتجافاً. ويحس السامع كأن كل شيء يتشبث به في الأرض قد طار حوله هباء! فيبدو الناس في ظله صغاراً ضئالاً على كثرتهم: فهم (كالفراش المبثوث) مستطارون مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك، وهو لا يملك لنفسه وجهة، ولا يعرف له هدفا! وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به حتى الأنسام!

وتنتقل بك الآيات بعد ذلك إلى مصير الناس، فتوضح الفرق بين المؤمنين الطائعين وجزاؤهم، والكافرين العصاة المكذبين ومصيرهم.

محور السورة:

الميزان الدقيق والحقيقي للأعمال.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١ . القيامة وأهوالها، والآخرة وشدائدها، وما يكون فيها من أحداث عظام.

٢ . حال الناس والجبال في ذلك اليوم العصيب.

٣ . الميزان الدقيق.

٤ . مصير المؤمنين الطائعين والكافرين المكذبين.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ القيامة وأهوالها، والآخرة وشدائدها:

آيات هذه السورة، تذكّر بيوم القيامة، لتقف إلى جانب سورة الجزء في تزويد الدعاة بالمادة الأساسية خلال أخذهم بأيدي الناس إلى الله. إنَّ التذكير باليوم الآخر هو من أقوى الوسائل التي يجب على الدعاة أن يستعينوا بها في دعوتهم إلى الله ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾.

٢ ـ حال الناس والجبال في ذلك اليوم العصيب:

المشهد المعروض في هذه الآيات مشهد هول تتناول آثاره الناس والجبال، وخاصة من خلال التذكير بما يحدث عندما يخرج الناس من قبورهم فزعين، كأنهم فراش متفرق، منتشر هنا وهناك، يموج بعضهم في بعض، من شدة الفزع والحيرة ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾.

وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال، تنبيهاً على أن تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة، حتى تصير كالصوف المندوف مع كونها غير مكلفة، فكيف حال الإنسان الضيف؟ المقصود بالتكليف والحساب!

٣ ـ الميزان الدقيق:

وبعد أن يرى الناس أعمالهم توزن، فإما أن تثقل أو تخف، وثقل الموازين وخفتها تفيدنا: إن هنالك قيماً لها عند الله اعتبار، وقيماً ليس لها عنده اعتبار. عندئذ لا يحقر «الإنسان» شيئا من عمله. خيراً كان أو شراً. ولا يقول: هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن. إنما يرتعش وجدانه أمام كل عمل من أعماله ارتعاش ذلك الميزان الدقيق الذي ترجح به الذرة أو تشيل!

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

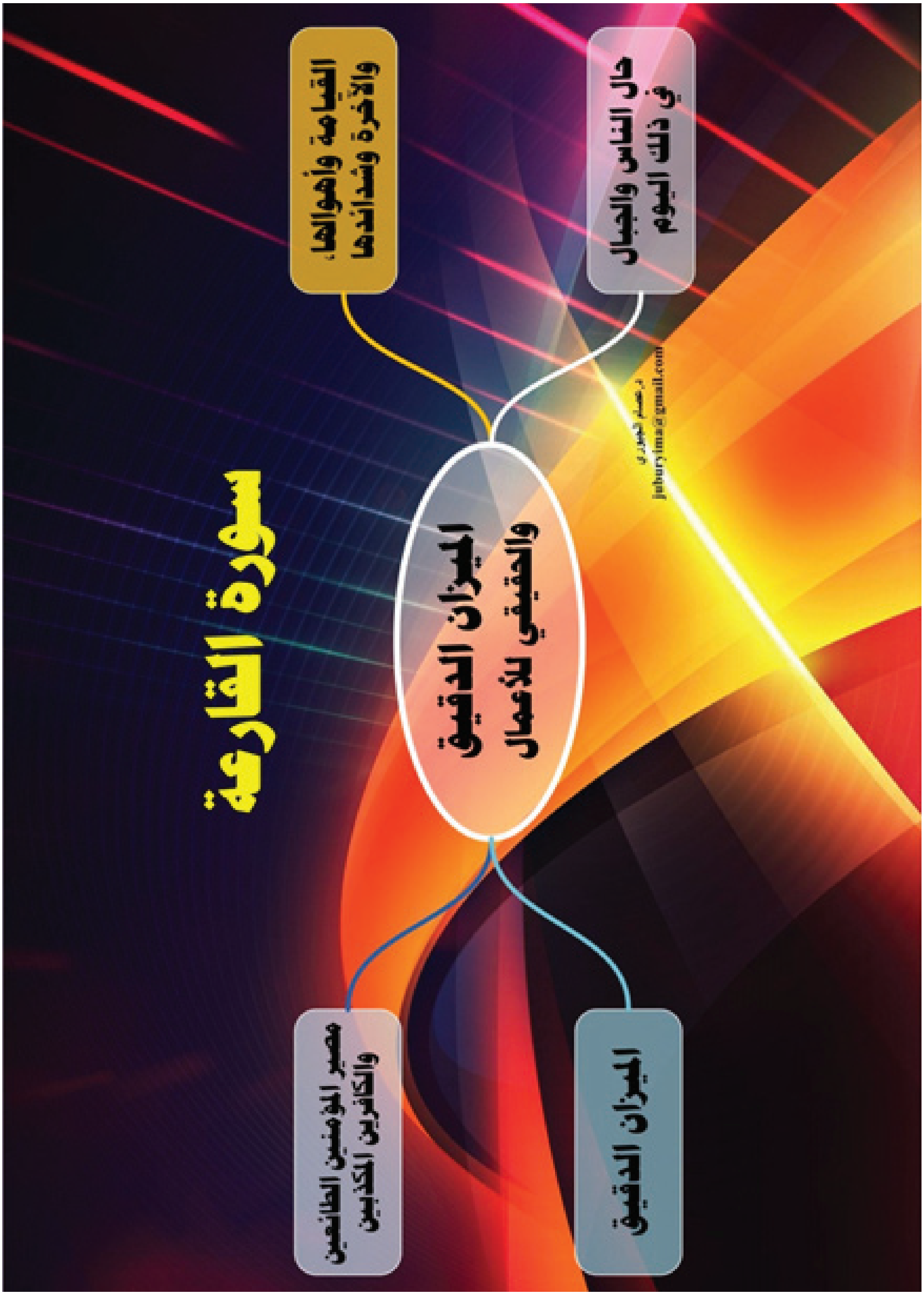
٤ ـ مصير المؤمنين الطائعين والكافرين المكذبين:

نهايتان طبيعيتان..أن ينتهي من ثقلت موازينه إلى النعيم. وأن ينتهي من خفت موازينه إلى الجحيم.

فمن رجحت موازين حسناته، وزادت حسناته على سيئاته فهو في عيش هني رغيد سعيد، في جنان الخلد والنعيم ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾.

ومن نقصت حسناته عن سيئاته،فمسكنه ومصيره نار جهنم، يهوي في قعرها، فنار جهنم تؤوي هؤلاء المجرمين، كما يأوي الأولاد إلي أمهم، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة القارعة
الميزان الدقيق والحقيقي للأعمال
القيامة وأهوالها والآخرة وشدائدها
حال الناس والجبال في ذلك اليوم
مصير المؤمنين الطائعين والكافرين الكاذبين
الميزان الدقيق

سورة التكاثر

نحن لا نعيش لأجسادنا فقط.. لا نعيش من أجل الطعام والنزهة والزواج فقط.. فلا بد من الانتباه إلى الروح، والحذر من أن يلهينا المال والولد عن ذكر الله. تبدأ السورة في توعد كل من يعيش لملذاته ومتاع جسده فقط، لا احذر، إياك أن تكون منهم... إن في داخلك روحاً تحتاج إلى غذائها من الطاعة والاستغفار والحفاظ على الصلاة وقيام الليل... فالله تعالى سيسألنا عن كل نعمة صغيرة أو كبيرة أنعم بها علينا، والتي من أهمها هذا الجسد الذي رزقنا الله إياه، فاستعمله البعض في معصيته ناسين أرواحهم وغذاءها وتحضيرها للآخرة[1]..

وما يقرأ الإنسان هذه السورة الجليلة.. حتى يشعر بثقل ما على عاتقه من أعقاب هذه الحياة الوامضة التي يحياها على الأرض ثم يحمل ما يحمل منها ويمضي به مثقلاً في الطريق!

محور السورة:

التوازن بين المادة والروح.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. تحذير الناس من التلهي بالتكاثر (من الأموال والأولاد والزينة) عن عبادة الله.

٢. التوازن بين متطلبات الجسد المادية ومتطلبات الروح.

٣. الجحيم عين اليقين.

٤. السؤال عن النعيم.

(١) عمرو خالد ـ خواطر قرآنية.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ تحذير الناس من التلهي بالتكاثر عن عبادة الله:

أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون. أيها المخدوعون بما أنتم فيه عما يليه. أيها التاركون ما تتكاثرون فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر.. استيقظوا وانظروا.. فقد ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾.

فينقلهم الموت بغتة من القصور إلى القبور.

٢ ـ التوازن بين متطلبات الجسد المادية ومتطلبات الروح:

بعض الناس يعيشون لأجسادهم ويهملون الروح. وتتوعد من عاش لجسده. والنهي في هذه السورة عن التكاثر ليس المقصود منه النهي عن التكاثر بعينه وإنما المقصود النهي عن التلهي بالتكاثر (من الأموال والأولاد والزينة) عن عبادة الله الواحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ وفي الآيات تحذير للذين عاشوا لأجسادهم وللذين ألهاهم التكاثر عن عبادة الله الواحد، أن نهاية هذه الأجساد فهو إلى الموت حيث تفنى الأجساد وتصعد الأرواح إلى خالقها.

تحذر الآيات الناس: إياكم أن تعيشوا لأجسادكم فقد خلق الله تعالى الجسد وخلق فيه الروح التي لها غذاء خاص ألا وهو طاعة الله والإقبال عليه، فالإنسان مطالب بالتوازن بين متطلبات الجسد المادية ومتطلبات الروح من عبادات ومحافظة على الصلوات والاستغفار والتقرب إلى الله وطاعته.

٣ ـ الجحيم عين اليقين:

لو أصرّ الناس على العيش لأجسادهم فإنهم سيرون الجحيم عين اليقين ثم يسألهم الله تعالى عن نعيم الجسد: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾.

٤. السؤال عن النعيم:

لتسألن في الآخرة عن نعيم الدنيا، من الأمن والصحة، وسائر ما يتلذذ به من مطعم، ومشرب، ومركب، ومفرش. لتسألن عنه من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن طاعة وفي طاعة؟ أم من معصية وفي معصية؟ أمن حلال وفي حلال؟ أم من حرام وفي حرام؟ هل شكرتم؟ هل أديتم؟ هل شاركتم؟ هل استأثرتم؟

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة التكاثر
التوازن بين المادة والروح
تحذير الناس
من التلهي بالتكاثر عن عبادة
التوازن
بين متطلبات الجسد والروح
السؤال عن النعيم
الجحيم عين اليقين

سورة العصر



على امتداد الزمان في جميع العصور، وامتداد الإنسان في جميع الدهور، ليس هنالك إلا منهج واحد رابح، وطريق واحد ناج. هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسران..

في هذه السورة الصغيرة يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام. وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة. إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار. وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها. في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة.

والاستقامة على المنهج الذي يريده الله ينبعث عن دوافع، ويتجه إلى هدف، ويتعاون عليه الأفراد المرتبطون في الله، فتقوم الأمة المسلمة ذات الهدف الواحد الواضح، والراية الواحدة المتميزة. كما تتضامن الأجيال المتعاقبة الموصولة بهذا الحبل المتين.

لقد جمعت سورة العصر مقومات بناء الحضارة والأمة، مثل الاهتمام بالوقت والزمن، وأهمية أن نشغل وقتنا في العمل الصالح المفيد، بالإضافة إلى العمل ضمن فريق وروحية العمل

الجماعي والتعاون على نصرة هذا الدين؛ثم التواصي بالصبر على ما يجدونه في طريقهم من عقبات ومشاق أثناء تطبيق المنهج، فنحتاج إلى الصبر لتحملها في سبيل نصرة الدين والدعوة إلى الله، فإذا وعت الأمة سورة العصر ارتقى وعيها ونضجت مقومات حضارتها.

أربعة أشياء تُنْجي الأمة المسلمة من الخسارة، علمٌ وعمل، ودعْوةٌ وصبر، فإذا فعلْت هذه الأشياء الأربعة فقد نجوْت من الخسارة المحققّة.

هكذا يريد الإسلام أمة الإسلام.. هكذا يريدها أمة خيرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير، متواصية بالحق والصبر في مودة وتعاون وتآخ تنضح بها كلمة التواصي في القرآن[(١)]..

محور السورة:

الأمة المسلمة:حقيقتها ووظيفتها.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. الاهتمام بالوقت والحرص على اغتنامه بالعمل الصالح.

٢. الإعراض عن المنهج...خسارة.

٣. الإيمان حركة وعمل وبناء.

٤. النهوض بالأمانة الكبرى (التواصي بالحق والصبر على نصرة الدين).

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ الاهتمام بالوقت:

تشير الآية إلى أهمية الوقت في حياة المسلم، لذلك فلابد من الحفاظ عليه وعدم تضيعه وضرورة اغتنامه في طاعة الله. إن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يُقْسمُ بأخْطر ما نمْلكه ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ إنه رأس مالنا. فهذا الوقت الذي نعيشُه أخْطرُ ما في حياتنا، كيفَ نستهلكُه؟ وكيف نُمْضي أوقاتنا؟ كيف نمْضي أوقات فراغنا؟ كيف نمضي أوقات العمل؟ ماذا نعمل؟

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن – بتصرف.

إن عدم وضوح الهدف، أو عدم وجوده، أو عدم التفكير فيه، أو عدم الانشغال به والسعي لأجله هو أعظم سبب لضياع الأوقات.

فمن حدد هدفاً يسعى إليه ـ أياً كان الهدف ـ فإنه لن يضيع وقته. وكل هدف نبيل يسعى المؤمن لتحصيله فيه إصلاح دينه، أو دنياه، أو أمته، إذا أخلص فيه النية ووافق فيه المنهج الحق فإنه طريق لتحصيل تلك الغاية وذلك الهدف. وهكذا فحري بمن غايته الوصول إلى الجنة ونعميها أن يسعى جاداً لتحصيلها.

٣. الإعراض عن المنهج... خسارة:

هؤلاء الذين ركنوا في الحياة الدنيا، وهؤلاء الذين أعْجبهم أن يسْتمتعوا بها، هؤلاء الذين أعْرضوا عن الله، أعْرضوا عن منهجه، أعرضوا عن كتابه، أعرضوا عن التّقرّب إليه، أعْرضوا عن أداء العبادات، هؤلاء الذين أهمَّتْهم الدنيا، يلحقهم الخسران. إنَّ مُضيّ الزَّمَن يعني اسْتِهلاك رأسِ مال الإنسان، حتى يتلاشى شيئاً فشيئاً إلى أن تأتي ساعة الصّفر، فيذهب إلى الآخرة، وهو صفْر اليدين ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾.

ما من مُشكلةٍ يُعاني منها المجتمع البشري على الإطلاق إلا بِسَبب الابتعاد والإعراض عن منهج الله. المنهج الذي اختاره الله لنا، والدستور الذي شرعه لأمتنا، وهو الطريق الوحيد الذي رسمه ربنا لنا للنجاة من الخسران والضياع.

إنَّ سبب خسارة المسلمين في معركة الخير والشر، هو أنهم تركوا منهج وراية الإسلام وأتبعوا بقية الرايات. فإذا هم في ذيل القافلة. وإذا القافلة كلها تشكو من الضياع والخسران. وإذا الرايات كلها بعد ذلك للشيطان ليس فيها راية واحدة لله. وإذا هي كلها للباطل ليس فيها راية واحدة للحق. وإذا هي كلها للعماء والضلال ليس فيها راية واحدة للهدى والنور، وإذا هي كلها للخسارة ليس فيها راية واحدة للفلاح! وراية الله ما تزال. وإنها لترتقب اليد التي ترفعها والأمة التي تسير تحتها إلى الخير والهدى والصلاح والفلاح[1].

٤. الإيمان حركة وعمل وبناء:

لا بدّ من أن يُتَرْجم الإيمان إلى عمل صالح، أي تجعل من حركتك ونشاطاتك اليوميّة تجْسيداً لإيمانك، لأن الإيمان بلا عمل كالشّجر بلا ثمَر. فبعض الناس يظن أنه يكفي مجرد

(١) سيد قطب في ظلال القرآن.

الإيمان في القلب ولا حاجة للعمل، وهذا باطل، بل الإيمان مقترن بالعمل، والعمل دال على الإيمان، فمن صلح باطنه بالإيمان صلح ظاهره بالعمل الصالح ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴿٣﴾﴾.

ومن ثم يهدر القرآن قيمة كل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل، ولا يشد إلى هذا المحور، ولا ينبع من هذا المنهج.

هذا هو الإيمان الإسلامي.. لا يمكن أن يظل خامداً لا يتحرك، كامناً لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن. فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت.

إنَّ الإيمان حركة وعمل وبناء وتعمير.. يتجه إلى الله.. إنه ليس انكماشاً. وليس مجرد نوايا طيبة التي لا تتمثل في حركة وهذه طبيعة الإسلام البارزة التي تجعل منه قوة بناء كبرى في واقع الحياة.

٥. النهوض بالأمانة الكبرى:

تبرز من خلال هذه الآيات صورة الأمة المسلمة... الأمة الخيرة الواعية...القيمة في الأرض على الحق والعدل والخير.. وهي أعلى وأنصع صورة للأمة المختارة. ذات الرابطة المميزة، والوجهة الموحدة. الأمة التي تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها. والتي تعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه من الإيمان والعمل الصالح، الذي يشمل فيما يشمل قيادة البشرية في طريق الإيمان والعمل الصالح؛ فتتواصى فيما بينها بما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى... ﴿...وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

وهكذا يريد الإسلام أمة الإسلام... هكذا يريدها أمة خيرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير، متواصية بالحق والصبر في مودة وتعاون وتآخ تنضح بها كلمة التواصي في القرآن.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة العصر
الأمة المسلمة
حقيقتها ووظيفتها
النهوض بالأمانة الكبرى
الإيمان
حركة وعمل وبناء
الإهتمام بالوقت
الإعراض عن
المنهج.. خسارة

سورة الهُمَزة



تتحدث السورة عن أُناس يَعيبون على غيرِهم من الناس المصلحين والدعاة الربانيين ويُكثِرون نقدَهم؛ فهم لا يَنتقِدُون الآخَرين لكي يُصلِحوا ويَنصحوا، وإنَّما يَنتقدونهم ليَهدِموا أعمالَهم، وهؤلاء ليسوا أُناساً عاديِّين من الهمَّازين واللمَّازين، وإنما يُسَيطِرون على الإعلام بأموالهم، اهتمُّوا بجمع المال ليؤذوا به الآخَرين، ولا يهتمون لمَشاعرِ غيرهم، وإنما تعوَّدوا الغمز واللمز والاستهزاء بالناس، ويظنُّون أنهم بأموالهم التي جمَعوها من كل مكان قادرونَ على امتِلاك كل شيء في الدنيا؛ لذا تراهم لا يُبالون بمَن حولَهم، ولا يَنفكُّون عن إيذاء المسلمين عامة والدعاة خاصة بالقول تارةً، وبالإشارة تارة أخر.

فصورة ذلك الشخص اللئيم، الذي يدأب على جمع المال فيظنه كفيلاً بالخلود! ومن ثم ينطلق في هوس بهذا المال يعده ويستلذ تعداده، تدفعه إلى الهزء بالناس (يعيبهم بلسانه ويسخر منهم بحركاته) والاستهانة بهم وكراماتهم ولومهم وانتقاصهم في أنفسهم وأعراضهم، وقد يتسبب في سجنهم وأذاهم.

صورة هذا المتعالي الساخر المستقوي بالمال والذي يتصرف وكأنه خالد في هذه الحياة الدنيا وأن هذا المال الذي يكنزه هو الذي سيخلده، ولا يدري هذا الشقي أن عاقبته ستكون في نار جهنم التي لا تنطفئ أبداً.

محور السورة:

لا تستهزئ بالناس ولا تغتر بالمال فهو إلى زوال

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. معاملة الناس والاستهانة بأقدارهم وكراماتهم ولمزهم وهمزهم.

٢. هوس جمع المال وما ينتج عنه من أخلاق تؤول بالإنسان إلى الخسارة.

٣. طول الأمل.

٤. جزاء المتعالي الساخر المستقوي بالمال.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ـ معاملة الناس والاستهانة بأقدارهم وكراماتهم ولمزهم وهمزهم:

صورة لئيمة حقيرة من صور النفس البشرية حين تخلو من المروءة وتعرى من الإيمان ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾.

إنهما خُلُقان يتعلقان بمعاملته للناس وازدرائه واحتقاره لهم إما بالهمز أو باللمز.. فتجده يستهزئ بالأقل منه شأناً، ويسخر من غيره الأضعف منه صحة والأفقر منه حالاً. فهو يشتهر بالتضليل الإعلامي، ونشر الأكاذيب، والافتراء على الناس، وتشويه أعمال الناجحين، ولا يرى بأساً في ذمّهم واحتقارهم والحديث في أعراضهم ولومهم وانتقاصهم.

والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة من صور النفوس بحكم ترفعه الأخلاقي. إنَّ هذا الإنسان الذي يدأب على الهزء بالناس وعلى لمزهم في أنفسهم وأعراضهم، ويتعمد أن يؤذي الآخرين بكلماته أو بإشاراته، لن تكون له علاقات طيبة بين الناس، بل سيكون من أكثر الناس بعداً وكراهية في قلوب الناس لأنه مهما كانت منزلته سيكون محتَقراً في قلوبهم.

٢ ـ لا تغتر بالمال فهو إلى زوال.

إن سعي العبد لجَمعِ المال هو وسيلة شرعية لطلبِ الرِّزق، والمؤمن التقيُّ يَجمع المال لكي يُنفِقه في سبيل الله على نفسه وعياله وأولاده. أما المستكبِر فإنه وإن كان يسعى لجمع المال فإن نيَّته تكون بخلاف البار؛ فهو يتفاخرُ بماله على غيره، كما تفاخَرَ صاحب الجنتين بهما على من هو أفقرُ منه. وليت الذي يَجمع المال يقف عند مرحلة معيَّنة ويكتفي، بل إنه كلَّما جمَع مالاً عدَّده حتى يُحصي منه أكثر وأكثر.

هذه الصفات الشنيعة السيئة التي لا يتصف بها إلا ذميم الأخلاق، هي نتيجة حصوله على المال ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾ والتهاوه به واستغناؤه به فأصبح لا يرى الناس شيئاً. وبما أنه لا يرى الناس شيئاً سيتحدث عن أعراضهم وينتقصهم علانية أو غياباً في حضورهم أو غيابهم. فالقضية الرئيسية التي ذكرها الله تعالى لهذا الرجل والممارسة التي مارسها في حياته هو أنه يجمع المال ويغتر به فلا ينفقه في سبيل الله، ظاناً أن ماله سينفعه.

٣ ـ طول الأمل:

أن هذا المستكبِر الهمَّاز اللمَّاز المغتر بماله عنده طول أمل في العمر ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ فهو ممتد في الأمل بعيداً وبالتالي هو سائر في هذه المعاصي زمناً طويلاً. يظن هذا الجاهل لفرط غفلته، أن ماله سيتركه مخلداً في الدنيا لا يموت، وأنه بمالِه قد ملك الدنيا، حتى إنه يخيَّل إليه ـ بعدما ظنَّ في نفسه أنه قد حِيزَت له الدنيا بحذافيرها ـ أنه كذلك سوف يَملِكُ الآخرةَ. إنَّ الأمر ليس كما يظن؛ بل لا بدَّ أن يُفارق هذه الحياةَ إلى حياةٍ أخرى، يُعاقَب فيها على ما كَسَب من سيِّئ الأعمال.

٤ ـ جزاء المتعالي الساخر المستقوي بالمال:

أعدَّ الله لهذا الصِّنف مِن الظالمين والمؤذين لغيرهم إيذاءً معنويًّا ألواناً من العذاب من جنس أعمالهم. لأن الذي يحتقر الناس هو يحطّم مشاعرهم، لابد أن يأتيه ما يحطّمه حسياً ومعنوياً يوم القيامة ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾.

لقد خصَّ الله تعالى الهمَّاز اللماز في الآخرة بخمسة ألوان من العذاب تجمع بين العذاب النفسي بالنَّبذ، والجَسديِّ بالتحطيم، والشديد بإيقاد النار عليه، كما أنه عذابٌ مسبَّب؛ فهو يَختار مستحقيه، وعذاب موصدٌ على القلوب الفاسدة التي أفسَدت سائر الجوارح، وأخيراً هو عذاب مُمدَّد، وكل جزاءٍ من ذلك هو جنس فعله الخبيث، (النبذ ـ التحطيم ـ النار المُوقَدة ـ إيصادُ النارِ على الأفئدة ـ العَمَد الممددة). إنهم سوف يتركون كل ذلك ليلقى كلٌّ منهم مصيره المُحتَّم في النار وحيداً تؤلمه نفسُه بعد أن أَنِس في الدنيا بأمور زائلة، فإنه يَستوحِش الوحدة والحبس في نار القبر ونار يوم القيامة.

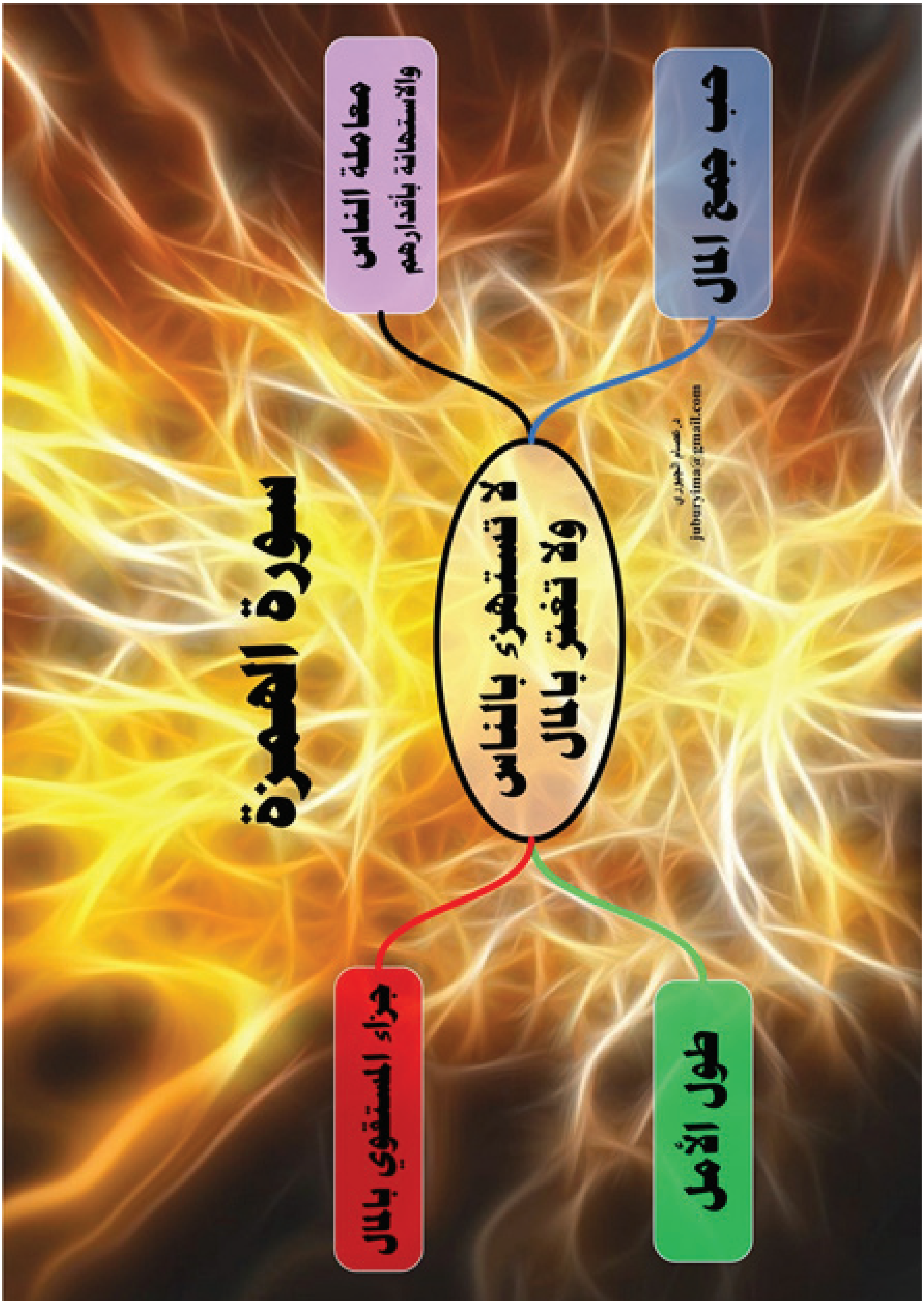
إنَّ القرآن يتابع أحداث الدعوة ويقودها في الوقت ذاته. وهو السلاح البتار الصاعق الذي يدمر كيد الكائدين، ويزلزل قلوب الأعداء ويثبت أرواح المؤمنين. وإنا لنرى في عناية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالرد على هذه الصورة معنيين كبيرين:

الأول: تقبيح الهبوط الأخلاقي وتبشيع هذه الصورة الهابطة من النفوس.

والثاني: المنافحة عن المؤمنين وحفظ نفوسهم من أن تتسرب إليها مهانة الإهانة، وإشعارهم بأن الله يرى ما يقع لهم، ويكرهه، ويعاقب عليه.. وفي هذا كفاية لرفع أرواحهم واستعلائها على الكيد اللئيم(١)...

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

(١) سيد قطب ـ في ظلال القران بتصرف.


سورة الهمزة
لا تستهزئ بالناس ولا تغتر بالمال
حب جمع المال
معاملة الناس والاستهانة بأقدارهم
جزاء المستقوي بالمال
طول الأمل
juburyima@gmail.com

سورة الفيل

تحكي سورة الفيل الاعتداء الذي شنه صاحب أعظم قوة عسكرية (أبرهة الأشرم) قَبْل البعثة ضد العرب المسالِمين الذين يقطنون شبه الجزيرة العربية، ويقطنون بصحراء مكَّةَ في حياة بسيطة، ولا يملِكون شيئًا من الدنيا إلا التفاخُر بالبيت الحرام الذي بناه نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والفيل رمز لأقوى سلاح عسكري في ذلك الوقت، وهذا السلاح كان يمتلِكه أشدُّ أعداء الإسلام قوة، وحقداً عليه؛ حيث قصدوا هَدْمَ مقدساته وطَمْسَ معالم هذا الدين، وإذلال بقايا العرب أتباع الخليل إبراهيم؛ لذا جاءت سورة الفيل لتخبرنا أن الكون كله ملك الله تعالى، وأنه تعالى قادر على إنزال العذاب بالطغاة المتجبرين في الأرض، والمتعالين علي الخلق، في كل عصر وكل حين. ثم تبين أنه مهما قوي أعداءُ الإسلام في السلاح، فإن كيدهم ضعيف واهن لا يؤثر ولا يدوم، لأنه ضال، ولأن قدرة الله الغالبة تقف دونه، وأنَّ الله ناصر عباده، وحافظ لمقدساته، ورادٌّ كيدَ أعدائه.

محور السورة:

الله ناصر عباده، وحافظ لمقدساته، ورادٌّ كيدَ أعدائه.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. انتقام الله من أعدائه والانتصار لأوليائه.

٢. الثقة في نصر الله.

٣. الإعداد لأسباب النصر والتمكين.

٤. هلاك الظالمين والمفسدين.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ انتقام الله من أعدائه والانتصار لأوليائه:

إنَّ هذا الكون كله ملك لله تعالى، وإنه قادر على إنزال العذاب على كل ظالم حاقد يكيد لدين الإسلام وأهله، ويقصد هَدْمَ مقدساته وطَمْسَ معالمه، فتتجلى عظمة الله وقدرته في الانتقام من أعدائه والانتصار لأوليائه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾.

وتدل هذه الآية المباركة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير، ومحضن العقيدة الجديدة، والنقطة التي تبدأ منها رحلة النور لتشع في أرجاء الأرض وتنشر الهدى والحق والخير.

٢ ـ الثقة في نصر الله:

لم تقِفْ محاولات الكيد بالمسلمين حول المسجد الحرام عند هجوم أبرهة، وإنما استمرت هذه الحرب وذلك الكيد من أعداء الإسلام على الإسلام من قديم الأزل، ولا يزال يدور بالإسلام والمسلمين، وبخاصة تلك البقعة من الأرض التي بها الكعبة لأنها رمزاً لاجتماع المسلمين، وتوحُّدِ كلمتهم، واعتصامهم بالله تعالى. فكان الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يريد بهذا البيت أمرا. وأن سوف يهلكه أعدائه ويجعل مكرهم وسعيهم، في تخريب الكعبة في ضياع وخسارة ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢﴾. وفي هذه الآية بشارة بالثقة بنصر الله لدينه ولعباده المؤمنين فقط لأنهم هم الذين يثقون بوعد الله، والمتيقنين بأنه متحقق لا محالة، مهما كان كيد الأعداء أو صعبت الظروف عليهم.

لقد أراد الله أن يحفظ بيته ليكون مثابة للناس وأمناً؛ وليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة، في أرض حرة طليقة، لا يهيمن عليها أحد من خارجها، ولا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة في محضنها. وهذا من تدبير الله لبيته ولدينه قبل أن يعلم أحد أن نبي هذا الدين قد ولد في هذا العام[١]!

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

٣ ـ الإعداد لأسباب النصر والتمكين:

الثقة في نصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلوبة، وتحصيل شرائط هذا النصر واجبٌ، وانتظار هذا النصر مؤكد، لكن الله عَزَّوَجَلَّ حينما ينزل النصر، فإنه يجعَلُه على يدِ أخلص عبيده وجنده، ولما كان العربُ قبل الإسلام في جاهلية، ولم يكن منهم أحد قد نصب نفسه مدافعاً عن هذا الدِّين، فإن الله ـ تعالى ـ استبدل الطير الأبابيل بهم؛ لتقوم بواجب الدفاع عن مقدسات هذا الدين ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾.

ولكي يتحقق النصر والتمكين في الدنيا، فلا بد وأن يتحقق بقوانين الدنيا التي سنَّها الله تعالى، بمعنى أنه لا بد للأسباب التي خلقها الله ـ تعالى ـ أن تؤدي وظيفتها؛ فهلاك أبرهة ليس بعييٍّ على الله ـ تعالى ـ دون حاجة إلى إلقاء حجارة، ولكن الله ـ تعالى ـ أرادت مشيئته أن يكون هلاكه عليها كتفعيل لأسباب الدنيا، حتى ولو كنا بصدد معجزة ربانية؛ وذلك ليتعلم المسلم وجوب أن يأخذ بالأسباب الشرعية في التماس النصر، ولا يرتكن على الإيمان بالله ـ تعالى ـ المجرد من العمل؛ فالإيمان قول وعمل، ومن العمل: الإعداد للجهاد، والمقصد هو بذل ما في الوُسع والاستطاعة، فعلى المرء أن يبذل كل ما في استطاعته لهذه المواجهة، لا أن يواجه ودون أن يبذل بعدُ كلَّ ما في استطاعته؛ حيث يكون التوكل على الله بعد صدق الإيمان بالعمل والإعداد للجهاد.

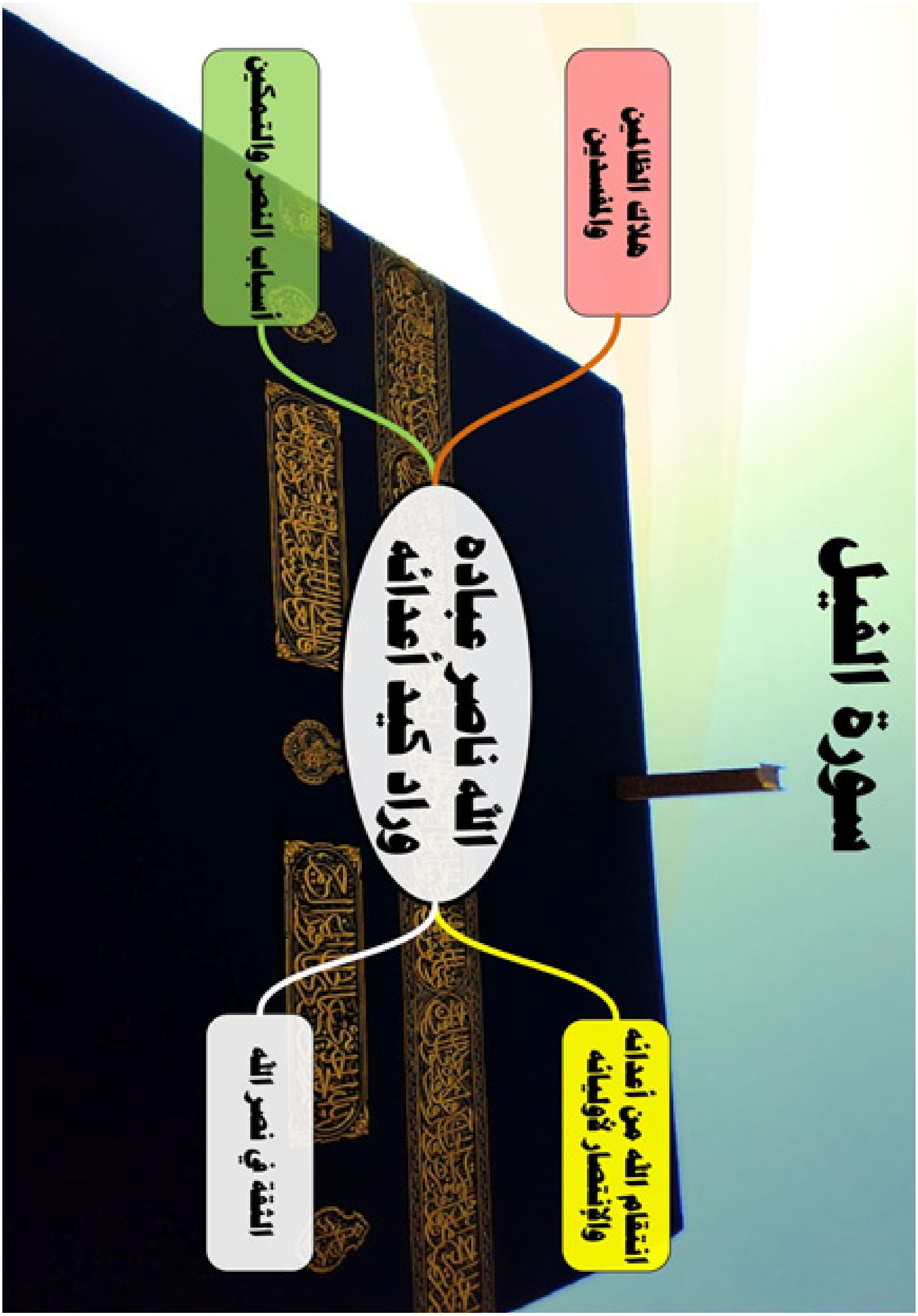
ولذلك يمكن القولُ بأنه حين يُقبِل المسلمون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليعبدوه بإخلاص، وإذا ما تحقق فيهم شرائط الاستخلاف في الأرض، فإنه سوف يستخدمهم الله ـ تعالى ـ لنصرة هذا الدين، أما إذا تولى المسلمون عن نصرة هذا الدِّين، فإن الله ـ تعالى ـ سوف يدافع عن دينه وعن مقدساته بذلك الطير الأبابيل، فنصرُ الله آتٍ لا محالة، سواء بأيدينا أو بأيدي غيرنا، وإنما الذي يجب أن نشغل أنفسنا به هو من يساهم في شرف هذا النصر، ويستحق أن يكون مثل هذه الطير الأبابيل في يوم من الأيام[1].

(١) د. أحمد مصطفى نصير – دلالات تربوية على سورة الفيل.

٤ ـ هلاك الظالمين والمفسدين:

إنَّ الصراع بين الحق والباطل سنّة كونية دائمة ومستمرة منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة. وأن نهاية الصراع دائماً هي هلاك الظالمين بسبب فسادهم وظلمهم، وقد سلط الله تعالى العذاب على أصحاب الفيل وشبه تدميرهم وإهلاكهم وصيرورتهم بعد قصف الطير بالحجارة بصورة قبيحة حقيرة، تدل على حقارة كفرهم وهوانهم على الله تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾ ﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الفيل
الله ناصر عباده
وراد كيد أعدائه
هلاك الظالمين والمفسدين
أسباب النصر والتمكين
انتقام الله من أعدائه والانتصار لأوليائه
الثقة في نصر الله

سورة قريش

قريش هم قوم النبي ﷺ، وقد ابتدأ النبي الدعوة فيهم؛ لقوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء]، وبالرغم من ذلك فقد كانوا أشدَّ الناس عداوة وحرباً لدين الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لذا كانوا يمثلون الخطر الأول على الإسلام؛ لأنهم يريدون أن يقضوا على الإسلام في بيته وقبل أن ينتشر ويصل إلى مرحلة العالمية؛ لذا فإن تخصيص الله ـ تعالى ـ لهم بالذكر في هذا القرآن وتسمية هذه السورة باسمهم ليدل على أن القرآن يريد أن يلفت انتباهنا إلى أمر هام، وهو أن أشد العداوات صعوبة ووطأة على الدعاة والمصلحين تكون ـ أحياناً ـ من قومهم أنفسهم؛ إذ كيف يكون البر وصلة الرحم للأقرباء، وهو من أهم أهداف الدعوة الإسلامية، وفي ذات الوقت يكون الخصام والعداوة في الله بين الداعية وقومه، متى صدُّوا عن سبيل الله ـ تعالى ؟[1]

فبدأ الله سبحانه بتذكير قريش التي كانت محل اختيار الله واصطفائه، ليكون منها منطلق الإصلاح البشري القائم على منهج الله وشريعته. فبعد أن كانت قريش مشتتة فيما بينها، وتقوم على حرب العصبيات العائلية الجاهلية، وعمها ثقافة اجتماعية تقوم على العنف والفرقة لأقل الأسباب، كان فضل الله عليهم عندما لملم شتاتهم ووحدهم وأخرج من قلوبهم البغضاء والشحناء، وملأها بالألفة والمحبة وأصبحت من سمات مجتمعهم وعلاقاتهم الاجتماعية وثقافتهم السائدة.

ثم أبعد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عنهم أسباب الجوع، بأن فتح لهم أسباب التكسب والتجارة، وقد مهد الله لهم طريقاً آمناً ليقوموا برحلتين تجاريتين، على مدار فصلي الشتاء والصيف، والذي كان بسبب حلول تلك الألفة والوحدة والتعاون بينهم، فعندها ارتفع الدخل المادي، وتوفر المال بين أيديهم، وأسسوا قوة مادية واقتصادية وعمت العدالة الاجتماعية، وتوفر الحاجات الأساسية لجميع أفراد المجتمع من الأمن والطعام، فزال الخوف من الجوع والفقر.

(١) د. أحمد مصطفى نصير ـ دلالات تربوية على سورة قريش.

ولما ألفت قريش تلك النعم العظيمة، أراد الله أن يذكرهم بأنه لا بد أن تقابل هذه النعم بشكر المنعم وعبادته وذلك حتى يؤدوا واجب الشكر عليها، لأنَّ الدولة القوية اقتصادياً وأمنيّاً إذا لم تكن بذات القوة الإيمانية، فإنه لا شكَّ أن ملكها يؤول إلى الزوال، والعكس كذلك صحيح، إذ سوف يبارك الله في رزقها طالما تمسكت بمنهجه وشريعته.

محور السورة:

التغيير بأيدينا إن رجعنا إلى الله وآمنا بشريعته وعملنا بمنهجه.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. الألفة والمحبة بين الناس.

٢. مقومات الدولة القوية.

٣. الدعاة والتغيير.

٤. كيف نقابل النعمة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١. الألفة والمحبة بين الناس:

أن القادر على أن يؤلف قلوب العباد هو الله ولا يملك العبد منها شيئاً. وهذه الآيات تعبر عن الوحدة الإنسانية القائمة على مشاعر الألفة والمحبة، فيبدأ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بتذكير قريش التي كانت محل اختيار الله واصطفائه، ليكون منها منطلق الإصلاح البشري القائم على منهج الله وشريعته ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾.

فكانت أعظم نعم الله أن أخرج من قلوبهم البغضاء والشحناء، وملأها بالألفة والمحبة، في لحظة كادت العصبية أن تهلكهم جميعا وتقطع أدبارهم ولا تبقى لهم ولا تذر، فكان دين الله وشريعته وبعثة رسوله ﷺ منقذه لهم من الضلال، فسن لهم أن تكون الوحدة والألفة واجبة على المؤمنين، بل من أعظم ما يتقرب العبد به إلى ربه.

٢ـ مقومات الدولة القوية:

تضع (سورة قريش) معياراً للدولة القوية، حيث تقاس قوة الدول بأمرين:

الأول: ما تنعم به من استقرار أمني.

والثاني: ما تنعم به من إشباع لحاجاتها الضرورية، وبخاصة من السلع الاستهلاكية المتمثلة في الطعام والشراب.

وقد حقق الله ـ تعالى ـ هذين الأمرين لدولة قريش، وهو ما انعكس على استثماراتها الخارجية، فتعودت على رحلتين؛ إحداهما في الشتاء والأخرى في الصيف ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾.

وهو ما يدل كذلك على استقرار الأحوال الاقتصادية لهذه الدولة طوال العام، وعدم تعرضها لكساد في التجارة الخارجية، رغم اختلاف فصول السنة باعتبارها عوامل خارجية تؤثر في أذواق المستهلكين وحجم الإنتاج[1].

٣ ـ الدعاة والتغيير:

لقد ضرب الله عَزَّوَجَلَّ لنا مثلاً بقريش ومكة المكرمة، وأوضَح لنا رسالة هامة؛ وهي أنه مهما وصلت الأمم والشعوب إلى حافة السقوط والتفسخ الأخلاقي والانهيار الاقتصادي إلا أن تغيير هذا الشعب ليس بعزيز على الله ا وذلك متى استجاب هذا الشعب لربه وآمن به. فعندما نرجع للتاريخ، ونرى كيف حول الله ـ تعالى ـ هذا البلد إلى أكبر مركز إسلامي عالمي على وجه هذه المعمورة؟ كيف يفد إليها المسلمون من كل بقاع الأرض؟ لنعلم يقيناً أن علينا البلاغ والدعاء، فكما استجاب الله لنبيه إبراهيم وقد بلغ وأوفى، فإنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ سوف يستجيب لغيره من الدعاة المخلصين المجتهدين في دعوتهم لتبليغ الإسلام؛ ليعم هذا الدين الأرض كلها ويظهر على الدين كلِّه، كما وعد الله بذلك.

---

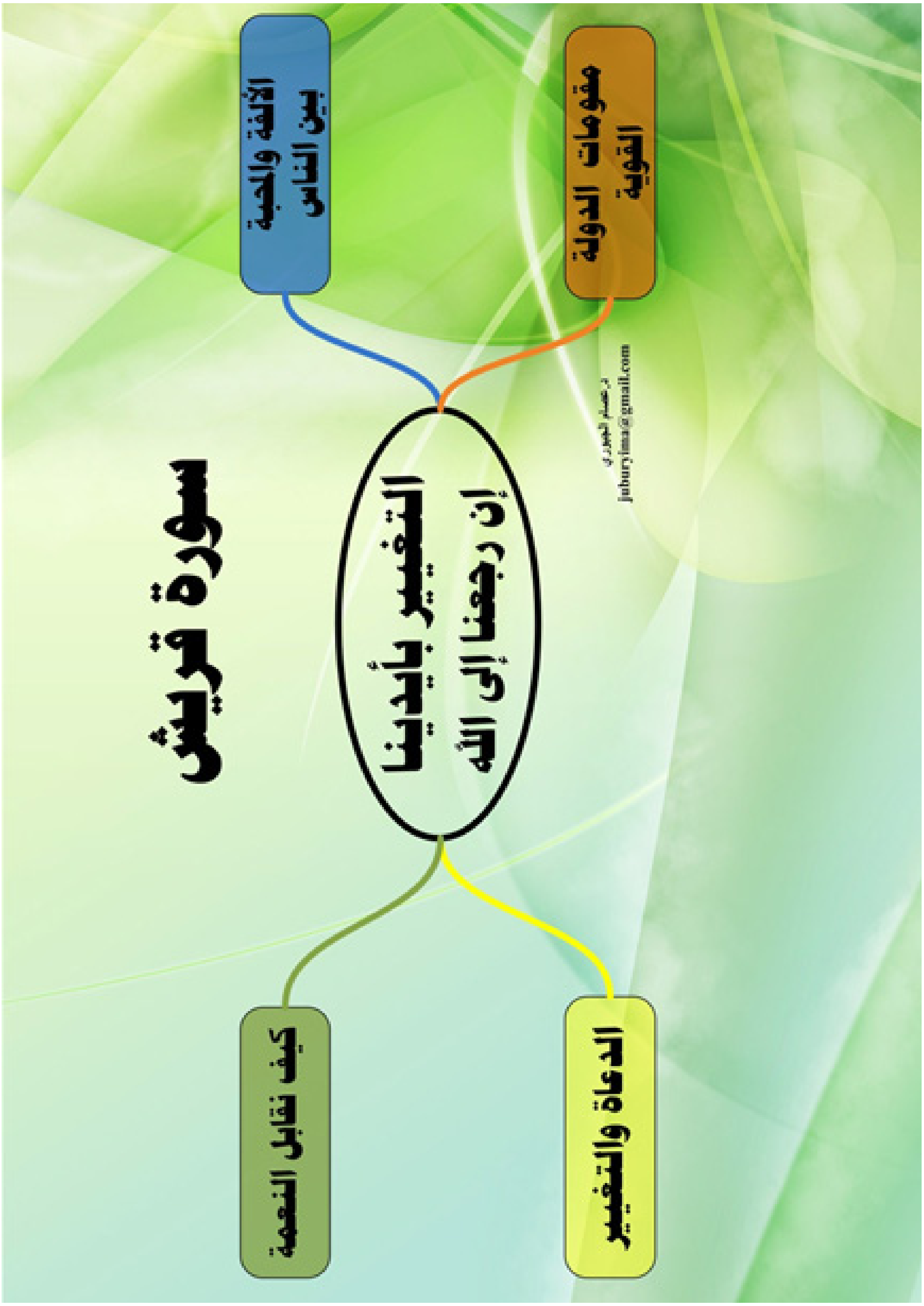
(١) د. أحمد مصطفى نصير ـ دلالات تربوية على سورة قريش.

٤ ـ كيف نقابل النعمة:

حركة الإنسان كلها في حلة وترحاله تقوم على عبادة الله وطاعته وشكره، فهو صاحب الفضل بكل ما يتنعم به الإنسان. فبعد أن بين الله للناس أهم أسس بناء المجتمع ودوامه، يأتي أمر الله لهم بشكره على نعمه، فأمرهم بالعبادة والطاعة له سبحانه، فقال مخاطباً لهم ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾.

ومن الطبيعي أن يذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالنعمة، وذلك حتى يؤدوا واجب الشكر عليها. ولقد تبدل الحال بهم لكل ما يؤدي لسعادتهم وأمنهم، فأصلح الله حالهم وحسن عيشهم وتنعم هذا المجتمع المنهار أخلاقيّاً واجتماعيّاً وأمنيّاً إلى مجتمع ينعم بالأمان النفسي الداخلي الخارجي والاستقرار والرخاء الاقتصادي، فبقي ذلك الأمن مصاحباً لأمته ﷺ إلى قيام الساعة ما دامت التزمت أمر ربها.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة قريش
التغيير بأيدينا
إن رجعنا إلى الله
الألفة والمحبة بين الناس
مقومات الدولة القوية
كيف نقابل النعمة
الدعاة والتغيير
juburyima@gmail.com

سورة الماعون

تكشف لنا هذه السورة عن صفات تتكرر في المجتمع المسلم والكافر على حد سواء ولكن بصور مختلفة ومؤداها واحد فهي صور تحمل خللاً في الفكر والاعتقاد وخللاً آخر في السلوك والتطبيق، وأثرها ممتد من الفرد إلى المجتمع. ثم تفضح أحوال المنافقين، الذين يعلنون خلاف ما يبطنون، ففعلهم يكذِّب زعمهم، إذ يزعمون أنهم مسلمون، وتراهم يصلون، إلاَّ أن صلاتهم رياء وسمعة، وليس فيها خشوع وتوبة، وأفعالهم تدل على ما في قلوبهم من نفاق فتراهم يغلظون مع الضعفاء من اليتامى والمساكين ولا تنكسر قلوبهم لفعل الخير[(١)].

لقد وضعت لنا سورة الماعون أسس الإيمان ومقوماته التي تثبت القلب على الهدى، وبينت أن المؤمن هو الأولى أن يحوي تلك النفوس الضعيفة، والقلوب المنكسرة، وأن يكون من يرسم ابتسامة أمل وحب وحياة، وكل ذلك لا يكون لأجل جزاءاً ولا شكوراً، ولكن إنما يطعم الخير ويبذل العطاء لوجه الله، وكل ذلك تم استنباطه من الصفات السلبية التي صدرت ممن يكذب بالدين، ويدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، ويسهى عن صلاته متعمداً، ويرائي الناس بأفعاله، ويمنع الماعون والخير عن الآخرين، فهذه أفعال وسلوكيات تعارض الإيمان، ولا تدل إلا على الكفر والنفاق، وتدل على أن الأفعال والسلوكيات المضادة لها بالخير، هي من تنجي صاحبها من الويل الموعود لكل من يكذب بالدين.

إنَّ هذه السورة قد نهت بإفصاحها عن مساوئ الأخلاق، ودلت بإفهامها إلى معالي الشيم. وبينت للمسلمين أن هذا الدين ليس شعارات ترفع ولا يعمل بها وأنه اعتقاد وسلوك عملي يرى أثره في الوجود الواقعي، لتصلح به حياة الناس في هذه الأرض وترقى. فهي تدعو إلى سلوك واحد، ألا وهو أن يبذل الخير والعطاء لأجل الآخرين، وإشاعة ثقافة التكافل بين الناس، والوحدة المتماسكة بين أفراد المجتمع الإسلامي، ولنربي أنفسنا على إحساس المسؤولية

---

(١) د. أحمد مصطفى نصير ـ دلالات تربوية على سورة الماعون.

تجاه الآخرين، وخاصة المستضعفين من الناس، والذين لا يجدون من يدافع عن حقوقهم، أو يخرجهم من كربات الدنيا ومصائبها [1].

محور السورة:

احذر مساوئ الأخلاق، وأطلب معالي الشيم.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. التكذيب بالدين.

٢. حقُّ اليتيم.

٣. حثِّ الغير على فعل الخير

٤. السهو عن الصلاة.

٥. احذر الرياء.

٦. النهي عن المعروف

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ التكذيب بالدين:

لقد بدأت السورة بالحديث عن المكذب بالدين، لهول هذا الأمر وعظمته عند الله، فالإيمان بالدين يحوي كافة السلوكيات المضادة للسلوكيات السلبية التي ذكرت في هذه السورة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾.

لأنَّ الدين هو الهوية التي يحملها صاحبها، فيتميز بها عن غيره بالانتماء إلى شريعة الله ومنهجه، والعمل على إطاعة أوامره وتصديقها، والبعد عما نهى عنه والسعي وراء التزامها.

والدين هو شريعة الله وهو الإسلام، الذي أراد الله للبشر أن ينقادوا مستسلمين إليه، منقادين دون شك أو ريب، والدين هو التعامل والتفاعل مع الآخرين في المجتمع، من خلال العلاقات الإنسانية والاجتماعية، واحترام حقوق الآخرين ضمن منهج الله وشريعته، والدين هو الإيمان بالغيب والبعث وأن لا ملجأ إلا إليه، وأننا إليه راجعون لا محال، والإيمان بالجزاء والثواب.

(١) آمال إبراهيم أبو خديجة– تأملات في سورة الماعون.

والدين هو الأمانة التي حملها الله للإنسان، وفرض عليه تأديتها وتحقيقها في الأرض للإصلاح فيها والبعد عن الفساد. فجعل الله دينه أمانة في عنق كل إنسان خلقه وعلمه، فهو مسئول عما أداه وحققه في فترة وجوده على الأرض، والتكذيب بالدين هو من أخطر الكذب وأشدها خطورة على قلب الإنسان وإيمانه(١).

وقد ثبت أن هنالك علاقة بين الموقف والمعتقد الذي يؤمن به الإنسان وبين السلوك الذي ينتهجه في الحياة. ولعل هذه الآية تقيّم الإنسان من خلال عرضه على ميزان الموقف الذي يتبنّاه ومدى تطابقه مع سلوكه الحياتي، وترقى بهذا الميزان ليكون محدداً لموقف الإنسان من خلال سلوكه. وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾، عرضٌ لموقف وعقيدة يتبنّاها الإنسان وهي التكذيب بالدين.

٢ ـ حقُّ اليتيم:

اليتيم هو أمانة عند الله I تعهَّد بحفظه، وأوصى الصالحون بالمحافظة على ودائعه، وأداء حقه وإعانته. ومَن أحقُّ من اليتيم بتلك الإعانة، وإلى توفير ذلك الماعون الذي امتلئ بالحب والعطف والرأفة والشفقة، ليخفف به عن قلبه المحزون، وترسم السعادة والبسمة على تقاسيم وجهه المهموم، وليتزود بطاقة من الأمل والإقبال على الحياة.

فيلجأ مستغيثاً بمن يملكون سلطان القوة من المال، فيطرق أبوابهم علهم يمدونهم مما أمدهم الله من فضله عطائه،ولكنه يُدفع خائباً، منكسراً للقلب محزونا، فيكتشف أن من لجأ إليه لا يعرف للرحمة سبيلاً ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾، لأنه هو الذي يكذب بالدين، ولا يؤمن بعقيدة الرحمة والتعاون والتكافل، ولا بمسؤوليته تجاه المستضعفين من أمته.

٣ ـ حثِّ الغير على فعل الخير:

الآية تدل دلالة واضحة على أن المنافق لا يتكاسل عن فعل الخير فحسب، بل إنما يبخل لغيره أن يفعل هذا الخير، فلا يدلُّ عليه، فكان بخله من وجهين: بخل في نفسه، وبخل أن يدل على الخير متى لم يقدر هو على فعله؛ لرغبته في عدم انتشاره بين الناس. لذلك لم يذمَّ الله

(١) آمال إبراهيم أبو خديجة ـ تأملات في سورة الماعون.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منع المنافق الطعام عن المسكين، وإنما ذم عدم الحضّ وحثّ الغير على فعل هذا الخير ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣ ﴾ لأنَّ الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعاً بعنف ويهينه ويؤذيه. ولو صَدَّقَ بالدين حقاً، ولو استقرت حقيقة التصديق في قلبه ما كان ليدع اليتيم، وما كان ليقعد عن الحض على طعام المسكين.

٤ ـ السهو عن الصلاة:

لقد وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هؤلاء المصلين أنهم ساهون عن صلاتهم، وليس ناسين لها غير متذكرين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥﴾.

لأن النسيان يرفع فيه الحرج والإثم عن صاحبه إن كان ناسياً له دون قصد، أما إذا تناساه فهو يعمل على تجنب ذلك الفعل أو الأمر، رغم وعيه وإدراكه له، ولكنه يعمل على أن يقدم لعقله وفكره وانشغال قلبه بزينة الدنيا ولهوها ولعبها، ويؤخر ذكر ربه وكل عمل يؤدي إليه، فيجعله من وراء ظهره، فيسهو عن الخير والطاعة عمداً وقصداً، دون أن يبحث عما يوقظه من تلك الغفلة.

هؤلاء الفئة من الناس الذين قدموا مصالحهم ومشاريعهم، وشغلوا أوقاتهم كلها في جمع حطام الدنيا، وغفلوا عن أن ما ينفع ليس ذلك المال المجموع، ولا كثرة إشباع الشهوات، ولكن ما ينفع عند الله هو الصالحات من الأعمال، والتي تبدأ، بصحة الإيمان والاعتقاد، ثم بإقامة الصلاة والمحافظة عليها بالخشوع والخضوع، والتي لا بد أن تقود بصاحبها إلى أعمال البر والصلاح بالأرض، فيسعى إلى رعاية المستضعفين من الأيتام والمساكين، فيهون عليه بذل ماله لأجل الآخرين، ويكون حب العطاء لإدخال السرور والفرح على قلوب المسلمين.

ولعل تقديم صفات القلب السلبية، من عدم الإيمان بالغيب، ودع اليتيم، وعدم الحض على إطعام المسكين، لأن صلاتهم لم تترك الأثر الإيجابي فيهم، فلو كانت صلاتهم صادقة ومخلصة لكانت تركت الأثر السلوكي الإيجابي عليهم، فأين تأثير الصلاة الصادقة الصحيحة على قلوب هؤلاء، فكانت مقدمة السورة تبين تلك الصفات، لتفضح ما ادعوا أنهم يؤمنون به ويؤيدونه من الصلاة والانتماء لصف الأمة المسلمة.

٥ ـ احذر الرياء:

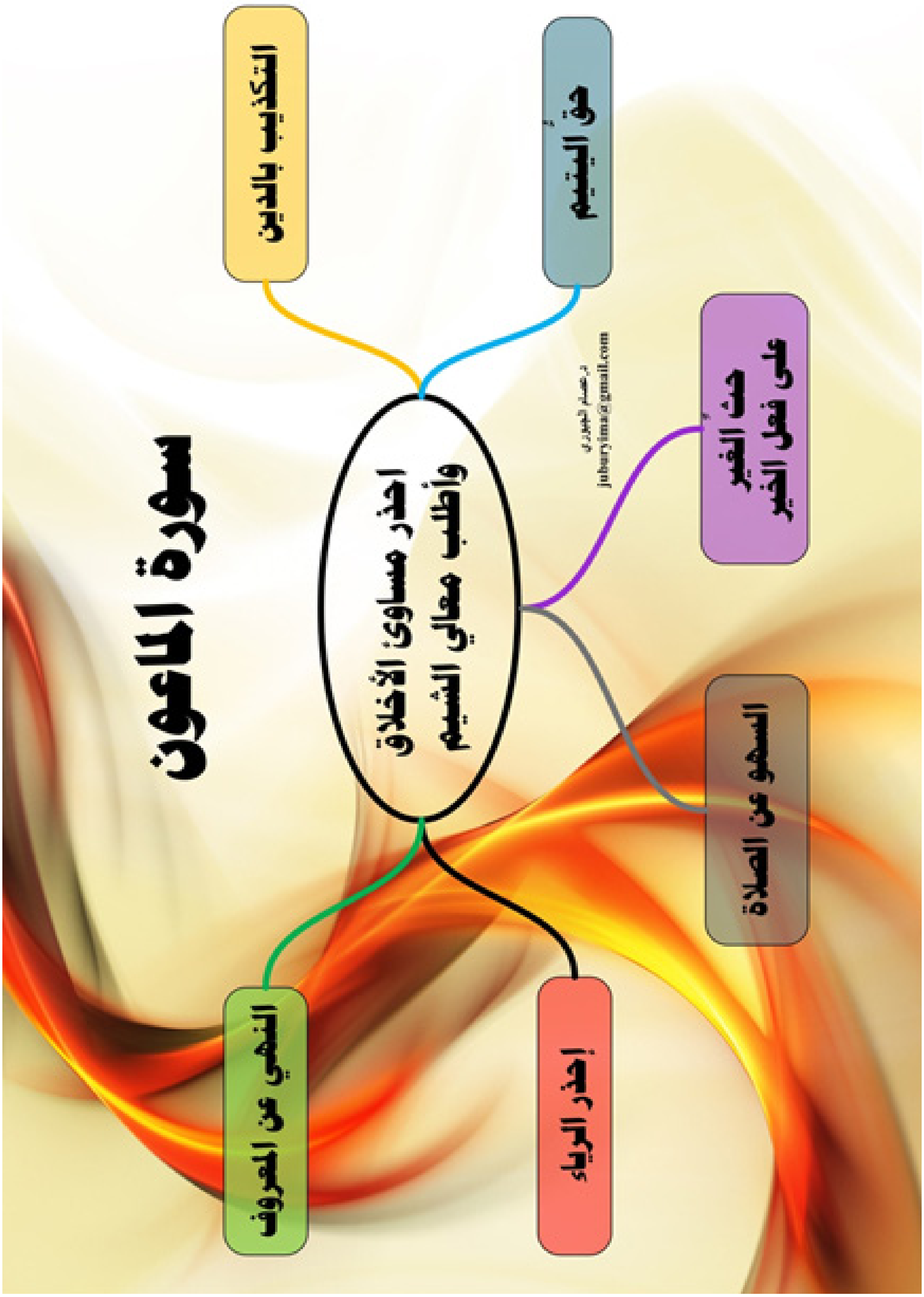
يقع هذا الشخص الذي ذكرت صفاته السلبية، أسير الرياء، فهو ينشط في عمل الخيرات إذا كان أمام الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويجتهد إذا أثنى عليه الناس، فهو لا يفعل عمله إلا لأجل السمعة وإرضاء الآخرين، ولأجل مصالحه ومنافعه ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦﴾.

يدل هذا السلوك على أن الرياء متأصل في القلب حتى أصبح مرضاً مستعصياً من الصعب الانفكاك عنه، فهو اعتاد عليه، ولم يحاول أن يتخلص منه، أو أن يدرب نفسه على الإخلاص والصدق، والبعد عن كل ما يبطل العمل ويضيع أجره عند الله، فلو عرفوا هؤلاء أن الله لا يطلع على صورهم، ولكن محل نظره هو القلب، لكانوا حريصين على ملء قلوبهم بالصدق والإخلاص، ولكن كيف وهم الغافلون الجاهلون، الذين أشبعت نفوسهم باللهو واللعب.

٦ ـ النهي عن المعروف:

إنَّ الذي يدع اليتيم فهو مانع للخير، ومن لا يحض على طعام المسكين هو مانع للخير والإعانة، ومن يسهو عن صلاته ولا يؤديها إلا رياء وسمعة، فهو مانع للإتيان بالخير لنفسه ولغيره، لأن الصلاة هي من تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن لا يحمل في داخله شعوراً تجاه مجتمعه، ولا يشاركه مشاكله الكبرى، ويستهين بعلاقته بالله، ويحاول الحفاظ على علاقته بالناس، فكيف لا يكون من اتصف بكل تلك الصفات السلبية، غير مانع للماعون وناه عن فعل الخيرات، التي تتجلّى في قول ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الماعون
احذر مساوئ الأخلاق
وأطلب معالي الشيم
التكذيب بالدين
حق اليتيم
حث الغير
على فعل الخير
السهو عن الصلاة
إحذر الرياء
النهي عن المعروف
juburyima@gmail.com

سورة الكوثر

هذه السورة هي بشارة من بشائر النصر، فكلما ازداد حنق الكفار على ديننا ونبينا ﷺ كلَّما دلَّ ذلك على اقتراب النصر، لذا فإن هذه السورة تؤكِّد أن أعداءنا يزدادون حنقاً وكرهاً كلَّما ازداد المسلمون تمسُّكاً بشعائر دينهم، وهو الأمر الذي يبدو للوضوح في صلاة العيد ـ وبخاصة عيد الأضحى ـ حينما يتجمَّع المسلمون بعد صلاة الفجر حتى شروق الشمس، وبعدها يصلون صلاة العيد جماعةً في الخلاء أمام الناس جميعاً.

كان سفهاء قريش قد رسموا خطوط للعدوان على رسول الله ﷺ ودعوته بالكيد والمكر وإظهار السخرية والاستهزاء. ليصرفوا جمهرة الناس عن الاستماع للحق الذي جاءهم به من عند الله. لقد بحثوا في حياة رسول الله ﷺ، وعما يمكن أن يؤذيه، ويهز ثقته بربه وخالقه وثقته بنفسه، فحاولوا أن يلقوا في نفسه الخوف والاضطراب، من عدم وجود الأثر له في المستقبل، وكان هذا اللون من الكيد اللئيم الصغير يجد له في البيئة العربية التي تتكاثر بالأبناء صدى ووقعاً. وتجد هذه الوخزة الهابطة من يهش لها من أعداء رسول الله ﷺ وشانئيه، ولعلها أوجعت قلبه الشريف ومسته بالغم أيضاً.

ومن ثم نزلت هذه السورة تمسح على قلبه ﷺ بالروح والندى، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربه؛ وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه. وتُبَشِرُ الدعاة إلى الله بأنَّ الدعوة إلى الله والحق والخير لا يمكن أن تكون بتراء ولا أن يكون صاحبها أبتر، لأنها موصولة بالله؟ إنما يبتر الكفر والباطل والشر ويبتر أهله، مهما بدا في لحظة من اللحظات أنه طويل الأجل ممتد الجذور.

فهذه النهاية الحتمية، والقانون الثابت مع الله، فرفع الله ذكر نبيه ﷺ، ودام شأنه ورفعته، ويرفع الله عباده وأولياءه ومن تبع سنة نبيه، ويديم لهم الذكر والشأن، مهما كانت حالهم في ميزان الدنيا يدل على الضعف والتهميش وعدم التكريم من البشر، لكن الله لا يضيع أجر من

أحسن عملا، أما هؤلاء الواهمون الراكضون وراء رفعة الدنيا بموازينها، فهم الأخسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة، وما تحقق لهم أي شيء مما توهموه واعتمدوا بقوتهم عليه في الوجود.

محور السورة:

صورة من حياة الدعوة والداعية.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. نعم الله تعالى على رسوله ﷺ وفضله العظيم وعطائه الكثير له في الدنيا والآخرة.

٢. رعاية الله لعباده المؤمنين.

٣. لا تنسَ ذكر الله.

٤. تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه، ومرهوب وعيده لشانئه.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ نعم الله تعالى على رسوله وفضله العظيم وعطائه الكثير له في الدنيا والآخرة:

إنَّ الله اختارك يا محمد ـ ﷺ ـ وأحبك من بين خلقه جميعاً ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾، فكنت صاحب الشأن العظيم الكريم، الذي كرمك بأن ووصل اسمه باسمك، وأمر أمتك أن تذكرك وتصلي عليك بعد أن يذكرونه بالحمد والشكر، فرفع لك ذكرك على الأرض، ورفع مقامك في آخرتك حتى وصلت سدرة المنتهى، وجعل كثير من البشر الذين تبعوك يصلون عليك في كل وقت وحين، وجعل في قلوبهم حب المسارعة لتنهض أقدامهم لتدافع عن ذكرك وشرف مكانتك، إن حاول المجرمون تدنيس شيءٍ منها أو تحريفاً أو ادعاءً عليها، ووضع الله حبك في قلوب أمتك وقلب كل من عرفك، فأصبحت القدوة الأولى لهم فأنت المعلم والوالد والقائد وكل شيء في حياتهم، فجعل سنتك تسير معهم وتتبعها خطواتهم بذلك الحب والشوق إليك، وتعلقت قلوب أمتك في طلب الشفاعة لهم على صراط الله، وطمعوا في أن يحشروا معك على الحوض الذي أخصك الله به، لينالوا شرف رؤيتك والشرب من يديك الكريمتين شربة لا ظمأ بعدها أبداً.

٢ ـ رعاية اللّه لعباده المؤمنين:

هذه الآيات الكريمة تمثل صورة من حياة الدعوة، وحياة الداعية في أول العهد بمكة ولقيام الساعة. صورة من الكيد والأذى للنبي ﷺ ودعوة الله التي يُبشر بها؛ وصورة من رعاية الله المباشرة لعبده وللقلة المؤمنة معه؛ ومن تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه ﷺ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾.

فتأكيد الله سبحانه بالعطاء عليك، ونسب ذلك العطاء منه سبحانه، إنما ذلك زيادة تشريف وتكريم لك، وتذكير لك عند همك وحزنك، أو عندما تلقي ما لا يرضيك من قومك وممن حولك، أنك محفوف برعاية الله، وأنك تزداد عطاءاً منه، فهو المتولي لأمرك فلا تهتم لأمر ما يقولون وينسبونه لك، أو يحاولون به هز ثباتك أو اضطراب دعوتك، فالله من رفع لك شأنك وذكرك ليبقى حياً في الدنيا والآخرة.

وفيها بُشرى للدعاة أن لا تخافوا من عدوك وممن ظلمك ما دمتم مع ربك، واعلموا أن الأيام دول والساعات تدور، وأن دوام الحال من المحال، ولا يدوم في الوجود إلا ما هو حق وثابت، أما الباطل فيذهب جفاءاً وزبداً رابياً لا يبقى له أثر.

٣ ـ لا تنس ذكر اللّه:

يُعلم الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ في لحظة تذكر ذلك العطاء الواسع الكثير الممتد والذي يزداد مدده كل يوم، أن لا تنس ذكر ربك، بل خر له راكعاً ساجداً، تقرب إليه بالحمد والشكر في صلاتك ودعائك، ومن خلال تقديم النحر والذبح ابتغاء وجهه الكريم ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، والإنفاق مما أعطاه الله على الفقراء والمساكين. فأنت خير البشر على هذه الأرض، وأنا أحببتك حباً لم أحبه لأحد من قبلك ولا من بعدك، وأنت أول الخلق قرباً مني ووصال معي، فكن يا محمد قريباً مني، ودائم الوصال في ودي، وأن تبذل مما أعطيتك في سبيلي، وأن تسخر كل ذلك العطاء لأجل مرضاتي والعروج إليَّ بأعلى المعارج عندي.

٤ ـ تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه، ومرهوب وعيده لشانئه:

تتنزل كلمات الله بالحب والرحمة وجميل القرب والرعاية المستمرة على قلب رسول الله ﷺ، فقلبه الشريف الذي انفطر من شدة ألفاظ السفهاء المستهزئين، الذين قاسوا الأمور من منظارهم الأعمى. فنظروا إليه ﷺ، وهم يتهامسون ويتغامزون، وقد انشقت عن شفاههم ضحكة السخرية والنظرة الحقيرة الماكرة، يتعالون في صيحات ضحكاتهم وسخرية ألفاظهم، يذكرونك يا محمد ﷺ بأنك أبتر، أي لن يكون لك تواصلٌ ولا ذكرٌ ولا رفعة بعد انقطاع وجودك عن الدنيا، فأنت لا تملك الولد الذي سيحمل اسمك وذكرك، ويدوم صيتك بين الناس على يديه.

فأين الذين كانوا يقولون عن محمد ﷺ قولتهم اللئيمة، وينالون بها من قلوب الناس، ويحسبون حينئذ أنهم قد قضوا على محمد ﷺ وقطعوا عليه الطريق؟ أين هم؟ وأين ذكراهم، وأين آثارهم؟ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

فهؤلاء القوم انقطع وجودهم، وبترت وأثارهم من جذور الأرض، لأنهم ما صدر منهم الخير والإصلاح فيها، بل انتشر فسادهم وسوء خلقهم، والعمل على تدمير نفوس الصالحين ومحاربتهم، بكل وسائل القمع النفسي والجسدي حتى لا يستمر لهم وجود، ولكنهم هم الأخسرون الذين خسروا أنفسهم، وما نفعتهم رفعة الجاه والمنصب والنسب، ولا كثرة الأبناء وتفضيلهم على البنات، فأين كل ذلك منهم الآن، وهم قد طُمسوا تحت تراب الأرض جيفة نتنه قد فاضت رائحة الذل والتحقير منهم، وما عاد لهم وصال مع أهل الدنيا، ولن يكون لهم وصال مع أهل الآخرة، فهم المخلدون في عذاب جهنم جزاء بما كانوا يفعلون ويسيئون به لرسول الله ﷺ.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الكوثر
صورة من حياة الدعوة والداعية
تثبيت الله ووعيده لشانئه
لا تنس ذكر الله
نعم الله تعالى على رسوله
رعاية الله لعباده المؤمنين
د.عصام الجبوري
juburyima@gmail.com

سورة الكافرون



رأت قريش أن رسول الله ﷺ لم يصرفه عن دينه ودعوته أسلوب السخرية والاضطهاد والتعذيب، ولا أسلوب الإغراء، فسلكوا معه طريق المساومة والتنازلات، لعله يرجع عما جاء به، أو يتنازل عن بعض الحق الذي يدعو إليه، فأوحى الله إليه: قُلْ معتقداً في نفسك، ومخاطباً كل من يساومونك في عقيدتك: يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الجاهلون إنكم واهمون، فوالله لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، ولا أفعل ما تطلبون، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ما دمتم تجعلون مع الله إلهاً يعبد، ألا وإني أعلن رفضي للعرض الذي به تقدمتم، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وأعلم أيضاً أنكم بهذه المجاملات لستم بمعتقدي ما أعتقد، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ.لكني أقبل أن يكون لَكُمْ دِينُكُمْ وإن كان باطلاً من الأساس وأنا بريء منه، وَلِيَ دِينِ وتخلوا بيني وبين الناس.

فكان الرفض من ناحية المبدأ، لأن المسألة تتعلق بعبادة الله التي تمثل التوحيد ومنهجه في العقيدة والحياة، في مقابل مسألة عبادة الأوثان التي تمثل الشرك ومنهجه فيهما، ما يعني التنازل عن أساس الالتزام العقيدي، فإنّ الإسلام قد جاء لمحاربة الوثنية بعقيدة التوحيد، فكيف يمكن الاعتراف بها من ناحية المبدأ في ما يعنيه ذلك من الابتعاد عن الجدّية في الدعوة إلى وحدانية الله؟!

إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر.. ولا يلتقيان.. التوحيد منهج يتجه بالإنسان ـ مع الوجود كله ـ إلى الله وحده لا شريك له. ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان، عقيدته

وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه،وتصوراته كلها عن الحياة وعن الوجود. هذه الجهة التي يتلقى المؤمن عنها هي الله، الله وحده بلا شريك. ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس. غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صوره الظاهرة والخفية.. وهي تسير[1]..

وعلى ضوء ذلك، فإن على العاملين في حقل التربية الإسلامية، أو الدعوة الإسلامية، أن يضعوا هذه السورة في البرامج التربوية التي يدرسها الجيل المسلم، ليحفظوها وليفهموها وليلتزموا مضمونها الحيّ في أفكارهم وأخلاقهم، لتكون التنشئة التربوية مرتكزةً على قاعدة الإصرار على الالتزام بالخطّ المستقيم وعدم الانحراف عنه لقاء أيّ عرضٍ للتنازل من أيّة جهةٍ كانت، ولتكون الدعوة الإسلامية متحركةً في خطّ الثوابت العقيدية والمصيرية بكل استقامة وثباتٍ[2].

محور السورة:

منهجان متضادّان لا يلتقيان.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. التوحيد والبراءة من الشرك والضلال.

٢. المفاصلة الحاسمة بين منهج الله ومناهج البشر.

٣. الالتزام بالمنهج.

٤. التميز لا التميع.

٥. منهج الإسلام في الحوار

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ التوحيد والبراءة من الشرك والضلال:

صوت الحق يعلو ويصدع، فلا صوت يعلو فوقه، فالجهر بصوت قوة الاعتقاد الذي انطلق به رسول الله ﷺ ليزلزل قلوب الكافرين، إنها صيحة الإيمان الكبرى التي فجرت أفئدتهم

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

(٢) لوحة للخطاط حسن كنعان / كلية الفنون الإسلامية ـ خط الثلث ـ http://freeislamiccalligraphy.com.

بإعلان أن لا إله إلا الله، وإعلان الاستحالة في أن يساوم على عبوديته وتوحيده في شيء، ويؤكد حقيقة الانفصال الذي لا يرجى معه اتصال ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾.

فعبادتي غير عبادتكم، ومعبودي غير معبودكم ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾.

فعبادتكم غير عبادتي، ومعبودكم غير معبودي ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾.

وهكذا نجد أنهما منهجان متضادّان لا يلتقيان عند قاعدة واحدةٍ، ولا يتحركان في صعيد واحد، فهناك عبادة الله التي تعني الإيمان به على أساس أنّه الخالق القويّ القادر القاهر الحكيم المدبّر المنعم، والإله الواحد الذي لا إله غيره، والخضوع له خضوعاً مطلقاً في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، ورفض الخضوع لغيره، والسير على المنهج الذي أراد من الناس أن ينهجوه من خلال رسالاته التي أوحى بها إلى رسله.

وعلى هذا الأساس انقسم الناسُ في القرآن الكريم إلى رجلين:

رجل عرف اللهَ فطبَّق منهجه وأحسن إلى خلقه، ومسؤول أمام الله في كل شيء. وينطلق في علاقاته بالناس من خلال الصلة التي تربطه بالله، ليوالي من والى الله، وليعادي من عاداه. وهكذا تختصر الحياة كلها لديه كلمةٌ واحدةٌ، هي الإيمان بالله والاستقامة على منهجه المستقيم، فسعِد في الدنيا والآخرة.

ورجل غفل عن الله فتفلَّت من منهجه وأساء إلى خلقه، وبذلك كان إنسان الهوى الذي يتخذ إلهه هواه، وإنسان العبث واللعب واللهو الذي يرى الحياة فرصةً لذلك كله، فشقي في الدنيا والآخرة.

٢ ـ مفاصلة كاملة شاملة، وتميز واضح دقيق:

إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر.. ولا يلتقيان.. التوحيد منهج يتجه بالإنسان ـ مع الوجود كله ـ إلى الله وحده لا شريك له. ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان، عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة وعن الوجود. هذه الجهة التي يتلقى المؤمن عنها هي الله، الله وحده بلا شريك. ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس. غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صوره الظاهرة والخفية.. وهي تسير..

وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية. وضرورية للمدعوين[1].

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾.

إنَّ الأمة الإسلامية والشخصية الإيمانية يجب أن تبقى حذره مما يدخل عليها من قيم ومفاهيم من خارجها مع عدم إنكار ما يستفاد من الغرب من التقدم والتطور العلمي، وتكون متميزة في فكرها وإنتاجها، وتُصدر للعالم أشرف العلوم والمعتقدات وتكون هي من تجذب الآخرين إليها بذلك التسامح والحب الإنساني الذي تمثل بهذا الدين وبشخصية رسول الله ﷺ التي تمثلت بصلابة ومتانة هذا الدين، المتمثل بقوة إيمانه وحبه وإخلاصه لربه فهو القدوة الأولى والمعلم الأعظم الذي يجب أن تقتدي به أمة الإسلام أولاً ثم البشرية جمعاء.

٣ ـ الالتزام بالمنهج:

أنتم مخيرون أيها الكافرون بوضع منهجكم لحياتكم، ولكن حريتكم تلك مقيدة بعدم الاعتداء على حريات الآخرين ومحاربة غيركم فيما يعتقدون ويؤمنون به، فأنا مستسلم إلى ربي أخطط وأسير متبعاً خطوات الحق والوحي والمنهج، فمستحيل علي أن أندمج بفكري وعقلي وجوارحي بما انخرطتم به من الضلال، لأن ذلك لا يتناسب مع ما تدثرت به وزملني الله، فأنتم لبستم الضلال والشرك والكفر وأنا لبست لباس التقوى والتوحيد لله، فكيف سيجتمعان الاثنان فذلك محال(وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣)

فانطلقوا أنتم بما أردتم وسأنطلق أنا مستمراً بدعوتي وتوحيدي، وسيكون الله بيننا وسيحكم الله بكلمة الفصل فيما كان بيننا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وسيُظهر صف الإيمان والصدق وينصره على الضلال والشرك، ليُنير بالهدى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، وستكون المكافأة من الله والجزاء العظيم جزاء ما ثبتوا به على الحق، فيحقق لهم النصر القريب والفتح العظيم في الدنيا ثم يكون لهم الجزاء الأوفى والأعظم في جنات النعيم.

٤ ـ التميز لا التميع:

فهذه الآية تأكيد للذات الإيمانية الثابتة المتمثلة بشخصية الرسول ﷺ والتي ستقود الأمة وتقودها إلى العالمية، الشخصية التي ستكون قدوة للعالمين بقوتها، وصحة اعتقادها وثباتها

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

على الحق، والتي لا تميل إلا معه أينما مال، ولا تسمح للباطل أن يتسرب بين جوانحها، وأن يزين أبصارها ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾.

إنها الشخصية التي ستُعلم العالم، وتكون المثال العظيم لأمته ليحتذوا حذوه، ويسيروا على منهجه بعدم الانصياع والتذلل والمساومة على دين الله، مهما اشتدت الكرب والمحن، وان كل من يفعل ذلك فقد أوقع نفسه فريسة الفتن والهلاك.

هذه الصورة في شعور المسلم هو حجر الأساس. شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء. لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه. لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم، فلا نقبل في عقيدتنا مداهنة أو مساومة، وليكن شعارنا في مواجهة المخالفين: لكم دينكم ولي دين. لقد كان التَّمَيُّز كان أمراً مقصوداً يستهدف زيادة تماسك الأمة واعتزازها بذاتها، يتضح ذلك في تمييزها بالقبلة واتجاهها إلى الكعبة. وتَـمَّـيُّز

والمسلم لا يعيش إلا لخالقه ولا يستسلم إلا إليه، فهو العبد المنقاد إلا لمن أوجده وسواه، فهذه العبودية ليست كأي عبودية، إنها التحرر من كل براثن الضلال والهوى والاستسلام والانقياد لرب السموات والأرض، فالدين هو كل ما تحركت وسكنت به نفسه ونوازعه، فلا يتنفس ولا يحيا إلا ضمن منهج الحق ودعوة التوحيد، فالمؤمن الصادق لن يزيحه عن دينه أيُّ شيء، فلا تثنيه سبائكُ الذهب اللامعة ولا سياط الجلادين اللاذعة عما هو فيه.

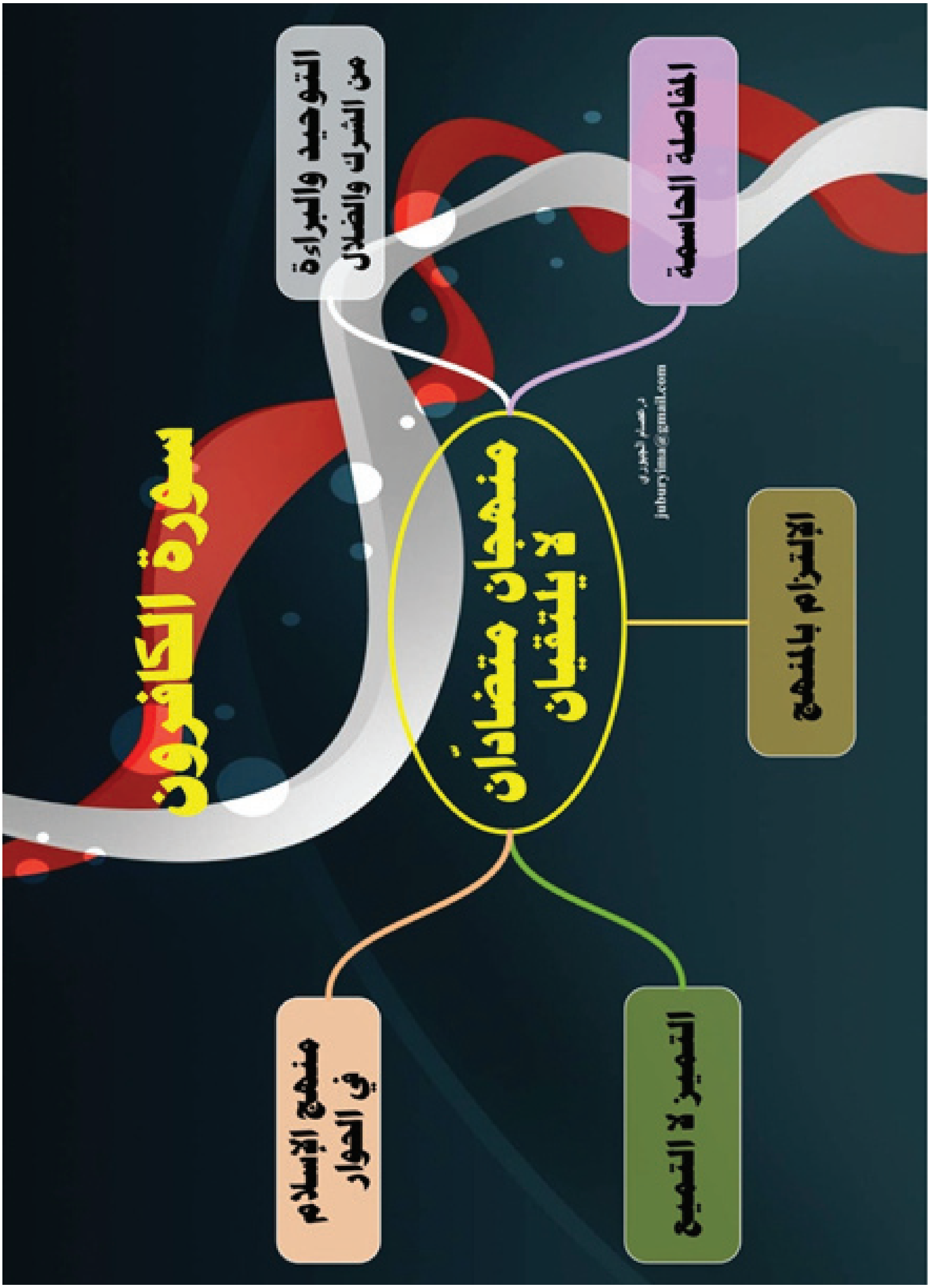
٥ ـ منهج الإسلام في الحوار:

تكشف لنا هذه الآية المكية ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ عن أسلوب الدعوة في مكة، وكيفية التعامل مع الخصوم، والتأمل في المسيرة التي أنتهجها رسول الله ﷺ وأصحابه في حمل الدعوة والتبشير بالإسلام، إنّ رسول الله ﷺ كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتبع أسلوب الحوار الفكري، والإقناع العلمي، ولم يستعمل العنف، ولم يشرع باستعمال القوة في مكة، رغم ما لاقى هو وأصحابه من أذى واضطهاد، وفرض للحصار الاقتصادي والاجتماعي عليه وعلى أصحابه. والقرآن رغم كل ذلك أمر النبي محمداً ﷺ بالصبر والتحمل، واللجوء إلى أسلوب الحوار العلمي، والإقناع المنطقي لهداية الناس وإصلاحهم.

إنه المنهج القويم الذي لا إكراه فيه ولا إجبار في اتِّباعه، بل للإنسان حرية الاعتقاد بما يشاء وإتباع ما شاء ما دام أنه لا يعتدي على حقوق الآخرين، ولا يحاول التأثير فيهم ونشر معتقداته التي لا تتفق مع المنهج الرباني القويم، ما دام منشغلاً بنفسه ويدور حولها دون الخروج بعيداً عنها. ولكن ذلك لا يعني أن الله لا يتوعدهم ولا يهددهم بعقابه الأليم إن اختاروا طريق الكفر، ولا يعني إعطاء الحرية المطلقة والعنان في الاعتقاد لمن شاء، فهناك حدود وضوابط شرعها الدين يجب أن لا تُتعدى لمن لا يهتدي إلى الحق[1].

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

(١) آمال إبراهيم أبو خديجة ـ تأملات في سورة الكافرون.


سورة الكافرون
منهجان متضادان لا يلتقيان
التوحيد والبراءة من الشرك والضلال
المفاصلة الحاسمة
الالتزام بالمنهج
التميز لا التمييع
منهج الإسلام في الحوار

سورة النصر



إنَّ النصر مطلب المؤمنين جميعاً في كل عصر ومِصْر؛ إذ به يُحِق الله الحقّ ويبطل الباطل؛ وتتحقق العزة ويزول الذل، وتدول دولة الباطل؛ حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

فالنصر سنّة إلهيّة كونية حتمية، لا تتبدل ولا تتغير، يناله عباده المؤمنين المخلصين، المتوكّلين عليه، العاملين بأحكامه وتعاليم منهجه، مهما بلغت الحواجز والصّعوبات، وحجم التضحيات، لأنَّ الوصول إلى الهدف الكبير والنّبيل، لا بدّ له من التسلّح بالعزيمة والصّبر والإرادة القويّة، والأخذ بأسباب القوّة الماديّة والمعنويّة[١].

لذلك فإنَّ النصر هو الأمنية الباقية في القلوب، والأمل الشاخص أمام الأعين؛ ينتظره الصادقون، ويتشوق إلى قربه الشرفاء، ضعفاء كانوا أو أقوياء؛ فالنصر قد يكون قريباً وقد يطول طريقه فيكون بعيداً، لكنَّ النفوس تتوق إلى النصر القريب.

(١) لوحة للخطاط الأمريكي أفرت باربي everitte.org

هذا النصر بيد الله وحده، يقدره حيث شاء، في الوقت الذي يشاء. وليس لأحَدٍ من أمره شيء، إنما هو أمر الله لعباده المؤمنين الصادقين، يحققه بهم أو بدونهم. وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم، وأن يقيمهم عليه حراساً، ويجعلهم عليه أمناء. هذا هو كل حظهم من النصر ومن الفتح ومن دخول الناس في دين الله أفواجاً.

لقد حَوَتْ (سورة النصر) إشارة باهرة لجوهر الانتصار في الإسلام وأهمها أن تنفتح طرق الخير، وأعظمها: باب الهداية والاستقامة على الدين، وبذلك يكون النصر لدين الله، ويكون مفتاحاً للطريق إليه وعودة الناس لله عَزَّوَجَلَّ.

إن الجهاد عندما يكون في سبيل الله حقاً فإن الانتصار هنا يكون للمنهج المنَزَّل من السماء، قبل أن يكون للجنود المرصوصين على الأرض. فإذا كُسِرت الجيوش واستُشْهِد الجنود، لا يُسمى هزيمة؛ فالمنهج الحق لا يهزم، ولذلك لم يُهزم رسولٌ ﷺ قط، وإنما يُبتلى أو يُصاب.

إنَّ النصر لا يأتي إلا بعد اجتياز المؤمنين مرحلة الابتلاء والتمحيص، عندها يدخل الناس في دين الله أفواجاً، فلا يحول بينهم وبين الدخول في دين الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ظالم أو مفسد، وإنما يكون الطريق للإسلام ممهداً، وهنا لا شكَّ أن دين الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ سوف يظهر على الدين كلِّه، وظهور هذا الدين لن يقتصر على اقتناع الناس بحكم الإسلام فحسب دون أن يرتضوا بعقيدة الإسلام، وإنما يبدو هذا النصر ظاهراً عندما يصل هذا الدين لقلوب الناس اقتناعاً منهم بالإسلام عقيدةً ومنهجاً.

محور السورة:

نصر الله لا يُمنحُ لمن حاد عن منهجه.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. صور النصر في الإسلام.
٢. شروط النصر.
٣. الحذر من اليأس من نصر الله.
٤. الثقة بنصر الله ووعده الحق.

٥. النصر والاستغفار.

٦. لا نصر إلا بتوبة.

شرح الأفكار الرئيسة:

١. صور النصر في الإسلام:

إن النصر سنة كونية حتمية، لا تتبدل ولا تتغير، لكن يشترط له اليقين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإيمان به والأخذ بأسبابه والنصر لا يأتي للمؤمنين إلا لأجل إعلاء كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾.

فالتناصر بين المسلمين لا لأجل قومية يتعصبون لها، ولا لأجل عنصرية يتفاخرون بها، ولا لأجل دنيا يتنافسون عليها، إنه محض التناصر لأجل وحدة هذا الدين، والحفاظ على أهله وحقهم في ممارسة شعائرهم الدينية في آمان وسلام.

لكن لهذا النصر صور عديدة وليس النصر محصوراً في انتصار المعارك فحسب، بل قد يقتل النبيّ أو يطرد العالم أو يسجن الداعية أو يموت المجاهد أو تسقط الدولة والمؤمنون منهم من يسام العذاب ومنهم من يلقى في الأخدود، ومنهم من يَستشهد، ومنهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد ومع ذلك يكون كل هؤلاء قد انتصروا بل وحققوا نصراً مؤزراً. ومن قَصَرَ معنى النصر على صورة واحدة وهي الانتصار في المعارك فحسب لم يدرك معنى النصر في الإسلام.

٢ ـ شروط النصر:

للنصر طريق واحد وصراط مستقيم وشروط ثابتة لا تتغيّر كما فصّله منهاج الله، لأن النصر من عند الله وحده، ينزله على عباده المؤمنين الصادقين. هذا النصر المؤزر العزيز لا يتحقق بالأمانيّ والأحلام ونحن عاكفون في البيوت، بل لا بد من توفّر الشروط الموضوعية لكي يتحقق نصر الله، وليست هذه الشروط من المستحيلات. إنه يتلخص بكلمتين اثنتين، الإيمان والإعداد. فالإيمان الحق يحمل صاحبه على طاعة الله والعمل الصالح. والشيء الثاني: هو الإعداد الذي يستنفد الطاقات بالعزيمة والبذل والجهاد. فالأمة التي تريد النصر، والنصر من

عند الله، تنهض لأمر الله طاعة وعبادة والتزاماً، عن إيمـان بالله واليوم الآخر، إيمان صادق تؤثر به الآخرة على الدنيا، وتسعى إلى الآخرة كما أمر الله، ولا تنس نصِيبها من الدنيا لتكون قوة لها على درب الآخرة، ولا تطلب الدنيا للدنيا.

حين تتوافر هذه الشروط في واقع المسلمين، وحين يوفون بعهد الله، يوفي الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بعهده لهم، فإن لم يوفوا فالأمر بيد الله يجري قضاؤه الحق العادل في خلقه جميعاً: قضاء نافذ، وقدر غالب، وحكمة بالغة.

٣ ـ الحذر من اليأس من نصر الله:

إن نصر الله عَزَّوَجَلَّ متحقق لمن يستحقونه وهم المؤمنون الذين يثبتون حتى النهاية، والذين يثبتون على البأساء والضراء، الذين يصمدون للزلزلة، ولا يحنون رؤوسهم للعاصفة، ويستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله، وعندما يشاء الله، وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها فهم يتطلعون فحسب إلى نصر الله لا إلى أي حل آخر، ومع ذلك فإن من سنن الله تعالى أن النصر قد يتأخر ولو كان أهله مسلمون وأعدائهم كفار وذلك لأسباب:

- **أن الأمة لم تُحشد بعد طاقاتها ولم تتحفز كل قدراتها وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات، فلو نالت النصر حينئذٍ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلا. لأن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه لأنه رخيص الثمن لم تُبذل فيه تضحيات عزيزة.**
- **قد يتأخر النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله وهي تعاني وتتألم وتتأذى وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله ولا ملجأً إلا إليه، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على المنهج الصحيح بعد النصر عندما يتأذن به الله، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها الله به.**
- **لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحققه أو تقاتل حمية لذاتها أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها. والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله.**
- **لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف تماماً زيفه للناس، فلو غلبه المؤمنون حينئذٍ فقد يجد الباطل له أنصاراً من المخدوعين فيه لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله**

فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة فيشاء الله أن يبقى الباطل مدة من الزمن حتى يتكشف عارياً للناس وإذا ما ذهب فإنه يذهب غير مأسوف عليه.

- لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة. فلو انتصر حينئذٍ للقيت معارضة من البيئة حولها لا يستقر معها قرار، فيظل الصراع قائماً حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ولاستبقائه[1].

٤ ـ الثقة بنصر الله ووعده الحق:

إن الثقة بنصر الله، وعونه ووعده الحق لمن جاهد في سبيله، هي زاد الطريق، ومفتاح الأمل، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق الرحلة وتبقى لحظة النصر وبشارة التمكين حية شاخصة في رؤى المجاهدين ومشاعرهم ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾.

وإن من فقد هذه الثقة بالله ونصره، فقد خسر خسراناً مبيناً، ومن تشكك فيها لحظة، فقد تأخر عليه النصر على قدرها، من أجل هذا كله ومن أجل غيره مما يعلمه الله ولا نعلمه نحن قد يتأخر نصر الله فتتضاعف التضحيات وتتضاعف الآلام وتتضاعف معها الأجور وفي كل ذلك خير مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

٥ ـ النصر والاستغفار:

لا شكَّ أن النصر على الأعداء والتمكين لدين الله ومنهجه في الأرض هو من أشدِّ ما ينتظره المؤمنون الصادقون. ومن الخطورة بمكان أن يضيِّع المسلمون هذا النصرَ، وهذا الفتحَ الذي منَّ الله عليهم به، حين يفتنون ويتنازعون فيما بينهم، إذا نسوا الذكر، وانشغلوا بأمور الدنيا، حين ذاك تذهب ريحهم ووحدتهم، وتنكسر شوكتهم في عيون أعدائهم. إنَّ المولى عَزَّوَجَلَّ يذكِّر المنتصرين بأهمية الذكر والاستغفار ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ في هذا الموقف بالذات لعدة أسباب منها:

- الاستغفار من الزهو الذي قد يساور القلب أو يندسس إليه من نشوة النصر بعد طول الكفاح والعناء.

(١) مقالة لناصر الأحمد- بعنوان من معاني النصر/http://www.saaid.net .

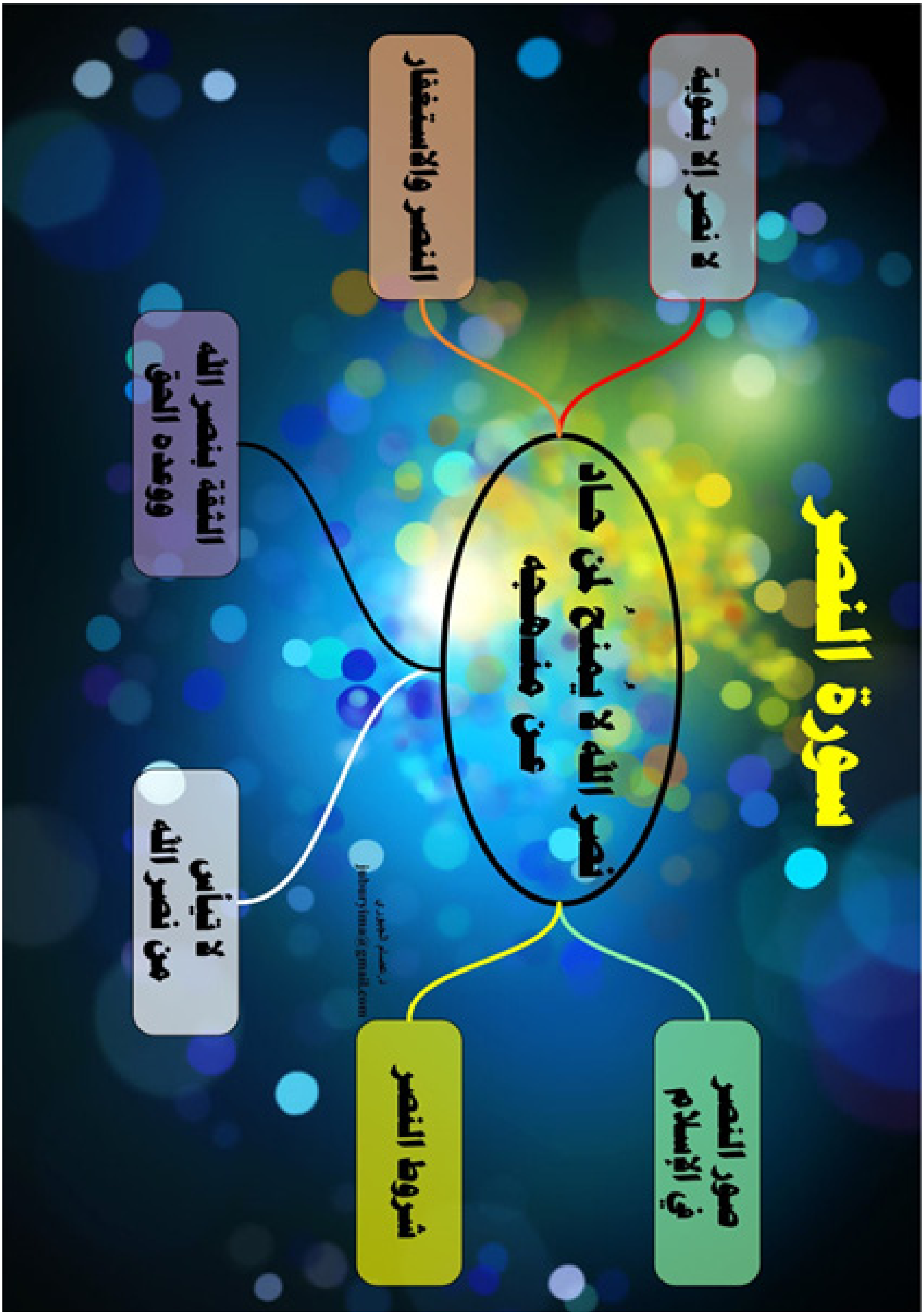
- **الاستغفار مما قد يكون ساور القلب أو تدسس إليه في فترة الكفاح الطويل، والعناء القاسي من ضيق بالشدة، واستبطاء لوعد الله بالنصر.**
- **الاستغفار من التقصير في حمد الله وشكره. فجهد الإنسان، مهما كان، ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة.**
- **الاستغفار فيه إيحاء للنفس في لحظة الزهو والفخر، بأنها في موقف التقصير والعجز. فأولى أن تطلب العفو من ربها.**

٦ ـ لا نصر إلا بتوبة:

إن المسلم يدرك أن النصر لا يأتي إلا من عند الله على عباده المؤمنين ما داموا ينصرون الله حقّاً سرّاً وجهراً. وما أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نتوب إليه إلا ليقبل توبتنا، وما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لدعائنا.

وفي هذه الآية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ إشارة إلى أنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يفتح باب التوبة في كلِّ الأحوال، وفي موطن النصر والفتح على المسلمين؛ ليستغفر المستغفرون وينتهي العصاة والمذنبون، وتنتهي الشحناء بين المسلمين حتى يظل النصر حليفاً لهم ينعمون به ـ بفضله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وليس بعد التوبة شيء يستحق العيش لأجله، إذ حينئذ يتحقق النصر الحقيقي، إذ كيف بنا إذ تاب الله علينا، أنؤجل لقاءه؟! بالطبع يكون النصر حين يلقى العبد ربَّه، وقد تقبَّل الرحيم التواب توبته وأدخله في رحمته.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة النصر
نصر الله لا يُمنحُ لمن حاد عن منهجه
لا نصر إلا بتوبة
النصر والاستغفار
صور النصر في الإسلام
شروط النصر
الثقة بنصر الله ووعده الحق
لا تيأس من نصر الله
juburyima@gmail.com

سورة المسد

تتحدث السورة عن شخصيتين إعلاميتين اجتمعا في رباطهما على محاولة هدم بنيان الحق وعدم رفع رايته أينما وجد، كأنهم تعاهدوا على جمع همتهم وجهدهم معاً ليحاولوا تقطيع حبل الله الوثيق الذي يريده أن يوصل بين المؤمنين وخالقهم، وأرادوا بالمقابل أن يشدوا حبلهم الزائف الممدود من زخرف الوهم والجهل والشهوات ليُلف حول أعناقهم، فسعوا في الأرض متحركين، يجمعون من حطامها وحطبها حزماً تُشد بحبل محكم من الشيطان لتصف أعمدة أمام طريق دعوة توحيد الله لتنشر الأذى والشر والفساد وتُشيع الفتن في قلوب الناس، وتكون أحجاراً ترصف لتعيق المسير لأي تقدم سيؤدي لتغير وإصلاح المجتمعات وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والإيمان، لقد عملوا على جعلها ناراً مسعورة لتكوى بها أجساد المؤمنين الصادقين وسط حرارة الصحراء ولهيبها، ولكن الله ناصر المؤمنين ووكيلهم يأبى لحطبهم أن يشتعل ضد دعوة الحق والثبات بل كان كل ما جمعوه بجهدهم حارقاً لهم ولمكرهم ومصعراً ناراً تلظى من تحت أقدامهم مشدودين إليها بحبل متين ملتف حول أعناقهم ومن الصعب فكاكه أو الفرار منه، فكان صالياً لنفوسهم بنيران الذل والخسران في الدنيا والآخرة(١).

والسورة كلُّها تأييدٌ لرسول الله بوصفه الداعيةَ الأولَ، ولكلِّ مَن يسير على نهجه؛ لأنه مُقْتدٍ به، مُؤْتَس بسيرته؛ فالقارئ لهذه السورة يَشعُر بالراحة والسكينة، خُصوصاً إذا كان داعيةً، قد حَمَلَ هَمَّ دعوتِه في صدره، ومشى بها، وعاش لها، ونذر أنفاسه لنشرها، والذودِ عنها، كما أنَّ فيها تَشفِّيًا بنهاية الظالمين، وعاقبة الفاسقين، إنَّه الخسران المبين، والبَوار التامُّ لكلِّ من عاند الله، وآذى رسوله، أو أحدًا من أوليائه(٢).

(١) د. راغب السرجاني ـ أبو لهب وزوجته ـ موقع قصة الإسلام http://islamstory.com.

(٢) د. جمال عبدالعزيز أحمد ـ قراءة بلاغية لسورة المسد http://www.alukah.net.

محور السورة:

خطر الإعلام الكاذب على الدعوة[1].

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. لا تقف ضد الإسلام ودعوته.

٢. سيطرة الإعلام الفاسد على المال والسلطة.

٣. أثر الإعلام الكاذب في الصدِّ عن سبيل الله.

٤. مصير من يحارب دين الله ودعوته.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ لا تقف ضد الإسلام ودعوته:

هذه الآيات تُبيِّن أن الإنسان إذا ضل عن سبيل الله، ونصّب نفسه عدواً لدين الله، وأراد أن يُطفئ نور الله، وتصدى لأهل الحق، وأراد بهم كيداً، فمصيره في الدنيا الإخفاق والخسران، ومصيره في الآخرة أنه سيصلى ناراً ذات لهب.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾.

فكأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خلال هذه القصة القصيرة يريدنا أن نعلم علم اليقين أن هذه القصة ليست مقصودةً بذاتها، وأن هذا الاسم ليس مقصوداً بذاته، إنما المقصود أمثال أبي لهب، وكل إنسان تصدى للحق، أو وقف في وجه الإسلام، أو أراد أن يطفئ نور الله، أو تصدى للدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، عاداهم، وأراد بهم كيداً، إنه سيخسر مرتين، سيخسر الدنيا، وسيخسر الآخرة، هذا هو مصير أعداء الله[2].

٢ ـ سيطرة الإعلام الفاسد على المال والسلطة:

تعكس هذه السورة صورة من الصور الواقعية في حياة الدعوة في عهدها الأول. وهي في الوقت ذاته نموذج يتكرر في كل بيئة.. صورة اللئيم الصغير النفس، الذي يؤتى المال والسلطة

(١) لوحة للخطاط الأمريكي أفرت باربي everitte.org .

(٢) الدكتور محمد راتب النابلسي سورة المسد

والإعلام الفاسد فتسيطر نفسه به، حتى ما يطيق نفسه! ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

ويروح يشعر أنها هي القيمة العليا في الحياة. القيمة التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار. وأنه وقد ملك المال والسلطة والإعلام الفاسد فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب!

إنها من خصال أعداء الدين في كل الأزمنة، أنهم يصدون عن سبيل الله ويحاربون الدعاة المصلحين الذين يجاهدون لجعل كلمة الله هي العليا، فيخوفون الناس من الإسلام (**الإسلام فوبيا**) ويرصدون الأموال والإعلام الكاذب لتشويه صورة الإسلام والمسلمين عامةً، والتشريع الإسلامي خاصةً، أمام المسلمين وغير المسلمين.

إن أعداء هذا الدين... ينفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم ويستنفدون كيدهم في الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين، وفي حرب المسلمين في كل أرض وفي كل حين، وإن المعركة لن تقف... وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن.

ومن واجبات المؤمنين الصادقين والدعاة المصلحين حقّاً ويقيناً، الَّذين يجاهدون لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية؛ أن يتصدوا لهؤلاء الذين ينفقون أموالهم ويسخرون الإعلام الفاسد ليصدوا عن سبيل الله؛ حتى لا يحققوا مقاصدهم المفسدة السيئة؛ وذلك بالأساليب المشروعة والحكمة والموعظة الحسنة، لا بالعنف والشدة والكراهية، لكن باللين واللطف والحلم والموضوعية والتدرج.

والتاريخ الإسلامي حافل بالنماذج التي كانت تحارب الله ورسوله والمؤمنين بكل الوسائل، وتصد عن تطبيق شرع الله، وكيف تعامل معهم الدعاة بالحسنى فعادوا إلى الإسلام وتابوا وأنابوا، وكانوا من خير المجاهدين بكل عزيز لديهم من أجل نصرة الإسلام وتطبيق شريعته.

٣ ـ أثر الإعلام الكاذب في الصد عن سبيل الله:

قد يُتعجب من نزول سورة كاملة ـ حتى لو كانت قصيرة ـ فقط لأجل الردِّ على أبي لهب وزوجته، ويزداد العَجب أكثر وأكثر من أن هناك تصريحاً باسم الرجل مع أن الكفار الذين تعدوا على رسول الله ﷺ كُثُر ومع ذلك أشار لهم القرآن الكريم تلميحاً وليس تصريحاً. ويزداد

العجب أكثر عندما نجد اهتماماً بأمر زوجة أبي لهب، حيث أفردت السورة لها آيتين من أصل خمس آيات، وسُمِّيت السورة بـ«سورة المسد»، وهو أمر متعلق بزوجة أبي لهب.

وإذا أردت العجب أكثر فاعلم أن تاريخ أبي لهب وزوجته مع المسلمين ليس فيه تعذيب بالسياط، ولا ضرب بالسيوف، ولا إصابات أو جروح ولا قتل أو اغتيال!!

إذن لماذا هذه اللعنات المنصبَّة على هذا الرجل وامرأته؟!

لقد كان الرجل -وكذلك امرأته ـ من الإعلاميين الخطرين أصحاب الآراء المضللة[1]! وبالتالي لم يكن أذاهما يقف عند مسلم أو مسلمة إنما كان يتعدى ليصل إلى كل البشر الذين يستمعون لهما أو يشاهدونهما..

وكم من البشر صُدُّوا عن سبيل الله بكلماتهما! وكم من الآلام شعر بها الدعاة من جرَّاء كذبهما وتدليسهما..!

لهذا كله استحقا هذه اللعنة الشاملة، والتي أصابتهما في الدنيا، وكذلك في الآخرة.

وراجعوا مواقفهما المخزية من أول أيام الدعوة..

روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢﴾.

لاحظ أن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال في هذه الرواية: «فجاء أبو لهب وقريش»!

---

(١) يقول صاحب المقال: (إنني لا أعني في هذا المقال أنني أصف الإعلاميين في بلادنا بالكفر الذي كان عليه أبو لهب وزوجته.. إنما فقط أصف «الأفعال» التي من أجلها خُصَّ الرجل وامرأته بالتصريح دون غيرهما، وهذا يعني فداحة ما فعلا، وجُرم ما صنعا. كما أن مَن سلك طريقهما فلا يُستغرب أن يلقى مصيرهما، ومَن جعل رزقه في تكذيب الحق والصدِّ عنه، فلا يُستبعد أن يهجر الإيمان كُلِّيَّة في طريق حياته، ومن ثَمَّ وجب التحذير).

لقد لفت نظره أن الجمع الكبير به أبو لهب، فخصَّه بالذكر، مع أن رؤوس القوم كانوا حاضرين، إلاّ أن الشخصية المؤثرة فيهم كانت أبا لهب.. لماذا؟!

لأنه هو الذي «تكلَّم»، وهو الذي «أعلن» بأعلى صوته منذراً الناس وصادّاً لهم عن سبيل الله..!

فالناس عندهم فطرة طيبة، ولو استمعوا إلى القرآن والسُّنَّة لاهتدى معظمهم فيأتي هؤلاء الإعلاميون المضللون ويُزيِّفون الواقع، ويُخوِّفون الناس ويُبعدونهم عن طريق الدين، فيصير الإعلاميون بذلك أشد خطراً على الدعوة من الجلاّدين الذين يمسكون السياط بأيديهم، أو الحكام الذين يزجُّون بالمؤمنين في سجونهم..

ومن هنا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في حق أبي لهب ما لم يذكره في حق شياطين قريش الآخرين، والذين كان جهدهم منصبّاً على التعذيب الماديِّ للمسلمين. ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

وزوجة أبي لهب..! إعلامية خطيرة كذلك!

لقد سمعت بأمر الدعوة والرسالة، فكرهت الإسلام وأهله وحسدت الرسول ﷺ وصحبه، ولم تكتفِ بدفع ابنها لمفارقة ابنة الرسول ﷺ رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكان قد خطبها في الجاهلية، إنما انطلقت لممارسة دورها الإعلامي المضلل فأطلقت على الرسول ﷺ اسماً ساخراً، فأسمته «مُذَمَّمًا» أي عكس «محمد»، وهو من الذم وليس الحمد..!

وصاغت شعراً تهجو به رسول الله ﷺ ودينه فقالت: «مُذمماً أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا»، وراحت تتحرك بإعلامها المضاد للإسلام هنا وهناك، ولم تستحِ أن تغشى مجالس الرجال مخالفة فطرتها التي تدفعها إلى الحياء، فصار شُغلها الشاغل هو صرف الناس عن الإسلام وأهله.

ولم تكن هذه مواقف عابرة في حياتهما.. إنما «احترفا» الإعلام الفاسد..

كانت أم جميل زوجة أبي لهب تتابع الأخبار، وتتحرك في وسط المجتمع لتنقل لهم الجديد من منظورها المضلل، فلما رأت أن الوحي لم ينزل على رسول ﷺ فترة، ذهبت إليه متشفية وقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد قلاك! فنزلت (سورة الضحى).

لكن الإعلامية انطلقت تنشر خبر تأخُّر الوحي بصياغتها المضللة الكاذبة، تقول للناس: إن الذي يأتيه شيطان، وإنه لم يعد يلقاه. بينما الحقيقة أن الذي يأتيه مَلَك، وهو مستمر في لُقياه.

فانظر إليها كيف نقلت طرفاً صغيراً من الخبر ـ وهو تأخُّر الوحي فترة قصيرة ـ بصورة مُشوَّهة! وكيف أضافت من عندها، وكيف حذفت من الحقيقة، وكيف تحركت ونشطت في الباطل!!

وزوجها أبو لهب على درب الباطل يسير بجدٍّ واجتهاد.. ينافس زوجته في إعلامها الكاذب.. يروي رَبِيعَةُ بْنُ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ ـ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ ـ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ الله تُفْلِحُوا»، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً يَقُولُ شَيْئاً وَهُوَ لاَ يَسْكُتُ، يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ الله تُفْلِحُوا»، إِلاَّ أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلاً أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

إنه يمارس نفس الدور الإعلامي المضلل.. يدَّعي أن رسول الله ﷺ كاذب، وهو يعلم أنه الصادق الأمين، ويدَّعي أنه صابئ وهو يعلم أنه جاء ليدعو إلى عباده الله الواحد الأحد، وهم الذين يعبدون أصناماً من دون الله[1].

إنَّ هذه السورة جعلت من أبي لهب وزوجته نموذجاً لكل من يصد عن دعوة الحق ومحاربة رسول الله ﷺ ويصر على الكفر والظلم والعدوان على دعوة دين الله وليكونا المثل الذي يضرب للناس إلى قيام الساعة، إنَّ إنزال الله قرآن يتلى عنهما ليحذر كل من يفكر في إتباع سنتهما أن سيكون له نفس المصير والوعيد عند الله.

٤ ـ مصير من يحارب دين الله ودعوته:

إن الشدة والقسوة التي اتصفت بها هاتان الشخصيتان وخشونة تصرفاتهما وتسخيرهما المال والسلطة والإعلام للكذب والافتراء على الإسلام ودعوته، كان ذلك سبب لمجيء الجزاء والوصف لهما من جنس العمل، حيث الشدة في العقوبة والغلظة والقسوة في الوصف لهما، كما أن هذه الصورة جعلت منهما نموذجاً لكل إنسان تصدى للحق، أو وقف في وجه الإسلام، أو أراد أن يطفئ نور الله، أو تصدى للدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وليكونا المثل الذي يضرب للناس

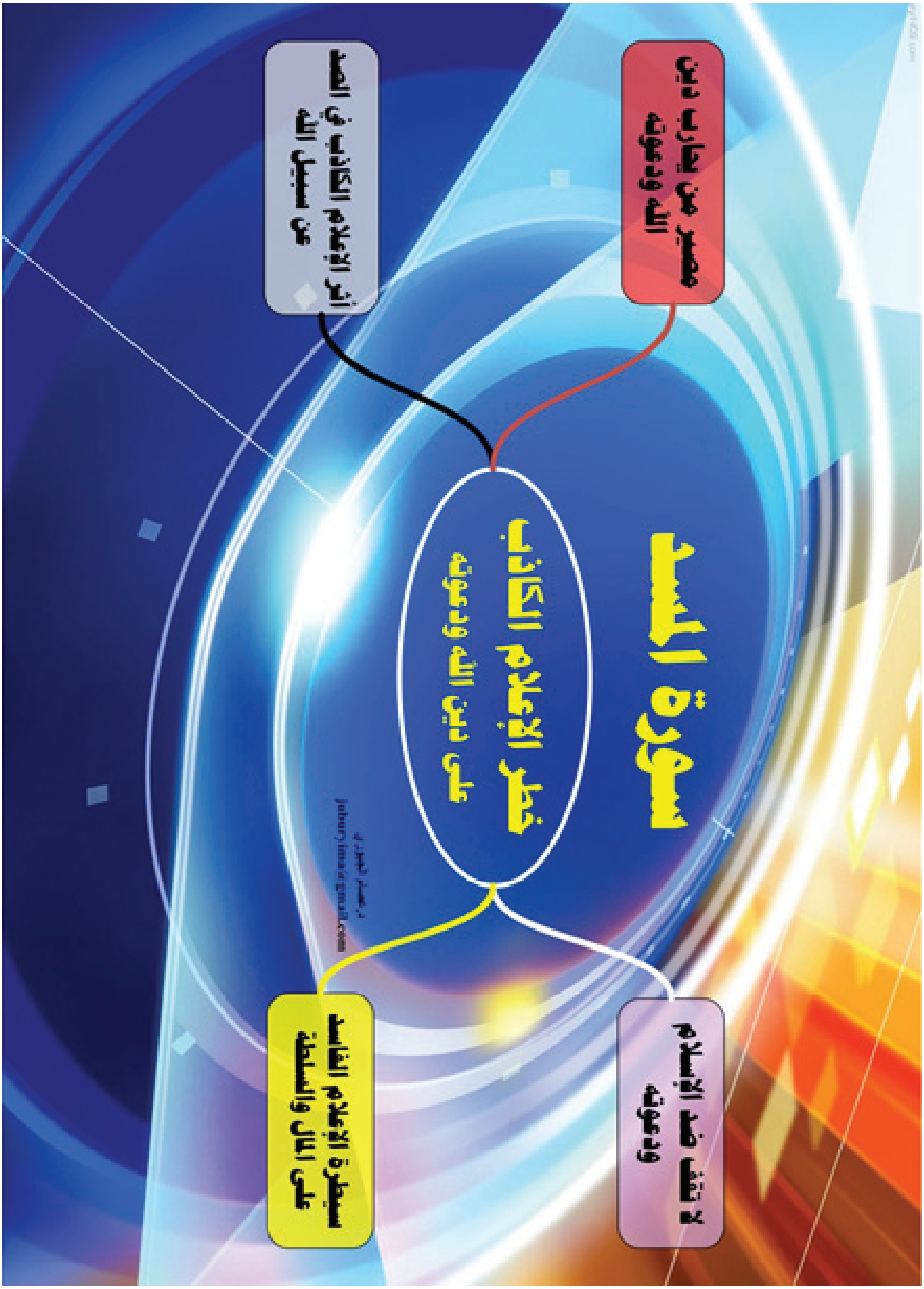
(١) فاطمة البلادي ـ تدبر سورة المسد ـ منتديات ملتقى النخب.

إلى قيام الساعة لمن يصر على الظلم والعدوان والصد عن سبيل الله ودعوته. لقد أنزل الله قرآن يُتلى عنهما ليحذر كل من يفكر في إتباع سنتهما أن سيكون له نفس المصير والوعيد عند الله.

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾.

إنَّ في هذه الآيات تطميناً لكلِّ داعيةٍ... أنَّ اللهَ معه، ولا يتركه، بل هو من وَرائه يُؤيِّده، ويقوِّيه، ويُعينه، ويرعاه، ليستمرُّوا في دعوتهم، واثقين من معية الله، ورعايته لمسيرتهم وطريقهم. وتكشف عن انتصار الحق وأهله في نهاية المطاف، وتوعد الحق عَزَّوَجَلَّ لكل مَن يقف أمام دينه ورسله ودعاته، رجالاً ونساء، بالويل والثبور، والتَّباب والهلاك.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة المسد
خطر الإعلام الكاذب
على دين الله ودعوته
مصير من يحارب دين الله ودعوته
أثر الإعلام الكاذب في الصد عن سبيل الله
لا تقف ضد الإسلام ودعوته
سيطرة الإعلام الفاسد على المال والسلطة
juburyima@gmail.com

سورة الإخلاص





لا شك أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدةُ فاسدةً غير صحيحة بطل ما يتفرع منها من أعمال، وهذا يؤكد أن تعلم العقيدة الصحيحة من أهم المهمات وأعظم الواجبات؛ لأن قبول الأعمال موقوف عليها، والسعادة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا بالتمسكِ بها والسلامةِ مما ينافيها.

إنَّ القرآن الكريم أُنزل على ثلاثة أقسام فقسم منها الأحكام والتشريعات وقسم منها الوعد والوعيد وقسم منها الأسماء والصفات التي بها نعرف الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وهذه السورة الكريمة تضمنت أهم أركان العقيدة والشريعة الإسلامية، وهي توحيد الله وتنزيهه، والأسماء والصفات الإلهية بلفظ موجز، ونفي الشركاء، وفي هذا الرد على النصارى القائلين بالتثليث، وعلي المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى.

إنَّ ربَّنا واحدٌ لا شريكَ له، لا كُفءَ له ولا مُماثل، لا في حقيقةِ الوجود، ولا في أيةِ صفةٍ من صفاته. وهو الصمدُ المقصودُ بالحاجات وحدَه، فهو السيِّدُ والكلُّ له عبيد. له الأسماءُ

الحسنى، وصفاتُ الكمالِ المطلق. هذا ما تقرِّرهُ سورةُ الإخلاص، التي هي من أعظم سورِ القرآنِ الكريم، وتعدل ثلثَ القرآن(١).

في السورة تقرير حقيقة التوحيد بصورتها هذه في القلوب، فعندما نقرأ هذه السورة لا بد من استحضار أنها ليست كلمات تُحفظ أو ألفاظاً تُقرأ وتُجود فحسب، وإنما هي عقيدة تستقر في القلب تصور هذه المعاني بتعمقها للحياة كلها وقيام الحياة على أساسها.

محور السورة:

لا إله إلا الله.. عقيدة وشريعة، ومنهاج حياة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١. لنتعرف على الله.

٢. توحيدٌ، ودعوةٌ إلى التوحيد.

٣. الحرية الحقيقية.

٤. منهج التحرك والتلقي.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ـ لنتعرف على الله:

يدعونا الله عَزَّوَجَلَّ إلى معرفته، فيعرف سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عباده بنفسه، ويبصرهم بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى ينمي فيهم تلك العقيدة الصحيحة وذلك التصور الصحيح الذي له أعظم الأثر في إصلاح النفس والحياة.

فيقول تعالى معرفاً عن نفسه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

لقد تحدثت الآيات عن صفات الله جل وعلا الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، المقصود على الدوام، الغني عن كل ما سواه، المتنزه عن صفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة، وردت على النصارى القائلين بالتثليث، وعلى المشركين الوثنيين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، الذين جعلوا لله الذرية والبنين.

(١) موارد ذوي الاختصاص إلى مقاصد سورة الإخلاص/ لأبي المعالي محمد بن عبد الدائم ابن بنت الميلق.

وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله جَلَّ وَعَلَا عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية ونفت التعدد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وأثبتت الثانية كماله تعالى ونفت النقص والعجز ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ وأثبتت الثالثة أزليته وبقاءه ونفت الذرية والتناسل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ وأثبتت الرابعة عظمته وجلالة ونفت الأنداد والأضداد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ فالسورة إثبات لصفات الجلال والكمال، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص والقبائح[1].

فعندما نستحضر هذه المعاني عند قراءتنا لهذه السورة الكريمة ندرك أنه الإله الواحد الحق المتعالي عن معنى الأعداد والأنداد، الجامع لصفات الكمال، المقصود على الدوام، الغني عن كل ما سواه، المتنزه عن صفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة.

٢ ـ توحيدٌ، ودعوةٌ إلى التوحيد:

هذه السورة إثبات وتقرير لعقيدة التوحيد الإسلامية، وقد كان الرسول ﷺ يستفتح يومه في صلاة سنة الفجر والمغرب بقراءة سورة الإخلاص وسورة الكافرون، وكان لهذا الافتتاح معناه ومغزاه، فهي مبنية على الإخلاص التام لله تعالى، كما تسمى أيضاً سورة الإخلاص بسورة الأساس، والتوحيد، والإيمان، وغير ذلك من الأسماء الدالة على ما حوته هذه السورة من عقيدة التوحيد؛ لأن من عرف معناها، وتدبر ما جاء فيها حق التدبر، علم أن ما جاء في الدين من التوحيد والتنزيه تفصيل لما أجمل فيها.

ففي قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ توحيد من الله لنفسه، كما أن فيها أمرٌ بالبلاغ والدعوة إلى التوحيد، أي: يا محمد، ويا أصحاب محمد، ويا كل المسلمين وحدوا الله وادعوا الناس كافة إلى توحيد الله، وهل دعوات الأنبياء إلا على هذا الأساس العظيم ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

فإن من مقاصد القرآن أن يربي العباد على عبادة الله وحده، لا عبادة العبيد، فما الفائدة أن تقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأنت عبد لغير الله!

إنَّ سورة الإخلاص تمثل:

- **منهج للتوجه إلى الله وحده في الرغبة والرهبة. في السراء والضراء. في النعماء والبأساء.**

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني.

- **ومنهج للتلقي عن الله وحده. تلقي العقيدة والتصور والقيم والموازين، والشرائع والقوانين والأوضاع والنظم، والآداب والتقاليد.**
- **ومنهج للتحرك والعمل لله وحده.. ابتغاء القرب من الحقيقة، وتطلعاً إلى الخلاص من الحواجز المعوقة والشوائب المضللة. سواء في قرارة النفس أو فيما حولها من الأشياء والنفوس. ومن بينها حاجز الذات، وقيد الرغبة والرهبة لشيء من أشياء هذا الوجود!**

من أجل هذا كله كانت الدعوة الأولى قاصرة على تقرير حقيقة التوحيد بصورتها هذه في القلوب، لأن التوحيد في هذه الصورة عقيدة للضمير، وتفسير للوجود، ومنهج للحياة، وليس كلمة تقال باللسان أو حتى صورة تستقر في الضمير، إنما هو الأمر كله، والدين كله؛ وما بعده من تفصيلات وتفريعات لا يعدو أن يكون الثمرة الطبيعية لاستقرار هذه الحقيقة بهذه الصورة في القلوب[(١)].

٣ ـ الحرية الحقيقية:

هذه السورة مشتملة على عقيدة التوحيد، ولهذا لابد أن يكون لهذه السورة أثر في قلب قارئها، وذلك باستشعار عظمة الله كما يليق بجلاله وعلو شأنه وذاته. فإذا استقر هذا الشعور في قلب العبد أثناء قراءة هذه السورة، فستصحبه هذه الحقيقة ليصل القلب إلى درجة اليقين بالواحد الأحد والتعلق به والتوكل عليه والمحبة له وهذا هو تحقيق معنى: لا إله إلا الله. وحين يحصل اليقين في القلب من فهم واعتقاد ما في سورة الإخلاص؛ فإن القلب يتحرر من جميع القيود، قيود الشهوات والشبهات، وقيود الرغبة والرهبة، فلا يرغب القلب إلا فيما عند الله الأحد الصمد، ولا يرهب إلا الله الأحد الصمد، ولا يرجو ولا يخاف إلا الله الأحد الصمد.

إن استشعار القلب لوحدانية الله يخلصه من التعلق بالخلق، ومن الخوف منهم، ومن الرجاء لهم، ومن هنا ينبثق منهج كامل للحياة قائم على ذلك المنهج.

وهذا هو منهج عبادة الله وحده،ومنهج الاتجاه إليه وحده في الرغبة والرهبة، في السراء والضراء، في النعماء والبأساء.

وكيف يرجو وكيف يخاف من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يستطيعون نصر أنفسهم، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا رزقاً. وهذه التربية القرآنية هي ذاتها التي كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه عليها، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت خلف النبي ﷺ

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح]. وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لك يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»(١). إنها الحرية الحقيقية والتي قد لا يشعر بها بعضنا حيث تملكت الدنيا على القلوب، نسأل الله أن يفك عقالها(٢).

٤ ـ منهج التحرك والتلقي:

في هذه السورة منهج للتحرك والعمل لله وحده ابتغاء وجهه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان يقصد به وجهه خالصاً، فالرياء وحب السمعة تفسد العمل الصالح، والإخلاص هو الأرضية التي ينبني عليها كل عمل، وقد سميت هذه السورة بالإخلاص لأنها تُخلِّص صاحبها من الشرك الأكبر والأصغر.

فعلى المسلم أن يتحرَّى الإخلاص في كل أعماله، ويكون ذلك قبل البدء في العمل وأثناء العمل وبعده.

فأما قبل العمل، فإنه يبحث في نيته هل يقصد من هذا العمل رضا الله فحسب، أم أنه يبتغي منه ـ فضلاً عن ذلك ـ مدحَ الناس والثناءَ عليه، فإذا وجد خللاً في نيته، فلا يصرفه ذلك عن الإقبال على عمله، وإنما يتعيَّن عليه أن يصحح نيتَه ويجعلَها لله ـ تعالى ـ فحسب، ويجتهد في تحقيق ذلك.

أما أثناء العمل، فإن علامة إخلاصه أن يستمرَّ في عمله لله ـ تعالى ـ دون أن ينتظرَ الشكرَ والثناءَ من الناس، فلا يكونُ تشجيعُ الناس له سبباً في زيادة أعماله الصالحة، ولا ذمُّ الناس له سبباً في التقصير في تلك الطاعات، وإنما هو يبتغي وجهَ الله فحسب.

أما بعد العمل فإنه لا ينتظر الأجرَ من الناس؛ لأنه قد نال الثوابَ من الله، وهنا يجب الانتباهُ،

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٥١٦، والإمام أحمد: ١/ ٢٩٣ برقم: ٢٦٦٩ .

(٢) فايز بن سعيد الزهراني ـ التربية القرآنية في سورتي الإخلاص.

فالمسلمُ الذي يخلص العمل لربِّه لا يظن آنذاك ـ في نفسه ـ أنه حقق الإخلاصَ؛ لأنه يظل يتحرَّى الصدقَ والإخلاصَ لله ـ تعالى ـ حتى ينالَ هذا الشرفَ، فكلَّما تحرَّى الإخلاصَ احتاج إلى مزيدٍ من الإخلاص، وهكذا كان شأن الصالحين(١).

وفي هذه السورة منهج للتلقي عن الله وحده، تلقي العقيدة والقيم والشرائع والقوانين، فكما تبدو صورة التوحيد الخالص في هذه السورة فلابد أن يكون لها آثار في حياة المسلم، فالانحرافات التي أصابت أهل الكتاب من قبل، والتي أفسدت عقائدهم وتصوراتهم وحياتهم، نشأت أول ما نشأت عن انطماس صورة التوحيد الخالص، ثم تبع هذا الانطماس ما تبعه من سائر الانحرافات.

إن الله لم ينزل «**لا إله إلا الله**» لتكون مجرد كلمة تنطق باللسان. إنما أنزلها، لترفع الإنسان إلى المكان اللائق به.. الذي فضله الله به على كثير ممن خلق.. ترفعه من كل ثقلة تقعد به عن الصعود إلى تلك المكانة العالية ومحاولة الاستقامة على المنهج الحق، سواء كانت ثقلة الشهوات اللاصقة بالطين، أو ثقلة «**الران**» الذي يرين على الأرواح، أو ثقلة «**الضرورات**» التي تقهر الإنسان وتذله لطغاة الأرض المتجبرين.. ترفعه فرداً وجماعة وأمة، ليتكون في الأرض المجتمع الصالح الذي يريده الله، وتقوم في الأرض أمة لا إله إلا الله.

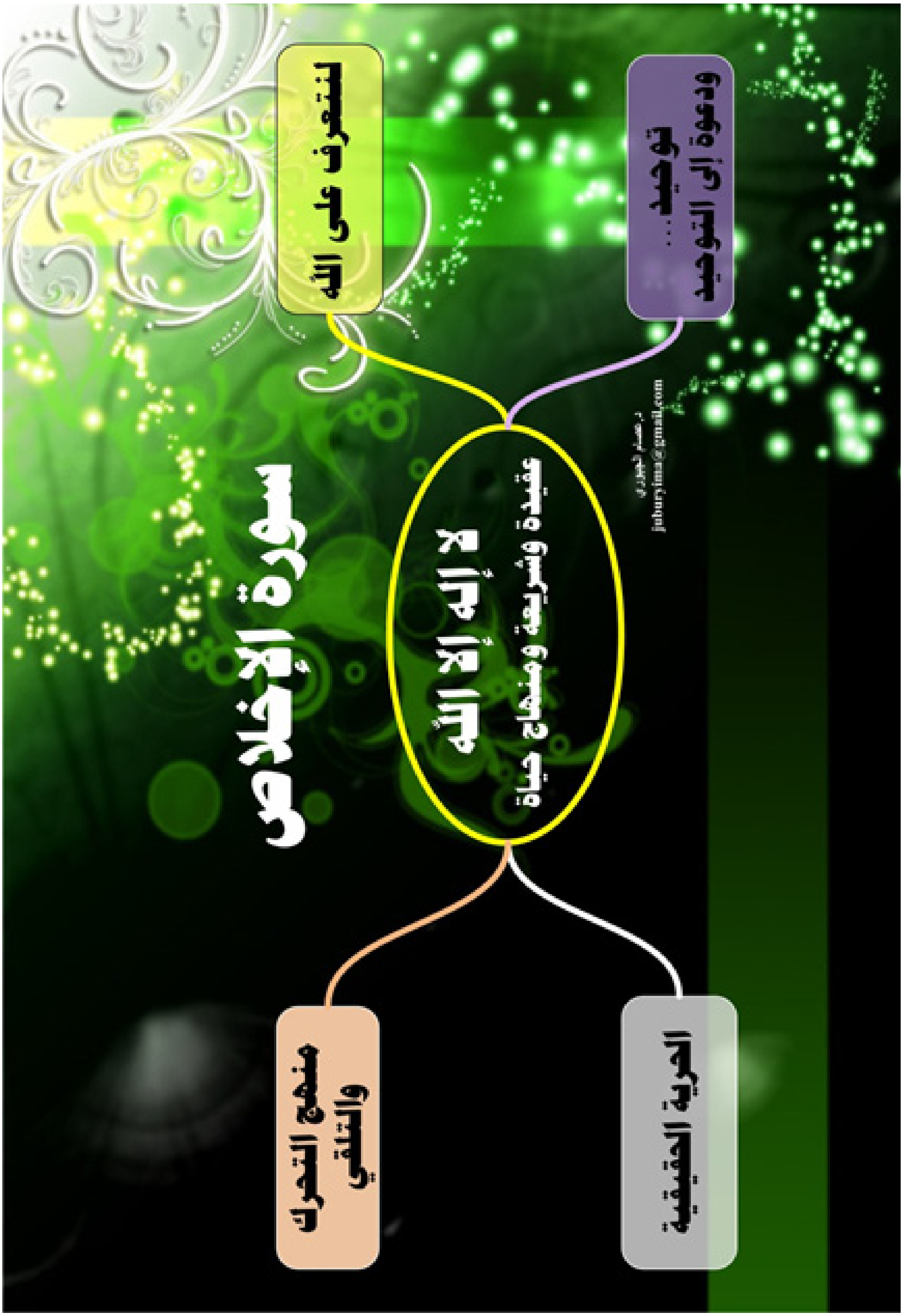
إنَّ هدف لا إله إلا الله هو إقامة «**أمة**» على نهج رباني؛ أمة لها كيانها، يقوم بناؤها على رابطة العقيدة: رابطة لا إله إلا الله، ويكون أساس حياتها التشريع الرباني والتوجيهات الربانية، لتكون «**أمة ربانية**».

إن لا إله إلا الله تعني عبادة الله وحده بلا شريك، والالتزام بما جاء من عند الله. ومقتضيات هذا الالتزام تعددت لتشمل جوانب الحياة كلها، ولتشملها متكاملة مترابطة، فأصبحت هي منهاج الحياة الذي يريد الله للبشرية أن تسير عليه، لتنعم به في الدنيا، وتنال رضوان الله في الآخرة(٢).

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

(١) د. أحمد مصطفى نصير ـ دلالات تربوية من سورة الإخلاص.

(٢) محمد قطب ـ لا إله إلا الله.. عقيدة وشريعة، ومنهاج حياة.


سورة الإخلاص
لا إله إلا الله
عقيدة وشريعة ومنهاج حياة
لنتعرف على الله
توحيد...
ودعوة إلى التوحيد
منهج التحرك
والتلقي
الحرية الحقيقية

سورة الفلق



سورة تعلمنا كيف يشق نور الأمل بعد طول الليل وحلكة الظلام، إنها الرحمة التي تتجلى على العباد المؤمنين عندما يكيد لهم الكائدون ليشقوا طريق أمنهم وسلامتهم ليلقوا عليهم لباس الخوف والفرقة والشقاق، إنها التربية الإلهية للنفس البشرية للتطهر من العقائد والأفكار المنحرفة، لترتدي طهارة الإيمان بحب الخير للآخرين كما تحبه لنفسك، إنها الطاقة التي يتزود بها العبد المؤمن كي تحفظه من أي عقد نفسية أو مادية ينفث من خلالها لتهدم أعمدة السعادة الذاتية وسعادة من يحيطون به(١).

سورة تعلمنا كيف اعتاد رسولنا الكريم محمد ﷺ أن يتزود بها في كل صباح ومساء لتكون الطاقة المستمدة من رب الفلق للحماية الإلهية، وعلمنا أن نستمر على فعل ذلك مع أنفاس الصباح والمساء.

توحي سورة الفلق من اسمها بالانفلاق عن الشيء والخروج منه، فكما فلق الله تعالى الحبة وأخرج منها الزرع، فقد فلق ظلمة الليل ليخرج منها الصبح، وكذلك فلق الشر ليتحرر منه المظلومون.. وهكذا يشير الفلق إلى معنى التحرر من القيد والانطلاق إلى فجر جديد وحياة جديدة تتسم بالقوة والحرية والعدالة.

(١) تأملات وعبر في سورة الفلق ـ آمال أبو خديجة.

في هذه السورة توجيه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنبيه ﷺ ابتداء وللمؤمنين من بعده جميعا، للعياذ بكنفه، والِّلياذ بحماه، من كل الشرور والمخاوف. وكأنما يفتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهم حماه، ويبسط لهم كنفه، ويقول لهم، في مودة وعطف: تعالوا إلى هنا. تعالوا إلى الحمى. تعالوا إلى مأمنكم الذي تطمئنون فيه. تعالوا فأنا أعلم أنكم ضعاف وأن لكم أعداء وأن حولكم شرور ومخاوف وهنا.. هنا الأمن والطمأنينة والسلام[1]..

فكل تلك الشرور ومكائدها في حلكة الظلام وشدته تسعى لأجل أن تشق القلوب والنفوس عن الخير لتغرقها في الشرور والأوهام أو الشهوات، فهي تريد أن تفلق وتشق الاجتماع والتوفيق ما بين الناس والأحباب، فنرى كثيراً من الأزواج يفترقون ويدخل الشر إلى بيوتهم بسبب كيد الكائدين ونفثهم في النفوس والقلوب من الشر والفساد، ونرى أعداء الأمة كيف ينفثون ويشقون صفوفنا من خلال ما ينشرون من فكر أسود وسلوك شاذ ليعلموا به أبناءنا وينشئوا عليه أطفالنا فتخرج أجيال لا تعرف للقيم والأخلاق والمسؤولية شيئاً.

كل ذلك وغيره يريد الله لنا أن نلجأ إليه بالدعاء والتضرع وطلب العون للنجاة من أي شر صغيره وكبيره، فمن جعل ذلك منهجه وسبيله بالحياة لن يلحقه الأذى والشر بإذن ربه، ولكن على العبد أن يتوجه مخلصاً صادقاً في الطلب مع ربه، معتمداً حق الاعتماد والتوكل عليه، فلا يلجأ معه لغيره ولا يطلب الحفظ من سواه مهما عظمة قوته وسطوته.

محور السورة:

منهج الله سبيلنا للطمأنينة والسلام.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١ ـ اللجوء إلى حمى الرحمن.

٢ ـ الفرار إلى الله.

٣ ـ الليل أخفى للويل.

٤ ـ العُقَد الواهية.

٥ ـ لا تحرق نفسك وتخسر حسناتك.

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ اللجوء إلى حمى الرحمن:

ابتدأت هذه السورة بأفضل ما يحتاج إليه العبد الضعيف المحتاج لخالقه بطلب الله سبحانه من العبد أن يعتاد على طلب الاستعاذه من الله والمآل إليه فخاطبنا بأمره لنا أن نبدأ بقول: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾.

فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وَحْدَه أهلٌ للاسْتِعاذة به إنْ كنت مؤمناً به، وإذا اسْتَعَذْتَ بِسِواه فإنَّ في إيمانك خَلَلاً، وفي إيمانك شِرْكاً لأنك بِمُجَرَّد أنْ تسْتعيذ بغير الله فقد أشْرَكْتَ، لذلك يريد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من الإنسان أن يعلن صراحة عن ضعفه بلسانه وقلبه عن حاجته لربه. والخطاب موجه للرسول ﷺ ثم إلى سائر البشر. فربنا تعالى يريد من الإنسان أن يعلن صراحة عن ضعفه لربه وحاجته إليه حتى يخلّصه مما يخاف ويحذر ولا يكتفي بشعوره بالحاجة. هذا الإعلان عن حاجته لربه ضروري من نواحي:

١) فيه قتل للعجب بالنفس والشعور الكاذب بالاستغناء وهذا من أسباب الطغيان ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ فيعلن الإنسان عن ضعفه أمام ربه ولا يكون مستغنياً عنه لأن هنالك قسم من الناس يمنعهم الكبر من الاستعانة واللجوء إلى حمى الرحمن. ثم أليس النبي ﷺ قُدْوَةً لك في هذا؟ من علامة المؤمن الاسْتِعاذة بالله تعالى، وهناك من يرى لِنَفْسِهِ شأناً كبيراً، وأنّه أكبر من ذلك، هذا هو الكِبْر، والمُتَكَبِّر دواؤُهُ القَصْم، وما من مُتَكَبِّرٍ إلا قَصَمَهُ الله عَزَّوَجَلَّ.

٢) أنه من أسباب الطاعة، لأنك إذا استعنت بشخص تطيعه ولا تعصيه فكيف تستعين به وتعصيه؟ إذن هذا الإعلان ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ أنت تقول هذا الأمر، أي أنت تستعين بربك إذن هذا يدعوك إلى طاعته فكيف تستعيذ به وأنت تعصيه؟ لا يمكن.

٣) الاستعاذة مما يلين القلوب ويجعلها خاشعة لرب العالمين خاصة إذا صاحَبَ الاستعاذة شعور بشدة الحاجة إلى غياث المستغيثين، هو يعوذ لأن عنده شعور بالحاجة إلى من يعينه، أنت تستعين وتستعيذ بشخص وتطلب العون لأنك تشعر بالحاجة إليه هو أكبر من قوتك، فأنت تستعين وتعلن حاجتك وتلتجئ إلى من تلتجئ إليه، أكبر من قوتك وأكبر مما تستطيع.

هذا الشيء يلين القلوب خاصة إذا كان الأمر كبيراً(١).

وفي ظل ما سوف يحيط بالإنسان ويحاك له من شرور قد يسببها الإنسان بنفسه أو غيره من المخلوقات، ومع ضعف قوته وهزال نفسه وقلة حوله فهو محتاج أن يلجأ إلى حمى الرحمن، والاعتصام بربه وخالقه، حيث لا ينفصل عنه في أي حركة من حركاته في ليله ونهاره، وقد خص الله نفسه بصفة الربوبية هنا حتى يبين لنا رحمة الله وقدرته في رعاية من خلقه، فهو الرب الحاني المتفقد لأحوال عباده والمطلع على ما يحيط بهم من كل جانب.

٢ ـ الفرار إلى الله:

ثم تأتي السورة لتبين أن الإنسان يجب أن يتعلق بربه ويفر إليه من كل شر سواء ظهر أم لم يظهر، فكل مخلوق من الممكن أن ينزع إلى فعل الشر منه سواء كان من المخلوقات العاقلة كالإنسان أم من غيرها كالحيوان والجماد ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

وللخلائق شرور في حالات اتصال بعضها ببعض. كما أن لها خيراً ونفعاً في حالات أخرى. والاستعاذة بالله هنا من شرها ليبقى خيرها. والله الذي خلقها قادر على توجيهها وتدبير الحالات التي يتضح فيها خيرها لا شرها!

والشر هو عام لكل شر في الدنيا والآخرة وشر الإنس والجن والشياطين وشر السباع والهوام وشر النار وشر الذنوب والهوى وشر النفس وشر العمل وظاهره تعميم ما خلق بحيث يشمل نفس المستعيذ(٢).

فالله يريد لنا أن نتعلم كيف نحمي أنفسنا ونحذرها من وقوع الشر لها قبل أن يقترب منها، ويكون ذلك بالفرار إليه والدعاء في كل صباح ومساء أن يعيذك الله برحمته من كل شر قائم في هذه الدنيا.

٣ ـ الليل أخفى للويل:

ثم ينبه الله عباده للحذر من أهم وقت تحدث فيها الشرور ويقع فيه المكروه وهو وقت دخول الظلام وزيادة اسوداده. ولقد خص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الشرور المستعاذ منها شر الليل عندما يدخل، لأن الليل هو البيئة التي يزهو فيها الباطل ويتراقص ويتغنى ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

---

(١) د. فاضل السامرائي ـ لمسات بيانية من سورة الفلق.

(٢) الألوسي البغدادي ـ روح المعاني.

يهبط الليل بظلامه ووسواسه وطوارقه، ويتحرك في جنحه الهوام وبعض الوحوش، وينشط المجرمــون والكائدون، ويستولي المرض والهم على البعض، وتشتد الغرائز والشهوات، ويغلق الكائدين للناس الشر أبوابهم، ويجلسون على موائدهم تحت أضواء النور الباهت ليكيدوا المفاسد والشر للناس، ويبيت الحاسد والحاقد في ليله يفكر بصمته ليؤذي حاسده بخططه ومكائده. لذا يحتاج الإنسان إلى مضاء عزيمة و ثقة، حتى يتغلب عليه وعلى أخطاره، وهكذا يستعيذ بالله منه.

٤ ـ العُقَد الواهية:

مع الليل ينتشر نفث الشر بين العباد، فتعقد المؤامرات والمكائد لتبث في نفوس الناس، وينفث السحرة والمشعوذون في عقد الخيوط ليصيبوا بها عباد الله بسحرهم ويعلمونها لمن يتبعونهم لإيصال الشر للغير.

لكن هذه الآية تقوّي في قلب المؤمن التوكل على الله والثقة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر أن الساحر لا يفلح ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه]، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

لقد أوصانا ربنا تبارك وتعالى بالتعوذ به والاعتصام بجلاله بقوله العزيز: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ وتشمل الآية الاستعاذة من جميع طوائف السَحَرة من الجن والإنس، وأنه لا يحلّ عُقَدَ السحر إلا ربّ الفلق جلَّ وعلا، لأنَّ عُقد السحر واهية ولا يفلح الساحر حيث أتى.

إن يقين المؤمن بهذه القاعدة: ﴿...وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ مما يقوّي في العبد التوكل والثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعدم الخوف من إرهاب هذا الصنف الحقير من الناس، وعدم التفات القلب إلى السحرة وأعوانهم خوفاً، بل يكون على ثقةٍ بربه وتوكلٍ على مولاه جل وعلا، بأنه لا يمكن أن يضره شيء إلا بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فهو إليه وحده يلجأ، وعليه وحده يتوكل، وبه وحده يستعين، ويتذكر عندها، قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ...﴿٣٦﴾﴾ وفي قراءة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عِبَادَهُۥ ...﴿٣٦﴾﴾؟ والجواب: بلى والله.

٥ ـ لا تحرق نفسك وتخسر حسناتك:

الحسد خُلُق ذميم، نهى عنه الله عندما أمَر بالاستعاذة مِنْ شرِّ الحاسد إذا حسَد، ونَهَى الرسول ﷺ عنه بأحاديث كثيرة، فالحسد إذا تفشى في أمة خلق فيها التنافُر والتباغُض وسوء العلاقة، وقضى على مجتمع متحابب متعاضِد متكامل، وهذا ليس من صفات المجتمع المسلم؛ لهذا ذمه الله ورسوله ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

والحسد مذموم، وصاحبه مغموم، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب... ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل.

والحاسد لا يزداد بحسده إلا ناراً تتلظى في جوفه؛ وكلما ازدادت نعمة الله على عباده ازداد حسرة؛ فهو مع كونه كارهاً لنعمة الله على هذا الغير مضاد لله في حكمه؛ لأنَّه يكره أن ينعم الله على هذا المحسود، ثم إنَّ الحاسد أو الحسود مهما أعطاه الله من نعمة لا يرى لله فضلاً فيها؛ لأنَّه لا بدَّ أن يرى في غيره نعمة أكثر مما أنعم الله به عليه، فيحتقر النعمة[(١)].

إنَّ الحاسد يحرق نفسه ويخسر حسناته بهذا الخلق الذميم ويغضب ربه لأن صاحب الفضل هو الله قال، فقسم الأرزاق هو الله وأعطى لحكمة ومنع لحكمة، ومن شعر في نفسه بالحسد لغيره فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وليمتنع من التعدي على غيره بأي علم فيه إيذاء لأخيه المسلم، وليحرص على تعويد نفسه الرضا بالقناعة ويعلم أن هذه الدنيا اختبار وأن الفضل بيد الله فليتوجه إليه[(٢)].

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:

---

(١) الشيخ ابن عثيمين.

(٢) الحسد /http://www.dorar.net/enc/akhlaq


سورة الفلق
منهج الآية
سبيلنا للطمأنينة والسلام
لا تحرق نفسك وتخسر حسناتك
الليل أخفى للويل
اللجوء إلى حمى الرحمن
الفرار إلى الله

سورة الناس



سورة تتجلى فيها المحبة الدائمة من الله لعباده، تتمثل من خلال دعوته لهم بالاعتصام الدائم به والاحتماء بربوبيته والفرار إليه، وطلب الحماية منه سبحانه وليس مما سواه، حيث لا يغفل عنك ولا يهملك إن توجهت إليه بوجهة الإخلاص والصدق وحسن التوكل عليه سبحانه، وهو من يعلم ما تخنس الصدور وما تبديه، مهما أغلقت الأبواب وأطفئت الأضواء.

إنَّ الله ـ برحمةٍ منه ـ يوجه رسوله ﷺ وأمته إلى العياذ به والالتجاء إليه، مع تذكيرنا بطبيعة ضعفنا وافتقارنا الدائم إليه سبحانه لطلب العون منه من شر خفي يحيط بنا، ولا قبل لنا بدفعه إلا بعون من الرب الملك الإله.

لقد خص الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ نفسه في هذه السورة أنه رب للناس مع تكرير هذه الكلمة عدة مرات، ليدل على أن الخطاب والدعوة من الله للإنسان وحده وهو أشرف المخلوقات وأكرمها عنده، وهو من سيكون منه الخير والصلاح والعمارة في الأرض إن التزم بمنهجه، وسيكون منه الفساد والتدمير والهلاك إن ابتعد عن منهجه، وهو المخلوق المكلف من الله ومنه أُخِذَ العهد والأمانة ليعمر الأرض بمنهج الله وشريعته، فهو خليفته على أرضه ومن أكرمه بنعمه، ومنحه الاختيار والإرادة وعدم الإكراه لأمره ونهيه، مما يدل على مزيد لرفع شأنه وقدره عند خالقه.

فالأمر بمداومة الاستعاذة بطلب العون من الله واللجوء إليه سبحانه، والاعتصام به، والفرار من كل شئ إليه، والالتصاق بحبله المتين، يجعلك تستمد القوة الدائمة والطمأنينة الداخلية، والسكينة المستمرة، فلن يخيفك شيءٌ بعد أن لجأت إليه، ولن تساورك وساوس الوهم فتطغى في نفسك، ولن تخترق مكائد الإنس والجن ما قدره الله لك وارتضاه لحياتك، فأنت في حصن مكين مدثر بالأمن والرحمة ممن لا تنتقص رحمته ولا تزال.

محور السورة:

عدة المؤمن في المعركة.

أبرز الأفكار الرئيسة في هذه السورة:

١ ـ محبة الله لعباده.

٢ ـ اعرف صفات عدوك.

٣ ـ الوسوسة... طاقة السلبية.

٤ ـ النَّصر على عدوّ الإنسان.

شرح الأفكار الرئيسة:

١ ـ محبة الله لعباده:

بدأت السورة في طلب الاستعاذة، وهو إعلان عن حاجة الإنسان إلى ربه عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾، وهو يفصح عن حاجته هذه بنفسه وينطقها بلسانه. وفيها قتل للغرور لأن الكِبر والغرور يمنعان المرء أحياناً من طلب الإعانة

وهو في حاجة شديدة إليها، ولأن الذي يطلب المعونة من غيره يمتنع عن الغرور، ولا يكتفي الإنسان بالشعور بالحاجة إلى ربه لكن ينبغي أن يُعلن حاجته لربه سواء أكان الرسول أو غيره من الناس[١].

وفي هذه الآيات تعظيم لشأنْ النَّاس عند الله تعالى ومحبته لعباده؛ لأنَّ الله تعالى قد أضافهم إلى ذاته فقال: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وهو الذي اخْتَصّهم بالفضْل والرزق والإنعام، وأضافهم إلى ملكه؛ فقال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢﴾، فدَلَّ ذلك على أنَّه هو المتصَرِّف في شؤونهم، فيوجههم كما يوجه المِلكُ عبيدَه، كما أضافهم إلى صفاته فقال: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾، فكان من شأن اختصاص الله تعالى بالفَضْل على الناس وحقه في التصرُّف في شؤونه، فيقدر لهم الخير والشَّرَّ فتنة أن تكون النتيجة المنطقيَّة لذلك هو اختِصاص الله تعالى وحْده بالألوهيَّة؛ بحَيْث يُعْبَد وحْدَه دون سواه[٢].

أن ترتبط صفات الله سبحانه بالناس خاصة وهم أكرم المخلوقات عنده سبحانه فهذا دليل على أن الله قدر شرف هذا المخلوق ورفع مكانته، فهو الرب الذي يعطي الخير وهو الرب الذي يمنع الشر وينزل العقاب لأهل الفساد والشر، وهو مالك كل الناس وما يملكون وهو القادر على الحرمان والمنع لمن طغى وسعى في الأرض ليفسد فيها، وهو الإله المشرع المدبر لك كل سنن الحياة وهو الإله الذي لا يقبل الشرك معه فيأخذك متى شاء وينفي وجودك عن هذه الأرض متى أراد وقدر.

ومن تدبر في حكمة الله في هذا التدرج وتقديمه سبحانه لربوبيته على ملكه وألوهيته ليبين لك أيها الإنسان أن الله الذي خلقك وشكلك وصورك وكلفك في هذا الوجود وتكفل برزقك وحمايتك، هو مالكَك ومالك كل شيء تملكه وهو القادر على أن يصرف عنك كل ما أعطاك وسخره إليك إن طغيت به واستخدمته في إيذاء نفسك أو الآخرين من حولك، وهو الإله الأعظم الذي شرع لك في هذا الوجود أحكام حياتك وبناء مجتمعك كي تقوده إلى الصلاح وسواء السبيل بعيداً عن الوقوع في الشذوذ والانحراف، فلا تعتمد في طلب الحماية على مالك

(١) د. فاضل السامرائي ـ لمسات بيانية من سورة الناس.

(٢) د. أحمد مصطفى نصير – دلالات تربوية على سورة الناس ـ http://www.alukah.net.

أو مكانتك ولا تلجأ لغيره وتشرك معه من لا ينفعك، ولا تطلب المدد والقوة ممن هو محتاج لها أكثر منك(١).

٢ ـ اعرف صفات عدوك:

أنْ تحتَشِدَ كلُّ هذه الصفات الثلاث: الربوبيَّة والملك والألوهيَّة من شَرِّ ذلك الوَسواس الخنَّاس؛ وذلك كنايةٌ عن خُطورةِ ما يفعَلُه ذلك الخنَّاس في الخَلْقِ والبشَر، وما يُحدِثُه في الكون من غَوايةٍ وضَلالةٍ وتدميرٍ وهلاكٍ، فهو يُغوي الإنسان والمجتمع والدُّول والشعوب على تدمير حَضارات بعضها البعض، ونسْف وُجود أسلافِها، وإيقاعِ الفتن بأبنائها، وإحداث الوَقيعة بين الأمَّة؛ ممَّا يستوجبُ معه الاستعاذة بصاحب الأمرِ والنَّهي في ذلك الكون؛ حيث لا يقدرُ على الشيطان إلا خالقُه وإلهه ومليكُه، فهذه الكناية تكشفُ عن خُطورة إبليس، وفَداحة الشيطان، وأثر الوَسواس في حياة الأُمَم والشُّعوبِ والناسِ، فهذا مَطلَعٌ قُرآني يجعَلُ الخلق في حَذَرٍ من الشيطان، ودأبٍ على تجنُّبه وتنكُّبِ طريقِه، ذلك الطريق الذي يُودِي بجهودهم وأعمالهم وحيواتهم(٢).

وعندما يكون للمرء عدو فإنه يحرص على أن يعرف مقدار عدائه ومدى قوته والأساليب التي تمكنه من التغلب عليه أو النجاة منه، وقد أخبرنا الله تعالى عن عدونا أن قصارى ما يستطيع الإنسان فعله هو أن نخنس وسوسته لأن الشيطان باق إلى يوم الدين ولا يمكننا قتله أو فعل أي شيء آخر به، وإنما نستعيذ بالله فيخنس الشيطان، أو أن نغفل وننسى فنقع في الوسوسة(٣).

إن المعركة بين آدم وإبليس قديمة قديمة، وأن الشيطان قد أعلنها حربًا تنبثق من خليقة الشر فيه، ومن كبريائه وحسده وحقده على الإنسان! وأنه قد استصدر بها من الله إذناً، فأذن فيها ـ سبحانه ـ لحكمة يراها! ولم يترك الإنسان فيها مجرداً من العدة. فقد جعل له من الإيمان جنة، وجعل له من الذكر عدة، وجعل له من الاستعاذة سلاحاً.. فإذا أغفل الإنسان جنته وعدته وسلاحه فهو إذن وحده الملوم!

(١) تأملات وعبر في سورة الناس / آمال أبو خديجة .

(٢) د. جمال عبد العزيز أحمد – قراءة بلاغية في سورة الناس– http://www.alukah.net.

(٣) د. فاضل السامرائي– لمسات بيانية من سورة الناس.

لقد بَيَّنَ الله عَزَّوَجَلَّ لنا في هذه الآية اثنتين من صفات العدوِّ الأوَّل للإنسان، وهو الشَّيطان الرَّجيم، تتعلَّقان بما يُستجار منه، وهما:

أوَّلاً ـ الوَسْوَسة: فصوْت الباطل دائماً ضعيف، لا يستطيع أهلُه الجهر به لشدَّة نكارته؛ لذا علا صوت الحق دائماً على صوت الباطل، حتَّى في ظلِّ أشدِّ الأوقات التي يضعف فيها؛ لأنَّ صوت الوسوسة دائمًا خافت، ولا يعمل إلاَّ في الخفاء.

ثانياً ـ الخنس: إنَّ صوت الباطل لا تأثير له مع ذِكْر الله تعالى. فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوس. ولكنها من جهة أخرى توحي بضعفه أمام من يستيقظ لمكره، ويحمي مداخل صدره. فهو ـ سواء كان من الجنة أم كان من الناس ـ إذا واوجه خنس، وعاد من حيث أتى، وقبع واختفى. أو كما قال الرسول الكريم في تمثيله المصور الدقيق: «**فإذا ذكر الله تعالى خنس، وإذا غفل وسوس**»..

وهذه اللفتة تقوي القلب على مواجهة الوسواس. فهو خناس. ضعيف أمام عدة المؤمن في المعركة [١].

٣ ـ الوسوسة... طاقة السلبية:

الشر بعض الأوقات يأتي من مصدر مادي معلوم، كإنسان عدو مثلاً.. وأحياناً يأتي من عالم غير مرئي من: الجن، والشياطين، والحسد، وغير ذلك من الأمور. إنَّ الوسواس الخناس يوسوس في صدور الناس خفية وسراً، وإنه هو الجنة الخافية، وهو كذلك الناس الذين يتدسسون إلى الصدور تدسس الجنة، ويوسوسون وسوسة الشياطين.

ولقد طرد الله عَزَّوَجَلَّ الشيطان من رحمته بسبب كبريائه وحسده وحقده على الإنسان، وجعله رجيماً مبعداً، فأعلن لشيطان عداوته لبني آدم، وطلب إنظاره إلى يوم القيامة وأقسم أنه سيزين للناس المعاصي في الدنيا. وبما أنَّ هذا الشيطان يوسوس دائماً وعداوته مستمرة، وهجومه يوميٌّ؛ فلا بد أن يكون الدفاع يومياً.. وعليه، فإن على الإنسان اللجوء إلى الاستعاذة المستمرة، للتصدي لهذا العدو: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

ﭐلنَّاسِ ﴿٥﴾..﴾ والنفس حين تعرف هذا العدو وصفاته تتأهب للدفاع، وقد عرفت المكمن والمدخل والطريق!

إنَّ الوسوسة في تلك الصدور هي الطاقة السلبية المملوءة بشحنات قاتلة إما لصاحبها أو للآخرين من حوله، فهو دائم الشحن لنفسه من فكره ومكره أو خواطره الأمارة بالسوء، فالوسواس هو الذي تغلب على صاحبه حتى أصبح من تركيبته ولن يستطيع أن يوقفه إلا الإيمان والخوف من الله، فنفسه الأمارة بالسوء قد علت في سيطرتها على جوراحه وقلبه حتى عطلت قوة النفس اللوامة والمطمئنة وأصبح لا يذوق طعم الهدوء والسكينة إلا بعد أن يحقق ما مكرته نفسه.

٤ ـ النَّصر على عدوّ الإنسان:

الوسواس قسمان فقد يكون من الجِنّة وقد يكون من الناس ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ وقد ابتدأ الله في ذكر الجِنّة قبل الناس رغم أن التكليف هو للإنسان في هذه الأرض، لأن الجِنّة من طبيعتها الخفاء والتحرك السريع حيث إنها تتغلل في الأشياء وتسري بها كما تسري الدماء في العروق، وتتحرك بحركات لا يشعرها الإنس ولا يراها، فهي تتحرك من وراء ستار ومحجوبة عن الرؤية، وكذلك كيد الناس وما تحمله صدورهم من الشر والسوء ومن وساوس وأوهام تجري في جوارحهم بخفية دون أن يدركها بعد أن اعتاد عليها فأصبح مجبولاً عليها، كأنها من فطرته التي فطر عليها.

إنَّ الشيطان يصبّ وسوسته على قلْب المرء ليحوّله إليه، فإذا فسد القلب فسدت سائر الجوارح، وعليْه؛ تعيَّن على المسلم أن يَجتهد في إخلاص الطَّاعات لله ـ تعالى ـ وأن يُجنّبها الرياء والسُّمعة وحبّ المدْح من الآخرين، كما عليه أن ينظِّف قلبَه من الحسد والحقد والغلّ للآخرين، فإذا طهَّر قلبه من تلك الأخلاق الذميمة، استطاع بذلك أن يُقْبِل على الله ـ تعالى ـ بجسده كلِّه؛ ليعبده بسائر جوارحِه في همَّة ونشاط[(١)].

وهذا التصور لطبيعة المعركة سواء عن طريق الشيطان مباشرة أو عن طريق عملائه من البشر، من شأنه أن يشعر الإنسان أنه ليس مغلوباً على أمره فيها فإن ربه وملكه وإلهه مسيطر على

(١) د. أحمد مصطفى نصير – دلالات تربوية على سورة الناس ـ http://www.alukah.net

الخلق كله وإذا كان قد أذن لإبليس بالحرب فهو آخذ بناصيته. وهو لم يسلطه إلا على الذين يغفلون عن ربهم وملكهم وإلٰهم، فأما من يذكرونه فهم في نجاة من الشر ودواعيه الخفية، فالخير يستند إلى القوة التي لا قوة سواها، يستند إلى الرب الملك الإله. والشر يستند إلى وسواس خناس يضعف عن المواجهة ويخنس عند اللقاء وينهزم أمام العياذ بالله..

وهذا أكمل تصور للحقيقة القائمة عن الخير والشر كما أنه أفضل تصور يحمي القلب من الهزيمة ويفعمه بالقوة والثقة والطمأنينة.. وعلى المسلم أن يوقن بالنَّصر على عدوّه، لأنَّ الله ـ تعالى ـ هو الَّذي أمر بالاستعاذة به على عدوَّينا من الجن والإنس، فلا يضرّك كيدُهُما طالما أنَّ الاستعاذة قد تحقَّقت شرائِطُها.

ولعل الله ختم القرآن بصورة الناس لأن البشرية كلها هي مكلفة من قبل الله وهي أكرم المخلوقات عنده، ويريد لهذه البشرية جمعاء أن تتحد على منهج رباني واحد وإله واحد ورب واحد، ومتى سمح الإنسان للوهم والوساوس تصيب قلبه فهو قد أدخله في المرض الذي لا نجاه ولا شفاء منه إلا في العودة إلا خالقه وهو رب الناس ومالكهم وإلههم، ولعل الله أراد أن يوجهنا إلى الحذر من أشد عدو يؤدي للطغيان والإساءة للإنسان وهو الإنسان نفسه فهو من طبيعته ونفس جنسه وعالم بطبيعته وما يؤذيه ويضره، فالإيذاء والألم والفساد يأتي أشد إن كان من نفس الجنس أو من نفس الطائفة، فهذا لا نشاهده في مخلوقات الله من الحيوان حتى المفترسة منها فهي لا تؤذي نفس فصيلها أو جنسها بل تعتدي على غيرها ومن هو أضعف منها ولكن عند الإنسان نرى الغلو في الطغيان والفساد لنفس الجنس البشري واختفاء ملامح الشخصية الإنسانية عند كثير من الطاغين.

وقد لخصت هذه السورة في خريطة ذهنية تصف محور السورة والأفكار الرئيسة فيها، وكما هو مبين في الشكل:


سورة الناس
عدة المؤمن في المعركة
النصر على
عدو الإنسان
الوسوسة
طاقة السلبية
محبة الله لعباده
اعرف صفات عدوك

الخاتمــة

إن البحث في كتاب الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لفهم معانيه ومعرفة ما فيه من أجل تدبره هو عمل صعب و شاق، ويتطلب المزيد من الورع والتقوى فضلاً عن الخشوع والخوف من الله، والقرآن الكريم مليء بالأسرار والحكم التي تحار فيها العقول. لقد كانت فكرة تسخير الخرائط الذهنية لتيسير فهم سور القرآن الكريم وتدبر آياته من أجل العمل به. وتكمن أهمية الخرائط الذهنية لسور القرآن، في تنبيه القارئ للنص القرآني للتمعن والتبصر في قراءته المتسلسلة، لكي تترك لديه انطباعاً ومعرفة أن هناك نصاً متكاملاً، أجزاؤه غير منفصلة، حتى لو كانت آياته متنوعة، إلا أن التركيز الشامل الذي يتحسسه القارئ يجعله يعي أسرار النص الكامل للسورة، لكي يترك أثره في فهمنا وتعايشنا مع آيات القرآن الكريم. والتأكيد على أن السورة بما أنها نص فإنها تترابط وتتناغم آياتها ومقاطعها وموضوعاتها وعناصرها وأدواتها في ما بينها..

وليس المقصود من عرض هذه النماذج إعطاء أي لون من ألوان التفسير. فمن أراد التفسير فليرجع إليه في مصادره المعروفة. . ولكن عرضت في هذا الكتاب فقط كنماذج لبيان طريقة الخرائط الذهنية في معالجة الموضوعات التي تتناولها السور القرآنية، وبيان اختلاف طرائق العرض وإن اتحد الهدف واتحد الموضوع.

إن الشعور بالمسؤولية الشرعية أمام أجيال المسلمين لمساعدتهم على فهم وتدبر سور وآيات القرآن الكريم باستخدام علم الخرائط الذهنية، يَستوجِب التعامل مع قضية تدبر القرآن من مُنطلق أنه واجب تَفرضه تلك المسؤولية، فهو مثل أي علم يحتاج للمراجعة والتقويم، فأمة الإسلام ـ خير أمة أخرجت للناس ـ في حالة من الضياع والتفكك والتشرذم لم يسبق لها مثيل، فلقد طال سباتها واشتد مرضها، ولا علاج لها إلا بالرجوع إلى كتاب الله فهماً وتدبراً وعملاً ، ومهما كان الوصول إلى جسر النَّجاة يَبدوا بعيداً، إلا أن الشعور بعدم الوحدة يُحفِّز

المسلمين على استغلال كل طاقاتهم، واستغلال أقلِّ الفُرص لخلق أعظم قصص النجاح وفق منهج القرآن.

لقد كانت هذه الرحلة الجادة والهادفة مع سور القرآن الكريم وتدبرها عن طريق رسم خرائط ذهنية لعدد من السور المباركة، وقد توخيت الحذر والدقة في وضع أفكار هذه الخرائط من أجل إعادة تفكيرنا وتعاملنا مع آيات الله عندما نقرؤها ونتلوها.

وها هي رحلتي مع البحث في سلسلتها الأولى قد شارفت على الانتهاء، حاولتُ فيها الارتقاء بدرجات إعادة تشكيل العقل المسلم المبدع في تعامله مع النص القرآني والدخول إلى عالمه، والانتفاع الحقيقي بمعجزته، من أجل أعادة الشهود الحضاري للأمة المسلمة، ومع أن الرِّحلة كانت شاقَّة، إلا أن استحقاق الغاية للجهد المبذول، أنستني مشقة المشوار، فما هو إلا جهد المقلِّ، ولا أدعي فيه الكمال، ولكن عذري أنني بذلت قصارى جهدي، فإن أصبتُ فهو توفيق الله وذاك مرادي، وإن أخطأتُ فأسأل الله أن يغفر لي ويكفيني جدّاً شرف المحاولة.

وأخيراً بعد أن تقدَّمنا باليسير في هذا المجال الواسع، أملنا أن ينال القبول ويَلقى الاستحسان، وإن كان من توفيق فمِن ربِّ الورى، والعجز للشيطان والأهواء.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل منا ما وفقنا إليه من خير في هذه صفحات السلسة الأولى، وأن يتجاوز عما فيها من زلات، وأن يجعلنا جميعا من أتباع القرآن، ومن جيل القرآن، ومن أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير العالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجـع

١. القرآن الكريم
٢. في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – القاهرة – ط١٥ – ١٤٠٨هـ.
٣. محمد الغزالي كيف نتعامل مع القرآن– دار نهضة مصر ٢٠١١ .
٤. سعيد حوى الأساس في التفسير– دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
٥. محمد علي الصابوني صفوة التفاسير دار القرآن الكريم ، ١٩٨١ .
٦. التفسير المنهجي– دار المنهل–ط١– ٢٠٠٤ .
٧. د. عماد الدين خليل للدكتور ـ حول اعادة كتابة التاريخ الاسلامي دار الثقافة الدوحة ـ ١٩٨٦ .
٨. أنماط التعامل مع القرآن ـ حليمة العلمي ـ كاتبة وباحثة مغربية
http: //www.hiramagazine.com
٩. محمد الغزالي كيف نتعامل مع القرآن– دار نهضة مصر ٢٠١١.
١٠. محمد فاروق الزين – تفهيم القرآن العظيم – محاور السور وتكاملها وخلاصة معانيها – دار الفكر–٢٠٠٤.
١١. www. Everitte.org.
١٢. صناعة الحياة – محمد احمد الراشد – ط دار المنطلق الإمارات العربية المتحدة ١٤١٠هـ.
١٣. أبو الأعلى المودودي – مبادئ أساسية لفهم القرآن– الدار السعودية – جدة ١٩٨٧ .
١٤. موقع أفلا يتدبرون القرآن – مقالة لعائشة القرني (أهم المشكلات التي تعاني منها الأمة في تعاملها مع القرآن)
١٥. مقالة بعنوان: بين سيد قطب وأبو الأعلى المودودي – موقع هدي الاسلام
١٦. محمد قطب دراسات قرآنية – نشر دار الشروق بالقاهرة – الطبعة الثامنة (١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
١٧. فريد الأنصاري في – مجالس القرآن–ج١– ص٨٧
١٨. عباس أرحيلة – مقالة بعنوان– السورة القرآنية مدينة مُسوّرة–رؤية الزمخشري في الكشاف.
١٩. مجدي الهلالي – العودة إلى القرآن لماذا وكيف – ص٨٢ – دار الرائد للطباعة والنشر – العراق – بغداد.

٢٠. كيف ترسم خريطة العقل- توني بوزان ١ -مطبعة جرير.
٢١. مقالة للدكتور منتصر هيثم الرغبان- http: //alraghban.com
٢٢. استخدم ذاكرتك- توني بوزان - مطبعة جرير.
٢٣. د. نجيب الرفاعي - مهارات دراسية - مكتبة جرير- دار البلاغ - مركز مهارات للاستشارات و التدريب ٢٠٠٤.
٢٤. محمد بن علي شيبان العامري موقع مؤسسة مهارات النجاح للتنمية البشرية.
٢٥. فوزي حرب أبو عودة : (جامعة أم القرى). http://uqu.edu.sa
٢٦. خالد العبيدي (روعة الهندسة الوصفية في القرآن والسنة- ج٢
Part2- Sunna & Descriptive Geometry In The Holy Qur'an -
٢٧. عودة إلى الدماغ المشقوق The Split Brain Revisited http://www.scientificamerican.com/article/the-split-brain-revisited Am Sci Jun 1998 Jul; 279(1):5-50. Michael S Gazzaniga -
٢٨. من أساليب التربية النبوية للدكتور عثمان قدري مكانسي www.ahbabullah.com
٢٩. مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة / خالد بن عبد الكريم اللاحم اللاحم - الرياض ، ١٤٢٥هـ
٣٠. مفاتيح التعامل مع القرآن للدكتور صلاح الخالدي-دار القلم -دمشق٢٠٠٩
٣١. www.manhag.net
٣٢. درس "كيف تحفظين القرآن الكريم" للشيخ هاني حلمي.
٣٣. . التدبر في القرآن- محمد رضا الشيرازي
٣٤. أحمد بزوي الضاوي نسقية السورة القرآنية من خلال تفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب. أستاذ التعليم العالي- مساعد شعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب و العلوم الإنسانية - جامعة شعيب الدكالي-المغرب.
٣٥. د محمد بن عبدالله الربيعة. علم مقاصد السور
٣٦. د محمد بن عبدالله الربيعة. علم مقاصد السور
٣٧. http: //www.hiramagazine.com
٣٨. عبد الله السحيم - موقع ملتقى أهل التفسير
٣٩. مقالة للدكتور صلاح الخالدي.http: //www.alkhaldi-salah

٤٠. أحمد خيري العمري- عالم جديد ممكن .. الفاتحة: العدسة اللاصقة على العين المسلمة – دار الفكر – دمشق- ط١- ٢٠٠٨.
٤١. الشيخ محمد حامد الفقي- تفسير فاتحة الكتاب- مجلة الهدي النبوي-السنة الأولى – العدد الخامس- شعبان سنة ١٣٥٦ هـ
٤٣. خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن – عمرو خالد- الدار العربية للعلوم-٢٠٠٤
٤٤. http: / /www sheekh. 3arb-net
٤٥. الشيخ محمد عبد الهادي المصري – عون الكريم في بيان مقاصد سور القرآن الكريم
٤٦. خالد اللحام – الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الجيل – ص ٦٣
٤٧. أسماء الرويشد – مشروع الحياة من جديد – بتصرف
٤٨. المضامين التربوية لوصايا لقمان- د. نوف بنت ناصر التميمي- دار طيبة ٢٠٠٦
٤٩. مسند الإمام أحمد ج ٧ ص ١٣٢
٥٠. عبد اللطيف البريجاوي – ww تدبرات قرآنية – موقع صيد الفوائد
٥١. إشراقات قرآنية- دكتور سلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، مؤسسة الإسلام اليوم
٥٢. فتح القدير في روائع التفسير – رياض بن محمد المسيميري
www .almosimiry.islamlight.net
٥٣. اللوحة من موقع: http / /:freeislamiccalligraphy.com
٥٤. رياض محمد المسيميري-تأملات في سورة النازعات-موقع المختار الإسلامي
٥٥. رياض محمد المسيميري-تأملات في سورة عبس-موقع المختار الإسلامي
٥٦. موسوعة النابلسي http: / /www.nabulsi.com
٥٧. أحمد مصطفى نصير- دلالات تربوية على سورة الإنفطار
٥٨. بن يحيي الطاهر ناعوس- روائع البيان في سورة الأعلى من تفسير ظلال القرآن
http / /:www.alukah.net /sharia /
٥٩. محمد أمين شيخو http://rchss.com/ar/article.php?id=417
٦٠. لوحة للخطاط الأمريكي أفرت باربي org.everitte
٦١. مقالة بعنوان (سنة الله تعالى في الحضارات المادية – سورة الفجر) د. أحمد مصطفى نصير
٦٢. رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/
٦٣. مقالة بعنوان (نفحات .. بين يدي سورة الفجر) صلاح الدين سلطان، موقع المختار الإسلامي

٦٤. مقالة بعنوان: (سورة البلد مصدر القوة!) للأستاذ عمرو الشاعر بتصرف http://www.amrallah.com
٦٥. الرقائق- محمد أحمد الراشد مؤسسة الرسالة - الطبعة : الرابعة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
٦٦. إن سعيكم لشتى- سعد بن سعيد الحجري-دار الوطن للنشر.
٦٧. د. أحمد مصطفى نصير - دلالات تربوية على سورة الليل - شبكة الألوكة.
٦٨. خطبة الجمعة - تفسير سورة الليل (قانون التيسير والتعسير) ، لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٧-٠٧-١٩٩١.
٦٩. دلالات تربوية على سورة الليل- د. أحمد مصطفى نصير- شبكة الألوكة.
٧٠. سعيد بن محمد آل ثابت- هدايات سورة الضحى-http: / /www.saaid.net
٧١. د. أحمد مصطفى نصير- دلالات تربوية على سورة الضحى- http://www.alukah.net
٧٢. د. فاضل صالح السامرائي - لمسات بيانية من سورة الضحى
٧٣. د. أحمد مصطفى نصير - دلالات تربوية على سورة الشرح
٧٤. إشراقات قرآنية للشيخ سلمان العودة
٧٥. نوال محمد عبدالله- مبادئ تربوية مستنبطة من أوائل سورة العلق- رسالة ماجستير- جامعة أم القرى
٧٦. د.سلمان بن فهد العودة - إشراقات قرآنية- مؤسسة الإسلام اليوم
٧٧. آمال ابراهيم - تأملات في سورة العلق http://amalabukhadege.blogspot.com
٧٨. حسين عبد الفتاح- سورة العلق ... دعوة للعلم واالمعرفة
٧٩. د.سلمان بن فهد العودة - إشراقات قرآنية- مؤسسة الإسلام اليوم
٨٠. آمال ابراهيم - تأملات في سورة العلق http://amalabukhadege.blogspot.com
٨١. مقالة بعنوان ليلة القدر- http://almoslim.net
٨٢. آمال إبراهيم أبو خديجة - تأملات في سورة العاديات- http://amalabukhadege.blogspot.com
٨٣. د. أحمد مصطفى نصير- دلالات تربوية على سورة الفيل http://www.alukah.net
٨٤. د. أحمد مصطفى نصير - دلالات تربوية على سورة قريش http://www.alukah.net
٨٥. د. أحمد مصطفى نصير - دلالات تربوية على سورة قريش http://www.alukah.net
٨٦. د. أحمد مصطفى نصير - دلالات تربوية على سورة الماعون http://www.alukah.net
٨٧. آمال ابراهيم أبو خديجة- تأملات في سورة الماعون http://amalabukhadege.blogspot.com
٨٨. آمال ابراهيم أبو خديجة- تأملات في سورة الماعون http://amalabukhadege.blogspot.com
٨٩. آمال ابراهيم أبو خديجة- تأملات في سورة الكافرون http://amalabukhadege.blogspot.com

٩٠. ناصر الأحمد- بعنوان من معاني النصر http://www.saaid.net/
٩١. د. راغب السرجاني- أبو لهب وزوجته - موقع قصة الاسلام .
٩٢. د. جمال عبدالعزيز أحمد- قراءة بلاغية لسورة المسد http://www.alukah.net
٩٣. الدكتور محمد راتب النابلسي - سورة المسد http://islamstory.com
٩٤. موارد ذوي الاختصاص إلى مقاصد سورة الإخلاص/ لأبي المعالي محمد بن عبدالدائم بن بنت الميلق.
٩٥. فايز بن سعيد الزهراني- التربية القرآنية في سورتي الإخلاص
٩٦. د. أحمد مصطفى نصير- دلالات تربوية من سورة الإخلاص
٩٧. محمد قطب - لا إله إلا الله .. عقيدة وشريعة، ومنهاج حياة
٩٨. تأملات وعبر في سورة الفلق / آمال أبو خديجة
٩٩. د.فاضل السامرائي- لمسات بيانية من سورة الفلق الحسد
١٠٠. http://www.dorar.net/enc/akhlaq/
١٠١. د. فاضل السامرائي - لمسات بيانية من سورة الناس
١٠٢. د. أحمد مصطفى نصير - دلالات تربوية على سورة الناس - http://www.alukah.net
١٠٣. تأملات وعبر في سورة الناس \ آمال أبو خديجة
١٠٤. د. جمال عبدالعزيز أحمد - قراءة بلاغية في سورة الناس- http://www.alukah.net
١٠٥. د.فاضل السامرائي - لمسات بيانية من سورة الناس
١٠٦. د. أحمد مصطفى نصير - دلالات تربوية على سورة الناس - http://www.alukah.net
١٠٧. طه جابر العلواني- الوحدة البنائية للقرآن المجيد- دار الشروق ٢٠٠٥م.

تم بحمد الله

المحتويات